سلطنة عمان
المنتدى الأدبي
وزارة التراث القومي والثقافة



فعاليات ومناشط

• حصاد أنشطة المنتدى لعام ٩١ - ١٩٩٢م

اشراف :
سالم بن محمد الغيلاني
رئيس المنتدى

إعداد :
محمد علي الصليبي
مساعد مشرف المنتدى

إصدار
ديسمبر ١٩٩٣م


فعاليات ومناشط
• حصاد أنشطة المنتدى لعام ٩١ - ١٩٩٢م





فعاليات ومناشط

• حصاد أنشطة المنتدى لعام ٩١ ـ ١٩٩٢م

• قراءات ودراسات وبحوث في الفكر والأدب والتراث العماني

اشراف :

سالم بن محمد الغيلاني

رئيس المنتدى

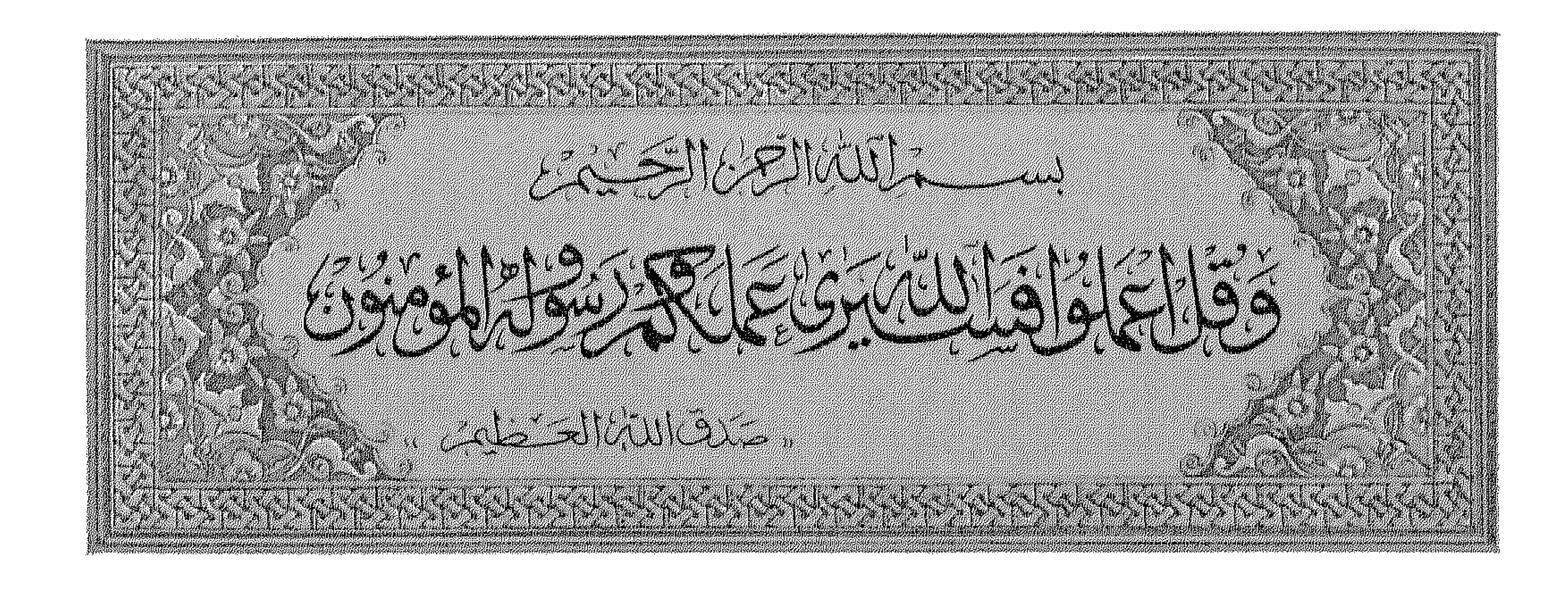
إعداد :

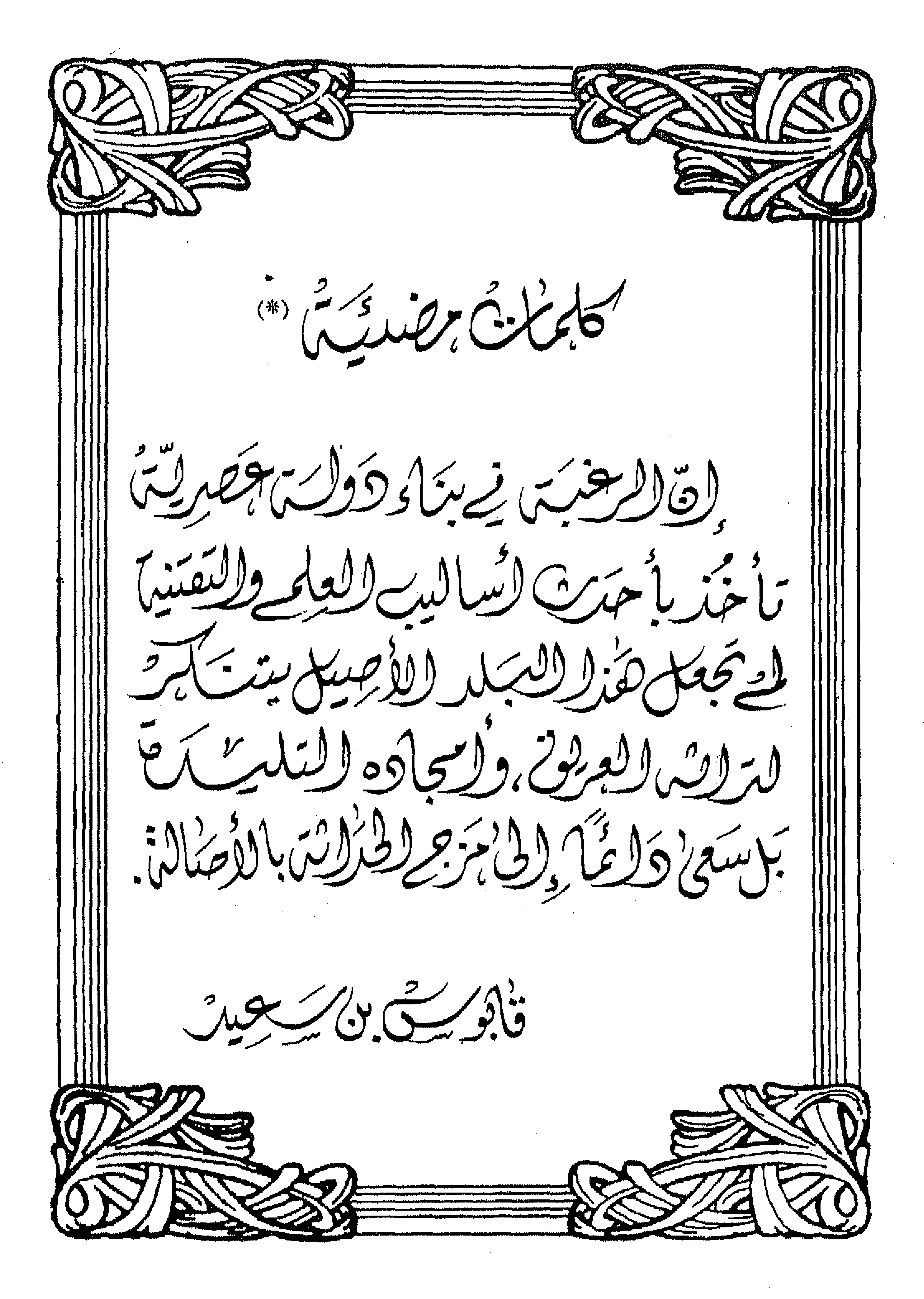
محمد علي الصليبي

مساعد مشرف المنتدى

إصــدار

ديسمبر ١٩٩٣م


بسم الله الرحمن الرحيم
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
« صدق الله العظيم »



* مقتطفة من الخطاب السامي لحضرة صاحب الجلالة بمناسبة العيد الوطني الثالث والعشرين المجيد وتفضُّل جلالته (حفظه الله) بجعل عام ١٩٩٤ عاما للتراث العُماني.



حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم

اهــداء

الى المقام السامي لحضرة صاحب الجلالة السلطان
قابوس بن سعيد المعظم «حفظه الله» . .

الى من علمنا ان الوطنية أغلى سياج لاستقلال الأمة، وان الأمم إنما تصل الى ذرى الحضارة بمقدار انتمائها للوطن.

الى من غرس في قلوبنا حب عُمان وجعل قمة المواطنة إنما تقاس بمقدار الوفاء لها والاخلاص لتربتها الطاهرة المعطاء.

الى من جعل بناء الانسان العُماني وتكوين شخصيته المتكاملة في مقدمة أهدافه النبيلة، وعلمنا انه ما انحطت أمة عن منزلتها إلاّ لأنها عدمت رجالها، وانها ما عدمت رجالها؛ الاّ لأنها لم تُعْنَ بتنشئة شبابها، ولم توِلهم الرعاية الحقة.

الى من أعلنها مدوية في الآفاق؛ تقرع ذاكرة الزمن؛ أنه (من لا ماضي له فليس له حاضر ولا مستقبل)، وان الذين يبحثون في تراثهم، ويستعيدون أمجادهم هم - بلا شك - المتشبعون بمبادىء المدنية، وانه إذا تفككت العرى وانحلت الروابط ضاع القصد منها، فامتثلنا للأمر، وتمسكنا بهذه العرى، وعضضنا بالنواجذ على أهداب شريعتنا، وقيمنا ومثلنا وتقاليدنا، فجلالتكم من علمنا انه لا نجاح لأمة نبذت دينها وتراثها ظهريا، ولا فلاح لقوم استعبدتهم الشهوات.

الى مقامكم السامي نرفع تلك الباقات علّها - وبمناسبة عام التراث - تحظى بالقبول والرضا من همتكم العالية، وعزائمكم القوية، وفكركم السديد، داعين الى الله من أعماق قلوبنا ان يحفظكم برعايته، ويكلأكم بعنايته، وان يتحقق على ايديكم الكريمة كل ما تصبو إليه عُمان من عزة وسؤدد وأمن ورخاء وطمأنينة.

أسرة المنتدى الأدبي



جانب من فعاليات المنتدى الأدبي

الباب الاول

حصاد ندوة المأثورات الشعبية بسلطنة عمان

كلمة معالي الشيخ عامر بن شوين الحوسني(*)

وزير البلديات الاقليمية والبيئة

بسم الله والصلاة والسلام على خير خلق الله الأمين. . . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

أصحاب السمو والمعالي. . . أصحاب السعادة. . . ضيوفنا الأكارم. . . الأخوة والأخوات.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

يسرني ان اشارككم حفلكم هذا. . . بافتتاح فعاليات ندوة المأثورات الشعبية. . . التي تحتضنها السلطنة ممثلة في المنتدى الأدبي ـ الذي يمثل مجمعا للفكر. . . ومعملا تلتقي من خلاله وتمتزج تفاعلات العطاء والابداع لتشكل اشعاعات تضىء سماء هذا البلد العزيز. . . بالعلم والنور والمعرفة. . .

وأجدها مناسبة طيبة للتعبير عن عميق سعادتي لتوافد هذه النخبة الخيرة الكريمة من العلماء والأدباء والمهتمين بقضايا الفكر والابداع. . الى أرض عمان الخير. ليثروا أجواء هذه الندوة بأفكارهم وخبراتهم وتفاعلاتهم الايجابية سعيا نحو تحقيق التواصل الفكري والترابط العميق الواعي لاثراء الحركة الثقافية في محيط امتنا العربية ـ بالمناقشات الجادة والاسهامات القيمة تحقيقا لمطالبنا السامية نحو تأصيل قيمنا الحضارية وابراز تراثنا الخالد. . . والبحث في مكامن الدرر الكامنة في جذوره الضاربة في قديم الازل. . .

فأهلا بهم في وطنهم الثاني. . . وبين أهليهم وذويهم متمنيين لهم طيب الاقامة بيننا إن شاء الله.

أيها الحفل الكريم . .

لقد كان للتوجيهات السامية لحضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله. . . للمحافظة على تراثنا الحضاري الماجد. . . والابقاء على سمته المميزة. . . ضمن اطار هويتنا العمانية الأصيلة. . . والتعامل مع معطيات العصر الحديث من تقدم وتقنية بروح من التفاعل الايجابي الواعي. . . والعقلانية المتروية. . . لتتحقق لنا امكانية

(*) القيت في افتتاح ندوة المأثورات الشعبية التي اقامها المنتدى الأدبي في الفترة من ٥ ـ ٧ ديسمبر ١٩٩٢م.

المواءمة بين هذا الأرث الطيب بعبقه الزكي وبين معطيات هذا العصر. . . بما يكفل لنا الاحتفاظ بشخصيتنا المتميزة ذات الوجه الحضاري المشرق والتي عرفنا بها. . . ويعزز دورنا الرائد في مجال الاسهام النشط. . . في الثراء الفكري على صعيد وطننا العربي الكبير وامتنا الاسلامية وعالمنا المحيط الاكبر. . .

ولقد أكد ذلك جلالته ـ حفظه الله ـ في عباراته الخالدة حيث قال «من لا ماضي له فليس له حاضر ولا مستقبل».

ومن هنا فإننا نستلهم هذه التوجيهات السامية ونضعها نبراسا نمضي على نهجه الى ما قدر لنا من سمو ورفعة. . .

ايها الحفل الكريم :

ان فعاليات ندوة المأثورات الشعبية والتي نلتقي من خلالها الآن. . . جاءت لتؤكد بالدليل القاطع مدى احساسنا بالمسئولية التي نضطلع بها. . . تجاه مأثوراتنا. . . ولتثبت مدى ادراكنا لأهمية هذه المأثورات وأهمية المحافظة عليها. . . وإنه ليحدونا أمل كبير في ان تأتي مناشط وفعاليات هذه الندوة. . . كخطوة هامة. . . في سبيل تأصيل خدمة علمية. . . ثقافية تضع مأثوراتنا في موضعها الصحيح على خارطة الثقافة والابداع. . . وفرصة طيبة للمثقفين والمهتمين للاطلاع على هذا الموروث القيم الذي لا يقدر بثمن. . . مدركين بوعي وبصيرة ان التراث الحالي. . . إن هو إلا اضاءات متواصلة من الماضي بكل قيمه واشكاله وعناصره.

الأخوة والأخوات الأعزاء. .

إن الارادة السامية لحضرة صاحب الجلالة سلطان البلاد المعظم ـ حفظه الله ـ بتخصيص العام القادم ١٩٩٣م عاما للشباب . . . تنبع من ايمان جلالته الراسخ بأن الشباب الصالح هم أمل الأمة وثروتها الحقيقية التي تضمن لها الاستمرار والبقاء المتوهج. . . والشباب وهم من يعول عليهم حمل الامانة وتحمل المسئولية لبناء الحضارات، هم الاجدر بالحفاظ على موروثاتهم من عادت وتقاليد وممارسات ومآثر حميدة.

وستعيش عمان بإذن الله ـ تعالى ـ فعاليات ومناشط متعددة استمرارا للنهوض بالشباب العماني خلال عامه المخصص. . . تأكيدا للخطى الثابتة في دعمه والعناية به كونه الثروة الحقيقية للأمة.

أيها العلماء والأدباء الاجلاء. . .

ان مسئوليتكم تجاه الشباب تتعاظم بعظم ما تحملون من فكر، وذلك باعتباركم القدوة والمثل المحتذى. . . فسخروا ما حباكم الله به من علم وفكر ليتناقلوه عنكم بقدرة واقتدار.

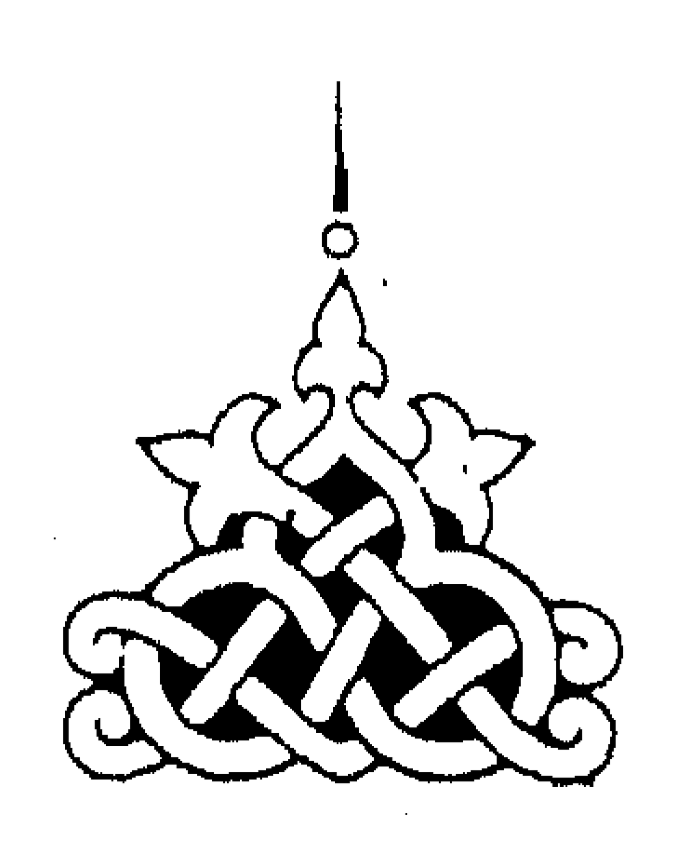
وبهذا فإننا نوجه الدعوة الى الباحثين والدارسين من أبناء هذا الوطن. . . لأن يكرسوا جهودهم واهتماماتهم في البحث والتنقيب عما يمكن ان يسلط الضوء على موروثنا ومأثوراتنا الشعبية باعتبارها خلاصة تجارب وحقائق عن مجتمعنا وتعبيرا عن وجدان امتنا. . .

كما اننا نؤكد على ان يكون هذا التفاعل ايجابيا مع بيئتنا المحيطة . . . لنكفل لها اكبر قدر من المحافظة والاستقرار والتنامي ، فالانسان هو المرآة العاكسة لبيئته التي يعيش فيها وهو محور التنمية ومحركها ومرامها المستهدف .

وختاما فانني انتهز هذه المناسبة للتعبير عن خالص شكري الى صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة على دعوته الكريمة لي لرعاية فعاليات هذه الندوة ، كما انني اثمن الجهود الحثيثة التي يبذلها المنتدى الأدبي لاثراء ساحتنا الثقافية بالفعاليات والأنشطة واشكر ايضا جميع الباحثين والمفكرين المشاركين في هذه الندوة والذين يسهمون بعصارة أفكارهم لانجاحها .

وفقنا الله جميعا للخير والصلاح

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ،



كلمة سعادة رئيس المنتدى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا على توفيقه، واشهد ان لا اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله، واصلي واسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين.

معالي الشيخ عامر بن شوين الحوسني وزير البلديات الاقليمية والبيئة

أصحاب السمو والمعالي .... أصحاب السعادة .... أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..... وبعد :

فقد كانت عمان ومنذ أقدم العصور البوتقة التي صهرت مختلف التأثيرات الحضارية في العالم القديم، وفي اشراقة النور المحمدي انبرت عمان لتصبح حصن الأمة الاسلامية الحصين ومهدا لتراث عماني حافل بالمعطيات الانسانية والقيم الروحية التي تجسد بيئتنا العربية الاسلامية في نقاء هواء بياديها وصفاء سمائها وسماحة طبيعة سكانها وفي ظل النهضة المباركة لمولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم لقي هذا التراث كل عناية ورعاية باعتباره ذوب مشاعر أمة، تصدرت المسرح العلمي والفكري والأدبي والفلسفي قرونا من الزمن، واستطاعت ان تحمل للبشرية جمعاء اسمى الرسالات السماوية وانقى الحضارات الانسانية.

معالي الشيخ عامر بن شوين الحوسني وزير البلديات الاقليمية والبيئة

أصحاب السمو والمعالي ... اصحاب السعادة... أيها الحفل الكريم

لقد ادركت حكومة صاحب الجلالة الرشيدة عن وعي ان نظرتنا لتراثنا تستوجب علينا الا نقيم حواجز من الاختصاص بين نمط تراثي وآخر موقنين بأن ما يطبع اتجاهنا الثقافي هو المحافظة على الاصالة مع الأخذ بالمعاصرة لانه من قلب الاصالة تنبع المعاصرة وبذلك نكون قد استطعنا ان نسوى المعادلة الصعبة بين ثقافة حديثة وزاد تراثي خصب مما يمكننا اجراء القراءة الواعية النافذة التي تحول هذا التراث الى مادة معاصرة تعطيه أبعاده من حيث توليد الأفكار، وليكون رصيدنا الثقافي القيم التي ينبغي على أساسها ان نبني فكرنا الحديث وتطلعاتنا الثقافية المستقبلية.

معالي الشيخ عامر بن شوين الحوسني وزير البلديات الاقليمية والبيئة . .

أصحاب السمو والمعالي . . . اصحاب السعادة . . . أيها الحفل الكريم

وانـه ليسعد المنتدى ان تأتي هذه الندوة التي نفتتح فعالياتها اليوم مستنيرة بوحي من التوجيهات السامية لجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم في خطابه السامي بمناسبة احتفالات السلطنة بعيدها الوطني الثاني والعشرين المجيد بتخصيص عام ١٩٩٣م للشباب، ادراكا من جلالته ـ حفظه الله ـ لدور الشباب الهام في المجتمع فالشباب الواعي والمثقف في الأمـة هم عماد نهضتها، وأسس حضارتها واكسير سعادتها، وعلى اكتافهم تبنى الأوطان وبسواعدهم تتربع الأمم على قمة الأمجاد، وتشمخ صروح الحضارات، واننا من هذه الموقع لنعاهد الله امام جلالته ان نكون ـ كعهده دوما بنا ـ الجنود المخلصين الأوفياء تحت رايات القيادة الرشيدة وان نعمل من خلال هذا الصرح الأدبي كل ما في وسعنا لنكون محط الثقة الغالية لجلالته ـ حفظه الله ـ وان المنتدى ليفخر ويعتز ان تسلط باكورة موسمه الثقافي الجديد الضوء على مأثوراتنا ولنكشف معا دورة الاشياء، واننا ننطلق من الحاضر المعاش الى التراث لنجد بما لا يدع مجالا للشك بأن الصلة بيننا وبين مأثوراتنا التراثية هي صلة حية فيها طبيعة الحوار وطبيعة النقاش والتمازج والتداخل، وعندها تذوب وتنصهر كل الدلالات الزمنية في بوتقة الزمن، ولنعلم بأن قضية الجدوى من التراث ودراسته والافادة منه ليست قضية ماض وحاضر، فحاضرنا هذا سيصبح تراثا بعد حين وما نتصوره معاصرة سيجيء وقت تصبح فيه تلك المعاصرة تراثا فالعلاقة اذن علاقة جدلية قائمة على ان ما هو تراث اليوم كان في يوم ما معاصرة وما هو معاصرة اليوم سيصبح في يوم ما تراثا فلننظر في حاضرنا ماذا سنقدم لاجيالنا .

معالي الشيخ عامر بن شوين الحوسني وزير البلديات الاقليمية والبيئة . .

أصحـاب السمو والمعالي . . . أصحـاب السـعادة . . . أيها الحفـل الكريم

لقد دأب المنتدى الأدبي ومنذ افتتاحه على اقامة الندوات الفكرية والأدبية والثقافية وانه مما يزيدنا حبورا ان تأتي فعاليات هذا الصرح لعام (٩٣) مستلهمة من توجيهات جلالة السلطان المعـظم والتي تتمثل في استثارة همة شبابنا ليشمروا عن سواعد الجد والاجتهاد لاعطاء صورة مشرقة ومشرفة عن ماضينا وحاضرنا، وليعملوا ما وسعهم ذلك على سد فراغ طالما عانت منه المكتبة العربية وذلك باسهاماتهم المضيئة والمفيدة في محاولة منهم لكشف ما اعترى جوانب ماضينا من اجحاف وغموض ولعمري فانهم سيجدون في تراثنا ما يشفي غليلهم ويروي ظمأهم، وهذه دعوة جادة اخص بها شبابنا بأن ينهلوا من معين تراثنا الذي

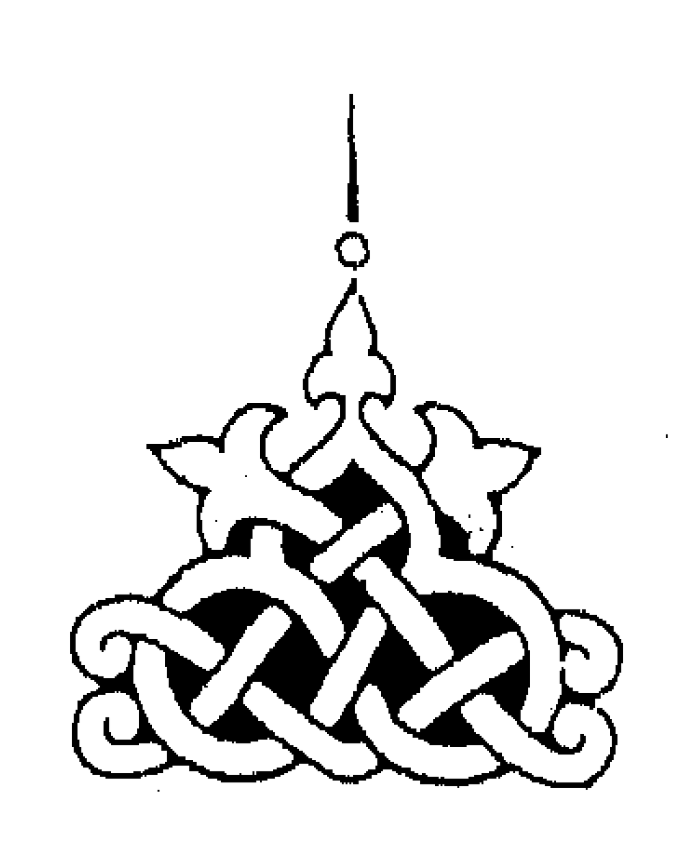
لا ينضب وان يستفيدوا من معطيات النهضة المباركة التي تشهدها سلطنتنا الحبيبة بكل المقاييس والمعايير والاشكال.

معالي الشيخ عامر بن شوين الحوسني وزير البلديات الاقليمية والبيئة..

أصحاب السمو والمعالي.... اصحاب السعادة.... أيها الحفل الكريم

وختاما فانه لايسعني الا ان اتوجه بالشكر الجزيل لمعالي الشيخ عامر بن شوين الحوسني وزير البلديات الاقليمية والبيئة على رعايته هذا الحفل، كما اتوجه بالشكر الى صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة على تشجيعه الدائم للمنتدى الأدبي ودعم فعالياته وانشطته، وكلمة شكر خاصة أوجهها لضيوفنا الاكارم من العلماء والأساتذة والباحثين الذين تجشموا مشاق السفر ليشاركونا بما جادت به قرائحهم، ونسأل الله في الختام التوفيق والسداد للجميع مجددين العهد والولاء لمولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..



جانب من فعاليات المنتدى الأدبي

مجالات الاستفادة من الفنون الشعبية (*)
في
تطوير برامج رعاية الأمومة والطفولة

بقلم معالي/ إنعـام المفتـي
رئيسـة مؤسسة نـور الحسـين
عمـان ـ المملكة الأردنية الهاشمية

مقـدمـة :

أيها السيـدات والسـادة :

أحييكم أطيب تحية ، انتم أهل لها ، وأعرب عن اعتزازي بالمشاركة في هذه الندوة ، التي أرجو الباري ـ جل وعلا ـ ، ان يكلّل أعمالها بالنجاح ، مع هذه النخبة الكريمة ، من أهل العلم والتجربة ، الذين وفدوا من مختلف ارجاء العالم العربي ، بدعوة من الأخ الفاضل/سالم ابن محمد الغيلاني ، رئيس المنتدى الأدبي في سلطنة عمان الشقيقة ، لتدارس موضوع نتفق جميعا على أهميته في بناء حاضرنا ومستقبلنا ، وله وللمنتدى ولجميع المشرفين على اقامة هذه الندوة الشكر والاحترام .

(*) ورقة مقدمة الى ندوة «المأثورات الشعبية» ـ المنتدى الأدبي ـ مسقط من ١٩ ـ ٢١/١٢/١٩٩٢ .

وأسجل تقديري، بداية لما توليه سلطنة عمان الشقيقة من اهتمام ملحوظ بالتراث القومي، ادراكا من مسؤوليها، وفي مقدمتهم جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم-حفظه الله، لأهمية التراث، في تأصيل الهوية، وتوكيد مشاعر الاعتزاز الوطني، وصولا إلى بناء الثقة بالحاضر، والتخطيط الواثق للمستقبل. واحدى سمات هذا الاهتمام الكثيرة، وزارة التراث القومي والثقافة، التي تعمل بصورة موصولة على صون التراث القومي في السلطنة، حفظا وتوثيقا ونشرا، حتى يظل باستمرار المعين الثري الذي تنهل منه الأجيال المتعاقبة، في سعيها نحو حياة افضل، لا تنفصم خلاله عرى التلاحم بين تراث الأجداد وأصالتهم، وبين تطلعات الأجيال الصاعدة، الى الأخذ بالتقنيات الحديثة. فللوزارة كل التقدير والدعوات بالتوفيق، فيما تنهض به من جلال الأعمال، ولوزيرها صاحب السمو السيد فيصل بن علي ابن فيصل آل سعيد اجزل التقدير، كما اسجل لمعالي الشيخ عامر الحوسني راعي الندوة ولوزارة البلديات الاقليمية والبيئة اجزل الشكر على ما أحاطوا به ندوتنا من عناية ورعاية.

أيها السيدات والسادة:

إن الموروثات الثقافية والفنية الشعبية للحضارة العربية الاسلامية تتميز بالغنى والعمق والتنوع، الأمر الذي يحفزنا للعمل على المحافظة عليها واحيائها وتطويرها، لتكون عنصرا بناء وايجابيا في حياتنا العصرية الحديثة، وفي تخطيطنا لمستقبل ابنائنا واحفادنا. ويكتسب هذا الموضوع أهمية بالغة، نظرا لما تتعرض له تلك الموروثات من عوامل الاندثار والتلاشي، بعد المراحل التاريخية المختلفة التي مرت بها الأمة العربية، وما طرأ على تراثها وحضارتها من تخلف أثناء وقوعها تحت نير الاستعمار، الذي ادخل أنماط حياة جديدة وقيما غربية الى المجتمعات العربية، كادت تقضي على الأنماط والأساليب والوسائل الموروثة.

وإن التحدي الرئيسي الذي يواجهنا يتمثل في كيفية توظيف الجوانب الايجابية في تراثنا، وهي كثيرة، وفي كيفية المواءمة بين المعاصرة والاصالة في ثقافتنا وأساليب حياتنا وقيمنا، والخروج بصيغة ملائمة، نتمكن من خلالها من بلوغ اهدافنا في التنمية الشاملة.

وستبحث هذه الورقة في كيفية الاستفادة من الموروثات الشعبية في مجال تنمية قدرات المرأة، واعدادها، لتتمكن من تحسين ظروف ومستوى معيشة اسرتها، ومن الاسهام في رفع سوية المجتمع الذي تعيش فيه، والبيئة التي تحيط بها. وسيتم التركيز بشكل محدد على المنتجات التقليدية اليدوية الموروثة، التي سيقود تطويرها الى اشراك الاسرة في العملية الانتاجية، والى تعزيز مفهوم الاعتماد على الذات لديها، والى فتح فرص العمل امام المرأة،

اضافة الى ما سيحققه ذلك من صيانة وحفظ لتراثنا، والذي نرى فيه عنصرا هاما من مقومات كبريائنا الوطني، واعتزازنا القومي.

دور المرأة في الصناعات التقليدية :

تمثل المرأة ركنا أساسيا في حياة المجتمع ونهضته وتطوره، فهي علاوة على انها تشكل نصف الأمة، فإنها ايضا تضطلع بدور رئيسي في تربية الأجيال وتنشئتها، وفي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للوطن. ومن هذا المنطلق، فقد سعت المؤسسات في الكثير من الدول الى ايلاء الاهتمام اللازم لقطاع المرأة وتهيئتها كربة أسرة، وكعاملة وكمنتجة في مجتمعها المحلي بهدف رفع مستوى اسهامها في الجهد الانتاجي وفي العملية التنموية الشاملة.

لقد كانت المرأة في المجتمع العربي تشكل عبر التاريخ النواة الصلبة للعمل الانتاجي البيتي والمحلي في المجتمع، بحيث ارتبطت غالبية الحرف التقليدية اليدوية الموروثة بالمرأة في البيئات البدوية والريفية والحضرية. فقد عملت المرأة البدوية على استغلال أصواف الماشية، لأغراض صناعة الملابس والبسط وبيوت الشعر، واستخدام هذه المنتجات في الحياة اليومية للأسرة البدوية. وفي الريف اسهمت المرأة ومازال في استثمار الموارد المحلية والحياكة والأعمال الخشبية، والنحاسية والفضية وأعمال القش، بحيث رفدت هذه المنتوجات دخل الاسرة، وأصبحت من العناصر البارزة في حياة الاسرة والمجتمع المحلي، مما ساعد على حفظها كمظاهر ابداعية من التراث الوطني.

هذا بالاضافة الى قيام المرأة البدوية والريفية بأعمال مرتبطة بالموارد المحلية المتوافرة في بيئتها مثل استخلاص مشتقات الألبان كالحليب واللبن واللبنة والزبدة والسمنة، وتسويقها محليا، والاستفادة منها في رفع المستوى الغذائي للاسرة وفي الريف قامت المرأة بأدوار مماثلة في مجال زراعة الحدائق المنزلية وتربية الأغنام والدواجن والنحل.

أهمية الحرف التقليدية :

وتنبع أهمية الحرف اليدوية التقليدية من كونها جزءا هاما من تراثنا الوطني والثقافي، فهي من جهة تمثل اكثر عناصر ذلك التراث ظهورا، خاصة في المناطق الريفية والبادية. ومن جهة اخرى، فان الحرف اليدوية التقليدية تعبير واضح عن رغبات الانسان وميوله الأساسية لاضافة لمسات من التنوع والجمال على بيئته التي يعيش فيها، وخاصة البيئة البيتية، التي عادة ما تشكل الاطار المكاني الرئيسي للاستفادة من الأعمال الحرفية، في تلبية الحاجات اليومية له.

وتجب الاشارة هنا، الى انه كلما زاد الطلب على المنتوجات غير التقليدية في حياتنا، والتي تتسم بغلو الثمن كالملابس والاثاث والسجاد الفاخر والمستورد من الغرب، أو المنتوجات الأقل تكلفة، كتلك المصنوعة من مادتي البلاستيك والألمنيوم، كلما فقدت الحرف التقليدية اليدوية جاذبيتها وأهميتها في أوساط المستهلكين. ومن ثم فإن اندثار التراث الثقافي لأمة ما، سيؤدي الى ضياع هويتها المتميزة، التي تجسدت عبر الأجيال في تلك الأعمال التقليدية الموروثة.

ومن هذا المنطلق، فإن المحافظة على الحرف التقليدية يجب ان تشكل هدفا مركزيا للبرامج الحكومية وغير الحكومية، الرامية الى احياء التراث، وصيانة الهوية الثقافية للمجتمع، من خلال رعاية وتشجيع انتاج تلك الحرف التقليدية والتي بالاضافة الى إسهامها في حفظ الثقافة الموروثة، فإنها تساعد ايضا في خلق فرص العمل امام الناس، وخاصة امام قطاع المرأة، التي عادة ما تشكل حجر الزاوية في العملية الانتاجية للحرف.

ومن الوسائل الفعالة للحفاظ على الحرف اليدوية، العمل على ايجاد أسواق لها في أواسط الجمهور المحلي، والزوار، والمستهلكين في الأسواق الخارجية. فعندما يدرك منتجو الأعمال اليدوية التقليدية ان منتوجاتهم تلقى رواجا طيبا في الأسواق المختلفة، فإنهم سيلجأون الى رفع سوية الانتاج ومضاعفته، وبالتالي سيسهمون في انشاء أسواق استهلاكية للحرف بشكل دائم ومستمر، مما يساعد على حفظ هذا الجانب الهام من تراثنا.

خصائص الصناعات التقليدية

تتميز صناعة الحرف التقليدية اليدوية بخصائص جمة لا تتوافر في الصناعات الحديثة. فالحرفيون يعرفون كيف يقومون بانتاج اعمالهم اليدوية بحيث يمكن البدء بالمشروع دون الحاجة الى تدريب معمق، وذلك بسبب تأصل تلك الحرف في البيئة التقليدية الموروثة للأفراد. كما ان الحرف اليدوية لا تحتاج الى استثمارات رأسمالية كبيرة، حيث يمكن الاعتماد على الموارد المحلية المتاحة، في إقامة مثل تلك الصناعات. اضافة الى ذلك، فإن بإمكان المرأة، وهي العنصر الاساسي في انتاج الصناعات التقليدية، ان تقوم بعملية الانتاج في مراكز متخصصة، تقام في المجتمعات المحلية، أو في داخل بيتها، بحيث يتاح المجال امامها لتدبير شؤونها المنزلية في نفس الوقت الذي تقوم فيه بعملها الحرفي.

وجدير بالملاحظة، ان التكلفة المطلوبة لخلق فرص عمل جديدة في الحرف متدنية نسبيا، مقارنة مع ما تتطلبه فرص العمل في الصناعات الاكثر تعقيدا، وهذا الأمر يؤدي الى سهولة خلق فرص عمل جديدة في الحرف اليدوية، دون ان يترتب على ذلك استثمارات رأسمالية

كبيرة. ومن المعروف ان الصناعات التقليدية الصغيرة التي تعتبر المرأة عنصر الانتاج الرئيسي فيها، لا تشكل تهديدا للعاملين الذكور، مما يساعد المرأة على ان تلعب دورا قياديا في اطار اسرتها ومجتمعها المحلي، من خلال قيامها بأداء وظيفة مقبولة تقليديا.

غير انه رغم الميزات التي سبقت الاشارة اليها للحرف اليدوية، فإن مشاريع الأعمال التقليدية قد لا تلقى اجماعا واهتماما من الأطراف المعنية بالتنمية من حيث الجدوى الاقتصادية، لأكثر من سبب. حيث ان انتاج الأعمال اليدوية التقليدية يحتاج الى وقت طويل نسبيا، مقارنة مع عملية الانتاج الآلية. كما ان الهيئات القائمة على تطوير انتاج الصناعات التقليدية غالبا ما تقرن هذا العمل بالمفهوم الخيري وببرامج المساعدات الاجتماعية وبالقدرة على تصنيع كميات كبيرة من المنتوجات دون الأخذ بعين الاعتبار حجم الطلب عليها في السوق ودون محاولة النظر إليها بجدية على انها تمثل منتوجات ذات قيمة ثقافية واقتصادية لايستهان بها، وقد نشأت في بعض الدول صناعات كبيرة مرتكزة في أساسها على حرف تقليدية، وتحظى بأسواق استهلاكية كبيرة.

متطلبات نجاح الصناعات التقليدية

أيها المشاركون الكرام :

بعد هذا العرض لأهمية الحرف اليدوية في تراث الأمة وضرورة تفعيل دور المرأة، وهي نصف الأمة، في الصناعات الحرفية التقليدية، سنحاول باختصار تمثل الصورة التي تعين على استثمار هذه الحرف في اقامة مشروعات مدرة للدخل لنساء الريف.

● أهميـة التـدريـب

ولتحقيق هذا الهدف، أي اقامة صناعات تقليدية صغيرة عمادها المرأة، فإنه لابد من تدريب النساء في المجالات الفنية والادارية للحصول على منتوجات ذات جودة عالية قادرة على المنافسة في السوق ولضمان استمرار الانتاج على المدى الطويل. ومن هنا، فأنه يجب رفع كفاية المشرفين ليصلوا الى المستوى الذي يمكنهم من تقييم المنتوجات بصورة ملائمة، ومن ثم القيام باجراء التعديلات المطلوبة عليها لرفع سويتها. ويجب ان يشمل التدريب مجالات التخطيط، وبرمجة العملية الانتاجية والحفاظ على مقاييس عالية من الجودة في حالة البدء بالانتاج الكثيف، وتوفير الحوافز للعاملين، اضافة الى انشاء نظام فعال للاتصالات، داخل المؤسسة الانتاجية.

كما ان هناك أهمية خاصة للتدريب الاجتماعي لمساعدة النساء الشابات على التعامل مع المشكلات الحساسة التي قد يواجهنها نتيجة للدور الجديد الذي سيقمن به كمنتجات

ناشطات والتي (أي المشكلات) قد تنعكس سلبيا على العملية الانتاجية. ويتم التأكيد هنا على بناء الثقة بالنفس لدى المتدربات وعلى أهمية رؤيتهن لأنفسهن كمنتجات محترفات في مجالهن العملي.

● تطوير التكنولوجيا الملائمة

وتحتاج اقامة صناعات تقليدية عمادها المرأة الى تطوير التكنولوجيا المستخدمة في انتاج الحرف التقليدية اليدوية. فنجد على سبيل المثال ان الأنوال المستخدمة في الصناعات التقليدية النسيجية لدى البدو في الاردن تسبب التعب وقد تؤدي الى آلام في الظهر والركبة، مما يحد من قدرة المرأة على العمل لاكثر من بضع ساعات في اليوم، أو بضعة أيام في الشهر. ومن هنا فإن تحسين تقنية الأنوال وأدوات النسيج الاخرى، يسهم في توفير قدر أكبر من الراحة للمرأة، ويطيل من فترة العمل الانتاجي ويساعد على تحسين انتاجيته، وبالتالي يقود الى زيادة دخل المرأة ودخل أسرتها.

التسويق

ان انتاج الحرف اليدوية التقليدية يجب ان يرتبط بالسوق، وتوافر فرص الطلب على المنتوجات، وإلا تعرضت المنتوجات التقليدية للزوال. ولكي تحقق المنتوجات قدرا أكبر من الرواج، فإنه يجب اجراء دراسات حول واقع الأسواق المستهدفة، بحيث تتوجه الجهود نحو سوق معينة لتلبية حاجات وأذواق المستهلكين في تلك السوق. وقد يؤدي هذا الأمر الى اجراء تعديلات طفيفة في ألوان المنتوجات وأحجامها، ولكن دون المساس بالخصائص الثقافية الأساسية للحرف اليدوية التقليدية.

ويجب ان تتميز المنتوجات اليدوية التقليدية في شكلها النهائي بالقدرة على المنافسة العالية مع المنتوجات المشابهة المعروضة في السوق. ويمكن ان تسهم المبيعات لأغراض خيرية، أو المبيعات المدعومة، في تسهيل وزيادة فرص بيع المنتوجات لفترة قصيرة، ولكن على المدى الطويل، فإن على كل منتوج من الحرف اليدوية ان يكون قادرا على اختراق الأسواق بحكم جودته العالية وتلبيته لحاجات المستهلكين وأذواقهم. وهذا يعني ضرورة العمل من خلال القنوات التجارية العادية، وتطوير المبيعات حسب نفس الأسس المتبعة في أي عمل تجاري.

ويجب ان نلاحظ ان المنتوجات التقليدية واليدوية التي يجري انتاجها في منطقتنا لا تستطيع ان تجاري في أسعارها المنخفضة للمنتوجات المماثلة والواردة من الهند وبنغلاديش

والشرق الأقصى . وهذا يتطلب منا توفير خصوصيات متميزة في منتوجاتنا تجعلها متفوقة على المنتوجات الاخرى. وفي الاردن، تم التعامل مع هذه المسألة من خلال التركيز على الجودة العالية والتصاميم الجذابة، ومن خلال ابراز خصوصية العناصر التقليدية في تراثنا والتي لا نجد لها مثيلا في الثقافات الاخرى. وهذا النهج ذاته قابل للتطبيق في سلطنة عمان الشقيقة، حيث تتوافر عناصر التراث التقليدي الغنية في مجالات النسيج، والأعمال الفضية والخشبية. ومن هنا، فإن الحفاظ على التقليدية مع اجراء بعض التعديلات في الاحجام والانماط لتلائم متطلبات الحياة المعاصرة سيضيف ميزة هامة لهذا الجزء من التراث. وهذا يعني القيام بتطوير منتوجات تقليدية يدوية فريدة من نوعها، مستمدة من التراث الوطني العماني، ولا تستطيع ان تنافس المنتوجات الاخرى في السوق نظرا لتميزها.

ونستنتج مما سبق ان اقامة وتطوير مشروعات مدرة للدخل وذات جدوى اقتصادية في مجال الحرف اليدوية والتقليدية ليس بالأمر السهل. فمن متطلبات نجاح مثل هذه المشروعات توافر المعرفة الكافية بواقع السوق المستهدف وبكيفية اختراقه. كما يتطلب الأمر درجة عالية من الصبر والمثابرة، لتحسين جودة المنتوجات بحيث تتناسب مع اعلى مقاييس الجودة، اضافة الى التدريب لتطوير مهارات العمل التجاري والتي ستقود في النهاية الى تبلور نشاطات مهنية تلبي من خلالها توقعات المستهلكين حول المنتوجات التي يرغبون في شرائها.. واخيرا، وليس اخرا، فإن توافر الالتزام على المدى البعيد بهذه المشروعات سيشكل ضمانة أكيدة للوصول الى مستوى عالٍ من النجاح في تحقيق هذه المشروعات لأهدافها.

● التثقيف ودوره في رعاية الأمومة والطفولة

إن مشاركة المرأة في العمل الانتاجي اليدوي، ستؤدي الى رفع مستوى وضعها الاجتماعي والاقتصادي ويمكنها من التفاعل بايجابية مع جهود التثقيف المتعلقة برعاية اطفالها واسرتها. فتوافر الدخل الاضافي للاسرة، سيساعد المرأة على تحقيق متطلبات الصحة الأسرية السليمة، من حيث توفير الأغذية والرعاية الصحية والبيئة الآمنة لأطفال الأسرة، لأن غياب الموارد الاقتصادية، سيحد من قدرة المرأة على الافادة من مجالات تحسين مستوى حياة اسرتها ورعايتها.

ولابد من الاشارة ايضا الى ان الموروثات الشعبية بأنماطها المختلفة تؤثر على الأساليب التي تتبعها الأم في رعاية أطفالها ومن هذه الموروثات ما هو جيد وبناء ومنها ما هو سلبي وضار، ومن هنا فانه يجب شمول العناصر البناءة بالرعاية والتطوير لتكون نقاطا مضيئة تسترشد بها الأم في تربية اطفالها ورعاية اسرتها. أما العناصر الضارة، والتي تشمل الشعوذة

أو السحر أو استعمال أساليب غير علمية في معالجة الأمراض وغير ذلك، فلابد من العمل على القضاء عليها بسبب آثارها الهدامة المحتملة على حياة الأسرة.

● أهميـة قنـوات الاتصـال التقليـديـة

ومن هنا تبرز الحاجة الى اجراء الدراسات والبحوث لحصر عناصر التراث، والحفاظ على البناء منها، واستبعاد ما هو ضار هدام. والحديث عن ضرورة اجراء الدراسات والبحوث للحفاظ على التراث يقودنا، - أيها السيدات والسادة - إلى عنصر آخر لاغنى عنه وهو مجال التثقيف المتعلق بالأمومة والطفولة، حيث يمكن الاستفادة من العديد من الفنون الشعبية التقليدية المتوارثة في ايصال رسائل حول صحة الأم والطفل. وتشمل القنوات التقليدية تشكيلة واسعة من الوسائل التي ظهرت وتطورت بشكل مواكب لتطور المجتمع المحلي، وباتت تشكل عنصرا عضويا منه، وهي تشمل الفنون الأدائية والمرئية التي تتضمن الموسيقى والأغاني والدراما والشعر والخطابة والأمثال والرسومات والفنون التشكيلية وغيرها.

وتتميز القنوات التقليدية للاتصال بكونها تنبع من تطور المجتمع المحلي وتشكل جزءا عضويا منه، وتمتد الى مئات من السنين في تاريخها، وهي بسبب عراقتها تحظى بثقة أفراد الجمهور، وتترك أثرا عميقا في نفوسهم، كما ان الوسائل التقليدية الموروثة في الاتصال تعتمد على التواصل الشخصي بين المرسل والمستقبل، مما يوفر مجالا لتلمس تأثيرها بيسر من خلال التغـذية الراجعة، اضافة الى امكانية استخدام مضامينها في وسائل الاتصال الجماهيري كالتليفزيون حيث يمكن بث الدبكات الشعبية، والأشعار وأحاديث المضافات عبر برامج الاذاعة والتليفزيون، الى جمهور واسع من المشاهدين.

وقد تم استخدام هذه الفنون الشعبية المتوارثة في الكثير من الدول كأندونيسيا والهند ومصر وتـاهيتي للتثقيف الصحي والاجتـماعي وللترويج للمفاهيم والممارسات الاجتماعية والصحية السليمـة، حيث بينت نتـائـج البحـوث التقييمية ان هذه الوسائل قد حققت الأغراض التثقيفية المرجوة منها، خاصة في المجتمعات الريفية التي قد لا تتوافر فيها وسائل الاتصال الجماهيري بشكل واسع.

وفي البـلاد العـربية، يمكن الاستفادة من الشعراء الشعبيين والرواة ومغني الأهازيج الشعبية في ايصال رسائل ومعلومات تتعلق بصحة الأم والطفل، بحيث يقوم احد الشعراء، على سبيل المثـال بتـأليف قصيدة شعبية تحض على اتبـاع أساليب صحية سليمة، ونبذ الأساليب الخاطئة، كما يمكن تأليف أهزوجة شعبية تحمل رسالة مشابهة، ويتم ذلك في اطار حملة إعلامية شاملة، أو بشكل منفصل في احدى المناسبات في القرية. وبسبب القدرة

المحـدودة للفنون الشعبية في ايصال الرسالة الاعلامية الى مساحة جغرافية واسعة، فإنه يمكن استخدام التليفزيون أو الأذاعة في ايصال مضامين هذه الفنون ـ كما اشرنا سابقا ـ، مما سيكون له أثر أوسع وأعمق.

وبعد، فهذه افكار عامة حول مجالات الاستفادة من الفنون الشعبية في تطوير برامج رعاية الأمومة والطفولة. وغني عن القول ان أي برنامج لا يكتب له النجاح المنشود إلا إذا جاء في إطار مفهوم شامل للتنمية، إذ كيف يتسنى لنا ان ننهض الى تنمية الفنون الشعبية والاستفادة منها في دعم نهضة المرأة في مجتمعنا العربي دون خطة للتنمية الشاملة المتكاملة، التي يكون هدفها الأسمى رفاه الفرد وأمنه وأمانه، في محيط أسرة وادعة وبيئة صحية نظيفة ومجتمع يظلله الأمن والأمان؟.

ولتأذنوا لي في هذا المقام ان اعرض لكم تجربة مؤسسة نور الحسين في الاردن في الاسهام في تحقيق هذا المفهوم للتنمية الشاملة، لا تباهيا بما حققنا، ونحن به فخورون، بل ايمانا منا بأن تبادل الخبرات والتجارب بين الأشقاء ضرورة لابد منها، لتسريع الخطى نحو تحقيق ما ننشد في سبيل رفاه مجتمعاتنا.

تجربة مؤسسة نور الحسين في التنمية الشاملة المتكاملة

أيها السيـدات والسـادة :

تتبنى مؤسسة نورالحسين منهج التنمية المتكاملة في المشروعات التي تقوم بها في مجال تنمية الأسرة والمجتمعـات المحلية في الـريف الاردني، وفي المناطق المكتظة بالسكان من ذوي الـدخـل المحدود، مثل مشروع تحسين نوعية الحياة، ومشروع المرأة والتنمية، ومشروع الاشغال اليدوية والتقليدية.

وتتبع المؤسسة في هذه المشاريع التوجه الجديد للتنمية المتكاملة، حيث يركز هذا التوجه على الانسان وتطوير قدراته، وعلى الاعتماد على الذات والمشاركة الشعبية، من اجل تحسين نوعية حياته على مستوى الاسرة وعلى مستوى المجتمع المحلي، وذلك بالتنسيق والتعاون مع مختلف المؤسسات والتنظيمات التي تقدم خدماتها للمجتمع المحلي.

ولتحقيق ذلك، يتبنى التوجه الجديد للتنمية المتكاملة مبدأ المشاركة الشعبية من القاعدة في تخطيط وتنفيذ وتقييم الـبرامج التنموية، ويلعب الفرد من خلالها دورا بارزا في الحياة السياسية والاقتصـادية لمجتمعـه، ويسهم بشكـل فعال في وضع وتخطيط وتنفيذ البرامج التنموية. وينطبق هذا التوجه على المرأة، كما ينطبق على الرجل. كيف يتم ذلك؟

أ) مشروع تحسين نوعية الحياة في الريف

يتم ذلك عن طريق اتباع منهجية علمية مدروسة للتنمية المتكاملة، تنتهجها مؤسسة نورالحسين حاليا في مشروع تحسين نوعية الحياة في القرى الاردنية، والذي تنفذه المؤسسة بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية ـ آملة بنشرها وتعميمها على مناطق الأردن المختلفة من خلال مشروع وطني متكامل.

ويقوم المشروع على اساس ان الوصول الى حالة الاعتماد على الذات يعني:

١ ـ المساعدة الذاتية والادارة الذاتية عن طريق تنظيم المجتمع لهذه الغاية.
٢ ـ حشد وتدريب القوى البشرية المحلية للمشاركة في العملية التنموية.
٣ ـ التمويل الذاتي المحلي للمشاريع التنموية الاقتصادية والاجتماعية للأفراد والجماعات.

ويعمل المشروع على تحقيق شقين متوازيين في عملية التنمية:

أولهما **الشق الاقتصادي** والذي يوفر فرص العمل وزيادة الدخل

والثاني **الشق الاجتماعي**، والذي يعمل على تحسين مستوى الحياة عن طريق مشاركة القاعدة الشعبية في مشاريع اجتماعية تعود بالنفع على المجتمع المحلي ككل.

وتتطلب آلية تنفيذ المشروع في القرى المستفيدة تنظيم الأهالي، من خلال تشكيل مجالس التنمية المحلية، واختيار ممثلي الاحياء، يتم تدريبهم وتزويدهم بالمهارات الأساسية للمساهمة في تطوير أساليب حياة الأهالي، وتأسيس وإدارة المشاريع الانتاجية المدرة للدخل، باشراف اللجان الفنية المساندة، ودعمها من خلال صناديق تنمية القرى، وتفعيل دور المرأة لخدمة مجتمعها المحلي، عبر أندية الأمهات التي تقوم بالتوعية والتثقيف، وخاصة في مجال الطفولة، وذلك بهدف تحقيق التنمية بشقيها الاجتماعي والاقتصادي.

ولتحقيق ذلك، يصار الى انشاء «صندوق تنمية القرية» والى تشكيل «مجالس تنمية القرية» والى بناء شبكة اتصالات في القرية.

ـ مجلس تنمية القرية وصندوق تنمية القرية

فالتمويل المحلي أمر لابد منه للوصول الى الاعتماد على الذات. ويتم ذلك عن طريق «صندوق تنمية القرية» بحيث تقوم الجهة المنفذة للمشروع بوضع مبلغ أوليّ لتحريك نشاطاته. كما يسهم أهل القرية انفسهم في هذا الصندوق بمبالغ قليلة كتعبير عن انخراطهم ومسؤوليتهم وأهميتهم في العملية التنموية.

ويضمن هذا الاسهـام المـالي، ـ مهـما كان حجمـه ـ، حرصهم على حسن إدارة المشروعات، ويشجعهم على اقامة مشروعات انتاجية خاصة بهم، والعمل على نجاحها واستمرارها.

ويتـولى «مجلس تنمية القـرية» المنتخب من قبل اهاليها، والمدرب حول إدارة وتنفيذ البرامج التنموية، الاشراف على تشغيل الأموال الموضوعة في هذا الصندوق وإدارتها بشكل يضمن تحقيق أهداف الخطة التنموية الموضوعة أصلا من قبل المجلس ذاته.

وعليه فإن صندوق تنمية القرية يقوم بأداء مهمتين رئيسيتين :

١ ـ الاسهام في دفع عجلة الاستثمار الاقتصادي الانتاجي المحلي ضمن أولويات القرية التنموية واحتياجاتها، ويتم ذلك عن طريق قيام الصندوق باعطاء قروض بفوائد بسيطة، أو مسـاعدات مالية لأهالي القرية، مع اعطاء الأولوية للأسر المحتاجة، وللعاطلين عن العمل للقيام بمشروعات استثمارية وانتاجية تدرّ عليهم الدخل.

٢ ـ الاسهـام في دفع عجلة التنمية الاجتماعية في القرية

ولنأخذ مثلا على ما اسلفنا، ما تم في قرية سويمة التي تعمل بها مؤسسة نورالحسين حاليا. فقد تم اتباع هذه المنهجية بحيث جرى تنظيم المجتمع عن طريق ايجاد مجلس محلي يسمى مجلس تنمية القرية يتألف من الرجال والنساء الممثلين لقطاعات مختلفة. وقد تم تدريب اعضاء المجلس على مفهوم التنمية المتكاملة التي تقوم على أساس المشاركة الشعبية والمبادرة الذاتية وخلق فرص العمل واقامة مشروعات مدرة للدخل، ومشروعات اجتماعية.

وقـد اشرف هذا المجلس على تنظيم القرية، لتقسيمها الى أحياء يضم كل حي منها عشرين أسرة، يمثل كلا منها رجل أو امرأة في مجلس التنمية المحلي. ويكون ممثلو الأحياء المنتخبون هم حلقة الوصل بين المجلس والأهالي.

كما تم انتخاب سيدة عن كل حي لهيئة نادي الأمهات الذي يعنى بالقضايا والأمور المتعلقة بشؤون الأسرة والمرأة والمشروعات الانتاجية الخاصة بها، وضمان تمويلها من صندوق تنمية القرية.

وقـد قام المجلس وممثلو الأحياء في القـرية باجـراء مسـح عام للقـرية، للتعرف على الاحتياجـات الاسـاسية الاقتصادية منها والاجتماعية وحصرها وترتيبها حسب الأولويات ودراستهـا ووضـع الخـطط اللازمة لمواجهتها. وانبثقت عن المجلس لجان لتنفيذ الخطط والأنشطة المختلفة. وتلعب المرأة دورا هاما في جميع هذه اللجان.

وقد تمت اقامة مشروعات انتاجية اقتصادية بتمويل من صندوق تنمية القرية يدر بعضها ارباحا للصندوق كما توفر فرص عمل للعديد من أهل القرية اضافة الى مشروعات اخرى فردية للأسر المحتاجة وللعاطلين عن العمل، ومشروعات جماعية في تعاونيات.

ويقوم صندوق تنمية القرية باستعمال الارباح العائدة من هذه المشروعات الانتاجية في تمويل مشروعات اجتماعية مثل تحسين مستوى النظافة والصحة العامة لبعض البيوت، وتجميل البيئة لبعض الاحياء، وتأسيس مكتبة عامة وتحسين طرق القرية، ومساعدة المحتاجين، والتأهيل والتدريب لمشروعات اخرى. . . وهكذا.

شبكة الاتصالات

ويصار الى ايجاد شبكة اتصالات في القرية، من خلال فتح قنوات اتصالية أفقية وعامودية، تعمل على نشر المعلومات اللازمة وتوفيرها للأهالي وصانعي القرار، تتعلق بمراحل التنمية المختلفة، التي تمر بها القرية، أو أي من المشاريع فيها.

ان أهمية ايجاد شبكة اتصال، تكمن في ضرورة بناء الاجماع العام دائما والمحافظة عليه، حول التوجهات والمشاريع والبرامج التنموية في القرية. . ونظرا لما لشبكة الاتصالات من تأثير في الاعداد الاجتماعي للأهالي، وللمستفيدين من المشاريع لضمان مشاركة شعبية فاعلة. وهذا لا يتم إلا عبر بناء شبكة اتصالية، تربط القرية ربطا متكاملا ومتداخلا. . وتبقي الجميع ضمن اطار مسيرتهم التنموية، مطلعين بشكل أو بآخر، على ما يجري تنفيذه. . بشكل يضمن لهم القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة التي من شأنها ان تصب في قناة المصلحة العامة للأهالي والقرية على حد سواء.

ويلاحظ ان شبكة الاتصالات التي تعمل ايضا، على تجميع المعلومات اللازمة، حول سير العملية التنموية ضمن اطار القرية، وتحليل هذه المعلومات وارسالها الى المسؤولين، وتعريف المواطنين بها. . تعتمد في مجملها على ما يسمى بالتغذية الراجعة او رجع الصدى، التي تساهم بفاعلية، في التخطيط البناء للمشاريع التي تتوافق واتجاهات الأهالي. كما تشكل عنصرا مؤثرا من عناصر بناء قاعدة المعلومات التي يتوجب توافرها، لأفراد المجتمع المحلي، للقيام بدورهم بصورة فاعلة.

ولتحقيق هذا الغرض المتعلق بتفعيل طاقات الأهالي، فإن المشروع يعمل بشكل مستمر على تدريب عدد من أفراد المجتمع المحلي، حول كيفية جمع وتحليل المعلومات اللازمة لوضع الخطط وتحديد الأولويات التنموية التي تعتمد اساسا على تلبية حاجات الأهالي، الى جانب

الاستفـادة منها في أغراض التقييم، ومعرفة ما أمكن تحقيقه وانعكاس ذلك على مختلف جوانب الحياة.

ولما كانت شبكة الاتصالات هذه تسعى الى ايجاد علاقة تربط بين أبناء المجتمع المحلي والمجتمع الخارجي المتمثل بالقرى المجاورة، فإنه لابد من اختيار وسائل الاتصال المناسبة، سواء التقليدية منها أو الجماهيرية، القادرة على نقل تجربة العمل التنموية وسيرته، ومدى النجاح الذي تحقق واصاب الأهالي في المجتمع، ويتأتى ذلك من خلال توفير المعلومات الـلازمـة، وتسليط الأضواء على الفرص المتاحة، والافكار الجديدة التي تساهم في حفز الاهالي وارشادهم الى أخذ زمام المبادرة، والمشاركة في تنمية مجتمعاتهم المحلية، على غرار ما جرى في المجتمع النموذج.

وضمن إطار هذا التوجه تحصل عملية التحول في اتجاهات وسلوكيات المرأة وفي قدرتها على اتخـاذ القـرار وأخذ زمام المبادرة، وفي طرق العمل وأساليبه، الأمر الذي يؤدي الى مشاركتها في عملية التنمية. وهذه عملية دقيقة وجوهرية تخلق المرأة الواعية وتنقلها من دور المتلقية السلبية للخـدمـات والمشروعـات التنموية الى دور المبادرة في المساهمة في العملية التنموية، ومن الدور الهامشي كمأجورة الى دور صاحبة العمل، ومن المرأة غير المدربة الى تلك المؤهلة والمـدربـة والقادرة على تخطيط وتنفيذ وإدارة المشروعات التنموية الخاصة بها وبأسرتها وبمجتمعها المحلي... هذه هي التنمية الحقة للمرأة.

ب) مشـروع المـرأة والتنميـة :

ومن المشروعـات التي تنفذها المؤسسة ايضا وفق الاستراتيجية التكاملية مشروع المرأة والتنمية الذي يجري تنفيذه بالتعاون مع القطاعات النسائية في الاردن وبتمويل من صندوق الأمم المتحدة للسكان.

ان الميزة البارزة لهذا المشروع هي انه يركز على سلسلة من الأنظمة التي تؤدي الى الاعتماد على الذات، كما انه يركز على عناصر عديدة تشكل في مجموعها رأس حربة تخترق اعتماد المرأة على غيرها، وتحررها لتصبح شريكا اكثر نشاطا في مشروعات التنمية الشاملة.

وقد تم اعتماد الأسس والعناصر التالية في اقامة المشروع :

١ ـ اقامة مشروعات انتاجية تقع ضمن خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للاردن، تهدف الى الاسهام في رفع مشاركة المرأة في التنمية الوطنية وزيادة استفادتها منها.

٢ ـ اقامة المشروعات التي من شأنها خلق فرص عمل لعدد كبير من النساء بحيث يعمل عدد منهن في مركز المشروع، ويمتد التشغيل الى البيوت.
٣ ـ التنسيق والتعاون مع البرامج الوطنية والاقليمية التي تعمل في نفس هذه المجالات.
٤ ـ تدريب القيادات النسائية المتعاونة مع المؤسسات بأسلوب علمي على تخطيط هذه المشروعات، وتنفيذها والاشراف عليها، بحيث تصبح هذه القيادات قادرة على الاستمرار في رعاية هذه المشروعات واقامة مشروعات اخرى.
٥ ـ تدريب المستفيدات على المهارات الفنية والادارية اللازمة لتخطيط وتنفيذ المشروع، بحيث يصبحن مالكات للمشروع اما فرديا أو جماعيا.
٦ ـ انتاج المواد الاعلامية اللازمة حول موضوعات الصحة والسكان والمشاريع الانتاجية.
٧ ـ اقامة دورات وبرامج تهدف الى محو الأمية وتثقيف المستفيدات في شؤون الصحة والتغذية وتنظيم الاسرة والاقتصاد المنزلي، ومساعدتهن على الاستفادة من الدخل الاضافي الذي يحققنه في تحسين نوعية الحياة للأسرة ونشر المعلومات التثقيفية للرجال والنساء على حد سواء.
٨ ـ توثيق الدراسات والأبحاث عن المرأة والتنمية وتوثيق المشروعات الانتاجية بهدف الاستفادة منها كنماذج لتكرارها على مستوى وطني.
٩ ـ تدعيم السياسات المتعلقة بعمل المرأة وتدريبها لتفيد وتستفيد من برامج التنمية بشكل فعال.

وقد بدأ تنفيذ المشروعات الانتاجية على المستوى الوطني في المدن والريف في الاردن عام ١٩٨٨م، وتمر المشاريع حاليا في مراحل مختلفة منها ما اكتملت تجربته، كمشروع تربية النحل وانتاج العسل، ومشروع زراعة النباتات الطبية، ومشروع انتاج الملابس، ومنها ما هو في بداية التنفيذ كمشروع صناعات الأحذية ومشروع انتاج الدمى في الملابس التقليدية، ومشروع تربية الأرانب ومشروع ارشاد المرأة لاقامة العمل الذاتي.

وقد روعي في المنهجية التي تم اتباعها في تنفيذ المشروعات التي اكتملت تجربتها الأسس والخطوات الرئيسية التالية :

- **اتباع اسلوب المشاركة في التنمية والعمل يدا بيد،** ومنذ الخطوات الأولى للتخطيط لاقامة المشروع مع الهيئات النسائية المستفيدة والمنفذة.
- **التركيز بشكل رئيسي على اختيار المشروعات التي تمتد فيها العمالة الى الأسر في بيوتها مثل:** زراعة النباتات والاعشاب الطبية، حيث تدرب الأسرة على زراعة الاعشاب والعناية الفنية

الـلازمة لها في قرية أو اكثر، ويقام مركز رئيسي يستقبل المحصول، ويعمل على تغليف الاعشـاب وتسويقها، ويكون ملكا للأسرة المنتجة، والتي يصل عددها الى حوالي ٢٠٠ أسرة. وينـدرج هذا التـوجه ايضا على المشروعات الانتاجية الاخرى مثل تربية الأرانب وصناعة الأحذية وصناعة الملابس بعد ان يتم تدريب النساء على ما يلزم للعمل.

- **اعتبـار الـدعم المقـدم صنـدوقـا متجـددا** يسدد من أرباح المشروع، ويوظف لانشاء مشروعات اخرى في المجتمع.
- **التدريب المستمر وتطوير المفاهيم والمهارات** اللازمة لتمكين النساء من القيام بها يلزم للعملية الانتـاجية : كالمهـارات الادارية والمالية والتسويقية والفنية وغيرها ويستخدم في التدريب اساليب مبتكرة تناسب واقع المرأة وظروفها.
- **التنسيق مع القطاعات الاخرى** ذات العلاقة تجنبا للازدواجية ودعما لمثل هذه المشاريع.

وساعدت هذه المنهجية على خلق مشروعات انتاجية للنساء قادرة على:

- ☐ تزويد الأسواق بالمنتجات المحلية ضمن الاستراتيجية الوطنية للحد من الاستيراد.
- ☐ خلق فرص عمـل للنسـاء كصـاحبات أعمال أو كجماعات ضمن منظمات تعاونية أو شركات مساهمة، وتزويدهن بالمهارات اللازمة للاستمرار.
- ☐ توسيع قاعدة المشاركة للنساء بإتاحة مرونة العمل داخل المنزل وخارجه.
- ☐ تحقيق دخل اضافي للمرأة وتقديم المعلومات اللازمة لها للاستفادة من هذا الدخل من خلال التوعية والتثقيف.
- ☐ خلق نماذج لمشاريع انتاجية يمكن تكرارها على مستوى وطني.

ج) المشروع الوطني لتطوير الحرف التقليدية :

وكمثـال اخـير على نشاط مؤسسة نورالحسين في مجال التنمية، سأتحدث عن مشروع الحرف اليدوية والتقليدية، الذي يقدم نموذجا اكثر وضوحا لمواجهة تحديات الحاضر بذخيرة التراث الوطني العريق، في وصول الى المعاصرة، دون اخلال بالاصالة. إذ تنفذ المؤسسة المشروع الوطني للحرف التقليدية وفق منهج تكاملي يعتمد تحليل عوامل السوق وتوجيه كافة النشاطات لتلبية الطلب المتوقع.

وهذا المنهج يتضمن تطوير التصاميم وتنويعها وتطوير المنتجات، وضبط جودتها والترويج لها وتسعـيرهـا وفق معايير اقتصادية سليمة تهدف الى تقليص كلفة مدخلات الانتاج مما

ينعكس ايجابيا على الأسعار، إذ ان الأسعار تلعب دورا مهما في عملية التسويق وتجعل السلعة في متناول المستهلكين على اختلاف فئاتهم الاجتماعية وتضمن للمنتج هامشا معقولا للربح .

ومن البرامج التي اعتمدها المشروع لتنشيط منهجيته التسويقية هذه انشاء مركز التصميم والتسويق في عمان ، الذي يقوم بتقديم الخدمات للحرفيين العاملين في مجال الفنون اليدوية في مجالات عدة من ابرزها :

- تطوير التصاميم والنماذج من قبل الفنانين والمختصين .
- تطوير خطوط انتاج متنوعة وقابلة للتسويق يقوم بها المنتجون كأفراد أو مؤسسات .
- تدريب المديرين والمشرفين على الانتاج في مجالات ضبط الجودة ، والتكلفة ، والتسعير، والتجميع وتنظيم الطلبات .
- تدريب المدربين على المهارات المختلفة للمنتوجات التقليدية الشعبية .

وفي المركز قسم خاص للتصدير يعمل كوكيل للتسويق مهمته البحث عن أسواق خارجية واستقبال الطلبات وتوزيعها على المنتجين . وقد تمكن هذا المركز وفي فترة قياسية من ايجاد أسواق خارجية عديدة . ويتم الترويج وفق أسلوب علمي يخدم أغراض التسويق ويحقق أهداف المشروع من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ويؤدي الى تنشيط إقامة المشروعات الصغيرة ومشروعات زيادة الدخل في قطاع الحرف اليدوية والتقليدية ، ويفتح فرص عمل كثيرة للنساء وينشط استخدام هذه المنتجات في البيت العربي ، ويغرس مشاعر الانتماء الوطني ، والاعتزاز بالتراث .

ووفق هذه المنهجية يتم الانتاج بناء على الطلب ، الأمر الذي يحول دون حدوث الكساد الذي يعاني منه قطاع الحرف التقليدية بشكل عام .

خاتمة

أيها السيدات والسادة :

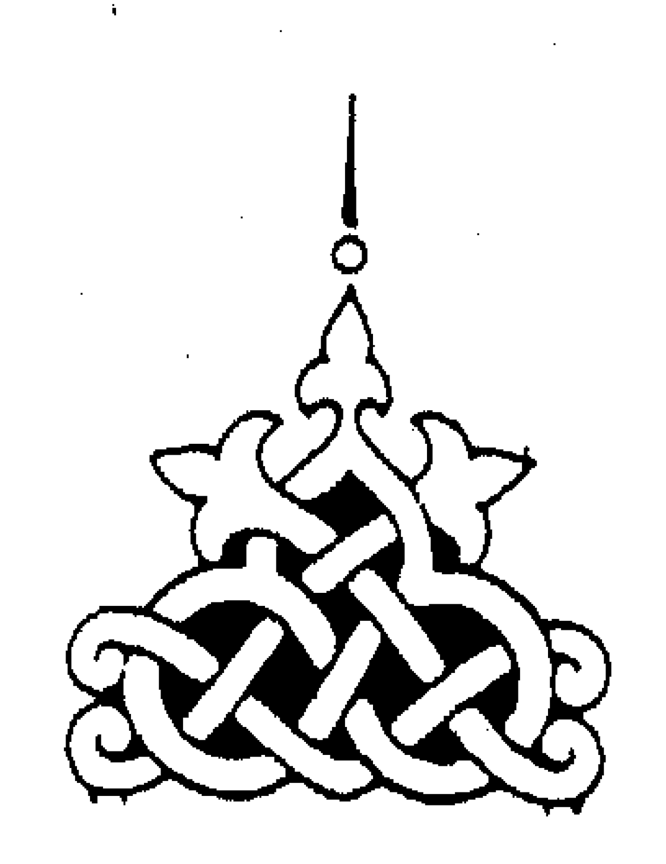
لقد قصدت من هذا العرض لبعض أنشطة مؤسسة نورالحسين في خدمة المرأة ، وفي تشجيع الفنون اليدوية والموروثات الشعبية ، وهما عنصرا هذه الندوة ، ان أؤكد على حقيقتين يرسمان باستمرار مسيرتنا في الاردن :

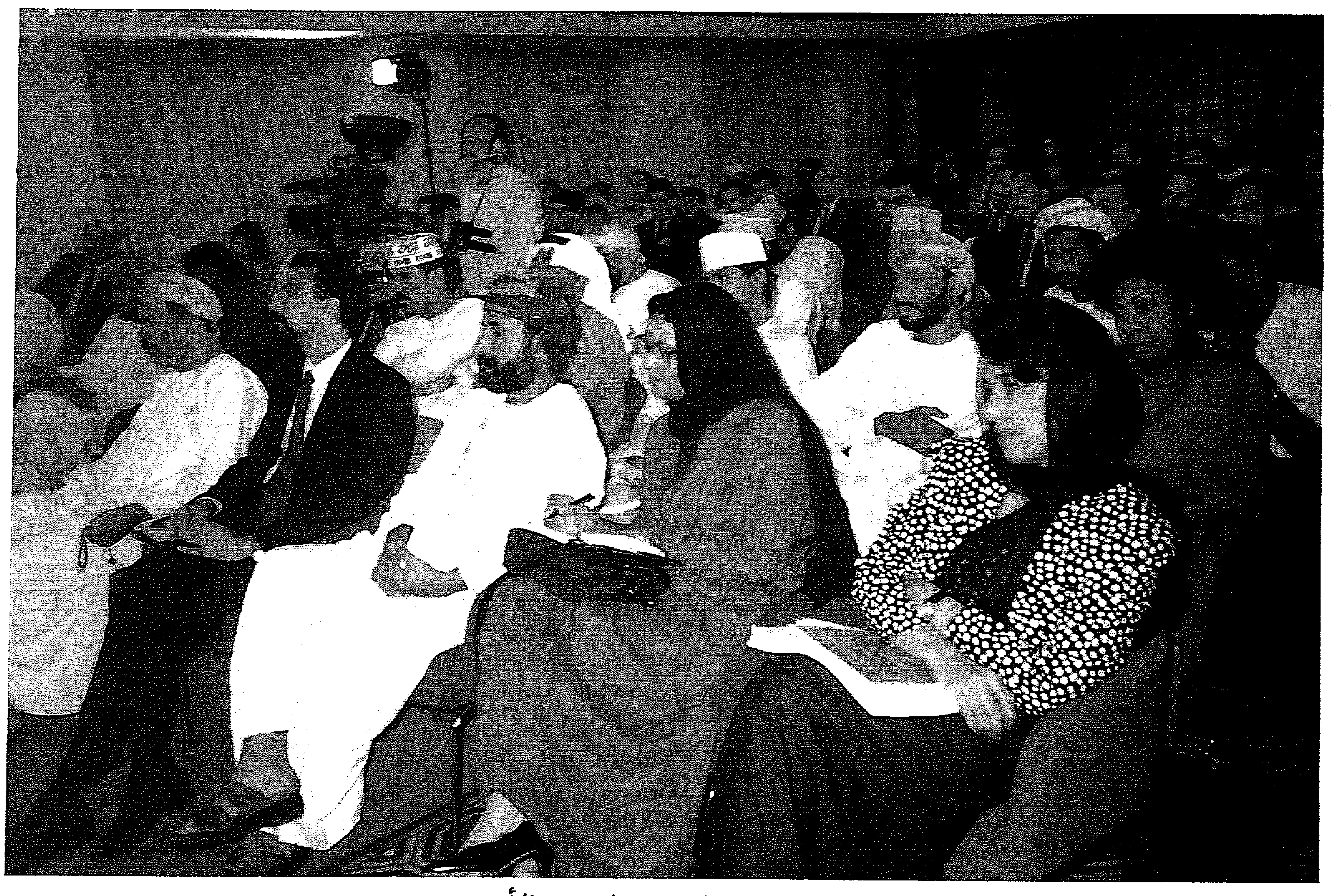
الأولى اننا نؤمن بأهمية التعاون والعمل العربي المشترك في جميع المجالات وان الركيزة الاساسية لمثل هذا التعاون هو العمل المشترك وتبادل الخبرات والدراسات تجنبا للتكرار، وهدر الجهد والمال .

والثانية: ان الانسان هو أغلى ما تملكه أي أمة، ويجب ان يظل باستمرار هدف التنمية الشاملة المتكاملة ومبتغاها، تسخر لرفاهيته وسعادته كي يعيش امنا مستقرا متمتعا بحرياته الأساسية.

وفي الختام، أكرر الشكر للقائمين على هذه الندوة لاتاحتهم لنا هذه الفرصة للتلاقي وتبادل الرأي والخبرة في جو من كرم الضيافة والانفتاح والألفة، وهي صفات ميزت الشعب العربي الطيب في سلطنة عُمان الشقيقة على مدى العصور.

ونسأل المولى ـ جلّت قدرته ـ ان يوفقنا في مسعانا الى خدمة أمتنا العربية، انه نعم المولى ونعم النصير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





جانب من فعاليـات المنتـدى الأدبي

مفهوم الموروث الشعبي
وعلاقته
بالعمق النفسي والاجتماعي والبيئي (*)

د. موزة عبيد غباش
مدرس علم الاجتماع بجامعة الامارات
ورئيسة جماعة الدراسات الشعبية

العمل الميداني

قامت به جماعة الدراسات الشعبية
بدولة الامارات العربية المتحدة ـ دبي

نقول بداية ان البحث في التراث عموما هو بحث في روح الشعب وتاريخه.

وروح الشعب هي تلك الحركة الخفية التي توجه سلوك الفرد نحو الجماعة، وتحرك الجماعة نحو هيكل من النظام يتألف من مجموعة من القيم، والمعايير التي تتسم بالثبات والمرونة. وترى «نبيلة ابراهيم» ان هذه القوة الخفية الموجهه لفكر الشعب وثقافته بل وسلوكه، يقابلها نظم فكرية وثقافية محسوسة وملموسة تدار من خلال المؤسسات الثقافية الرسمية التي توجه حركة الثقافة في مستوى آخر. (١)

(*) ورقة عمل مقدمة لندوة المأثورات الشعبية ـ المنتدى الأدبي ـ مسقط من ٩ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٢.

١) نبيلة ابراهيم القصص الشعبي جمعه وتصنيفه، ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي، سلسلة ندوات التخطيط لدراسة التراث الشعبي لمنطقة الخليج والجزيرة العربية ـ مركز التراث الشعبي ـ قطر ١٩٨٤ ص ٢٠٠.

وان هناك من سار بعيدا في النظر الى التراث وعلى وجه الخصوص «الفولكلور» منه إذ يقول: «الكزاندركراب» «يريد الفولكلور ان ينشىء من جديد التاريخ الفكري للانسان، لا كما تمثله كتابات الشعراء والمفكرين المرموقة، بل كما تصوره أصوات العامة الأقل مهارة». «فالفولكلور» في رأي «كراب» اذاً سيعيد كتابة التاريخ الفكري للانسان من خلال عامة البشر وليس نخبتهم أو خاصتهم.

فماذا يريد ان يقول لنا التراث الشعبي إذاً؟، وما هي قضيته الجديدة، والقديمة في ذات الوقت؟ وما هي قضيتنا نحن معه؟، وماذا نريد من «الموروث الشعبي»؟ وماذا يريده منا؟ اسئلة كثيرة يتطلب الرد عليها تحديد أهداف واضحة لجميع الدراسات التي تشهدها منطقتنا اليوم.

ويجدر بنا في هذا الصدد ان نحدد أهداف هذه الدراسة، التي تضع الموروث الشعبي الاشكالية الأولى لها، ومن ثم البحث في أبعاد هذا الموروث النفسية، والاجتماعية واخيرا البيئية.

فليس جديدا ان نتحدث عن الموروث الشعبي فلقد سبق لنا وقدمنا أربع دراسات في هذا المجال، إنما المستجد علينا هو الذهاب الى الأعماق النفسية للانسان الممارس لهذا الموروث، فربما نستطيع اكتشاف العلاقة الوطيدة بين التركيبة النفسية للانسان في مجتمعنا وما هي محتوياتها، والى أي درجة يمثل الموروث الشعبي جزءا منها، وبالتالي الى أي درجة يمكن ان يكون هذا الموروث بناءً خاصا بشخصية الانسان الخليجي فالكشف عن هذه العلاقة النفسية بين الميراث الشعبي والانسان هو كشف عن شخصية هذا الانسان. وربما تكون هي هذه الاضافة العلمية التي تقدمها هذه الدراسة.

ثم بعد ذلك ننتقل الى الاشكالية الثانية لهذه الورقة وهي العلاقة الاجتماعية بين الموروث الشعبي والانسان، أو بمعنى آخر، الأبعاد الاجتماعية للموروثات الشعبية بجميع أنواعها.. نبحث اذاً في اشكالية جديدة ربما نستطيع توضيحها قليلا إذا قلنا ان الموروث الشعبي بجميع اشكاله وعناصره يمثل التكوين الثقافي للمجتمع، والنظم الاجتماعية تمثل التكوين الاجتماعي لنفس المجتمع.. فما هي اذاً العلاقة بين هذين التكوينين، والى أي منهما يكون التأثير الأقوى هل للثقافة أم للنظم الاجتماعية...

في هذا الصدد نحن امام قضية مستترة بحاجة الى الكشف والتعميق. فماذا يمكن ان يقدم الموروث الشعبي للمجتمع بجميع أنظمته الاجتماعية؟ سواء كان النظام الاجتماعي كالأسرة والقبيلة ونظام الزواج منه، والعلاقات الاجتماعية وجميع عناصر البنية الاجتماعية.

ثم ما هي كذلك العلاقة بين الموروث الشعبي والنظام الاقتصادي، وكيف عبر النشاط الاقتصادي لأبناء هذا المجتمع في يوم ما عن مصدر خصيب لبروز الثقافة الشعبية، والعادات والتقاليد، والمعتقدات والامثال الشعبية والقصص الشعبية، كل هذه الموروثات تلاحمت مع الصحراء والبحر فالبحر والصحراء كانا مصدر الالهام للانسان في مجتمع الامارات وكمثله كان الانسان الخليجي ايضا. فالعلاقة إذاً خصبة بين النظام الاقتصادي وحركة الانسان الانتاجية وبين موروثه الشعبي.

ثم ننتقل الى البعد الثالث أو الاشكالية الثالثة لهذه الدراسة وهي البعد البيئي للموروث الشعبي. وربما يكون هذا الاهتمام بالبيئة هو الجديد في هذه الندوة.

فهل هناك علاقة بين الموروث والبيئة؟ ثم ما هي هذه العلاقة؟

واضافة الى ذلك أي بيئة نهدف الى الحديث عنها. هل المقصود البيئة الطبيعية، «الصحراء والبحر والجبال، والحر والبرد والأمطار؟»، أم نقصد البيئة الاجتماعية «الانسان وعلاقاته وأنظمته؟ علينا إذن ان نحدد ببراءة تلك العلاقة ومن هم أطرافها؟. وهذه هي ثالث أهداف هذه الدراسة.

لكن هل نكتفي بأهدافنا النظرية تلك، أم نحن مطالبون بتقديم أهداف عملية تطبيقية اخرى نكمل بها الشروط العلمية التي يجب ان تخضع لها جميع الدراسات، وهي محاولات الكشف عن ماذا يمكن ان تقدمه دراستنا من نتائج، وماذا يمكن ان يفيد منها القارىء لها؟

إذا كانت ثقافة أي أمة تتكون من شقين أساسيين: أحدهما الشفاهي وهو المتميز المستمر، والمأثور بين الناس ونستطيع ان نعتبرها هي نفسها مادة البحث الفولكلوري. والآخر هو المدون والثابت، والذي يعتبر مادة للبحث التاريخي.

واذا كان الجانب الشفاهي يمثل الثقافة لأفراد المجتمع وان مجتمعاتنا العربية يمثل فيها الجانب الشفاهي الشق الأكبر من ثقافتها وتاريخها، وبنائها الفكري(٢) فهل يساعدنا ذلك التوجه الى تحقيق هدف الربط بين المأثور الشعبي في مجتمعاتنا الخليجية، وبين البناء الفكري لها؟.

إننا سنحاول تحقيق ذلك من خلال تقديم مادة علمية مستقاه من الميدان، يتحدث فيه الناس البسطاء عن قصصهم وأساطيرهم، وعاداتهم، ومعتقداتهم، وقيمهم، وطرق علاجهم، وأغانيهم ورقصهم اننا سنضع في هذه الدراسة نماذج لكل تلك الموروثات

---

٢) صفوت كمال «مناهج بحث الفولكلور العربي بين الأصالة والمعاصرة» عالم الفكر ـ المجلد السادس ـ العدد الرابع (يناير فبراير مارس ١٩٨٦) ص ١٧٣.

وسنوضح الى أي مدى قام بناؤنا الفكري على هذه الموروثات، والى أي مدى ارتبطت الأعماق النفسية لهذا الانسان بالموروثات الشعبية. وسنحاول توظيف هذا القول وهذه العلاقة من أجل اتخاذ الموروث معيارا جديدا لقياس البنية الثقافية وتطورها الحضاري. ومقياسا ايضا لوضع برامج التنمية فيها اذا كانت مجتمعاتنا تهدف حقا الى التغيير المنظم. فهدفنا اذاً هو محاولة «لتوظيف هذه المادة في الحياة الاجتماعية، وفي مسيرة التطوير في المجتمع».

هل يمكن لهذه الدراسة الموجزة ان تقدم شيئا ولو قليلا من ذلك المخزون التراثي الكامن وراء الهوية والذات، والخصوصية والأصالة؟، وربما لا نغالي في ذلك، بل لا نرفع الشعارات. إننا بالفعل امام رغبة للبحث عن الهوية الذاتية لمجتمعات الخليج. وتحددت هذه الرغبة من خلال ما نقرأه ونسمع عنه بل واحيانا نعيشه. اننا نعيش مرحلة الخوف من اندثار الموروث، وضياع الهوية، وغلبة الوافد من الثقافات. اننا في مرحلة الضياع، فهل لا يستحق ذلك مشروعية جمع شتاتنا الثقافي الذي يواجه اليوم أعاصير التغيير ورياحه؟!.

وربما تكون هذه الرغبة هي نفسها وراء هذا الاهتمام بالدراسات التراثية، وهذه الصحوة العلمية التي بدأت منذ السبعينيات، وتضاعف انتاجها العلمي خلال الثمانينيات، وها نحن معكم نستكمل هذه الجهود في التسعينيات.

ان مجتمعاتنا تعيش حالة الخوف على الهوية الثقافية وتعيش كذلك رغبة صادقة في تحقيق وحدة ثقافية عربية وإسلامية واحدة، تترك مساحات لتعدديات ثقافية ذات خصوصيات محلية، تعبر ربما عن الابداعات الخاصة لكل شعب من شعوب الأمة العربية.

لن نكون السباقين في هذا الميدان فهناك تجارب مجتمعية قديمة قدمتها لنا الدراسات الفولكلورية أثبتت فيها دور الفولكلور والثقافة الشعبية في تحقيق الأهداف الاستراتيجية الكبرى في حياة الشعوب. فعندما طرحت قضية «الفولكلور» والفولكلور الزائف وأهمية الكشف عن مناهج تحدد الاصالة للثقافة الشعبية، وتنقى الزائف منها، وجدنا اهتماما خاصا اولاه الشعب الامريكي لدراسة فولكلوره. فهناك محاولات لتقصي ذلك الموروث الذي أدى مثلا الى نمو الديمقراطية في هذا المجتمع «إذ تعتبر الديمقراطية الظاهرة الاجتماعية والسياسية الكبرى في المجتمع الامريكي». وان اهتمام الامريكيين بالفولكلور ناتج كذلك من تنامي الاحساس بالقومية الامريكية وتزايد النفوذ الامريكي في الشؤون العالمية، ونجاح الامريكيين في فرض ثقافتهم، وتراثهم السياسي على كثير من الأمم

الأخرى، فأحسوا بمدى ضرورة ان يقفوا هم أنفسهم على حقيقة فولكلورهم، الذي استطاع ان يوحد نقطة الولاء القومي للخليط السكاني الامريكي. والذي أدى بهم الى الاندماج. فهذه تجربة تؤكد فاعلية الدور الذي تقدمه الثقافة الشعبية في تحقيق الوحدة والاندماج، بل معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية الاخرى من خلال هذه الثقافة بل هذا الموروث الشعبي، الأصيل منه وليس الوافد أو الزائف(٣). ونحن لا ننسى في هذا الصدد ان استخدامات الفولكلور ممكن ان تمتد لتكشف لنا عن حقيقة العديد من القضايا الاجتماعية التي لم تترسخ بعد في مجتمعاتنا العربية، وأولها قضية المشاركة الاجتماعية.

مفاهيم الدراسة ومنهجها :

ربما لن نأتي بالجديد في مفاهيم الدراسة سوى اننا سنقدم توضيحا شاملا لمفاهيم الموروث الشعبي، ونشير هنا الى ان هناك الكثير من التداخلات في استخدامات هذه المفاهيم في البحوث المهتمة بالتراث.

فنجد مثلا مفهوم «الموروث الشعبي» ثم نجد «المأثور الشعبي»، نجد كذلك «الفولكلور»، «الثقافة الشعبية» «والثقافة المادية، الاثنوجرافيا والاثنولوجيا». فماذا تعني كل هذه المفاهيم؟ بالاضافة الى ان هناك عناصر كثيرة تدخل ضمن هذه التعريفات الكبرى، وسنحاول توضيحها خلال هذا الاطار.

ونشير في هذا الصدد ايضا الى ان التدخل نلاحظه ليس فقط في استخدام المفاهيم بل نجده كذلك في تصنيف عناصر التراث.

بالرغم من ان هناك تصنيفات كثيرة لعناصر التراث قدمها كل من «ريتشارد فايس، وبويكارت» إلا اننا سنعتمد على تصنيف «دورسون، محمد الجوهري» على اساس انهما يمثلان تلك التصنيفات المتفق عليها بين المتعاملين بالتراث.

«فدورسون» يقدم تصنيفا رباعيا مقسما الى : الأدب الشعبي، الحياة الشعبية أو الثقافة المادية، العادات الاجتماعية والمعتقدات الشعبية، فنون الاداء.

ثم نجد تقسيم محمد الجوهري المتفق مع دورسون من حيث عدد الأبواب لمواد التراث، إلا انه يختلف معه من حيث المضمون في معظم الأبواب تقريبا. فقد رأى ان يقسم موضوعات التراث الى أربعة أقسام جاءت على النحو التالي :

- المعتقدات والمعارف الشعبية

---

٣) عبداللطيف البرغوثي «الفولكلور والتراث» عالم الفكر - المجلد السابع عشر، العدد الأول (ابريل، مايو، يونية ١٩٨٦) ص ٩٣.

ـ العادات والتقاليد الشعبية.

ـ الأدب الشعبي.

ـ الثقافة المادية والفنون الشعبية.

ونرى هنا ان محمد الجوهري يولي المعتقدات الشعبية اهتماما اكبر ثم غير محمد الجوهري من تقسيمه هذا وقسم التراث الى ستة أقسام:

(العادات والتقاليد، المعتقدات الشعبية المعارف الشعبية، الأدب الشعبي، الفنون الشعبية، الثقافة المادية).

وبهذا يكون قد دمج الفنون الشعبية مع الثقافة المادية، والمعارف الشعبية مع المعتقدات. ولكن اين يمكن ان نضيف العلاج الشعبي، فنرى إذن ضرورة اعادة النظر في تلك التصنيفات.

ويقدم لنا «هاني العمد»(٤) اضافة جديدة لتصنيفات التراث وتأتي مسلسلة يبدأها بـ: (المعتقدات، العادات والتقاليد، الأدب، الموسيقى والفنون الجميلة الطب الشعبي، الصناعات والفنون البدوية، حملة التراث الشعبي، حملة التراث ونقده، المسح والاحصاءات). إذ يرى هاني العمد ان كثيرا من الباحثين قد تجاهلوا ثلاثة موضوعات رئيسية يشكل كل باب منها وحده قائمة بذاتها هذه الموضوعات هي: حملة التراث الشعبي، وتاريخ التراث ونقده، والمسح والاحصاءات.

والسؤال الآن هو أي التصنيفات نستطيع استخدامه في هذه الدراسة؟

إننا سنقدم نماذج من العناصر التراثية المصنفة تحت موضوعات المعتقدات والعادات والتقاليد، والأدب والأغاني الشعبية التي يمكن ان تندرج تحت موضوع الموسيقى والفنون الجميلة، أو الأدب الشفاهي. ثم نقدم نموذجا أو اثنين للطب الشعبي، اما عن بقية موضوعات ذلك التصنيف فإنه لا يتسع المجال في هذه الدراسة المصغرة له، ويمكن احالة ذلك الى دراسات اكثر شمولية.

نأتي الآن لنقدم بعض تصورات العلماء حول عناصر الموروثات الشعبية فنجد مثلا «ألن ديزني» وهو أشهر الانثروبولجيين الفولكلوريين الامريكيين يقدم قائمة تصلح عينة لأهم المواد التي صار يشملها معنى الفولكلور في أيامنا هذه.(٥)

---

٤) هاني العمد «في التراث الشعبي واشكالية تصنيفه» ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي، المرجع السابق ص ٢٣١، ٢٣٣.

٥) عبداللطيف البرغوثي ـ عن د. شريف كناعنة ـ المرجع السابق ص ٩٤.

١ ـ الأساطير
٢ ـ نداءات الباعة
٣ ـ طرق الطبخ
٤ ـ الموسيقى الشعبية
٥ ـ المقاهرة
٦ ـ الأمثال
٧ ـ الأسوار
٨ ـ بيوت الحيوانات
٩ ـ الترانيم
١٠ ـ الكنايات
١١ ـ التبريكات
١٢ ـ اللعنات
١٣ ـ الرموز
١٤ ـ النكات
١٥ ـ الايمان
١٦ ـ الخرافات
١٧ ـ القصص الشعبي
١٨ ـ أنماط التطريز
١٩ ـ الايماءات
٢٠ ـ المعايرة
٢١ ـ الحزازير
٢٢ ـ الوداع
٢٣ ـ المجاملات
٢٤ ـ التعاويذ
٢٥ ـ الرقص الشعبي
٢٦ ـ المسرح الشعبي
٢٧ ـ الشتائم والمسبات
٢٨ ـ الدعاء
٢٩ ـ المعتقدات الشعبية
٣٠ ـ الاجابات
٣١ ـ التقليدية المقننة
٣٢ ـ النكات
٣٣ ـ أنماط البيوت
٣٤ ـ الألغاز
٣٥ ـ المصطلحات
٣٦ ـ التشابيه
٣٧ ـ الأستعارات
٣٨ ـ الملابس الشعبية
٣٩ ـ الألعاب الشعبية
٤٠ ـ الرموز
٤١ ـ الفن الشعبي
٤٢ ـ الملاحم الشعبية
٤٣ ـ الطب الشعبي
٤٤ ـ (ما يكتب على القبور والسيارات واليافطات والجدران)
٤٥ ـ الاشعار والأغاني الشعبية
٤٦ ـ عبارات التحية
٤٧ ـ أغاني وألعاب الأطفال
٤٨ ـ (مايقال لطرد الحيوانات أو استدعائها).
٤٩ ـ أغاني الكبار في تعليم الأطفال
٥٠ ـ (مايقال عند العطس والسعال والتثاوب)
٥١ ـ أسماء الأماكن والمواقع
٥٢ ـ (الاحتفالات الشعبية في المواسم والمناسبات المختلفة).

نعود لنناقش مفاهيمنا الرئيسية في هذه الدراسة وهي : الموروث الشعبي والمأثور الشعبي ونتساءل لماذا يحدث هذا الخلط في استخدامها؟ ألا يمكن ان يكون الموروث الشعبي هو نفسه التراث الشعبي الذي يتضمن كل محتويات وعناصر التراث؟ . ثم يمكن استخدام المأثور الشعبي للتعريف بتلك العناصر التراثية المأثورة لدى العامة، او الشائعة والأكثر تفضيلا في استخدامات الانسان في حياته اليومية .

ولكن الأجدر ان نعرف التراث نفسه، ورغم معرفتنا بالكثير من تلك التعريفات التي قدمها علماء الانثروبولوجيا والمفكرون في العصر الحديث، إلا اننا سنختار بعض تلك الآراء منها مثلا تعريف «محمد أركون» الذي يرى «ان التراث سنة الآباء واطار من الأحكام والشرائع ومعلومات تجريبية شعبية، ومجموعات أدبية فكرية علمية مكتوبة، خاصة بالطبقات المدنية العالمة. تختلف عن التراث الشعبي الشفوي ـ والتراث اخيرا تصورات للماضي مبررة لما تحلم به الجماهير لحاضرها ومستقبلها (٦)

---

٦) محمد أركون ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ ندوة التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الاصالة والمعاصرة) الطبعة الأولى ـ بيروت ١٩٨٥ ص ١٤.

أما «علي عبدالله الخليفة»(٧) فيرى ان المأثورات الشعبية العربية والخليجية هي كل ما صدر عن الشعب العربي والخليجي بجميع فئاته وطبقاته من ابداع. ومن شعائر وطقوس ومراسم ومعتقدات وما صدر عنه من عادات وتقاليد. كلها تشكل ثقافة عقلية ومادية خاصة تمثل روحه وحكمته وابداعاته المختلفة على مر الزمان، مثل اللغة ـ الموسيقى ـ الاشعار ـ الاهازيج ـ الازجال ـ الرقص، الحكايات ـ السير ـ الملاحم ـ الاغاني ـ الأمثال ـ الأزياء ـ الحلي ـ الطب ـ الصناعات ـ الحرف ـ العادات والتقاليد وغيرها مما عبر عنه الحس، وتفاعل بالتبادل والتداخل والالتحام ـ والاحتكاك ـ والصراع مع الثقافات المجاورة، وتواتر عبر الأجيال حتى وصل الينا.

في مجال الفصل بين التراث والموروث نتحاور قليلا مع طيب تيزيني. . وفي اتجاهه للفصل بين التراث والموروث ـ إذ يرى ان التراث هو اشمل من الموروث، وان الموروث من وجهه نظره هو مجموعة من النتاجات الفكرية والسياسية والعمرانية التي اصبحت بحوزة الفعل التوريثي ـ أي أصبحت بين الوارث واعيا أو غير واع ـ وبالتالي فالموروث أصبح جزءا من الحاضر، مستمرا، أما التراث فهو اشمل من الموروث لأنه يشتمل على أمرين ـ الأول هو الماضي، والثاني هو الحاضر مستمرا. إذن «التراث» في نظر (تيزيني) له حضوره في الماضي، أما الموروث فله حضوره في الحاضر ـ وربما لا يبدو ان هناك خلافا بين ما نتبناه من فكر حول قضية التراث والموروث وبين (طيب تيزيني) إلا في التعمق الفلسفي الذي تبرر عليه آراؤه. . . والتي تستطيع وجهة نظر (حسن حنفي) ان توصل فيما بينهما عندما قال. . وعلى العديد من المستويات في الوضع الراهن، ونخرج من ذلك الحوار بأن التراث الشعبي لازال المخزون الأول لفلسفة الشعوب ولقيمها ـ وعاداتها وحتى لتطلعاتها «وخاصة التطلعات التنموية والقومية الكبرى، فالتراث في نظره هو الذي يجب ان يجسد حالة التماسك والشعور بالهوية» (٨)

تتضح إذن معالم الفروق بين مصطلحي التراث والموروث، وهذا ما نهتم بتحقيقه في هذه الدراسة، ولكن ماذا عن الفولكلور. . نعلم ان مصطلح الفولكلور صار يشمل الفنون القولية بجميع أشكالها والموسيقى والرقص، والمعتقدات، والعادات، والتقاليد، والمعرفة والأفكار، والعواطف، والسلوك، وكذلك مما يدخل في صنع المنتجات المادية الشعبية وتزيينها واستعمالها. ومن هذا التعريف للفولكلور يتضح لنا أنه مجرد مرادف لكلمة الموروث الشعبي.

---

٧) علي عبدالله الخليفة ـ عناصر الاصالة في الثقافة القومية ـ مجلة التراث الشعبي ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ دائرة الشؤون الثقافية والنشر ـ العدد ٥، ٦ السنة ١٥ ـ بغداد ١٩٨٤. ص ١٠٦.

٨) فرحان صالح ـ جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث، رؤية نقدية، دار الحداثة ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣ ص ٨ ـ ١٠.

أما عن مصطلحي الاثنوجرافيا، والاثنولوجيا. فنجد توضيحا شاملا يقدمه «حسين فهيم»(٩) إذ يعرف الاثنوجرافيا بأنها كلمة معربة تعنى علم وصف ثقافات الشعوب أو علم الأقوام. فالأثنوجرافيا ما هي إلا الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة، ومجموعة التقاليد، والعادات، والقيم، والأدوات والفنون، والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة. وتتحدد الاثنولوجيا كمصطلح يستخدم للدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الاثنوجرافية بهدف الوصول الى تصورات نظرية أو تعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية والانسانية من حيث أصولها وتنوعها وبهذا تشكل المادة الاثنوجرافية قاعدة أساسية للبحث الاثنولوجي.

فالأثنوجرافيا، والاثنولوجيا مفهومان مرتبطان ويكمل كل منهما الآخر. وهما يشكلان مجالين دراسيين هامين في اطار مجال الدراسات العامة للانثروبولوجيا التي يقصد بها ذلك النسق المعرفي والمنهجي لدراسة الانسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا.

وبهذا يكتمل اطارنا المعرفي والمفهومي لهذه الدراسة وربما يجدر بنا الآن توضيح المنهجية التي سارت عليها هذه الدراسة مؤكدين بداية انها لا تختلف كثيرا عن أدوات ومنهاج البحث الاجتماعي إذ نشهد في الآونة الاخيرة حوارا علميا يحاول البعض الفصل فيه بين مناهج الانثروبولوجيا وأدواتها، ومناهج علم الاجتماع وأدواته.

ونحن لا نجد ان هذا ممكن فالمعرفة الانسانية واحدة، وبالتالي يجب توحيد مناهجها وأدواتها. فالمنهج في دراستنا هذه يعتمد على التسجيل والوصف والتحليل لكثير من انماط الممارسات الشعبية، وسوف نقدم نماذج لهذه الموروثات بما يتسع مجال البحث في هذه الورقة، وسيكون هذا التقديم مشتملا على رؤية خاصة تتوافق مع أساليب البحث التراثي المعاصر في جمع مواد المأثورات الشعبية وتوثيقها.

ورغم اننا نعي ضرورة استقاء المنهج المتوافق مع الجانب الشفاهي من الموروث الشعبي او الذي اصطلح على تسميته المأثورات الشعبية من واقع التراث العربي، وان لا يستند الى نظريات وافدة فهناك ضرورة للأخذ بالمنهج التاريخي لاستقراء العوامل التي ساعدت على تكوين هيكل وبنية الثقافة الشعبية، إلا اننا في دراستنا هذه لم يتسع اطار البحث لذلك، واعتمدنا على نفس المنهج الذي استخدمناه في دراسة سابقة لنا حول جمع وتصنيف العادات

---

٩) حسين فهيم ـ « التراث الشعبي في أدب الرحلات ـ نظرة منهجية » مجلة المأثورات الشعبية العدد ٥ يناير ١٩٨٧ . ص ٧٢.

والتقـاليد لمرحلة الميلاد في مجتمع الامـارات(١٠)بحيث تحقق لنا الاستقراء التاريخي للمادة الـتراثية، بالاضـافة الى ما تضمنته دراستنا السابقة من مسح شامل للمأثورات الشعبية لمجتمع الامارات والتي نستمد نماذجنا التطبيقية في هذه الدراسة منها. ثم اننا اكملنا منهجنا بالتحليل والكشف عن التغيرات الحادثة على ذلك الموروث فتم استخدام التفسير اسلوبا اثنـولـوجيا حللنـا به جميع تلك المـادة الاثنـوجرافية التي احتوتها مرحلة الميلاد في مجتمع الامارات. اما عن الأدوات البحثية فلقد تم استخدام الملاحظة، والملاحظة بالمشاركة، والمقـابلة، واستخـدمنـا دليلا خاصـا بالمقـابـلات التي تمت، ثم قمنا بعد عملية الجمع بالتصنيف العلمي للمادة التراثية ومن ثم توثيقها.

التطبيقـات الميـدانيــة :

يتسم موروثنا الشعبي بالاعتقاد في السحر، وهذا الاعتقاد راسخ كمعتقد غيبي يعبر عنه برغبة في اثبات قوة الانسان في احداث تأثيرات معينة باستخدام الحجاب أو التعويذة أو الـطقوس الخاصة. اما في الدين فنجد عالما من الأرواح والجان والشياطين يثبتها القرآن الكريم والسنة الشريفة ونستشهد هنا ببعض الأحاديث التي وردت مؤكدة وجود الشياطين والجان.

الحديث الأول ورد في عدة روايات. .

رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده، وورد في سنن البيهقي ـ وهي أحاديث صحيحة عن جابر رضى الله عنه. . . وقد جاءت كما يـلي :

١ ـ «كفوا صبيانكم عند العشاء فإن للجن انتشارا وحفظة»

٢ ـ «إن كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهبت ساعة من الليل فخلوهم. . وأغلقـوا الأبواب وإذكروا اسم الله تعالى، وان الشياطين لا تفتح بابا مغلقا، وخمروا آنيتكم وأذكروا اسم الله ـ ولو ان تعرضوا عليه شيئا، واطفئوا مصابيحكم».

٣ ـ «كفوا صبيانكم أول العشاء ـ فإنه وقت انتشار الشياطين».

الحديث الثاني : «ما من مولود يولد إلا ويمسه الشياطين».

ورد في مسنـد الامـام احمـد ومسلم في كتـاب الفضائل لعيسى بن مريم ويقول عنه السيوطي جلال الدين انه صحيح، وقد ورد في صحيح مسلم كذلك.

---

١٠) موزة غبـاش وآخـرون: «جمع وتصنيف العادات والتقاليد لمرحلة الميلاد لمجتمع الامارات العربية المتحدة، اثنوجرافيا العادات والتقاليد لدورة الحياة، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ـ الدوحة ـ قطر ١٩٩٢.

رواية اخـرى :

«ما من مولود يولد إلا يمسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه» نفس السند.

واذا كان للأرواح والايمان بالقـوة الخـارقـة سنـد في الدين فانه اذاً يمثل معتقدا قويا وراسخـا، نستـطيع ان نفسر من خلالـه الممارسات الشعبية الشائعة في مجتمعنا العربي. فنستطيع ان نثبت ان قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا، ومعتقداتنا وأغلب الموروثات الاجتماعية تقوم على هذه الفكرة الغيبية تتقدمهم جميعا ظاهرة الايمان بالحسد والعين. ورغم اننا نؤمن تماما بوجـود الحسد كعامل من عوامل فشل العلاقات الاجتماعية في مجتمعاتنا إلا اننا لا نقبل باستخدامه كأساس لتفسير كافة المشكلات التي يتعرض لها الانسان.

إن عجـزنـا امام مشكلاتنا العامة والخاصة جعلت أغلب الفئات الاجتماعية لا تؤمن بتفسـير لمشكلاتها إلا من خلال «الحسد» ولقد أثبتت دراسة سابقة لنا ان «الحسد» يكاد يكون المحرك الأول أو الآلية الأولى التى تقوم عليها كل علاقاتنا وان «الحسد» كشعور انتشر بين المتعلمـين وغـير المتعلمـين الكبـار والصغـار، الـرجال والنساء بل والشباب وكذلك الاطفـال. فلقد استطاعت عمليات التنشئة الاجتماعية ان ترسخ من هذا الشعور لدى الانسان سواء كان صغيرا أو كبيرا.

اننا امام ظاهرة اجتماعية نفسية كبيرة ترتبط ببعض مكونات الشخصية العربية التي يمثل الخـوف أحد أبرز صفاتها. إنه الخوف من المجهول، الخوف من الفقر. فقدان الأهل، فقدان الوطن، فقدان المال. وربما الكثير من اشكال الخوف الذي يعيشه هذا الانسان.

واذا كان الايمان بالغيبيات سمة من سمات المجتمعات البدائية والمتخلفة، فكيف نفسر اليوم انتشارها بين أبناء المجتمعات المتقدمة فالجميع اليوم يؤمنون بهذه الظاهرة. لا تختلف فيها المستويات التعليمية عن تلك غير التعليمية، بل لا تختلف فيها المستويات الطبقية بل يتساوى الغني والمتوسط والفقير، وقد تزداد لدى الأغنياء بشكل اكثر وضوحا.

ان المجتمعات الانسانية اليوم تعيش حالة «الخوف والشك» وهذا ما يفسر لنا بروز هذه المعتقـدات وانتشارها بين العامة والخاصة، يتضح البعد النفسي المتصل بالمأثور الشعبي بصورة جلية اذاً في العادات والمعتقدات والطقوس ذات الطابع الديني والغيبي، لاسيما فيما يتصل بالممارسات التي تؤمن الحماية من الشر والحسد والمرض والعقم. كما يتصل بالوسائل والأساليب التي تنكرها الجماعات والتي يختزنها الوجدان الشعبي ويلجأ لها عند الضرورة

للتصدي لتلك الاشياء. وسنقدم بعض القصص التي جاءت على لسان بعض الاخباريات التي قمنا بمقابلتهن للاستشهاد على تلك المعتقدات والموروثات، والتي سنتتبع فيها بعض الممارسات التي تتم خلال دورة الحياة وبالتحديد مرحلة الميلاد. إذ تكثر في هذه المرحلة كما لاحظنا من الدراسة الميدانية الكثير من الممارسات التي تؤمن بالشر والحسد والمرض والعقم، ونستطيع ان نركز عليها من خلال وجودها كوقاية، أو كعلاج وسواء نجحت او أخفقت تلك الممارسات أو الطقوس الوقائية والعلاجية في درء الشر والمرض، او في دفع الهم والغم، فهي لا محالة تخلق جوا من الطمأنينة، والاستقرار النفسي دون توفر الاقتناع والقناعة والايمان المطلق.

فمثلا يدخل ضمن الجانب الوقائي الدور الذي تؤديه كل من :

* الأحجبة والحزوز.
* الأوليـاء.
* طقوس الاخصاب
* طقوس العبور (من مرحلة الى اخرى من مراحل الحياة).

أما بالنسبة للجانب العلاجي فالاعتقاد والعقيدة والثقة المطلقة في العلاج والمعالجة هي اساس الشفاء من المرض، وستتناول هذا الأمر من منطلق الطب الشعبي ومن زاويتين:

* الأمراض العضوية.
* الأمراض النفسية.

ثم نحـاول ابـراز البعـد النفسي للمـأثـور الشعبي من عدة أنـماط فنية وأدبية تتصل بالأحداث الاجتماعية والقومية الهامة التي ارتبطت بالفرد والمجتمع الاماراتي. إذ كثيرا ما دعت الحاجة الى توظيف البعد النفسي للتراث من اجل بث الثقة وشحذ النفوس وابراز حالة الاستنفـار. ولكن هذا لايمنع من ان يكون لاستخدام بعض الموروثات الشعبية بشكل خاطىء رد فعل معاكس إذ يؤدي الى حالة من الاحباط النفسي لدى الفرد.

وفي محاولتنـا التعـرف على أعـماق الظاهرة الفولكلورية تلك المرتبطة بالايمان بالحسد والعين، تمت مقابلة العديد من الاخباريات لتقصي الحقيقة حول هذا الايمان، ونقدم هذه القصة الواقعية التي ترويها امرأة وهي السيدة/موزة حمـد. مقيمة في منطقة البحر الجنوبي بمـدينة العين. حدثتنا عن ظاهرة الحسد الذي اعتقدت به، وصدقت بأنه موجود نظرا لمرورها بتجربة معينة فقدت خلالها خمسة من ابنائها كما تقول وتروي لنا. . . فماذا قالت هذه السيدة؟

كنا نقيم في منطقة «الطريف» بسلطنة عمان منذ زمن طويل، وكنت اعمل في منزلي كأي امرأة اخرى ترعى شؤون اسرتها وابنائها، وذات يوم ذهبت الى «البر» أسوق الغنم للمرعى وكنت قد رزقت بولد، وكان هذا الولد يذهب الى «المطوع» صباح كل يوم ليتلقى علوم القرآن، كما كانت تسكن بجوارنا امرأة وعندما رأت ابني قالت: «إنشاء الله يبكوا على المر ويطيح على الحلو» وكانت هذه السيدة جدة زميل ولدي الذي كان يبلغ الثالثة عشر من عمره آنذاك رحمه الله، ومضت ليلة على كلمة السيدة تلك، وعندما جن الظلام في ليلة حالكة السواد قام ولدي من نومه يبكي وجعا في رأسه وحاولت تهدئته وقمت بعمل بعض الوصفات الشعبية له، حتى الصباح، ذهبت لتسريح الغنم وعندما عدت وجدته على نفس الحال وقد ازداد الألم، ثم صار يصرخ وهو لا يرى امامه لقد عُمي ولدي في ليلة واحدة مع انه لم يكن يشكو من اية أعراض قبل ذلك، وبعدها بدقائق تقيأ وتوفي امام عينىّ وانا لا اعرف ماذا أفعل، وعندما تقيأ خرج من بطنه «عود سمر» وهو نوع من النبات الشوكي الذي ينمو في الطقس الحار ويكثر في عمان، تعجب الناس مما حذث، وفجأة جاءت ابنتي الكبيرة وقالت لي: بأن السيدة فلانة جارتنا قد جاءت ورأت أخي وهو يتألم وقالت لي: «إن اخوك مافيه معاليق» اي انه الآن دون اعضاء داخلية وهي المعدة بما يتبعها من أجهزة اخرى وقالت لها انه سيموت، وكان زوج ابنتها قد نهض من مرضه ومات ولدي بسبب «سحرها له» وفدوه «بولدهم».

وتروي السيدة ذاتها حكاية اخرى عن احد ابنائها الذي منّ الله عليه بالشفاء وعاش وهو الآن في احدى المؤسسات الكبرى في الدولة فتقول:

ولدي الذي كبر الآن ويعمل في المصرف المركزي بدولة الامارات، كان قد تعرض في صغره لحالة حسد من السيدة ذاتها التي سحرت ولدي الأول الذي حدثتكم عنه، وتوفي، اما حالة الآخر فإنه أصيب فجأة بحالة ضحك وأصبح كالمجنون يضحك من دون سبب، ولا يركز على شيء صار يسير كالتائه الذي فقد عقله، وعندما تطورت حالته وساءت كثيرا، استدعينا المطوع الموجود وكان يدعى «حبيب بن حامد» وجاء المطوع الى منزلنا وعندما قام بفحص ابني وحالته قال بأنه مسحور ووصف المرأة التي سحرته وطلب منا ان نحضر «سبع اثـاري من ريلهـا» اي سبعة علامات من وقع قدمها عندما تمشي. تقول السيدة: قمنا باحضار «الاثاري» «وحوّر عليه المطوع» أي قام بصنع حرز له من العين بحيث لو حاول أي امرىء حسده وسحره لا يستطيع فهو قد حصنه بالحرز، وقرأ عليه القرآن وعاش ولدي والحمد لله وهو الآن متزوج ولديه ٣ أبناء.

وكذلك الحال مع (٣) من بناتي توفين ايضا بسبب الحسد.

بعض المعتقدات والطقوس الخاصة بمرحلة الحمل والولادة لدى المرأة:

يبرز في مرحلة الميلاد الموروث الشعبي المرتبط بالمرأة والطفل، وربما تكون هذه المرحلة من اكثر المراحل اهمية بين مراحل (دورة الحياة؛ الميلاد ـ الزواج ـ الوفاة). إن مرحلة الميلاد للانسان، أو للطفل إنما تمثل مرحلة ميلاد المجتمع. لذلك تكثر فيه الطقوس والممارسات والمعتقدات والعادات والتقاليد. وتكثر فيها الاغاني الشعبية تلك المهنئة للولادة، أو المعبرة عن الفرحة بالطفل الجديد أو المستخدمة لتنويم الطفل تبرز في هذه المرحلة ايضا النظرة الى الطفل الذكر والطفلة الانثى، وتبدأ فيها سلسلة التفاوتات والتفضيل للذكر، ربما كانت البداية لهذه النظرة جاءت قبل ميلاد الطفل، بل عند تكونه جنينا في رحم الأم. فيعرف من حركته ومن لون وجه أمه ما اذا كان ذكرا أم انثى. (١١)

ولايتسع المجال في هذه الدراسة لذكر جميع تلك الممارسات فلذلك سنستشهد ببعض النماذج المعبرة عن هذه الطقوس وتلك المعتقدات. ومنها منع المرأة الحامل من رؤية انسان معروف عنه قوة العين ولو حدث أي لقاء بين المرأة الحامل وواحد من هؤلاء المشهورين بحسدهم وعينهم الحارة سواء كانت امرأة أو رجل، تبدأ الممارسات نحو حماية هذه المرأة. فمن العادات مثلا ان يكبروا «الله اكبر» امام تلك المرأة أو ذلك الرجل.

واذا أكلت هذه المرأة الزائرة من بيت الحامل فهي عادة ماتغسل يدها في إناء به ماء يسمى «الغسول» ويؤخذ هذا الغسول ويمسح به جسم المرأة الحامل، أو يجمع آثار رجل المرأة الزائرة «ذات العين الحارة» كما يطلق عليها، ويجمع لها «سبع خطوات» يؤخذ هذا التراب ويمسح به جسم المرأة الحامل.

ومن العادات والممارسات ايضا ان تؤخذ نواة التمر الذي أكلته المرأة في بيت المرأة الحامل، وتحرق النواة تحت الحامل في المبخر.

وفي محاولات اخرى لحماية المرأة الحامل من العين والحسد، نجدهم يأخذون أثر رجلها من التراب ويغسلونه بالماء، ويعطى الماء للمرأة الحامل لتشربه.

نستطيع الاستشهاد كذلك ببعض المعتقدات في فترة الوحم، عندما يبدأ الوحم في الثلاثة شهور الأولى للمرأة الحامل تبرز في هذه النماذج من المأثورات الشعبية الكثير من الأبعاد النفسية والبيئية، فيبرز مثلا البعد النفسي عندما تتوحم المرأة إذ يبدأ الاحساس بنوع

---

١١) موزة غباش «تأصيل تراثي لمرجعية حقوق المرأة وواجباتها في المجتمعات الخليجية، حالة مجتمع الامارات» ندوة الثقافة وحقوق المرأة، مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية، مارس ١٩٩١.

الحمل هل حمل بذكر، أم بأنثى فيقال مثلا انه إذا كان بشرة وجه الأم تميل الى البياض فهذا يعني انها حامل بذكر، اما اذا مالت بشرتها الى السواد فهي حامل بأنثى. ففي الحمل بالذكر «الوجه منور» أي يشع من وجهها النور. كذلك اذا شعرت المرأة الحامل بالكسل والنعاس فهي حامل ببنت. والعكس يحدث عندما تشعر بالنشاط والحيوية فهي تكون حامل بذكر.

ومن الأقوال الشعرية المستخدمة للتعبير عن هذا الشعور النفسي تجاه المرأة الحامل.

(بشروني بالغلام فز قلبي من المقام: بشروني بالبنية ظلمت الدنيا عليه). أو يقال لها «غربلج الله حامل ببنت».

ويبدو الموروث المرتبط بالبيئة اكثر وضوحا في الهدية التي توهب للداية بعد نجاحها في عملية التوليد، ففي الطبقات المتوسطة والفقيرة يهدون اليها «جفير عيش» أو «قفة تمر» أي كيس من الأرز، أو سلة من التمر، وهـذه بالفعل ما جادت به تلك البيئة الصحراوية الفقيرة. ولكن الحال يختلف عند بعض الأسر الغنية الذين يقدمون المال مقابل جهد الداية وغالبا ما يكون مبالغ زهيدة.

أما عن المعتقدات والارتباطات النفسية التي تبرز أثناء قطع الحبل السري، فهي بالفعل مثيرة للتأمل إذ يرى سكان الامارات قديما ان الحبل السري يمثل سر الحياة او الارتباط، وربما كان هذا الاعتقاد يجد ما يؤيده بيولوجيا. فهذا الحبل كان القناة الموصلة بين الجنين والأم وهي فعـلا سر حياته ولكن ماذا يمارس من عادات حول هذه الفكرة «فكرة كينونة الانسان» القابضة لدى العامة والخاصة على السواء.

وجـدنـا اتفـاقا عاما بين أغلب من قابلناهم من اخباريات وعددهن سبعون اخبارية واخباري، في ضرورة المحافظة على السر.

وجدنا كذلك التشابه في نوعية المواد المستخدمة لحفظ وتحنيط السرة من التعفن «كالأثمد وهي مادة سوداء تستخدم للكحل» أو الياس والزعتر والملح، وغالبا ما كان الملح الدواء الشعبي لأغلب الأمراض في تلك المرحلة.

وجدنا كذلك أسلوبا قياسيا متفقا عليه، وهو ان تلف السرة على أربعة أصابع وتقطع، أي الاتفاق على طول السرة المقطوعة ثم عقد السرة ثلاث عقد (كل عقدة تبعد عن الثانية) مما يعني التأكيد على الاحتفاظ بالسرة.

دفن السرة (ليظل سر الانسـان مدفونا لا يصل اليه أحد. أو حفظه بالمسجد، أو في المدرسة عند المطوع، أو يستخدم لعلاج العيون.

لايقل الاهتمام بالمشيمة عنه بالسرة، فلقد لاحظنا ان سرة الطفلة الأنثى تدفن بجانب «التنـور» فرن الخبز حتى تصبح ربة بيت، وسرة الطفل الذكر تدفن في المسجد ليصبح

الطفل راعي مساجد أو مطوع، وتطلق بعض الأمثال الشعبية عندما يضيع انسان شيئا فيقال له (عنبوك مضيع سرك) وهنا يتعمق المعتقد بالربط بين المشيمة والقدرة الانجابية لدى المرأة، فالمشيمة تمثل الاستمرارية في عقلية الانسان في الامارات. انه معتقد جبري، وعيني في ذات الوقت، وهو كذلك حالة نفسية راغبة في الانجاب والتكاثر إذ يعبر التكاثر عن حماية الذات امام غموض البيئة الصحراوية والبيئة البحرية، بالاضافة الى ما تمثله كثرة الأبناء من عزوة للانسان، أي من قيم الاصالة وكبر حجم القبيلة، والعامل الاقتصادي الذي لايمكن التغاضي عنه.

فكيف تحفظ المشيمة ؟

تدفن في مكان آمن بالمنزل بعد ان ترش ببعض الاعشاب والملح وأثناء الدفن يجب ان لا تقلب حتى لا تنقلب قدرة المرأة على الانجاب مرة اخرى او تجفف المشيمة وتستخدم كبودرة لعلاج العيون للأطفال عن بعض أمراض الرمد. والاكثر من ذلك أنها تستخدم كحجاب أو حرز لانسان تعرض لمشكلة كبيرة، أو لقضية قانونية يلجا فيها الى المحاكم. فالمشيمة تحفظه وترفع شأنه.

اما عن الممارسات فيما بعد الولادة فتبرز في قيم النظافة والوعي بمستلزمات صحة الطفل، وتترسخ فيها قيم الرعاية الوالدية، وعدم الاعتماد على الآخرين ولربما كان ذلك من ايجابيات المرحلة التي اولي فيها الطفل رعاية خاصة وتنشئة تختلف بالضرورة عن عمليات التنشئة او التطبيع الاجتماعي التي تشهدها مجتمعاتنا اليوم، إذ ألقى بعبء التربية على الأمهات البديلات، وكان ذلك من أبرز قيم الاعتماد والاتكالية التي تعيشها مجتمعات الخليج اليوم. فلقد همشت الأمومة بل والأبوة كذلك. وصار الطفل ابن المربية الأجنبية والمدرسة والشارع والتليفزيون.

تنظيف المولود أو المولودة والتزين والحلاقة واستخدمت في كل ذلك مواد من البيئة فشهدنا الملح والياس، والنيل، والمحلب والكركم، والمر، والحبة الحمراء، والصبر، والبضاعة وحل الحلو، وحل حليق، والتمر الهندي، الطى، وبنت الذهب، والزبدة، والزعتر والطحين. فتستخدم هذه المواد للتنظيف والتزيين بجانب قراءة القرآن عليه أثناء عمليات التنظيف لحمايته من الجان، ومن العين وتطلب زيارة أحد الرجال حسني السمعة ومن له خبرة وشجاعة، ويعطى الطفل ليلقنه النصائح المعبرة عن ثقافة ذلك المجتمع، وعناصر وقيم التنشئة فيه. «ان يكون الطفل صالحا، وبارا بوالديه، المحافظة على الصلاة، المعاملة بالحسنى للآخرين، التواضع، البر بالجيران».

ونختار بعض أناشيد الطفولة لما تعكسه من موروث غنائي ذي خصوصية محلية، ولما تعكسه ايضا من معالم البيئة الاجتماعية التي عاشها الانسان في المرحلة السابقة.

ياوليد الصفـراني، أمـك سايرة الـطوبـاني ، تترس الخروس والوعيـاني، مايباه ما يباني، وبالغصب ملزوم، لي صد لي جفاني، لني قوي عزوم، لي هادن الصلاني (نوع من النخيل طيب المذاق) بنقيض في مخزوم.

فماذا تعكس هذه الأقوال المؤداه أثناء تنويم او تحميم الطفل. إنها تعكس أدوار كل من الرجل والمرأة. تعكس كذلك حركة تنقل الأسرة الاماراتية صيفا وشتاء طلبا للرزق، توضح قيم حب الأبناء فالثروة في تلك المراحل ثروة الأبناء، وليست ثروة المال. فالأبناء هم الفردة والرمز.

أو أبيات من الشعر تقال ايضا عند تنويم الطفل:

أرقـد ياوليـدي رقـدة هنية	ورقـدة الغـزلان في البـريـة
فـديتـك حـبـابـي اللــه	اللــــه هـــــو
يـا معـبــود يـا موجــود	يـاراعــي الكـرم والجـود

أو أبيـات اخرى تعكس ايضا صورة المجتمع وحركته وظواهره وأدوار أفراده.

محمـد الـنـشـمـي	يـضـرب عـلى الخشـم
يـا مـاخـذ جـسـمـين	وربـاعـتـه جـســم
ومحـمـد الـوافـي	عـلى اللـه طـروقـه
يقضـي الضعفـن صـافي	ومـسـير بـشــوقـه
وتضـلـل بـلاســه	عـن واهـي الـدوقـه

وربما تبرز في الأبيات التالية من الشعر الأبعاد الاجتماعية للمأثورات الشعبية الخاصة بأدب الطفولة

يـايكــة الحــــايـر	عصـة عـلى التـايـر
ان كـان قـدرك عـود	عـنـد تـايـر بـايـر
يـصـر مـفـتـاحـه	وفـويـده طــايـر
يـقـفـل عـلي البخـار	ويحلــف لا تـونـه
ويـهــدد الحـــرمـه	ويـقـول مـلـعــونـه

ولا نبـــى الـغـــواص لـىّ يحـج فـنـطـاسـه
نـبـغـــى لهـا مـنـعـور لـي يـركـب فراسـه(١٢)

ثم نتقل الى مادة، أثنوجرافية اخرى تعبر عن بعض المعتقدات الخاصة بالمحافظة على شعر الطفل. فوجدنا ان شعر الولد أو البنت يوزن إما مع الفلوس او مع الذهب، وتوزع بعد ذلك على الاطفال ثم يدفن الشعر في البحر، أو مكان ذي ظل بارد بحيث يعتقد ان ذلك يخفف التعب والارهاق على الطفل.

ولقد سادت هذه العادة الشعبية (وهي وزن شعر الطفل) خاصة بعد ان عرفت على انها سنة عن الرسول «ﷺ»، ويصاحب هذه المناسبة (العقيقة)(٩) أي الاحتفال بمرور سبعة أيام من ولادته، وتحسب هذه السبعة أيام بدقة متناهية، إذ لو ولدت المرأة بعد ظهور الشمس فلا يحسب ذلك اليوم. كذلك يحتفل بعد الأربعين يوما به ويسمى ذلك الاحتفال «بالطلوع».

ومن الجدير بالذكر هنا الاشارة الى بعض الاكلات الشعبية المستخدمة في هذه المناسبة إذ تعبر كذلك عن بعض موروثاتنا الشعبية المادية، والتي تقدم كذلك صورة عن البيئة الطبيعية ومحتوياتها. إذ يقدم (الهريس والعرسية، والخبيص والساكو، والأرز، والقرص، والحلوى).

ممارسات اخفاء الأخبار عن الزوج اذ تأكدوا من حملها للأنثى :

وبعد الولادة يخفى نوع المولود عن الأهل والجيران.

يخفى المولود اذا كان ذكرا خوفا من الحسد، ويخفى المولود اذا كان أنثى خوفا من العار وتكثر المعتقدات والممارسات والعادات في فترة الحمل وقبلها الوحم.

اما عن الأبعاد البيئية فنجد البيئة الطبيعية بكل ما تمتلكه من امكانيات يعبر عنها في الممارسة الشعبية، والعادات المرتبطة بفترة الحمل والولادة.

فنجد مثلا ان الأطعمة التي تشتهيها المرأة الحامل في فترة الوحم كلها مما تقدمه لها بيئتها الطبيعية والزراعية، فكثيرا ما تتوحم المرأة «بالحيب» وهو لحاء جذع النخل من الداخل أو تتوحم «بالترني» وهو نوع من الليمون المتوفر في البيئة الاماراتية، وكذلك في عُمان.

---

١٢) يقال كذلك بالنسبة للعقيقة ان الأب الذي لا يملك قيمة الذبائح في اليوم السابع، ولا يستطيع الاحتفال معا، فإن أي ضحية يقدمها الطفل في حياته تحسب كعقيقة له.

هنـاك ايضـا استخـدامـات الأدوية الشعبية فهي كلهـا مستخـدمة من بيئة المجتمع الطبيعية. ففي علاج المرأة أو الرجل أو الطفل نجد الاعشاب الشعبية هي المستخدمة في هذا العلاج. إذ ذكر من خلال دراستنا الميدانية العديد من أنواع هذه الاعشاب منها مثلا: الورس، وحل الحليقى والتمر الهندي، والطى، وبنت الذهب، والزبدة، والزعتر، والطحين.

كذلك نجد أثناء استدعاء الداية للقيام بعملية التوليد للمرأة المقبلة على الولادة، فهي تستخدم «التراب أو الرمل» يسمى «الصرار» إذ تضعه تحت المرأة عندما يحمى الطلق اعتقادا منها بأن هذه العملية تساعدها على الولادة، بالاضافةالى وضع «الحطبة» تسمى «الرايله» أي قطعـة من الخشب او من جذع بعض الاشجـار لتشـد عليها المرأة بقبضتها لتحمي طلقها. ونظرة فاحصة لهذه الاستخدامات نجدها مما جادت به البيئة الاماراتية.

نجد كذلك اعتقادا بعدم الاعلان عن موعد ولادة المرأة خوفا من تعرضها لمشكلة اثناء الولادة فيقال مثلا لا نخبر الناس حتى لا «يشلون ويعها» أي حتى لا يتناقل الناس هذا الخبر، فيفتر الطلق أي ينقطع الطلق وتتأخر في الولادة، أو تتعسر. وربما تكون هناك اسباب اخرى لاخفاء موعد الولادة اهمها فشل الداية مثلا وخوفها من اعلان هذا الفشل وتعرض مستقبلها المهني للمخاطر.

حمى النفـاس :

ترتبط حمى النفـاس ـ كظاهـرة مرضية قد تتعرض لها بعض النساء بعد الولادة ـ من أشكـال الـطقـوس والمعتقـدات، والتي وجدنا انها ممكن ان تكشف لنا عن ابعاد نفسية واجتماعية جديدة لهذه الدراسة.

تعتقد المرأة ان حمى النفاس ناتجه من الحسد، أو دخول الجن الى جسدها فتمسك المرأة النفساء سكينا بيدها خاصة اذا قامت بأي عمل بالمنزل، أو يوضع تحت رأسها (الداس أي المنجل). والبعض منهن يمتنعن عن شرب الماء لمدة سبعة أيام، واذا كان الجو حارا صيفا يوضع بجانبها ماء ليلطف الحرارة اعتقادا بان الماء يسبب ارتخاء في الرحم، ومن الممارسات والطقوس ايضا منع الزوج من الدخول عليها، أو منع بعض الاقارب من زيارتها خاصة اذا كان قادما من جنازة، أو مشاركا بالدفن في المقبرة. فذلك قد يسبب لها العجز التام عن تكرار الانجاب (وتسمى هذه الحالة الانحباس).

كذلك تمنع الزيارة لأمرأتين في حالة نفاس، واذا حدث ذلك تأخذ المرأة الزائرة شيئا من منزل الاخرى ليحمي المرأتين من حالة الدراس (أي انقطاع الانجاب).

كذلك تمنع الأرملة من زيارة المرأة في النفاس وتمنع ايضا العروس حتى لا تتعرض لحالة الدراس أو المشاهرة.

ومن المفردات الشعبية المستخدمة للنفاس نجد (حمى الولادة، حمى الدر، حمى الملح، حمى الأربعين، حمى اللبن، حمى حليب الثدي، حمى الدبا، حمى الثلثية، اذا جاءت بعد ثلاثة أيام، حمى أم دلهم «تكسر العظم وتشرب الدم»، حمى الذرية، حمى المراضع، حمى تحت الحصاه، وحمى المثاناه).

أما عن الاسباب المؤدية لحمى النفاس فيعتقد انها قد تكون بسبب كثرة شرب «المريردة» أو وقوع المرأة (التخرطيفة)، أو اسباب نفسية أي يتهيأ لها أشياء غريبة فتخاف وتسخن، أو لاسباب الحسد لدخول امرأة ذات عين حارة، ورأتها ترضع ابنها فتعجبت منه واصابتها بالحسد، يتوقف الحليب نتيجة لذلك وتصاب الأم بالحمى.

أما عن أشكال العلاج المستخدم لحمى النفاس فيعتمد بالدرجة الأولى على الاعشاب، كالفوطن، واليعده، والزعتر، أو بقراءة القرآن أو باستخدام الماء الساخن. أما عن اصابة المرأة بحمى النفاس بعد زيارة احدى النساء لها فيختلف العلاج هنا إذ تبدأ طقوس جديدة بأخذ آثار الرمل من اقدام المرأة الزائرة، وتبخر به المرأة المريضة، أو بأخذ نواة التمر التي أكلته الزائرة ووضعه في الماء ومسح ثدي المرأة بهذا الماء، حماية لها من العين.

مرة أخـرى تظهر معالم البيئة الطبيعية لمجتمع الامارات في الأدوية المستخدمة لعلاج العين أو الحسد وهي الخطف، والسويدا، والشب، وكلها ممكن ان تحرق وتبخر به المرأة النفساء ولقد وجدنا نوعا آخر من موروثات العلاج للأمراض النفسية كالقلق مثلا الذي يصيب المرأة بعد الولادة يتركز ذلك العلاج على اثارة الانتباه للمرأة القلقة أو المكتئبة بواسطة مؤثـرات معينـة يتـوقـع منهـا استجـابة ايجابية للتخلص من تلك الحالة. (يحضر منخل غضف ، أي منخـل مصنـوع من نبـات الغضف الـذي يشبه النخيل، ويقوم المعالج بتذويب مادة الرصاص في ماء، ويغلى على النار، ثم يوضع في وعاء كبير به ماء بارد على مسافة معينة من رأس المرأة المريضة، ثم يوضع فوق الوعاء المنخل المعد، وبعد ان يبرد الرصاص يوضع في المنخل وخلال هذه العملية ينزل الرصاص من فتحات المنخل محدثا اصواتا عالية لملامسته الماء البارد فيثير انتباه المرأة ويعتقد ان ذلك يساعدها قليلا للخروج من حالـة القلق هذه او الاكتئـاب أو العصـاب او الـوسـواس) ومن تحليل هذه المـادة الاثنوجرافية ذات الخصوصية المحلية لمجتمع الامارات وجدنا انها تعكس درجة من درجات

المواجهة للأمراض النفسية ارتبطت هذه المواجهة بأبسط معطيات البيئة وبأبسط معطيات الثقافة والوعي في تلك المرحلة. ثم اننا نشاهد درجة من التشابة بين هذه الوسيلة العلاجية الشعبية وبين جلسات الكهرباء المستخدمة حديثا في الطب النفسي لعلاج نفس هذه الامراض.

بالاضافة الى ما قدمناه سابقا من بعض العادات والمعتقدات حول ولادة الطفل في مجتمع الامارات نقدم هنا صورة اخرى لكيفية تحميم الطفل وتزيينه في الأيام الأولى من حياته إذ برزت لنا من خلال المقابلات الميدانية بعض الممارسات المحلية المرتبطة بالتصورات الخاصة بتنشئة الطفل في الامارات والتي تعكس درجة الرعاية التي اولاها افراد المجتمع للطفولة. من هذه الأساليب وضع الطفل في اناء كبير (طشت) وتضع الأم أو الجدة ارجلها بداخل الطشت، ويوضع الطفل فوق ارجلها وتقوم امرأة اخرى بصب الماء على رأس الطفل بطريقة حسابية خاصة. إذا كان الطفل قد أكمل سبعة أيام يسكب على رأسه سبعة طاسات «مكيال للماء»، أما اذا أكمل أربعة عشر يوما تسكب اربعة عشر «طاسة» واذا كان قد اكمل أربعين يوما تسكب أربعين طاسة. بالاضافة الى استخدام اعشاء السدر أثناء هذه العملية. ولم نستطع تفسير هذه الحسابات الحقيقية لا بشكل محدود وهو الدقة في تقدير الرعاية للطفل بحسب أيام عمره حتى لا يتعرض لأية مضاعفات قد تنتج من تقديم أشكال من الرعاية تفوق احتياجاته العمرية.

اما عملية تكحيل عين الطفل بالكحل الأسود ورسم الخطوط على حاجبه فهي ممارسة شعبية لها ايضا بعض المعتقدات إذ يفسر تكحيل الطفل في وقت المغرب ليكون هذا الكحل حارسا له من العين ومن الجن ويتخذ الكحل احيانا شكلا متميزا إذ يرسم بين حاجبي الطفل (+) وتسمى هذه العلامة - بكره وقعود - وهما تسميتان لنوعين من الجمال صغيرة السن وتظهر هنا في هذه الممارسة نوعا من الارتباط بالابل والجمال، لما لهذا الحيوان من ارتباط خاص بالانسان في الامارات. اما عن العطور المستخدمة لتهدئة الطفل وتنويمه فهي (المسك، المخمرية، دهن العود، نبات الياس).

لقد عكست لنا هذه الموروثات الخاصة بمرحلة الميلاد وبالتركيز على الأم والطفل والولادة الكثير من الأبعاد النفسية والاجتماعية والبيئة التي حاولت هذه الدراسة التركيز عليها. فالثقافة الشعبية التي كانت اطارا لهذه الموروثات في مجتمع الامارات رغم بساطتها وربما بدائيتها إلا أنها قدمت صورة من التكيف بين الانسان ومجتمعه تغلب فيها الانسان على البيئة في بعض مواقفه معها، وتغلبت البيئة على الانسان في بعض المواقف الاخرى عندما

عجز الانسان الاماراتي عن تفسير ظواهره الاجتماعية. ونستخلص ايضا من مظاهر السلوك والعـادات التي ارتبطت بتلك المرحلة انها قد خلت في الشكل والمضمون من الكثير من الصور الخرافية والاسطورية المتطرفة كما هو الوضع بالنسبة للتراث الشعبي عند الشعوب الاخرى. فيما عدا بعض التصورات حول الجن والعفاريت والتي ستظهر كثيرا في الجزء القادم في هذه الدراسة وهو الذي سيقدم الطب الشعبي، والزار كأحد أشكال العلاج الشعبي.

الطـب الشـعبـي : (الزار لعلاج الأمراض النفسية والعضوية)

يعـرف الزار بأنه أحد أشكال العلاج الشعبي لبعض الأنواع من الأمراض النفسية، والعضوية أو تلك الأمراض النفسية ذات الأعراض الجسمانية كالصداع النصفي أو أمراض المعدة والتي يطلق عليها علميا «الامراض السكوسوماتية» ولقد قمنا باختيار هذا النمط من العلاج الشعبي لسببين:

أولهما انتشاره بشكل كبير في المجتمع العربي عموما، وفي مجتمع الامارات على وجه الخصوص.

أمـا السبب الثـاني فهـو كون الـزار يمثل حالة متفردة من حالات معاناة الانسان من الأمراض النفسية، التي لا يجد لها علاجا يستطيع شفاءه، فيلجأ مضطرا الى الزار ليتخلص من أمراض القلق والصراع والتوتر، ويخضع المريض في هذا النوع من العلاج لأشكال من التعذيب النفسي والجسدي على السواء. لقد قدمت «فاطمة المصري»(١٣) دراسة شاملة عن الزار اتفقنا معها فيما تراه من ان الانسان العصابي او البدائي ليس سوى انسان لم تتطور حياته النفسية والعقلية بعد. ولم تنضج ولم تصل الى ما هي عليه من نضج لدى الانسان الحديث، وهو كذلك لم يصل الى القدرة على التكيف من الناحيتين الشخصية والاجتماعية.

ولقد انبثقت فكرة العلاج بالزار كما تراه نفس الكاتبة من المذهب الانيمى الذي جعل لكل الكائنات أرواحا، وآمن بقدرة هذه الأرواح على المساعدة لشفاء المرضى. وللدلالة على ذلك قمنا بزيارة الى احد البيوت التي تمارس فيها حفلات الزار، وتمت مقابلة قائد الفرقة الذي يطلق عليه (ابو الزار) ويقوم بتقديم هذا العلاج الشعبي، واعتمدت المقابلة على دليل مصغر تتبعنا من خلال اسئلته تاريخ هذا العلاج في مجتمع الامارات، وكل ما يتعلق به من ممارسات شعبية، عادات ومعتقدات واستطعنا تسجيل الحفلة المعد لها في تلك الليلة ونقدم

---

١٣) فاطمـة المصـري: الزار دراسة نفسية وأنثربولوجية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٥ ص ٥، ٦.

بالاضافة الى ذلك الاغاني المستخدمة في حفلة الزار، والتي تعبر في أغلبها عن ذلك المذهب الانيمي أي مخاطبة الأرواح والتضرع لهم لعلاج المريض.

بدأ الزار في الامارات في مرحلة قديمة جدا، حددها المبحوث بأنها قبل النفط، وقبل ظهور المستشفيات وهنا نجد احد شروط ومصداقية الوجود الفعلي للموروث الشعبي وهو عدم القدرة على التحديد الزمني لظهوره في المجتمع، وكذلك عدم القدرة على تحديد من هو أول شخص قام بممارسته لأول مرة. ولا شك ان للزار جذورا ثقافية في غير مجتمع الامارات، ربما تكون جذورا ثقافية افريقية، اذا ترى فاطمة المصري ان اصل كلمة الزار ليست من أصل سام ولكنها دخلت الى اللغة الاثيوبية الامهرية من لغة «الجلا» وهي قبائل وثنية تخضع للحكم الاثيوبي (١٤)

أما عن ماهية الزار فهو كما اجاب «ابو الزار» جان يزور شخصا ما هو يختاره وهنا اتفق هذا التعريف مع ما قدمته دراسة فاطمة المصري من ان الزار بما يعنيه من طقوس لفظ امهري معناه عند الاحباش شر ينزل بانسان ما. أما معنى الكلمة العربية فهو سمى بالزار اشتقاقا من الزيارة ويقال لمن تصيبه هذه الحالة (منزار) وعن انواع الزار هناك الزار الكافر. والزار المسلم. اما عن امراض الزار فهي الضيقة، أي الاكتئاب، أو ألم الرأس والقلب أو حالات عدم القدرة على المعاشرة الزوجية.

تقام حفلة الزار في منزل الشخص المريض نفسه حسب رغبته فإذا كان الزار بمنزل المريض فإنه يقتصر على الغناء والتصفيق البسيط ولا يزيد عدد الاشخاص المشاركين بالغناء عن أربعة أو ٦ أشخاص، ولكن اذا اقيم الزار خارج المنزل أي في الصحراء الخالية فتزداد حركة المشاركين، وتزداد دقات الطبول، كما ترتفع الأصوات عالية ويشحذ ذلك من همة المعالج والمريض وتتيسر عملية استدعاء الجان والتفاوض معهم.

أما عن كيفية وصول الزار الى مريضه أثناء ممارسة تلك الطقوس فنجد ان الغناء العالي والتصفيق يدخلان رأس المريض أو المريضة فيقال شعبيا «يدخل لهبوب» أي يدخل الهوى والطرب الى رأس المريض، ويفسر كذلك بدخول الريح أو الروح أو الجن، عندها يفقد المريض السيطرة على نفسه فيشارك مع المحتفلين بهز الرأس «النعيش» بسرعات متفاوتة، تبدأ قليلة فتزداد مع ازدياد الغناء والتصفيق حتى يتعب المريض، ويتصبب عرقا، هنا يتكلم

---

١٤) فاطمة المصري : المرجع السابق ص ١١.

الزار أو الجان المخاوي للمريض ويبدأ بتقديم طلباته، وهنا نلاحظ التغير في صوت المريض أثناء تقديمه للطلبات.

وللزار محددات مكانية وزمانية فيفضل الليل لممارسة طقوسه خاصة اذا كانت المريضة امرأة فظلمة الليل تسترها امام المشاركين في الحفلة إذ قد يسقط من شدة الرقص غطاء رأسها أو البرقع أو قد ينكشف جزء من جسمها فتتعرض للحرج والخجل، ويتعارض مع الموروث الديني لقيم مجتمع الامارات، وتبرز من خلال طقوس الزار بعض التناقضات بين فكرة (الحرام) كموروث إسلامي وبين فكرة (العيب) كموروث ثقافي، فبينما يحرم رقص المرأة امام الرجال فقد أجيز لها الرقص في الثقافة الشعبية ولكن حرم عليها الكشف عن الوجه والشعر.

أما عن محددات الزار الزمنية فيمكن ان يمارس في كل شهور العام ما عدا شهر رمضان المبارك، وأيام الجمع، وأيام الأعياد الدينية. ومن خلال هذا البعد الزمني يتأكد لنا مدى انتشار هذه الظاهرة بين أفراد المجتمع. فعادة لا يوجد العدد الكافي من المعالجين وفرق الزار مما يؤدي الى زيادة الطلب على العرض في سوق العلاج الشعبي.*

وبالنظر الى المدة الزمنية التي تستغرقها الحفلة الواحدة فنجدها تتراوح بين اربع الى ست ساعات. وقد تتكرر لنفس المريض ثلاث مرات في الاسبوع الواحد الى ان يستطيع ابو الزار السيطرة على المريض سيطرة كاملة تؤدي الى النعيش والبكاء والخضوع لتنفيذ ما يطلب منه من طقوس اخرى سيأتي ذكرها فيما تبقى من هذا التحليل.

أما عن نسبة انتشار هذا العلاج بين الرجال والنساء فجاءت اجابة «ابو الزار» محايدة إذ يرى انه لا أحد يحب الزار، ولكن يضطر المريض الى ذلك عندما يفشل علاجه بالمستشفيات واحيانا نقوم بعلاج حتى الاطفال بواسطة الزار، وكذلك الشباب، والشيوخ ممن يلجأ إلينا.

وبمتابعة هذا التحليل وجهنا سؤالا حول الأجر المدفوع للمعالجين بالزار فجاءت الاجابة بأن الاجر يرتبط بالمستوى الاقتصادي والطبقي للمرضى المؤمنين بهذا النوع من العلاج، وبالطبع الأغنياء يدفعون أجورا مضاعفة عن الفقراء خاصة وان اغلب الممارسين كانوا من الأغنياء، ثم اننا وجدنا ان المعالج لا يشترط مبلغا معينا بل يعتمد على تقدير المريض وأهله، واحيانا لا يدفع شيئا سوى تجهيز وجبة العشاء للمشاركين في الزار. وهم ما يطلق عليهم «الجوقة» والتي تتكون من شخصيات عديدة الكودية وهي المرأة التي تقوم

(*) أثبتت الدراسات العلمية حول الزار، وبعض الندوات التي اقيمت في العالم العربي عن فشل بعض الأطباء في علاج بعض المرضى النفسيين فاضطروا الى تحويلهم للعلاج بالزار، وفي المقابل وقف العلاج بالزار عاجزا امام العديد من الأمراض مما اضطره الى احالتها الى الأطباء النفسيين والمستشفيات.

بالـواسطة بين المريض والاسياد، أو قد يكون رجلا ويسمى **الكودي** الشخصية الثانية، **المنشـدة** وهي التي تقـوم بالغنـاء، ثم عدد من العـازفـين يستخدمون آلات بدائية وهي الطنبورة، الرق، والطبلة، الصفارة، والبندير. وعن كيفية توزيع الأجور المستحقة على جميع المساهمين في الزار يكون نصيب رئيس الفرقة هو الأكبر، وتوزع البقية من المال على الجوقة كل حسب مكانته ودوره في حفلة الزار.

لقد كان البخور احد أهم عناصر حفلة الزار وتتحدد انواع البخور بحسب نوع الزار أو الجان، فالشيطان يبخر باللبان، والعود للسيد الأكبر، العنبر للجنية بالاضافة الى استخدام ماء الورد ليشرب منه المريض والمعالجون كذلك.

أمـا عن أسـماء الأسياد فهى كثـيرة: الشيطان، سيف، الجني، الجنية، الـريحـاني، الدرعي، النمرود، نوبان، واخيرا الحبشي. وربما كانت طريقة التعرف على اسم السيد هي الاساس في هذا العلاج فأثناء الرقص والغناء ونعيش المريض ينادي ابو الزار «من أنت؟» فيرد المريض بصوت غريب «انا الشيطان» فيرحب به ابو الزار ويبادره بالسؤال ماذا تريد وما هي أسباب المرض الذي يعاني منه هذا المريض؟ هي منك؟ فيرد مثلا بنعم ويبادره بسؤال آخـر ماذا تريد منـه؟ فيقدم الشيطان طلباته، ويستجيب له ابو الزار بقوله (سنلبي لك طلباتك لكن بشرط الشفاء) وهنا يحدد ابو الزار توقيتا معينا لحفلة اخرى يوحى بها لأهل المريض بأهمية تكرار هذا العلاج على ان تلبى الطلبات في الحفلة الثانية. ومن هنا تبدأ ممارسة هذا العلاج كعادة من العادات الاجتماعية التي لايستطيع المريض التخلص منها بسهولة. فيحدث ما يشبه حالة الادمان على هذا النوع من العلاج.

طلبات الأرواح تتنوع من سيد الى آخر، ومثال على ذلك: الشيطان يطلب عصا وكندورة «جلبـاب»، وكـذلـك سروال أو خاتم فضة، أو خاتما مطليا بالذهب أو يطلب خزاما، المقصـود به العقـال أو يطلب «إفتـخ» وهي كالخواتم تلبس في أصابع القدم، أو يطلب «حقب» وهو حزام من فضة يلبس تحت الملابس. اما الجنية فتطلب الشيلة وغالبا ما تكون سوداء وهي غطاء لرأس المرأة أو تطلب الحناء أو كندرة مدهونة باعشاب الورس والزعفران ليكون لونها أصفر، أما الطلب الاكثر صعوبة فهو شرب الدم أو شم الدم، أو القيام بضيافة كبيرة تستمر مع حفلة الزار حتى صباح اليوم الثاني. اما عن أنواع الأكلات الشعبية المقدمة في حفلة الزار فهي بحسب طلب الزار نفسه. أحيانا تذبح الذبائح واحيانا يكتفى بالحلوى والمسكرات والفواكه، وكانت المفاجأة بالنسبة لنظرة (أبو الزار) لهذا النوع من العلاج بأن يعتـبره نوعا من الفنون التي تطرب الانسان، فالطرب والتجاوب مع الغناء ودق الطبول

والرقص وتلبية الطلبات تعبر عن أساليب شعبية استطاعت ان تخلص الانسان من بعض همومه وقلقه .

نمـاذج من أغـاني الـزار :

وهو ناديت الزار، وهو ناديت سيف ، وهو يامابيت ، وهو ناديت ما بيت ، وهو ياديره ، وهو ناديت الزار، وهو من كل دار من البحور والسيوح ، وهو من كل دار، وهو يانمرود ، وهو يالدرعى ، وهو يالهيمان ، وهو ياشيطان .

آلوه ياه وآلوه، دويه ياموزد الأوراد ، هي ياماما ، يوسيف هي ياماما ، وانورد يوسيف ، هي ياماما ، وانورد ياسيف ، هي ياماما ، ورودية .

أغنيـة الجنيـة : الجنية كفاك الله ، بليتينى بلاك الله ، بليتينى بلاك الرب ، كفاك الرب ، جنية عطاك الجنان ، عظيم باسم الله يالرضية ويتنزل ياشيخ الجان بسم الله يالرضية ، وتنزل ياشيخ الجان .

أغنيـة الشيطـان

شـيـطان بن شـيـطان لـوه جـاي	مجـــدم الـريـــاح لـــو يـــاى
شـيطـان بن هـيـمـــان لـــو يـاي	مـقـــدم الـريـــاح ظـهــر جــاي
بـيـاكـم زائـريـن نحـن الشـيـاطين	مـســتـعـــــرضيـــــــــن
بـه الجـنـى يـــوريحـــــــان	يـوب بـالـجـنـى عـلى الشـيـطـان
شـمـلـلـوه يـاشـيـمــــــال	وأنـت الـزار يـــوه ريـحـــان
جـنـى ورد مـن الـهـيـمـــــان	جـنـى ورد مـن الـهـيـمـــــان
عـنـد يـاقـــوم تـــرد العـايــل	تـفـــرق الـخـــل مـــل خـلـيلـه
يـاطـنــاف المـطـايـــــــع	رفيـع الشـــأن سـمـــاح الخـطـايـا
شــربـة خـــذوه وأنـا مـا بـلــوني	أنـا الـزار واخـوه أنـا مـا وفــوني
شـيخ الـزار تـوه لافـي عـلى مـورد	صـافـي عـلى بكـرة أولافــي
ورد وردي وردنــــالــــه	زل الـشـــامـي فـرشـنـــالــه
ومـا يـطـلـب اديـنـــالــه	وعـــود الـصـنـفـى عـمـلـنـالــه
يو سـراح ناشرين يو صراح داشرين	ريـح الـضـغـب صـــــراح
يـاسـيـف يـابـرصـــــان	يـامـقـــدم الـزيـــران

نمـاذج من الأدب الشعبـي

أما بالنسبة للأنماط التراثية الموظفة للمناسبات الكبرى في المجتمع كالدخول في حرب ـ أو مواجهه أشكال من التغيير ـ ويحتاج الأفراد فيها الى تهيئة نفسية، وثقة عالية لمواجهتها، فنجد البعد النفسي واضحا بشكل جلي في الاغاني المستخدمة لذلك، أو الملاحم أو الرقصات الشعبية، أو ذكر سير البطولات للأجداد، وتمارس هذه الانماط في شكل جماعي يساعد على نشرها، وتحقيق الفائدة منها. فلو أخذنا بعضا من الشعر الشعبي الذي ساعد في بث روح البطولة بين أفراد المجتمع في فترة أزمة الخليج، فسنجد ان هناك قصائد رائعة كان لها صدى كبير لدى أفراد المجتمع، وكان من القصائد ما ألهب المشاعر وشحذ الهمم وشجع الشباب على الانخراط في سلك القوات المسلحة كمتطوعين للدفاع عن الوطن والذود عن حياضه، ومن هذه القصائد قصيدة للشاعر حمد بن سهيل يقول فيها:

ياشباب الوطن لبوا نداكم . . . . . واحموا الدار ضد الطامعين

وكان لهذه القصيدة التي غنيت على شكل رقصة (الحربية) وهي من فنون العيالة وقع خاص على الناس لم يألفوه من قبل وذلك يؤكد ما وصلنا إليه من نتيجة ترى ان الادب الشعبي وخاصة الشعر منه يصل الى العامة من الناس والخاصة منهم.

وقصيدة اخرى ايضا تؤكد على ما ذكرنا عن أهمية الشعر ومدى تأثيره في النفوس، وهي قصيدة وطنية ايضا قيلت إبان فترة (أزمة الخليج) وتغنى بها الطفل قبل الكهل وهي للشاعر سعيد القمزى، ويقول مطلعها:

رف يا علم في عالي السارية رف

كلنا فداك وكلنا نموت دونك

رف في حمى شيخ علا المجد واشرف

رواك عز ولاتهاون بصونك

رف بشموخ حول الشمس تلتف

وعانق خيوط الشمس وافخر بلونك

ولا يستخدم الشعر في المواقف البطولية فقط، بل ان اغراضه تتعدد بشكل واضح كما هو الشعر الفصيح، إذ نجد له وجودا في العديد من أوجه الحياة الاجتماعية، فهو عنصر من عناصر التراث الأكثر انتشارا. وتداولا بين أفراد المجتمع، سواء كان في الماضي ام في الحاضر

حيث استطاع هذا الشعر بالفعل ان يفجر ابداعات أدبية رائدة في المنطقة، وهو بهذا يضيف ويساهم في خلق اتجاهات فكرية جديدة، وتصورات جديدة حول المرأة والرجل والعلاقة بينهما، واثارة بعض القضايا الاجتماعية من خلاله، ومن أغراض الشعر النبطي وموضوعاته المعروفة ـ الغزل، الشعر الاجتماعي، البداوة، فنجان القهوة، الناقة، الخيل، الصقور، الغوص والبحر، النصائح، الحكمة، الأمثال، التوجه الى الله، الوطن، القضايا السياسية والقومية، المدح، الرثاء، الفخر، الهجاء، الذم، شكوى الزمان، الوصف، الحياة اليومية، المشاركة في الأحداث والمناسبات، الفكاهة. (١٥)

نماذج من أغراض الشعر :

أولاً ـ شعر الحكمة ونستعرض هنا بعضا من أشعار رائد الحكمة الشاعر الكبير الماجدي ابن ظاهر الذي يقول في احدى قصائده:

مـادامـت إلا لمـن يـداوم بالـتـقـى
دار المقـــر ومنتهــاك إلا لــهـــا
والآخــرة لازم وخيــر مــا لــدنـــا
يــوم المــلا مشــتغلــة بأشــغــالهــا
شــاجيــن فيهــا والشــقــا ضــد التقــى
ولا ذاك إلا الصــالحــات أبقــى لها (١٦)

ثانياً : الشــعر الاجتماعــي:

وهو نموذج تغنى به الشعراء، وطرحوا من خلاله قضايا الوطن والمواطن، ونظموا قصائد تفــاعل معها الناس، وأدركوا من خلالها أبعاد القضايا الاجتماعية التي يعيشونها فوجدوا الصوت الصادح الذي غرد بها على الملأ، من ذلك قول الشاعر سالم بوجمهور القبيسي في حديثه عن قضية العمالة الوافدة إذ يقول:

واجــب الاقــلام تـتـكـلـم   عـن مشـاكـلنـا الأسـاسـيـة
لـي مـتـى نـشـكـي ونـتـألـم   بيـن خـوف وحـرب نـفـسـيـة
نـاس فـي الـراحــات تـتـنـعـم   ونـاس فـي الـنـسـيـان مـنـسـيـة

---

١٥) الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية ـ القسم الثاني ـ الطبعة الأولى ١٩٩٠ صفحة ٩٩٩.

١٦) الماجدى بن ظاهر حياته وشعره جمع وتحقيق حمد بوشهاب وابراهيم بو ملحة مطبعة دبي ـ الطبعة الأولى ١٩٨٤ ص ٢٠.

واجب يديارنا نهتم — ننظر بنظرة دراسية
ننظر المستقبل ونرسم — منطلق عدل وسواسية
دارنا هي قبلة العالم — نفطها أنفاسنا الحية
احتشر فيها نسل آدم — غصت بمليون جنسية (١٧)

ثالثا : شعر النصائح :

ومن الشعر الجميل الذي تتناقله الألسن شعر النصح والارشاد ومنه ما قاله الماجدي ابن ظاهر (في نصيحته الدينية) :

عليك بتبع ست الأزمات — صلاتك والشهادة والصيامى
وحج البيت والزام الزكاة — ونطق الصدق ما فيه أو تهامي (١٨)

رابعا : شعر الغوص والبحر :

وكما تحدثنا سابقا في هذه الورقة عن أثر البحر والصحراء في تأصيل الثقافة الشعبية ، فإننا هنا نأخذ مثالا من هذه الثقافة التي كان البحر الرافد لها، والمساعد الأول على ظهورها من خلال الشعر، إذ يقول الشاعر محمد علي المزروعي وهو غواص معزوف في الامارات ، محاورا البحر:

طاش البحر وطم الحدود — ونستى العهود الأولية
سرت أنشده قال ارمس بهود — لان الهوا زايد عليه
واشتاق لي من هبة النود — وزادت وسوى الموج عيه (١٩)

تقول الشاعرة شيخة بنت حمد(٢٠). ـ عن (القفال) والعودة الى الأهل وانتظار النساء بكل لهفة وشوق وامل ليوم العودة الذي يلقينه بكل خوف ورجاء :

مدوا لغوص ويوا بدانات — وتباشروا جمل المعاريف
وان قفلوا رنه وبولات — ووقوف خلق الله على السيف
وأسسوا على أنسه وخفات — بين الغواني والمواليف
والنواخذه يعطى بلميات — ويقول دوكم يالمساعيف

١٧) الشاعر سالم بن جمهور القبيسي ـ ديوان روائح النود ـ مطابع الظفرة ـ ابوظبي ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣ ص ٧٩.

١٨) الماجدى بن ظاهر حياته وشعره (حمد بو شهاب وابراهيم بوملحة) الطبعة الأولى ـ دبي ١٩٨٤ ص ٢٧٧.

١٩) الشاعر خميس محمد المزروعي (جمع وشرح فالح حنظل) سلسلة دواوين الشعر الشعبي رقم ٣ وزارة الاعلام والثقافة ـ الادارة الثقافية ـ ابو ظبي ـ المطبعة العصرية ص ١٢.

٢٠) غسان الحسن (المرجع السابق ص ٧٥٦).

نقدم كذلك نماذج من شعر «الشاعر سعيد الحميرى» الذي جاءت في شتى الأغراض الاجتماعية فهو يخلد الماضي في هذه القصائد ويحفظ التراث كأغنية للحاضر، ويتذكر الأوائل من أجيال هذا الوطن واصفا معانيهم وأساليبهم البسيطة في الحياة مثنيا على كرمهم وتفانيهم في خدمة هذا الوطن حيث يذكر أعمالهم الشاقة والبسيطة ومردودها البسيط من المال بأنها أشرف وأنبل الأعمال. ويشيد بجلساتهم السمرية حول الحظيرة وهو مجلس خارج المنزل يجلس فيه الرجال على شكل حلقة دائرية تدور فيها السوالف والحكايات والنوادر الفكاهية والقصائد الشعرية. ويعكس صورة مجتمع يلفه التآزر والتراحم بعاطفة الأخوة ويجمعهم احترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير [٢١]

شوابنا لول يكدون ... للبيت ويربون العيال
من الحطب ضوه يحرقون ... ملقاف ولاسمر ليبال
ولي اطرشو بدرب يمشون ... كله طريقهم وعر ورمال
اهناك في الساحل يبيعون ... مردودهم هين من المال
والمير من السوق يشرون ... وعليه حطو البن والهال
وزاقرو من عقب ما يوون ... وتقهويو ذربين لفعال
ان زرتهم بتخوز لحزون ... شوفهم ايزيح الهم ما لبال
في البادية دايم يشتون ... دار عليها لون وأشكال
وبيوت سنح فيه يبنون ... وتياورن زينات لجبال
والناس مرتاحه يغنون ... في الليل يوم العالم اذهال

* * *

البدوى حلوه حياته ... ليعاد عند عزبة اركاب
هيه سلوة الخاطر بهاته ... ومديح باله مالنشاب
أيبيع ويبلغ زكاته ... ويكرم الضيفان مطاب
أيحلب ويقمس مقاته ... والناس لول فيهم اصلاب
لكن ذاك الوقت فاته ... واليوم خسره ماله احساب
عليه شاجى في غلاته ... ما يحسب لو بيده اتعاب

٢١) الشاعر عتيق الحميري، لوحة مشرقة في الأغراض الاجتماعية، جريدة الاتحاد ٢٨ نوفمبر ١٩٩٢ ص ٢٦.

قدمت الدراسة إذا مجموعة من مأثوراتنا الأدبية المتمثلة في الشعر الشعبي استطعنا من خلالها ان نجمع تلك الاغراض الشعرية التي عبرت عن ذلك المجتمع البسيط بثقافته وقيمه ونظامه الاجتماعي.

الفنـون الشعبيـة :

أمـا عن الفنـون وخاصة فن الرقص فنذكر من أنواعها (العيالة) التي تعتبر من أشهر الرقصات وأقدمها، ويكاد لا يخلو أي عرس في مجتمع الامارات من مشاركة فرقة العيالة التي يتغني فيها أعضاؤها بحب الوطن، الفروسية، والشجاعة، والغزل، والوصف، وتقوم الـرقصـة على مجمـوعة من الرجال ربما يتعدى عددهم الكلي ٣٠ رجلا يقفون في صفين متقابلين، ويكون لهم (عجيد) أي قائد يلقى الشعر فيردده الرجال أعضاء الفرقة، ويقوم الآخرون وأغلبهم من الضيوف بتأدية رقصة العيالة وهم حاملو السيوف والبنادق تعبيرا عن الفرحة وتأصيلا لعادة حمل السلاح أثناء حضور مراسم الأعراس.

ومن أغاني العيالة المعروفة نذكر قصيدة يتغنى فيها الرجال بالشجاعة فيقولون (٢٢)

سـبحان يـاربـنا رمـي عـليـك إتـكالي
تـنـصرنـا وتـعـزنـا وتـعـزنـا الـقبـائـل
يـامـركـبـنـا حـتى الـعـدو هـابـنـا

فـتـرد المجـمـوعـة : يـانـديـبى شـدنـي فـوق حـرات الزبـون

مـن أصـل صـبـيـان شـقـراء حـايـره
نعـم بو سـلطان شـيخ على حكمه اشـتهر
يـعـتـز بأولاد عـمـه العـالمـيـن
الخـصـيـم الـلـي شـرد
مـالـقى عـنـهـم سـفـر
يلحـقـونـه بالبـنـادق والسـيوف الماضية

٢٢) حسـن قايـد بادية الامارات «تقاليد وعادات» الطبعة الأولى عام ١٩٩٠ ص ١٥٠.

نماذج من الأمثال الشعبية المعروفة في الخليج

١ - «انت أمير وأنا أمير - من يقود الحمير» .

المعنى : يضرب للانسان الذي يرى نفسه مسئولا عن كل شيء ولا ينجز الأشياء المطلوبة منه ، لأنه مسئول واذا كان الأمر كذلك فمن سيؤدي العمل إذن؟!!

٢ - «الصافع ينسى والمصفوع ما ينسى» .

يضرب حين يسيء المرء لانسان آخر قد تربطه به علاقة طيبة عندها المسيء ينسى إساءته لكن المساء إليه لايمكن ان ينسى .

٣ - « الدراهم مراهم » .

يعنى المثل : ان الدراهم عند المرء هي خير معين له وقت الشدة والحاجة .

٤ - «التاوه تعيّب على الجدر » .

معنى المثل : ان الانسان إذا نظر الى عيوبه وأدركها فليس بإمكانه ان يعيب على الآخرين ، فهو أولى بأن يعالج عيوبه الشخصية أولا .

٥ - «التمر بالخص والعيش بالقص » .

المعنى : ان الحياة تتطلب الحكمة والتأني وكل أمر مقدور عليه بعد ذلك ، وان لكل موقف يطرأ على الانسان طريقة معينة للتعامل معه بكل سلاسة وفن واتقان .

٦ - « البيت بيتك والمسجد أدفأ لك » .

هي عبارة ينطقها الانسان البخيل الذي يخاف الضيوف ويتأفف من دعوتهم الى منزله حينها يكون المسجد أدفأ لهم .

٧ - « إش عرف الحمار بأكل الكنار » .

يضرب للانسان الذي لا يعرف كيف يتعامل في المواقف الجميلة ، كالحمار الذي يأكل الأعشاب ، ولكنه لا يحبذ (النبق) رغم جمال طعمه .

٨ - « إشلك بالبحر وأهواله : ورزق الله على السيف » .

معنى المثل : يضرب للشخص الذي يبحث عن المتاعب للوصول الى هدف ما . . ويغفل الطرق السهلة المتاحة له .

٩ ـ « اذن من طين واذن من عجين » .

يضرب المثل : لمن يسد أذنه عن الحديث بالطين والعجين فيصبح مثل الاطرش لا يعي ما يدور حوله من أحداث .

١٠ ـ « إللي ما عنده حيلة يلعب التيلـه » .

يضرب المثل : للانسان العاطل عن العمل ، فالأفضل له ان يبحث عن عمل يسليه ويدر عليه ربحا مهما كان حجم هذا العمل .

١١ ـ « اللي تقصه الخوصة ما يبى سكين » .

هو مثل للدعوة الى تسهيل الأمور وعدم تعقيدها .

١٢ ـ « الصيـدة عيـزانه والكلـب عيـزان » .

يضرب المثل للشخص الذي تتاح له الفرص فلا يستغلها بالشكل الصحيح ، فلا هو يصل اليها ولا هي تصل إليه .

١٣ ـ « الصديج قبل الطريج او الصديق قبل الطريق » .

يضرب المثل لأهمية ان يكون للانسان صديق مخلص يرافقه ويخاف عليه ، فكما هو يسير الدرب فإن اختيار الصديق أهم قبل البدء في أمر ما ، لأن الصديق يظهر عند الشدائد والملمات .

١٤ ـ « الحـب يطـلع عـلى بـذره » .

معنى المثل : ان المولود يظهر على أبيه فإذا كان حسن الخلق تشرب منه الأخلاق الحسنة ، وإذا كان سيء الأخلاق كان الطفل مثل أبيه .

١٥ ـ « الطويـلة ما تنرقه والقصيرة فيها شـوك » .

يقال هذا المثل ، لمن يحتار بين أمرين فلا هو يستطيع الوصول اليه لبعده ، ولا هو يستطيع تناوله في يده بسبب عوائق تحول دون ذلك ، كالشجرة الطويلة لايطالها والشجرة القصيرة مليئة بالأشواك .

١٦ ـ « الحقـران يقطـع المصـران » .

يضرب المثل لمن أراد ان يتجاهل انسانا يحبه ويتعاطف معه ـ فإنه يعيش معه ، ولكنه لا يحادثه أو يتعامل معه بشكل واضح .

١٧ ـ « اللي ما يعرف الصقر يشويه » .

يضرب هذا المثل لمن لا يعرف قيمة الشيء حتى يخسره .

١٨ ـ « لو تزيد فوق الدين دين ـ ما تطلع من حق الوالدين ».

يضرب المثل في حب الوالدين وضرورة طاعتهما والاحسان اليهما.

١٩ ـ « يا أعور يامهندس يوم ما تشوف تلسس ».

يضرب المثل للانسان الذي يريد الشيء وهو أمامه فلا يراه.

٢٠ ـ « البعد بعد القلوب مو بعد الدروب ».

يضرب المثل لمن أراد ان يبحث عن اعذار لموقف ما فلا تقبل لأن البعد ليس بعد المناطق والمساحات وإنما هو جفاف القلوب وابتعادها عن بعضها.

الخاتمة

لا نجد أفكارا جديدة نختم بها هذه الدراسة سوى اننا نكرر ما تطرق إليه الدارسون من قبلنا في موضوع التراث الشعبي، وأشرنا إليه نحن كذلك في دراساتنا السابقة حول نفس الموضوع، وهو اننا جميعا قد طرحنا حواراتنا السابقة للاجابة على التساؤلات التي كانت ملحة سابقا، وهي ماذا يقدم لنا هذا الموروث؟ وماذا يريد الانسان العربي من موروثه الشعبي؟. وكيف يمكن ان تحسم هذه المواقف الدائرة حول الموروث؟ الموقف الرافض له، والموقف المؤيد؟ ثم التساؤل الأهم وهو هل يمكن ان يكون هذا الميراث الحضاري للانسان في المجتمع العربي مخزونا تنطلق منه كافة مشروعات التغيير فيه؟.

إننا في هذه المرحلة الجديدة، وفي هذه الندوة على وجه الخصوص نجد انفسنا قد حققنا جزءا من مهمة المرحلة السابقة وهي مهمة الجمع والتصنيف واعداد المادة المكتوبة والمسجلة لكافة أنواع الموروثات الشعبية. ومن الممكن ان تستمر هذه المهمة لتكتمل وتتحقق في كافة مجتمعاتنا العربية. ولكن الأهم الآن أن يطرح مشروع جديد هو الذي يستطيع ان يحقق النقلة النوعية في كيفية الاستفادة من هذا الموروث الشعبي. على ان يكون هذا المشروع تكامليا على مستوى الوطن العربي تتضامن فيه كافة الجهود العلمية بشكل موحد يحل لنا الاشكالية التي نعيشها اليوم في دراستنا حول الموروث، وهي اشكالية التجزئة والتباعد بين الباحثين على مستوى وطننا العربي. إننا بذلك نرد على كافة الأصوات المنادية بالاهتمام بالتراث، ونستشهد ببعض ما كتب في صحفنا المحلية من رأي حول نفس القضية.

«إن تراثنا الشعبي تراث غني زاخر بالصبر والتجارب، وفيه الأسس التكوينية لشخصياتنا. وهذا التراث يعيش صراعا مع التحول السريع نحو المدنية، تكاد أدواته تطغى على مضمونه، فتبقى محافظتنا على شكل التراث، وينحسر المضمون، مما بدا يشكل نوعا من انفصام الشخصية الاجتماعية» ويدفع بنا إلى دوامة من المشكلات الدخيلة على بيئتنا. ويخرج في النهاية بوضع التصور على ضرورة الربط بين شخصيتنا التراثية، وذلك من خلال تطوير أدوات موروثنا الشعبي، لتتناسب مع الحياة العصرية التي نعيشها.

ويقترح ان يكون ذلك بالاستفادة من تراثنا الشعبي في تربية اجيالنا، وجذبهم الى الارتباط بشخصيتهم التاريخية، وتسريع دورة عجلة الدراما الخليجية وتوظيف الموروث الشعبي فيها، واعادة الصور التاريخية المضيئة الى العقل الجمعي لاجيالنا الشابة من خلال هذه الدراما. (٢٣)

لقد حان الوقت إذاً للتفكير والعمل على ايجاد علاقات مباشرة بين اكبر قضيتين تشغلان انساننا العربي اليوم. وهي قضية التنمية، وقضية التراث (والتراث الشعبي على وجه الخصوص). وكيف يمكن ان يكون هذا التراث ميدانا خصبا تجد فيه مشروعات التنمية كافة متطلباتها، بالاضافة الى ما يمكن ان يعطيه هذا التراث من خصوصية وأصالة لبرامج التغيير في هذه المجتمعات. إذا طالما عانت مجتمعاتنا من حدة التحديث الغربي، الذي ساهم في اعادة انتاج التخلف بدلا من التخلص منه.

اننا اذا امام تحد يحتاج الى وقفة متأنية لنعيد النظر في تراث وحضارة هذه المجتمعات سواء كانت الحضارة المادية أو اللآمادية. فلربما كان موروثنا هذا يستطيع ان يبعث الحياة فينا من جديد، ويرسخ قيمه القديمة بدلا من القيم الجديدة التي تشكلت في هذه المجتمعات، وأصبحت احد أهم عوائق التغيير فيها. وربما نكون قد اجتزنا تلك اللحظات الحاسمة التي كنا نبحث فيها عن هويتنا القومية وجذورنا الحضارية، وتقاليدنا الوطنية.

واننا قد توصلنا الى معرفة ماضينا وحاضرنا، وما علينا سوى الانطلاق نحو التخطيط لمستقبلنا. وهنا نؤكد على أهمية ابراز الموروث في ظل اطار الشخصية القومية العربية الواحدة، ونتوقف عن الحديث عن المسميات الجديدة كالشخصية الخليجية، او الشخصية ربما الاماراتية والكويتية، إنها تشوهات فكرية لابد من الكشف عنها، ولابد من الوعي ان التفاعل الخلاق لايمكن ان يكون إلا في اطار الشخصية العربية الواحدة.

---

٢٣) حبيب الصايغ: عمود في الحقيقة «دراما» جريدة الخليج، الاثنين ـ جمادى الأولى ١٤١٣هـ.

ملحـــق رقـــم (١)

دليـل للمقابلة الخاصـة بحفـلة الـزار :

١ ـ اين يقام الزار؟ وفي أي الأوقات؟ وأي الشهور المستحسنة للزار؟
٢ ـ هل يمارس الـزار الرجال أم النسـاء؟
٣ ـ ومن هـم الاكثـر؟
٤ ـ كم القيمة التي تدفع للشيخ الذي يقوم بالزار؟
٥ ـ هل تختلف القيمة من ناس إلى آخرين؟
٦ ـ ما هي أنواع المأكولات المستخدمة؟
٧ ـ ما هي المواد المستخدمة؟
٨ ـ كم يوما يستمر الـزار؟
٩ ـ هل يشرب الدم في الزار؟
١٠ ـ ماذا تسمى المرأة المريضة والتي تخضع لعلاج الزار؟
١١ ـ ماذا يسمى المطوع نفسه؟
١٢ ـ ما هي الأدوات الموسيقية المستخدمة في الزار؟
١٣ ـ ما هي الأمراض التي تعالج بالزار؟
١٤ ـ ما هي أسماء الاسياد؟ وما أوامرهـم؟
١٥ ـ ما هي أغاني الزار؟ وما هي موسيقاه؟
١٦ ـ هل هناك مصاغ خاص بحفلات الزار؟
١٧ ـ الملابـس للـزار ؟
١٨ ـ أذكر بعض الحكايات حول الأرواح وما فعلته في البشر؟

المراجـع

(١) السيد حافظ الأسود ـ الصبر في التراث الشعبي المصري ، دراسة انثروبولوجية ـ الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ـ ١٩٩٠ .

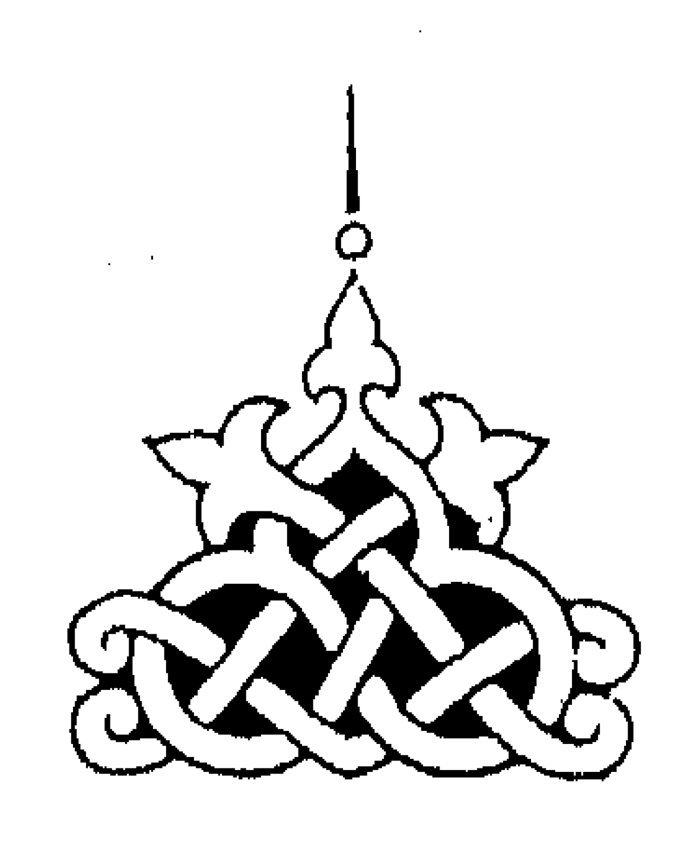
(٢) ثناء أنس الوجود ـ رمز الأفعى في التراث العربي ، مكتبة الشباب .

(٣) حسن حنفي ـ التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ الطبعة الرابعة ١٩٩٢م ـ بيروت/لبنان.
(٤) فرحان صالح ـ جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث، رؤية نقدية ـ دار الحداثة ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٣.
(٥) مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي ـ سلسلة ندوات التخطيط لدراسة التراث الشعبي لمنطقة الخليج والجزيرة العربية ـ الندوة الأولى ـ الطبعة الأولى ـ قطر ـ نوفمبر ١٩٨٤.
(٦) مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ندوة التخطيط لدراسة الثقافة المادية والفنون والحرف الشعبية، سلسلة ندوات التخطيط لدراسة التراث الشعبي لمنطقة الخليج والجزيرة العربية، الندوة رقم (٤). ٢ ـ ٦ فبراير ١٩٨٥. الطبعة الأولى ـ الدوحة ـ قطر.
(٧) محمد أركون ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ ندوة التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة)، الطبعة الأولى ـ بيروت ١٩٨٥.
(٨) علي عبدالله الخليفة ـ عناصر الأصالة في الثقافة القومية، مجلة التراث الشعبي ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ دائرة شؤون الثقافة والنشر ـ العدد ٥، ٦ السنة (١٥) بغداد ١٩٨٤.

الأبحاث المنشورة وغير المنشورة

(١) أحمد رشدي صالح ـ الفنون الشعبية ـ مجلة عالم الفكر ـ المجلد السادس ـ العدد الرابع ١٩٧٦.
(٢) أحمد رشدي صالح ـ الفولكلور والتنمية ـ مجلة عالم الفكر ـ المجلد السادس ـ العدد الرابع ١٩٧٦.
(٣) حسين فهيم ـ التراث الشعبي في أدب الرحلات ـ نظرة منهجية ـ مجلة المأثورات الشعبية ـ العدد ٥ ـ يناير ١٩٨٧.
(٤) صفوت كمال ـ مفاهيم بحث الفولكلور العربي بين الأصالة والمعاصرة ـ مجلة عالم الفكر ـ المجلد السادس ـ العدد الرابع ـ (يناير، فبراير، مارس ١٩٧٦).

(٥) عبداللطيف البرغوثي - «الفولكلور والتراث» عالم الفكر - المجلد السابع عشر - العدد الأول - ابريل، مايو، يونية ١٩٨٦ .
(٦) موزة عبيد غباش - «تأصيل تراثي لمرجعية حقوق المرأة وواجباتها في مجتمع الامارات» بحث قدم في ندوة الأبعاد الثقافية لحقوق الانسان في الوطن العربي - نوفمبر ١٩٩١ نظمه مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية بالقاهرة وتحت النشر.
(٧) موزة عبيد غباش - «جمع وتصنيف العادات والتقاليد لمرحلة الميلاد بمجتمع الامارات العربية المتحدة» اثنوجرافيا العادات والتقاليد لدورة الحياة، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي - قطر - ١٩٩٢ صفحة ١١٩٨ - العين - تحت النشر.
(٨) موزة عبيد غباش - «التنشئة الاجتماعية للطفل في مجتمع الامارات العربية المتحدة» تأصيل تراثي شعبي. بحث قدم في ندوة التنشئة الاجتماعية لدول الخليج العربية والتي نظمها قسم الاجتماع بجامعة الامارات - فبراير ١٩٩٢ - العين - تحت النشر.
(٩) موزة عبيد غباش - «جدوى التراث الشعبي في تنمية مجتمع الامارات» - مجلة الدراسات، العدد الثاني ١٩٩٠ .
(١٠) هاني العمد «التراث الشعبي واشكالية تصنيفه» ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي - الندوة الأولى - الطبعة الأولى - قطر ١٩٨٤س.
(١١) نبيلة ابراهيم - القصص الشعبي جمعه وتصنيفه، ندوة التخطيط لجمع وتصنيف دراسة الأدب الشعبي، سلسلة ندوات التخطيط لدراسة التراث الشعبي لمنطقة الخليج والجزيرة العربية - مركز التراث الشعبي - قطر ١٩٨٤ .



وسـائل الاعـلام
ومدى الاستفادة من المأثورات الشعبية في البرامج المحلية

بقلم : سعادة الشيخ/ عبدالله بن صخر العامري
المستشار بوزارة التراث القومي والثقافة

يعد علم المواريث الشعبية نجما متألقا على مسرح الحركة العلمية المعاصرة. . في كافة بلاد العالم على اختلاف نظمها ومستويات تقدمها.

ولقد برز هذا النجم وتألق في سماء الضرورات المعاصرة استجابة لحاجة علمية لها وجودها الملموس على مسار التقدم الاجتماعي والاقتصادي.

وعلم الموروثات الشعبية «الفولكلور» يختص بعلوم الثقافة المرتبطة بالزوايا التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية والروحية.

لذا فهو حجر الزاوية في قطاع الثقافة التقليدية أو الشعبية.

وعلم الموروثات الشعبية ودراسته والخوض في أعماق مناجمة التراثية، يؤدي الى ثمرات علمية تفيد المشتغلين برسم السياسة الاجتماعية والثقافية. ثم انه ايضا يقدم خدمة تطبيقية عملية. . ومنذ قرن ونصف تقريبا اصبح علم الموروثات الشعبية علما قائما بذاته له أهميته النظرية التي تتمثل في الآتي :

- ان هذا العلم يسهم في دراسة تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية. . حيث يؤدي الى القاء الضوء على المراحل التاريخية السابقة من حياة المجتمع الثقافية.

تلك المراحل التي لا غنى عنها لفهم الثقافة الحالية والبناء الاجتماعي القائم تراثا وحضارة.

ـ كما انه يقدم خدمة مباشرة في مجال التغيير الثقافي، والتخطيط له.
وذلك بتحليل عوامل التغيير وسرعتها واتجاهاتها ونتائجها.. بما يساهم في رسم السياسات والمخططات الثقافية بمستوياتها الشعبية المختلفة.
ـ وعلم الموروثات الشعبية ودراساته تحلل علاقات التفاعل والتأثير المتبادل بين الثقافات المختلفة.. سواء كانت ثقافات متقدمة او متخلفة.. وبها يحقق نوعا من التثقيف نتيجة التقاء ثقافتين.. وهي العملية المعروفة في الانثروبولوجيا الثقافية باسم «التثقيف» Accultunation

وقد يؤدي التثقيف الى تأثير متبادل بين الثقافتين.. أو الى تأثير طاغ لا حدى الثقافتين على الاخرى.. ومن هنا فان دراسة علم الموروثات الشعبية يستهدف اكتشاف ديناميكيات تنير الثقافة في مواضع اتصال الثقافات. وهي مهمة خطيرة الشأن عميقة الدلالة بالنسبة لكل مجتمع.
ـ اضف الى ما تقدم دور هذا العلم في تحديد محتوى أي شخصية.. وملاحظة مدلول التنظيم السطحي للشخصية.. كما انه يحدد ايضا مدى التأثيرات الثقافية على السيكلوجية أو مدى قدرة التأثيرات الثقافية على النفاذ الى الالباب الشخصية وتعديلها. ويتفق العلماء في تعريف الموروث الشعبي على انه التراث الروحي للشعب.

إلا ان مفهومنا هنا عن معنى الموروثات الشعبية يعني كل ما يتعلق بالموروثات التي تشكل معتقداتنا الشعبية، وعاداتنا وتقاليدنا واعرافنا الراسخة. ثم وقيمتنا الاصيلة.. واخلاقنا المتوارثة جيلا بعد جيل.. وسلوكياتنا ومواريثنا من المهن.. والحرف المتميزة والمميزة. وثقافتنا الاجتماعية وسماتنا الأصيلة والعريقة.. في رموز الفنون والاداب الشعبية.. ومظلتنا الآمنة في علاقات اجتماعية عادلة ومتكافئة في اطار من التراحم والتآخي والتكافل هذا هو مفهومي الوطني عن الموروثات الشعبية في سلطنة عمان.

لانه هو بذاته الميراث المتميز الذي يشكل معزوفة البناء الاجتماعي الذي قل ان تجد له مثيلا في عالمنا المعاصر.. وهذه هي نظرتي وأنا اتناول هذا الموضوع.

ثانياً ـ أركان الموروثات الشعبية :

ان دراسة الموروثات الشعبية يجب ان تتضمن طبقا لرأي علماء وأساتذة علم الموروثات الشعبية الأركان الآتية..

الركن الأول : المعتقدات والمعارف الشعبية

الركن الثاني : العادات والتقاليد الثقافية

الركن الثالث: الأدب الشعبي وفنون المحاكاة
الركن الرابع: الفنون الشعبية والثقافة المادية
وبتفصيل اكثر فإننا نجد اركان الموروثات الشعبية مفصلة كالآتي:
١ ـ المعتقدات الشعبية
٢ ـ العادات والتقاليد
٣ ـ التراث القصصي والشعبي
٤ ـ الحكاية الخرافية
٥ ـ الحكايات الفكاهية القصيرة
٦ ـ الأغنيـة الشـعبيـة
٧ ـ اللغـز ٨ ـ المثـل.
٩ ـ الثقافة المادية . . وتضم العناصر الآتيـة :
ـ البيت واجزاءه وزينته ـ الأثاث والأدوات المنزلية
ـ الأوانـي ـ الأدوات ـ الآلات الموسيقيـة
ـ أدوات العمل الزراعي وتربية الماشية ـ الاشغال اليدوية النسائية
ـ الأزيـاء ـ أدوات الاحتفال بالأعيـاد ـ الفنـون الشـعبيـة.
ويلزمنا في هذا المجال تناول كل تقسيم على حدة وبايجاز.
وما دمنا نتفق مع هذا التقسيم من حيث الأبواب . . إلا انه يجب ان تختلف في التعبير عن المضمون بما يعبر عن مجتمعنا . .

المعتقـدات الشـعبيـة :

هي كل عادة شعبية أو اجتماعية . . وهي تجسيد لمعتقد يكمن وراءها.
وهذه المعتقدات تحتاج الى تطوير كي تستطيع ان تواكب التطور التكنولوجي المادي الذي بلغته المعدات الموجودة في يد الانسان فالتقدم ليس الآلة المتقدمة فحسب، ولكنه كذلك الانسان المتقدم في فكره خلف هذه الآلة.
ان اللغة الشعبية تنطق وتكتب . . وتتطلب وجود شريك ليتم معه الحديث. ومجتمع يتفق على رموز هذه اللغة.
وايضا الزي الشعبي او الحلي وأدوات الزينة كلها تستمد قيمتها من اظهارها للناس واعلانها.
والعادات الشعبية لابد وان تمارس فتظهر بالضرورة على الملأ . .

اما المعتقدات الشعبية فهي على خلاف هذه العناصر الشعبية. . فهي اصعبها كلها في التناول. . لانها خبيئة الصدور وهي تلقن في الآخرين. . ولكنها تختمر في صدور اصحابها وتشكل بصورة قد تكون مبالغا فيها. . أو مخففة. . ويلعب فيها الخيال القروي دوره ليعطيها طابعا خاصا.

وعن العادات والتقاليد الشعبية:

والعادة هي ظاهرة اساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية والانسانية. .

وهي حقيقة اصيلة من حقائق الوجود الاجتماعي. .

والعادات لها وظائفها فهي التي تعطي للحياة الاجتماعية رونقها وبهاءها وتضفي عليها شرعيتها ومعناها.

فالوجود الانساني يفصح عن نفسه في العادات. . والعادات هي التي تضع في يد الانسان السلاح الذي يواجه به اسرار الوجود. . ومشكلات الحياة. وهي الاداة التي يدعم بها علاقاته مع مجتمعه.

والعادات الشعبية مهما كانت بدائيتها وبساطتها. . فإنها تحمل بصمات شعب معين. . وتعبر عن شخصيته.

الأدب الشعبي:

والأدب الشعبي يضم المثل واللغز والنداء والنوادر والحكاية والسيرة. . والتمثيلية التقليدية. . والاغنية والموال وكل ما يتعلق بالابداع الشعبي من النكت والفوازير. . والأسطورة. . والاهازيج

الثقافة المادية والفنون الشعبية

أ ـ الثقافة المادية:

وهي تمثل جوانب السلوك والابداع الشعبي المنظورة. . وهي التي قامت قبل الصناعات الميكانيكية. . واستمرت موجودة معها جنبا الى جنب.

وهي التي تمثل الصدى لتقنيات ومهارات وصفات انتقلت عبر الاجيال وخضعت لنفس قوى التقاليد.

فهي تمثل كيف يبني الرجال والنساء في المجتمعات التقليدية بيوتهم؟ ويصنعون ملابسهم، ويعدون طعامهم. . ويفلحون أرضهم. . ويصيدون الأسماك. . ويحفظون ما تجود به الأرض ويشكلون أدواتهم ومعداتهم، ويصممون اثاثهم وأدواتهم المنزلية وكيف تكون الصناعات اليدوية؟

ب ـ الفنـون الشـعبيـة :

ان هذه الفنون هي محصلة العلاقة بين المبدع الفرد سواء كان فنانا متجولا او مقيما. او كان صانعا أو حرفيا، وبين التعبير الشعبي او الذوق الشعبي السائد.. الى حد يلتزم فيه هذا الفنان بالذوق الاجتماعي، مع ترك الفنان لخياله وقدراته الابداعية.

والفنـون الشعبية هي المرآة الحقيقية لفهم التراث التاريخي والشعبي واستقراء التراث الثقافي. فهي التي تعبر عن روح الجماعة وعن ذوق الشعب وقيمه الجمالية.

وفيما يكون الفنان معبرا عن قيم الجماعة واكثر انصهارا في بوتقة التراث.

وفيما يلي تصنيفا متفقا عليه للموضوعات الرئيسية التي تدخل في قسم الفنون الشعبية والثقافة المادية.

أ ـ الموسقى الشعبية وتشمل:

الموسيقى المصاحبة لأغاني الميلاد والأفراح، العمل، الغزل الموسيقي المصاحبة للرقص الموسيقى المصاحبة للابتهالات والمدائح والموسيقى البحتة.

ب ـ الآلات الموسيقيـة

الآت النفخ ـ الايقـاع ـ الوتـريـات.

ج ـ الرقـص الشـعبـي والألعـاب الشـعبيـة

ـ رقـص مناسبـات ـ رقـص مرتبط بالاحتفالات ـ رقـص طبقـات.

الألعـاب الشـعبيـة :

غنائية، منافسة، أطفال، نساء، تسلية.

فنـون التشكيل الشـعبـي

ـ اشغال يدوية على الخامات ـ أزيـاء ـ أدوات الزينـة.

ـ الأثـاث والأواني ـ العمـارة الشـعبيـة ـ الدمى والتعاويذ ـ الوشـم.

عناصـر الثقـافـة المـاديـة :

وهي التي تمثل أدوات العمل الزراعي المتوارثة.

وأدوات ومعدات المنازل والحرف والصناعات الشعبية. هذه هي تقسيمات موضوعات التراث الشعبـي..

ومع استعراض اركان الموروثات الشعبية وتفصيلاتها فإننا نجد ان بلادنا تنعم وتزخر بتراث فني عريق.. وهي من اعرق البلاد في فنونها الشعبية امتدادا في عصر سهيل بن سام بن نوح.. حتى يومنا هذا..

ان المحافظة على هذا التراث لهو أمر يحتاج الى تكاتف الجهود جميعا. . خاصة جهود الاعلام ووسائله. . من خلال عرض اللمحات الجمالية والذوقية في تراثنا في مختلف الولايات وعلى اتساع خريطة السلطنة.

وتأكيد ان هذا التراث هو ترابط روح الاجداد. . وتواجدها في ضمير أبناء العصر.

وان الارتباط بالماضي ميراث يحفظ في ضمير المواطنين. . ويمثل الجذور العميقة التي تزهر شجرة التقدم والمعاصرة.

ثم ان الحفاظ على الموروثات الشعبية شيء مهم لانه حفاظ على الروح الثقافية والابداعية للجميع. . ولا يجب إن يحول المد الحضاري وانتشار التعليم دون الحفاظ على هذه الموروثات الشعبية.

ولا يجب ان يكون النداء بالتطوير مؤديا الى تذويب الاصالة في بوتقة المعاصرة، انه يجب ان نؤكد على ثقة الناس في هذه الفنون وأهميتها، ويجب ان نحافظ على القيم الجمالية الموجودة بالفنون الشعبية.

ثالثاً ـ دور وسائل الاعلام في نشر الثقافة الشعبية:

ومن المعروف ان وسائل الاتصال الجماهيري كالسينما والصحف والاذاعة المسموعة والمرئية. . تلعب دورا هاما في نشر الثقافة الحديثة ونشر وسائل وأساليب الحياة المعاصرة.

وقد تأكد للباحثين ان وسائل الاعلام لايمكنها تأدية هذه المهنة اذا عزلت نفسها عن الأساليب الشعبية والموروثات والمعطيات التراثية.

ووسائل الاعلام الناجحة هي التي تستطيع ان تبحث عن معطياتها الاعلامية التي يسهل بها النفاذ الى وجدان وادراك المواطنين.

ولن تنفذ هذه المعطيات إلا اذا استعانت بعناصرها وموروثاتها الشعبية التي تعد غذاء للقلوب. . ومنتدى خصبا للملكات والكوامن والوجدانيات.

وعلى هذا فان التنمية يلزمها تحقيق المشاركة والتفاعل الاجتماعي. وهذا يتطلب الاعتماد على وسائل الموروثات الشعبية جنبا الى جنب مع الوسائل الميكانيكية والتكنولوجية. وذلك لان استخدام وسائل الاتصال التقليدية والشعبية، يوفر زادا من الافكار الموروثة التي تعد ميراثا للجماعة الشعبية جميعها وهي ملك كل واحد منها، وملك كل شريحة اجتماعية وكل بيئة من البيئات المختلفة.

والاعلام الهادف الى تحقيق تنمية او المساهمة في التنمية. . هو الاعلام الذي يجب ان يقدم للمواطنين الوعاء الثقافي الذي يواكب متطلبات التحضر. واستخدام الموروثات

الشعبية وروافدها الوطنية كدعامة رئيسية لتقديم العناصر الثقافية الحديثة. لأن ذلك يحقق التزاوج بين التراث والاصالة والمعاصرة. . ولأن ما يقدم لايخرج عن اطار الثقافة الأصلية. . ولا يخلق تناقضا مع تراثهم الموروث. . وانما ينفذ اليهم من خلاله. . ويساعد على تقبل كل جديد ومرغوب ولابد من الاشارة الى ان القصد من استخدام عناصر الموروثات الشعبية ليس يعني بث التراث مرة ومرات من خلال وسائل الاعلام، وانما المقصود استلهام الاسلوب الشعبي في الاتصال. وهو الأسلوب الذي يقوم على المشاركة المباشرة بين المرسل والمتلقي.

وبما يجعل الاعلام والمواطنين في اطار من المشاركة الاجتماعية ثم انه يجب ان يكون مفهوما للممارس الاعلامي ان الموروثات الشعبية ليست لفظا او مضمونا يهدف الترفية أو التعبير التراثي أو مهرجانا تتبارى فيه الرمزيات ولكنه اطار تتكامل فيه السمات والمضامين والقيم والمعاني والهياكل التراثية لتكون ذات قيمة ومعنى. . ترتكز عليها انطلاقة الحاضر. . وايضا لتكون ميراثا للمستقبل.

لذا فإن الاعلام وهو الموزع الشرعي المعاصر للثقافة الشعبية والاجتماعية عليه ان ينتقي اللفظ والايحاء والمعنى والمضمون والمحتوي الذي يعبر من كلمته المسموعة او صورته المرئية او كلمته المقروءة لانها تدخل كل بيت وكل حجرة وفي كل لحظة الى كينونة الانسان.

فإن اردنا الحفاظ على الذاتية الاجتماعية المتميزة. . او اردنا اضافة سمات مرغوبة في اطار التنمية فعلينا ان يكون زادنا الاعلامي متميزا من خلال تراث متميز مدعوم بمعطيات اعلامية راقية هادفة.

ان الاعلام وأجهزته ووسائله وخططه يجب ان تكرس الجهود ليكون العطاء الترفيهي والاخباري والثقافي والديني وبرامج الفئات متميزا. . وان يستثمر قدرته على النفاذ والتأثير على ملكات ووجدانيات المواطنين لمواجهة المشكلات الانسانية التي تتطلبها خطط التنمية في كافة المجالات وان يكون العطاء ذا مغزى بما يحقق حدوث التغيرات في السلوك والاتجاهات والنظم والعلاقات الاجتماعية. . بما يتواءم ومتطلبات التنمية.

وأضيف بان على الاعلامي ان يدرك انه من الضروري ان ينظر الى الموروثات الشعبية على انها قالب فكري ووجداني ينهل منه المناخ الثقافي الشعبي، ويجب ان ينظر الى ان أي تزاوج بين الموروثات الشعبية وعلوم العصر التنموية يجب ان يكون في اطار من تكامل جوهره الذي يرتكز على ان الانسان أقوى من الآلة وانه هو هدف الاعلام والتنمية معا. . وغرس بيئته الثقافية والاجتماعية والتاريخية.

ويجب ان ينظر الى ان التقدم العلمي الهائل الذي يشهده عالمنا والتوسع الكبير في الاستخدامات التكنولوجية ليسا عقبة معادية تقف امام فنون التراث الشعبي ولكنه بذكاء الممارسين لمهنة الاعلام يجب ان يوظف هذا التقدم العلمي وتلك الاستخدامات التكنولوجية لخدمة انماط التنمية تزاوجا مع رمزيات الموروثات الشعبية ومعطياتها الوجدانية والادراكية .

ثم إنه من الضروري ان تعدل طريقة وسائل الاعلام في تناول مواد الموروثات الشعبية والتراث الشعبي بشكل عام بحيث يراعى لاقصى حد المحافظة على الاصالة من ناحية والملاءمة بينها وبين هذه الوسائل من ناحية اخرى. فاذا كان لوسائل الاتصال تقنياتها الحديثة . . فان لوسائل الاتصال الشعبي تقنياتها العابرة على مر الأجيال. ولهذا يجب ان تتزاوج تكنولوجيا الاعلام ومواده المبهرة والبراقة مع معطيات العلم والفكر والبحوث والدراسات فيجب الاعتداد بأحدث النتائج التي توصل اليها علم الموروثات المعاصر.

ولابد من الاستفادة من جهود الأفراد والهيئات العربية والدولية وما توصلت اليه من جهود ونتائج .

ولابد ان ينظر للتراث في ضوء سياقه وأهميته الاجتماعية والثقافية بحيث تتبلور القيم الوطنية والعربية عن التراث وترتكز هذه القيم على نظرة علمية ثقافية واجتماعية تجاه التراث الشعبي وفهم معناها وأهمية مناجم هذا التراث للحفاظ على الذاتية .

ان الاستخدام الأمثل للموروثات الشعبية في وسائل الاعلام ممثلا في عناصر التراث الشعبي يشوبه الكثير من اوجه القصور فالمادة الشعبية في هذا المجال تخضع للآتي :

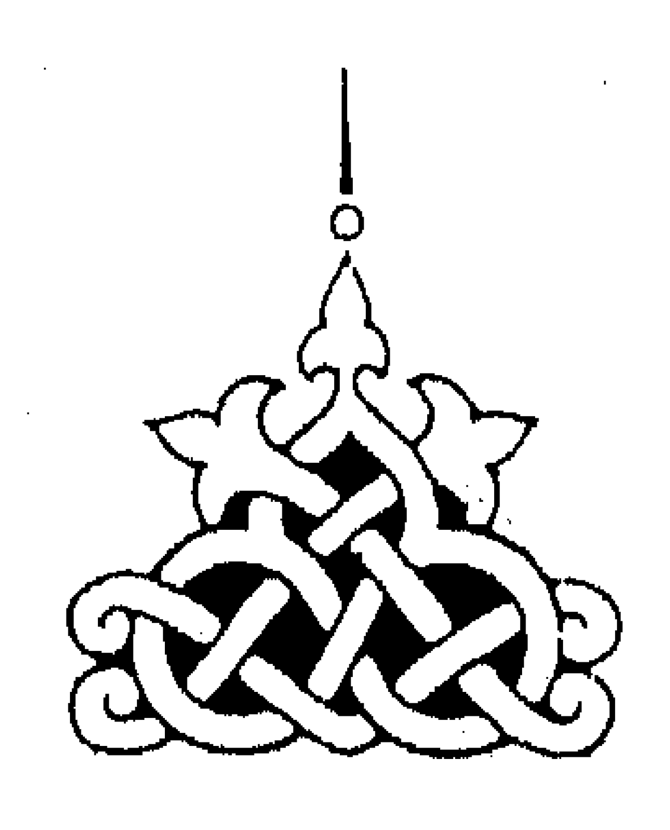
١ ـ تخضع لتخطيط براجمي مسبق نابع من الخبرات الثقافية والتقنية الحديثة الأمر الذي يجعل طرح العناصر من الموروثات الشعبية من خلال اجهزة وسائل الاعلام يسير من مستوى الخبرة الاحدث الى مستوى الخبرة الاقدم . . وهذا يعوق تطويع الموروثات الشعبية الى متطلبات التخطيط البراجمي .

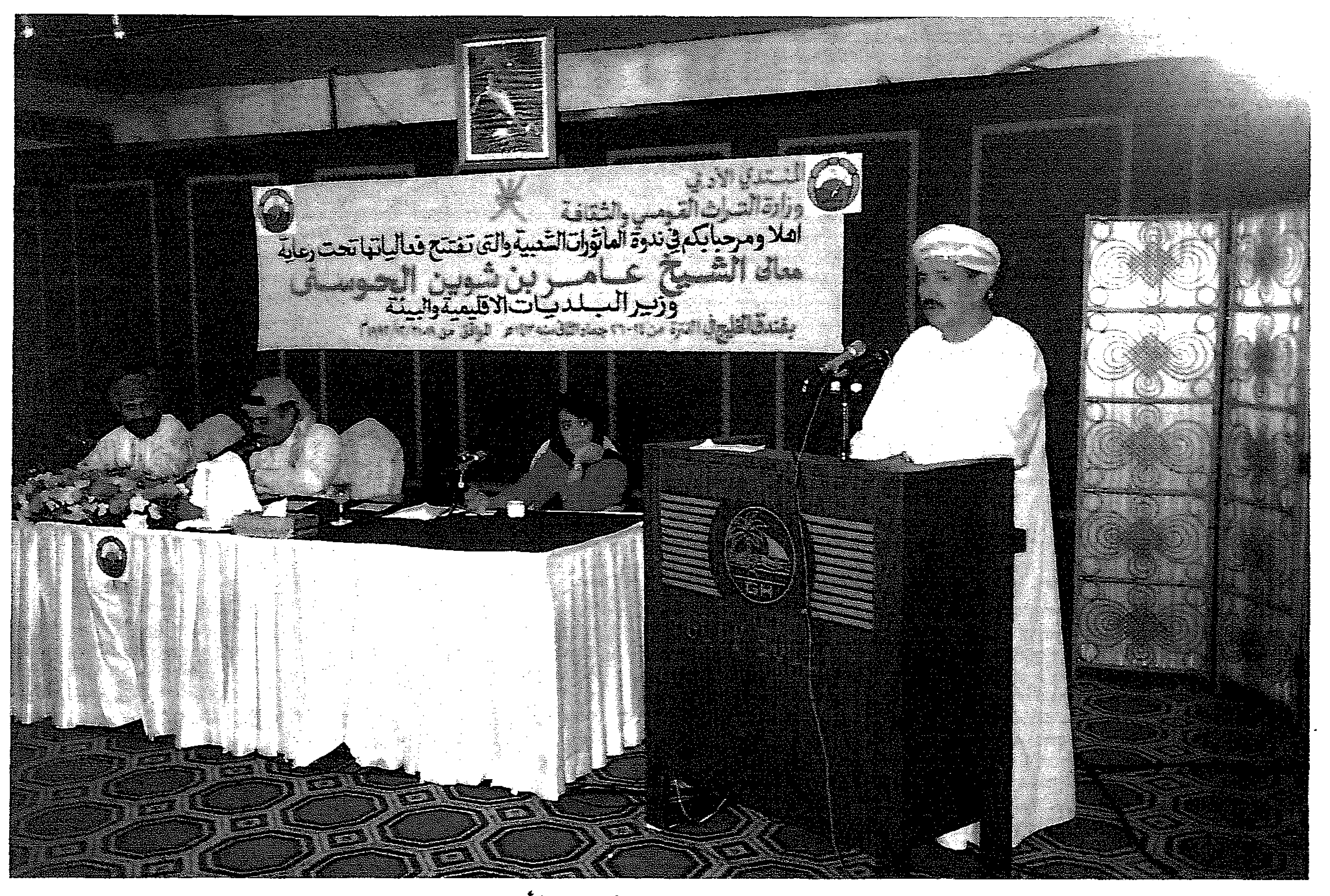
٢ ـ ان استخدام التراث الشعبي في وسائل الاعلام تحكمه طبيعة الفن الاذاعي وطبيعة البرامج مسموعة أو مرئية ؛ واطارها التقني . . وايضا طبيعة العقلية التي تستخدم هذه الوسائل .

٣ ـ إن تقديم عناصر التراث الشعبي يتم في فترات اعلامية تختلف زمانا ومكانا وكيفية عن اطار استخدامها عند الجماعة الشعبية .

٤ ـ ثم انه عندما تستخدم وسائل الاتصال فناناً شعبياً فانه يؤدي فنه في غيبة الجمهور. . وفي ظروف مثقلة بالابهـار التكنـولوجي . . التي تشكل اطارا لاغتراب الموروث الشعبي وأدواته البسيطة عن هذا الحدث.

وفي ضوء كل هذا فان التراث الشعبي ينتزع انتزاعا من بيئته وفي مناسبة ادائه ـ ويباعد بين الفنان الذي يؤديه وبين جمهوره ويوظف في اغراض ليست هي اغراضه في الحياة الشعبية.





جانب من فعـاليات المنتدى الأدبي

دور وسـائل الاعـلام في تعميق (*)
مفاهيـم المأثـورات الشـعبيـة

بقلم : د. / أحمـد مرسـي

لايسعني قبل ان أشرف بالحديث الى حضراتكم إلا أن أعبر لكم عن شكري الجزيل، وتقديري العميق، لهذه الدعوة الكريمة التي أتاحت لي ان أزور هذا البلد الجميل الطيب العـريق للمرة الأولى، وان أتشرف ـ في الوقت ذاته ـ بلقاء مجموعة من الأصدقاء الذين يجمعنا معا همّ واحد، وهدف مشترك، كي نتحاور، ونتعلم.

ولعـلي لا أبـالـغ إذا قلت ان ثقة الداعين لهذا اللقاء في شخصي، عندما اسندوا اليّ الحديث في موضوع اليوم، قد اوقعتني في حرج شديد، ذلك انه من السهل عليّ ان أتحدث عن المـأثـورات الشعبية او الفـولكلور أو الـتراث الشعبي، أيا ما كان المصـطلح الذي تفضلونه، تعريفا، وجمعا، وتصنيفا، ودراسة. أما أن أتحدث عن دور وسائل الأعلام في تعميق مفاهيم المأثورات الشعبية او الفولكلور، فهذا أمر لا أزعم انني قادر عليه لأسباب كثيرة، لعل منها حساسية دور وسائل الاعلام في مجتمعنا المعاصر من ناحية، والفلسفات التي تحكم السياسات الاعلامية وفقا لرؤى كل مجتمع من ناحية اخرى.

على أية حال، سأحـاول قدر استـطاعتي ان اكـون عنـد حسن ظن الـداعـين، وثقة حضراتكم، غير أني، في الوقت ذاته اعتذر عن أي قصور أو نقص في تناول الموضوع.

إنـه مما لاشك فيه اننا نعيش الآن عصرا يمكن لنا ان نسميه عصر الشعوب، حيث لايمكن لثقافة ان تزدهر فيه مالم تكن معبرة عن كل فئات المجتمع، مما يشكل الكيان الثقافي لأية أمة من الأمم.

وهو بالاضافة الى ذلك عصر تنهار فيه الحواجز بين المجتمعات، عصر يشهد ثورة هائلة في سبل الاتصال، كماً، وكيفاً، مما جعل البعض يشبهون سكان هذا الكوكب الشاسع،

(*) ورقة مقدمة لنـدوة المأثورات الشعبية [المنتدى الأدبي] مسقط من ١٩ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٢.

المترامي الأطراف، بأنهم أصبحوا أشبه بأهل قرية صغيرة، تنتقل فيها المعارف والمعلومات والأخبار في سهولة ويسر، مما يسمح لتلك المعارف والأخبار ان تزداد قدرتها على التأثير ومن ثم قُدرتها على صياغة اشكال السلوك، وأنماط التفكير، وزوايا الرؤية. وربما كانت احدى المشكلات التي تواجه عالمنا اليوم هي استحداث التوازن بين حاجات الانسان المعنوية والمادية والسعي الى التقدم، وبين تراثه الانساني.

والذي لاشك فيه ان الانسان ليس وجودا ماديا فحسب، بل هو تاريخ متصل ووجود يتجاوز اللحظة التي يعيشها على صعيد الفكر أو على صعيد المشاعر والأحاسيس، أو على صعيد الحاجات المادية التي يسعى الى تحقيقها. ومن هنا يصبح من قبيل المستحيل على الانسان ان يعيش حاضرا لا يعرف له ماضيا، او يستشرف له مستقبلا؛ ذلك انه يصبح في هذه الحالة، وكأنه جذع بلا جذر، ومن ثم لا يرجى منه ثمرة. فإذا انتقلنا الى ما نتحدث عنه أو فيه، فإننا لابد من ان نؤكد ان الجذر الذي نبتت منه كل العلوم والمعارف، هو ما نصطلح اليوم على تسميته بالمأثورات الشعبية، وانها هي التي تشكل المحور الرئيسي الذي تقوم عليه ثقافة المجتمع.

ولعلي أستأذنكم في أنني لن أتحدث هنا عن تعريف المأثورات الشعبية أو خصائصها أو مدارسها.. الخ. فهذه أمور أعرف عن يقين ان الموجودين هنا جميعا يعرفونه على نحو افضل مني، بشكل أو بآخر. لكنني أريد أن أؤكد هنا على مجموعة من النقاط أعتقد انها وثيقة الصلة بموضوع لقاء اليوم.

أولاً :

إن المأثورات الشعبية ليست تراثا أبدعه البسطاء أو الآميون أو المتخلفون علميا أو ثقافيا، كما انها ليست فقط أحد مظاهر الثقافة التي تنسب الى أهالي الريف، أو أهل البداوة، وإنما هي في حقيقة الأمر تراث الشعب كله، ومن ثم ينبغي ان ينظر إليها على أنها كذلك، وان يتم التعامل معها وفقا لهذه الحقيقة.

ثانياً :

إن المأثورات الشعبية، قاسم مشترك بين جميع أفراد المجتمع وهي وثيقة الصلة جدا، بشخصية الفرد والجماعة على حد سواء، لايمكن فصلها عنها، أو انكارها فيها.

ثالثاً :

إن المأثورات الشعبية حلقة أساسية، شديدة الأهمية، فائقة الحيوية، بين الحقات التي تكون الاطار الحضاري للمجتمع، بما تحمله بين جنباتها من ملامحه الفكرية والنفسية، التي تحدد السلوك، وتصوغ العلاقات.

رابعاً :

انها محور الحياة الشعبية، وحصيلة ثقافة المجتمع على اختلاف فئاته، في مرحلة تاريخية معينة، أو مراحل تاريخية متعددة، وفي بيئة بعينها وهي تتضمن وسائل طبيعية تقوم على تهيئتها لاكتساب المعرفة والخبرة، وتتيح السبل المشروعة للأبداع المستمر، وتساعد على استحداث التغيير الذي لا تنبت صلته بالماضي، ولا يشذ عن الحاضر، ولايصطدم معه.

خامساً :

انها بفنونها المتعددة، وأشكالها المتنوعة اكثر تعبيرا عن الخصائص المحلية المميزة لأصحابها، وهي في الوقت ذاته نقطة التقاء هامة، تصل بين الجماعات المتعددة، والشعوب المختلفة؛ ذلك ان موضوعاتها عالمية انسانية في جوهرها، لكن التفاصيل والأساليب هي التي تحمل طابع المحلية.

سادساً :

انها لايمكن ان تكون عائقا في وجه التقدم، او معينة على التخلف؛ ذلك انها ترتبط اساسا بتحقيق أهداف حيوية يحتاجها الانسان الفرد، كما تحتاجها الجماعة الانسانية، سواء في الماضي او في الحاضر، أو في المستقبل، مما يجعلها بما تتسم به من مرونة، وما يكمن فيها من عناصر انسانية أصيلة، قادرة على البقاء والتطور، محققة لوظائفها من معنى «نقل المعلومات»، فإن دور أجهزة الاعلام يجب ألا يقتصر على مجرد إفادة المشاهد أو المستمع او القارىء بالمعلومات، ناهيك بالاقتصار على حدود المعلومات السياسية والاقتصادية والثقافية ذات الطابع الاخباري المباشر، أو الطابع الترفيهي المستتر او الواضح.

إن دور الاعلام، على اختلاف وسائله، يجب ان يكون في جوهره مؤديا الى تحويل ما هو «معرفي» بالمعنى التخصصي الدقيق - في كل المجالات - الى «ثقافة عامة» أو «شائعة». وبعبارة اخرى يجب ان تكون مهمة الاعلام إشاعة المعرفة الحقيقية بنقلها من مستوى وعي الخاصة الى مستوى وعي الناس العاديين، تحقيقا للغاية التثقيفية التنويرية، ومساهمة في تحقيق التقدم المنشود للأمة.

بهذا الفهم لدور الاعلام تصبح كل ألوان المعرفة، من علمية وفكرية وفلسفية وأدبية وفنية، حديثة أو قديمة، موضوعا للنقل من مجال الخاصة والمتخصصين إلى مجال الجماهير الأوسع، أو القاعدة العريضة من الناس العاديين. وهذا وحده - في حقيقة الأمر - هو الضمان لاستمرار الحضارة والتقدم في كل المجالات، خلافا لما حدث في تاريخ الحضارة القديمة، حيث استأثرت المعابد بالحفاظ على كنوز المعرفة التي حرم منها الناس العاديون،

الأمر الذي أدى الى ضياع كثير من تلك المعارف، وتبددها بفعل عوامل النسيان، مع تبدل الديانات وتغير الكهان المشرفين على أمر تلك المعابد.

لقد انتقلت البشرية من العصور الوسطى الى العصور الحديثة بفضل انشاء المطابع، وما صاحب ذلك من شيوع الكتاب والصحيفة، ثم تطور أدوات الاتصال الى اختراع الراديو والسينما والتليفزيون، فضلا عن المتاحف والمكتبات. وبعبارة اخرى يمكن القول، ان البشرية مع تطور وسائل الاتصال والاعلام تضمن عدم عودتها الى عصور ما قبل الحضارة.

لكن الحديث عن دور الاعلام في نشر الموروث الشعبي وعرضه جماهيريا يبدو انه حديث عن مسلك آخر في اتجاه مغاير للمسلك الذي وصفناه لدور الاعلام في بث المعرفة ونشرها وتعميقها. فالموروث الشعبي من أهم صفاته «الانتشار» و«الشيوع»، وهو أمر يوهم بأنه ليس بحاجة الى الاعلام لنشره جماهيريا، واشاعته بين الناس، وهذا وهم غير صحيح لأن المأثورات الشعبية كانت تمثل، ومازالت، دور الاعلام من حيث وظيفته، بوصفه من أهم عناصر الحفاظ على تجانس الوعي القومي، والمحافظة على الذات الوطنية، خاصة في مجال «القيم» و«المفاهيم» المرتبطة بالأعراف والتقاليد.

ومع تطور أجهزة الاتصال والاعلام أصبحت الحاجة ماسة، اكثر من ذي قبل لتأكيد ذلك «التجانس» والحرص عليه، خاصة بعد ان حلت وسائل الاعلام المعاصرة، محل «الراوي» و«الشاعر الشعبي» و«المغني الشعبي»، وبعد ان حلت آلية التجمع حول الراديو، والتليفزيون وغيرهما محل التجمعات الشعبية في المناسبات المختلفة.

وعلى عكس عمليات «التفاعل الطبيعي» بين «الجمهور» و«المؤدي» في سياق التجمعات الشعبية، أصبح التفاعل بين الجمهور وبين الجهاز الاعلامي تفاعلا غير مباشر: بمعنى انه تفاعل يمر عبر وسائط أو توسطات «المؤلف» و«الاعداد» ووسائل الابهار التي قد يستخدمها هذا الجهاز أو ذاك، وتوسطات «الناقد» و«المعلق» و«المحلل» من جهة الجمهور. ولعلي أعتقد ان كل ذلك يجعل من عملية تعامل الاعلام مع المأثورات الشعبية او الموروث الشعبي عملية على درجة عالية من التعقيد.

واذا أخذنا مثلا بسيطا دالا على الفارق بين التجمع الشعبي الحي، وبين نقل المأثور الشعبي عبر جهاز التليفزيون هو مباراة كرة قدم، فإننا سوف نلاحظ ان تفاعل الجمهور في الملعب يعد عنصرا مؤثرا شديد التأثير في أداء اللاعبين. وليس الأمر على نفس الحال من

تفاعل المشاهدين أمام جهاز التليفزيون هذا بالاضافة الى ان «طبيعة المباراة المنقولة تعتمد على وضع الكاميرات في الملعب، كما تعتمد كل لقطة على الكاميرا التي يختارها المخرج، وهي التي تحدد الزاوية التي يرى منها المشاهد امام التليفزيون، .وما يجري في الملعب، وعلاوة على ذلك كله فإن وصف المباراة على لسان «المعلق» الاذاعي أو التليفزيوني يحدد للمستمع أو للمتفرج ما يمكن ان نطلق عليه تعبير «إطار التلقي» وهو الاطار الذي يكون حرا حين يكون المتفرج موجودا في الملعب مع غيره من المتفرجين.

من هنا، يجب ان يراعى في عرض التراث الشعبي ونشره اعلاميا، هذا اذا كنا فعلا نود تعميق الوعي بهذا الموروث أو التراث على نحو يحقق الغرض الذي نسعى إليه، مجموعة من الضوابط والمعايير التي لايمكن عدها أو حصرها، وإن كنا سنتعرض هنا لبعض هذه الضوابط والمعايير العامة جدا، والتي سنركز حديثنا عنها فيما يرتبط بالتليفزيون خاصة، على اعتبار انه الآن اكثر الوسائط الاعلامية انتشارا، وتأثيرا، وأهمية، بالنسبة للناس العاديين، ويهمنا ان نؤكد هنا أن هذه الضوابط والمعايير بحكم عموميتها، لا ينبغي لها ان تغفل الفروق بين انماط المأثورات الشعبية، وأنواع الموروث الشعبي، ذلك ان كل نمط أو نوع من شأنه أن يفرض معايير وضوابط خاصة ترتبط من حيث نمط، أو نوع متميز عن غيره.

المعيار الأول والضابط الأساسي يتمثل في ضرورة ان يكون للمتخصصين من الباحثين والدارسين دور في اختيار المادة، وفي تحديد طرائق عرضها، بمعنى انه ليس من المقبول ان يترك الاختيار حرا لمقدمي البرامج من غير المختصين في تلك المأثورات؛ ذلك ان عرض المأثور الشعبي وتقديمه دون الاعتماد على خبرة المختصين من شأنه ان يؤدي الى خلط بين «الشعبي» و«الشائع» و«الجماهيري» أي بين الثقافة الشعبية، والثقافة الشائعة. من هذا الخلط مثلا اعتبار كل ما هو شائع وجماهيري وشعبيا» وحين نصر على ضرورة الاستعانة بالخبراء المتخصصين لا نعني بذلك الاستعانة الاستشارية، بل نعني ان يكون للمختص سلطة الاختيار والتحديد والاقتراح، في مجالات الاعداد والاخراج والتفسير والشرح.

الضابط الثاني يتمثل في ضرورة الحفاظ على الحالة الشعبية لعملية الاداء داخل الاستوديو. وهو ما يجب ان نفيد فيه من خبرة غيرنا، ذلك أن كثيرا من البرامج التي تعرض في وسائل اعلام الدول المتقدمة تكون برامج جماهيرية، أي يشارك الناس فيها. ولعل البرامج التي تعرض التراث الشعبي أولى تلك البرامج بأن تسجل في استديوهات كبيرة على شكل مسرح، بحيث يمكن للمؤدي الشعبي ان يتفاعل مع جمهور من نمط ما.

مرة اخرى نعطي مثالا من تفاعل الشيخ الشعراوي في احاديثه المنقولة من المسجد مع جمهوره وتفاعل الجمهور معه معتمدين على خبرتنا بالتليفزيون المصري وهو تفاعل لا نجده حيث يتحدث الشيخ في برنامج من برامج السؤال والجواب. ويلاحظ المتفرج ان الشيخ في النوع الاخير من البرامج يعتمد كثيرا على حيويته وحماسه وتدفقه العفوي، بعكس الحال حين يكون في المسجد بين الجمهور من المصلين.

الى جانب ضرورة الاستعانة بالمتخصصين وضرورة الحرص على «الحالة» الشعبية نأتي الى ضابط يبدو شكليا هو «الوقت» المخصص لبث برامج التراث الشعبي. نلاحظ في التليفزيون المصرى مثلا ان البرامج تعرض في غير أوقات «الفرجة»، فضلا عن ضيق المساحة المخصصة لمثل هذه البرامج. وغالبا ما يفرد وقت السهرة، خاصة في الليالي السابقة على العطلات والاجازات للافلام والمسرحيات أو لبرامج التسلية فقط. بل ان المناسبات الشعبية ـ والدينية منها بصفة خاصة ـ يخلو الاحتفال الاعلامي بها تماما من الحرص على نقل الاحتفالات الشعبية، اكتفاء بنقل الاحتفالات الرسمية، وهذا الاهدار للثقافة الشعبية يلحق ضررا بالغاً بالتجانس المفترض الحرص عليه في وعي الأمة وثقافة الجماهير. فإذا اضفنا الى هذا الاهدار ان بث ما يبث من «التراث الشعبي» إنما يتم في أوقات غير أوقات «الفرجة» المكثفة، لأوشكنا ان نقول ان الاعلام لا يأخذ «التراث الشعبي» مأخذ الجد ويظنه نوعا من الطرافة اذا قورن بالثقافة الخاصة وفنونها.

ويقودنا هذا الضابط الثالث الى ضابط رابع هو **ضرورة التوقف عن التعامل مع التراث الشعبي** بوصفه «تاريخا» أو «حفريات»، فضلا عن التعامل معه بوصفه عنصرا من عناصر «السياحة» أو التسلية والترفية. ومن ثم فإن التعامل معه من خلال تلك الصفات فقط يفقده أهم خواصه ومقوماته التفاعل مع الحياة الآنية.

الأخطر من ذلك ان مفهوم «الطرافة» و«الحضرية» في التعامل مع التراث يفضى الى محاولات «التحسين» عن طريق عمليات الابهار من ملابس وديكور واضاءة بطريقة مبالغ فيها تؤدي الى «التشويه» و«المسخ» بمعنى ان المخرج او معد البرنامج قد يخلط بين «الشيء الشعبي الرمز» وبين ما يعتقده من ضرورات العرض الفني فينتهي الأمر الى تشويه كليهما.

وتتجلى عمليات التشويه والمسخ واضحة في عمليات «الاستلهام» للتراث الشعبي، سواء على مستوى النصوص أو على مستوى الأداء. وهذا يقودنا الى ضابط خامس في عمليات «الاستلهام»، التي يجب ان يراعى فيها أول ما يراعى ان تعتمد على «الفهم

الصحيح» للأصل المستلهم أو المستوحى. ويردنا «الفهم الصحيح» الى الضابط الاول الخاص بضرورة الاعتماد على المتخصصين الذين يعرفون المادة وكيف جمعت، وفي أي سياق تؤدى، ويعرفون الدلالات والمعاني التي تتضمنها. ومن ثم فهم القادرون على التمييز الدقيق والاختيار الصحيح.

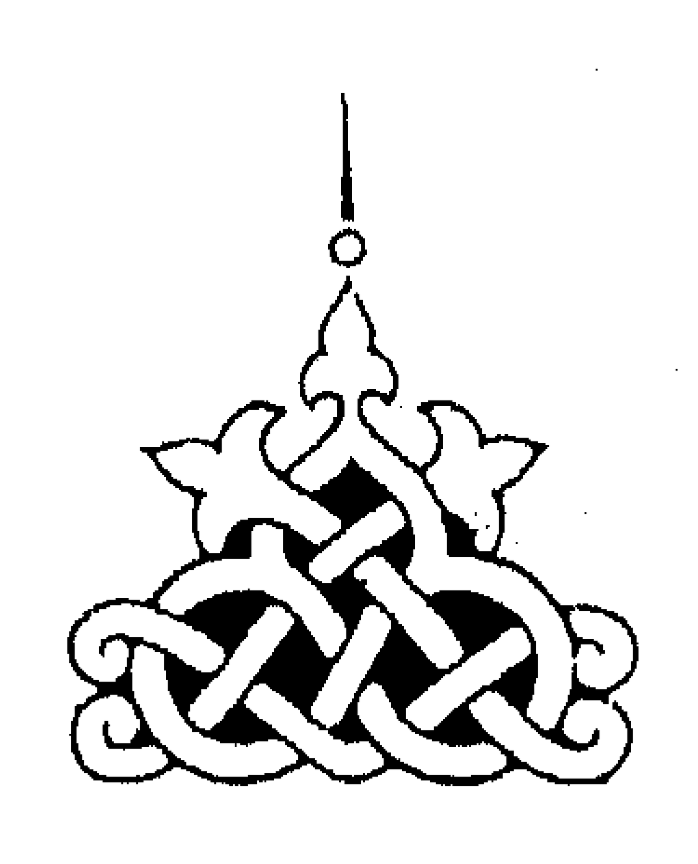
هذا على مستوى الاختيار، فإذا انتقلنا الى مستوى الاعداد والتنفيذ في شكل «مسلسل» أو «سهرة درامية» أو «فوازير» فمن الضروري الاهتمام أساسا بالصدق الفني، أعني ان يكون الشكل الذي يتم استلهام التراث فيه مكتملة فيه كل الشروط الفنية. وبعبارة اخرى لايصح ان يكون استلهام التراث الشعبي مجرد «استخدام» لبعض العناصر التراثية لاضفاء «فنية» على شكل متهافت ومفكك فنيا. هناك فارق بين «استخدام» التراث الشعبي لاغراض الترويج والكسب التجاري وبين «استلهام» القيم التي يمثلها في نسيج عمل درامي إذاعي أو تليفزيوني. «الاستلهام» يدمج العنصر الشعبي بما يحمله من قيمة أدبية وفنية وفكرية في بنية درامية رفيعة المستوى، في حين يسعى «الاستخدام» لتحويل العنصر الشعبي الى زينة خارجية تجعل العمل المفكك مقبولا. وهذا يستلزم ان يهتم كبار كتاب الدراما والمسلسلات الاذاعية والتليفزيونية بالتراث الشعبي فهما وتحليلا، وقبل ذلك كله معايشة ومعايير كلية أو ملاحظات سريعة للكيفية التي يجب ان يتعامل بها الاعلام مع التراث الشعبي عرضا ونشرا واستلهاما. والأهم من ذلك ان تتعمق القناعة الاعلامية بأن هذا التراث وحده هو الضامن لتجانس وعي الأمة اذا احسن التعامل معه. وهو نتيجة لذلك العاصم من التجزؤ والتفتت والتشرذم، بل ومن الطائفية والعنصرية التي تحول الأمة الى مجموعة من الطوائف والاقوام،

ان التراث الشعبي يمثل «المشترك» الرابط بين الفئات والطوائف العرقية والدينية، بل بين الطبقات الاجتماعية. واهداره هو بمثابة إهدار لذاكرة الأمة الجمعية، الأمر الذي يفضى لا الى التشرذم والتفتت فقط، بل الى الضياع والتبعية، ولا أحد منا يريد ذلك ولا يسعى إليه.

وخلاصة القول:

ان وسائل الاعلام لابد لها ان تؤدي دورها في الدعوة الى اجتماع الكلمة على تمييز المأثور أو الموروث الشعبي، من غيره، وصيانته، كما تصان الآثار، وتحمي المصنفات الفنية، في المتاحف، والمراكز المتخصصة؛ ذلك ان هذا سيؤدي بالضرورة ـ ولو بطريق غير مباشر ـ الى حفز العمل الجاد على جمع المأثورات الشعبية وتصنيفها، وإتاحتها للباحثين، والمبدعين،

والقـائمـين على برامج التخطيط الثقافي والاعلامي . كما انه سيؤدي أيضا الى حمايته من الانتحال والتزييف والتبديد على أيدى المغامرين والمفتقرين الى العلم، أو الموهبة ويرتبط بهذا بالضرورة ايضا ان وسائل الاعلام يمكنها ان تؤدي دورا وطنيا عميق الاثر في تغيير تلك النـزعـة التي قد نلقـاها لدى بعض المثقفين او مدعي الثقافة من استعلاء على الموروث الشعبي، وإزدراء له، ولوظائفه، وخصائصه، ودوره في حياة أصحابه، والتصور أن صفة «الشعبية» مرادفة للابتذال في السلوك، والاسفاف في التعبير، وأنها انها تدل على التخلف والجمود. وعلى ذلك فإنها يمكن ان تتبنى دعوة متجددة الى تخليص الجهود المبذولة في جمع الموروث الشعبي وتحقيقه ونشره وإذاعته وعرضه، من غوائل تلك الاتجاهات التي لا تستند الى العلم، والتي تنظر الى الموروث الشعبي نظرتها الى الطريف، والغريب والعجيب وما الى ذلك.



التـراث الشـعبـي العمـاني
رؤيـة في الخصـوصيـة والتفـرد

بقلم : عـلي عبدالله خليفة
(البحـرين)

تسير الحياة في أيامنا هذه سيرا عظيم التسارع . . غير منتظم الايقاع وعمان الحديثة تسير في ركاب هذا التطور بسرعة مدهشة حقا . ويلاحظ المرء مظاهر هذا التطور جلية في المدن العمانية بصورة خاصة، وهي الملامح الأولى التي تواجه الزائر لأول وهلة، ومع ذلك فإن العادات والتقاليد وجميع أنواع الفنون الأدبية والغنائية والحرف والصناعات التقليدية وكل ما يمت الى الثقافة الشعبية بصلة ما يزال موجودا في حال أحسن من أي جزء من أجزاء الوطن العربي، لاسيما في الريف والقرى البعيدة عن المدن، وهي المناطق الواقعة داخل عمان، والتي ظلت في منـأى عن التـأثـيرات التي تعـرضت لها السواحل على مر التاريخ الحافل بالبطولات في صد الغزاة والطامعين .

لقـد ظلت سلطنـة عمان جغـرافيا وتـاريخيا وسياسيا خارج القيادات الرئيسية للتاريخ العربي، ولم يكن لاقتصادها الذي يرتبط بالخليج والمحيط الهندي تبادل ثقافي أو تجاري كبير مع أوروبا والعالم ولربما مع بقية شبه الجزيرة العربية، بينما شكلت صحراء الربع الخالي حاجزا طبيعيا، وواقعيا، وذا أهمية تاريخية، في وجه الاتصالات الاجتماعية والسياسية . وقد ساعـد ذلـك ـ فيما يخص الـتراث الشعبي ـ على حفظ مواد هذا الموروث من التأثيرات والمتغيرات الخارجية . واذا شكلت الطفرة الاجتماعية في الخليج، نتيجة اكتشاف النفط، مؤثرا على نمط العيش واسلوب التفكير وطالت بذلك جوانب هامة من العادات والتقاليد والفنون والحرف والصناعات التقليدية، فإن تأثيرها على المجتمع العماني وعلى تراثه وعاداته وتقاليده وفنونه كان أقل بكثير مما طال بقية اجزاء المنطقة، وبالتالي ظلت هذه الموروثات في

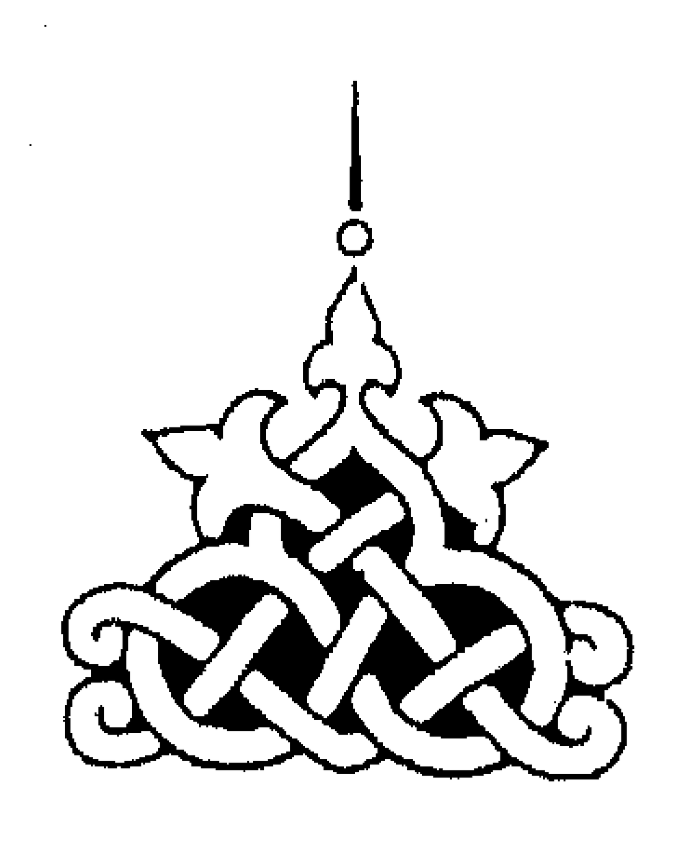
(*) ورقة مقدمة لندوة المأثورات الشعبية (المنتدى الأدبي) ـ مسقط، من ١٩ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٢م

مأمن من التشـوية والخلط والانقـطاع والاستغلال غير المشروع، مما اكسب هذه الثقافة الشعبية قوة وتأثيرا في الحياة المعاصرة للشعب العماني واعطاها قدرة الاستمرار والنفاذ جنبا الى جنب مع معطيات العصر الحديث.

إن تاريخ عمان الحضاري تاريخ طويل، وقد بلغت رقعة الأرض العمانية من الاتساع، ابان سيادة عمان على البحار، ما أدى الى تعدد المصادر العرقية التي صهرتها الأرض العمانية في سبيكة اثنولوجية متجانسة كونت المجتمع العماني المعاصر على اختلاف مشاربه. وقد ساعدت سيطرة عمان على جزء من الساحل الافريقي في تزاوج وتفاعل العديد من الفنون العربية والافريقية، وقد بث ذلك دماء جديدة في عصب الثقافة الشعبية العربية، واعطى خصوصية تاريخية وحضارية للتراث الشعبي العماني. لذلك لابد من توافر معطيات فنية وعملية واجتماعية وبيئية وتاريخية لتكوين صورة صحيحة واضحة ومحددة لكل نمط من أنماط هذا التراث الفني المتعدد الجوانب.

ان هذا المزيج الثري الذي يعتبر احد المكونات الأساسية للشخصية العمانية امتاز، منذ فجـر ابـداعـه وانتشاره وتناقله بالحفظ والرواية أو الممارسة وتواتره عبر الاجيال المختلفة، بصفات نادرة ميزته واضفت عليه قدرا لا يستهان به من التفرد والخصوصية في مجمل الثقافة العربية.

ويمكننـا هنـا ان نحـدد ميزات عامة تظهرها النظرة الكلية الشاملة لهذا التراث دون الدخول كثيرا في تفضيلات الانماط وما يمكن ان تعززه دراستها من مميزات، فمازالت هذه المادة ـ بالرغم من الجهود المضنية التي تبذلها وزارة التراث القومي والثقافة بالسلطنة ـ في مرحلة الجمع والتدوين والتصنيف، ولم يتهيأ منها للدرس والتحليل، حسب علمي، إلا الشيء القليل.



المميزات العامة للتراث الشعبي العماني

أولا ـ غزارة التنوع والتعدد

تحتل سلطنة عمان ـ تقريبا ـ ربع الخط الساحلي لشبه الجزيرة العربية الذي يزيد طوله على أربعة آلاف ميل، وتسيطر على مدخل الخليج وتطل على الطرق البحرية من الشمال والشرق والجنوب بينما تمتد الى الغرب والشمال صحراء الربع الخالي.

وتعتبر عمان من اكثر بلاد العالم تنوعا في التضاريس، فهي بلاد تجمع المتناقضات التي قلما تجتمع، فترى فيها المرتفعات الصخرية في الجبال العمانية المشهورة، والرمال الجرداء في الربع الخالي، وتلال ظفار التي تكسوها الخضرة بعد هطول الأمطار الموسمية، ثم السهول المنبسطة المترامية، ثم المنحدرات الصخرية الشاهقة في الجنوب، والقرى المزدهرة الجميلة التي تقوم على وديان قاحلة تقع بالقرب منها غابات النخيل. ولعمان خط ساحلي يمتد عدة مئات من الاميال يتفاوت بين الشطآن الرملية المنبسطة والمنافذ الصخرية عند مسندم ومسقط. ويعني ذلك ان عددا غير عادي من البيئات الاجتماعية المتجاورة تشملها سلطنة عمان من خلال موقعها الجغرافي الاستراتيجي الهام وتضاريسها المتنوعة المتباينة، فهناك إذن:

- البيئة القروية الزراعية,
- البيئة البحرية
- البيئة البدوية الصحراوية
- البيئة الجبلية
- البيئة الحضرية

وهذه البيئات الاجتماعية الغنية تزخر بفئات عديدة من السكان النشطين الذين فطروا على مواجهة الشدائد وتحدي الصعاب منذ فجر التاريخ فتهيأ لهم استغلال هذه البيئات الطبيعية استغلالا ذكياً مكنهم من صنع حياة زاخرة مليئة بالعمل والانتاج وبالفن والابداع. ولنا ان نتصور مدى غزارة تنوع وتعدد جوانب هذا النشاط الانساني إذا قسنا بأن لكل بيئة

من هذه البيئات قيمها الاخلاقية والمعنوية والمادية وان ادبها الشعبي وفنونها الغنائية وعاداتها وتقاليدها وحرفها وصناعاتها احد عناصر تمايزها عن بقية البيئات الاخرى، والتي شكلت بحكم تكوينها الجغرافي والديمغرافي روافد لمجرى واحد نبعه الشخصية العمانية. أضف الى ذلك ان سكان المدن الساحلية مثل مسقط ومطرح وصحار وصور وغيرها من المدن التي تعامل سكانها مع البحر منذ عهود سحيقة في القدم ورحلوا قاطعين طريقا طويلا حتى وصلوا الى الصين وفتحوا ساحل افريقيا الشرقي للتجارة، الى جانب ما ابدعوا من فنون وما اسسوا من معارف وما أرسوا من تقاليد واعراف كانوا وجه عمان المباشر في تعاملها مع الاقوام والاجناس واللغات والديانات والفنون والتقاليد والعادات التي وفدت الى السواحل لمختلف الأهداف والاغراض عبر التاريخ، وكانوا أداة التفاعل مع الثقافات الوافدة مما حقق للتراث الشعبي العماني مزيدا من التنوع والتعدد، والذي يعتبر بالتالي كسبا للثقافة الشعبية العربية في مجملها.

ثانياً ـ العمق والغنى الحضاري

في ماضي الأيام التقت تأثيرات بلاد ما بين النهرين والسند وفارس واليمن وفينيقيا جميعا لتتفاعل مع المكونات الخاصة للشخصية العربية العمانية، التي جاهدت لجعل تاريخها الحضاري الحافل ذا طابع خاص ومتميز، تتضح فيه الاضاءات وعلامات الاستمرار. ولعل من أهم الاسباب في ذلك هو تأثير البحر على حياة الناس المكتشفين منهم والبحارة والتجار والمدافعين عن العقيدة والأرض. وتؤكد المصادر التاريخية، كما تشير الآثار والنقوش الكتابية التي كشفت عنها الحفريات المتعددة الى ازدهار مجتمع متقدم في حضارته نشأ على الأرض العمانية وتستند ثروته على تصدير البخور منذ الألف الثانية قبل الميلاد، وترجح الاحتمالات ان تكون عمان هي منطقة (مجان) المذكورة في الألواح السومرية.

ولقد كان العمانيون في سائر فترات التاريخ المدون شعبا يركب البحار واسهم بنصيب وافر في العلاقات الحضارية والتجارية الوطيدة التي كانت قائمة بين بلاد ما بين النهرين وكل من مصر ووادي السند، فقد كان المصريون والسومريون يحصلون على كميات ضخمة من البخور لاستعمالها في طقوسهم الدينية من جنوب الجزيرة العربية، وكان البخور ينقل الى سومر بطريق البحر مثلما كان ينقل اليها برا، وكان لابد للسفن ان تستخدم الموانىء العمانية التي تتوسط الطريق بين البلدين. كما صدرت (ماجان) من خيراتها النحاس والاخشاب والأحجار ذات القيمة الى مدن ما بين النهرين الواسعة الثراء مما وطد دعائم علاقات ليست

تجارية فقط وانما ثقافية ايضا بحكم الاتصال والتواصل البشري وبما تميزت به الشخصية العمانية من قدرة على التفاعل والتأثير. فلقد امتاز العمانيون باستغلال مواقع بلادهم الجغرافية استغلالا ذكياً ربطوه بالخبرة والعلم وفنون ركوب البحر والتعامل بفطنة في الأمور التجارية الى جانب العناية بالحرف والصناعات التقليدية التي تغذي هذا التوجه الاستراتيجي لنشاط السكان في البيئة البحرية.

فقد تحدث المسعودي، العالم الجغرافي العربي الذي عاش في القرن العاشر الميلادي عن بنائي السفن في عمان في الوقت الذي كانت فيه السفن العمانية تجوب مختلف البحار والمحيطات. كما ازدهرت في عمان الداخل اعمال زراعية وصناعات تميزت بالمهارات الرائعة كأعمال البناء والزخرفة بالجص والنقش على الخشب والصناعات الفخارية والفضية والنحاسية، فقد كانت الاواني الفخارية تصنع على الدولاب وتشبه في بعض نماذجها اواني السومريين، وصنعت الطاسات المنقوشة الجميلة من الحجارة والمرمر، وحيكت الثياب باتقان واتخذت المجوهرات للزينة، ولقد كان أهل عمان منذ القدم يتخذون المباني لحياتهم من الحجارة المكسوة، واتخاذ المنازل في الجبال مثلا يتطلب خبرة واتقانا في فن المعمار ونظام تشييد الافلاج وتدرج زراعة الحقول، وقد اتقنوا بناء المعابد والمباني العامة والتحصينات العسكرية من قلاع وحصون وأسوار. وقد دلت الحفريات على انهم كانوا يدفنون موتاهم في قبور دائرية كبيرة حسنة البناء.

إن هذا العمق التاريخي والغنى الحضاري للثقافة العربية في عمان ظلا يتأصلان في جميع الأنشطة البشرية المحلية وظلت هذه الروح الموغلة في القدم هي اول ما يأخذك في اصالة الأعمال الابداعية للفنانيين والصناع وهي اول ما يسحرك في شخصية العماني الهادئة الدمثة.. الواثقة القوية. فكل جزئية تطالعك في التراث الشعبي العماني مهما صغرت لها تاريخ وعمق حضاري لابد من معرفته قبل اي شيء، وهو ما يستوجب مسئولية كبرى عند الجهل به أو اهماله.. او فقده.

ثالثاً ـ التفرد والخصوصية

لا شك ان عمانَ مرت بظروف سياسية واجتماعية واقتصادية خاصة عكست نفسها على التركيبة السكانية وأسهمت في بلورة شخصية مميزة ذات سمات خاصة، لها نمط عيش مختلف وأسلوب تفكير مختلف وبالتالي فلها زي مميز ولهجة مميزة هما جزء من تراث عريض متفرد. وهذا التفرد للشخصية العمانية ليس تفردا مظهريا وإنما هو حصيلة طبيعية لظروف المعاناة التاريخية الطاحنة التي عايشها الشعب العماني والأرض العمانية. فلقد كان هذا

الشعب عبر تاريخه الطويل في حالة استنفار مستمرة للدفاع عن النفس، وحالة الاستنفار هذه حالة انسانية شديدة الحساسية خصوصا حين يدرك المرء بأنها كانت وماتزال في مواجهة اخطار مصيرية حقيقية تهدف الى اقتلاعه من الجذور أو السيطرة عليه واستلابه الى أبعد حد ممكن. وقد يكون ذلك قدر عديد من الشعوب التي تعيش في بلاد تتمتع بموقع استراتيجي أو غنى طبيعي، إلا ان عمان اكثر من غيرها في ذلك لكونها تجمع ما بين غنى الموارد واستراتيجية الموقع في آن واحد، لذلك خاض العمانيون حروبا مستمرة في الدفاع عن انفسهم ضد الغزاة والطامعين وظل الاعتداد الذاتي بالقدرة على مواجهة التحديات صفة ملازمة للشخصية العمانية، وكان لدى هذه الشخصية رؤية خاصة في حتمية الانتصار والسيادة انطلاقا من كون عمان ليس بلدا صغيرا في منظومة بلدان صغيرة اخرى وإنما مملكة عريقة يمتد سلطانها الى ما خلف الحدود، وقد استقر ذلك الشعور في عمق تكوين الشخصية العمانية الحديثة.

من هنا يمكننا القول بأن النتاج الابداعي والممارسات الاجتماعية في أي حقل من حقول التراث الشعبي العماني هو نتاج هذه الشخصية ذات المزاج الخاص، والأمثلة على ذلك لايطالها الحصر فهناك: عطور وبخور عمانية وخناجر وأزياء ولهجة وغناء ورقص وصناعات وأدوات صغيرة خاصة كالغليون والمكحلة والعمامة والعصى الى جانب الحلى والاكلات والعادات والتقاليد العمانية الصرفة.

هل هناك فنون في الخليج العربي مثلا تشبه فن «العازي» و«الهمبل» و«الهبوت» و«الشرح» و«البرعة» و«السومة»؟ حتى أغاني البحر التي تتقارب وتتشابه في مناطق الخليج المتاخمة هي غيرها في عمان، «فالنهمة» وهي احدى أغاني العمل في البيئة البحرية بالمنطقة هي غير فن «التصويت» وألحان أغاني البحر بصفة عامة هي غير ألحان «الشوباني» العماني الذي يؤديه البحارة العمانيون، وبعض الرقصات العمانية التي تقوم على فن المبارزة بالسيوف والتروس لا مثيل لها في بقية أجزاء الخليج.

ان التراث الشعبي العماني رافد خصب متميز له ظروفه وسماته الخاصة التي رفد بها الثقافة الشعبية العربية وتمايز فيها بالتفرد والخصوصية.

رابعاً - التمايز البيئي للمناطق والولايات

ان نظرة عامة الى التراث الشعبي العماني كوحدة انتجتها الظروف التاريخية والحضارية قد لا تكفي لتحديد وفرز هذا التراث والتعريف بهويته البيئية، ذلك ان هذا التراث في مجمله

وان كانت تنتظمه وحدة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية العامة إلا ان للتمايز البيئي سمة خاصة في فرز وتحديد الطابع الخاص لكل جزئية فيه وهو إفراز طبيعي لكل بيئة من البيئات الجغرافية والبشرية بما جبلت عليه طبيعتها،

فتراث المناطق الداخلية في عمان وهي بيئة القرى الزراعية المستقرة منذ أقدم العصور والتي تأسست فيها الحياة وتنظمت بفضل تراكم المعرفة الحضارية التي تطورت من جيل الى جيل بعيدا عن السواحل المائجة بالعديد من الأحداث ظل كالجوهرة المكنونة في قلب الصدف تتخلق وتنمو بعيدا عن المؤثرات الخارجية فهو تراث مرتبط بعادات وتقاليد وظروف البيئة الزراعية المعروفة باستقرارها ونمط عيشها التقليدي المنظم في مواسم. وهو بالطبع ناتج تراثي يختلف كماً ونوعاً عن الناتج التراثي في البيئة البحرية، فكون هذه البيئة على أطراف عمان عند السواحل فقد كانت تتلقف الفنون والعادات والتقاليد الوافدة وتتعامل معها بالأخذ والعطاء حسب قوة تأثير كل عنصر وحسب مزاج ودرجة قبول الشخصية العمانية لتلك العناصر لذلك نجد ان فنون هذه البيئة قد تعددت وكثر فيها التنوع واتسمت بالامتزاج والتداخل بفنون الاجناس الاخرى، ففي الوقت الذي تأصلت فيه فنون الداخل وبعدت عن المؤثرات الخارجية واتسمت بكونها فنونا عمانية صرفة، تعددت وتنوعت فنون السواحل وامتصت كل المؤثرات الخارجية فكأنها وصحراء الربع الخالي قد شكلت الترس الذي يحمي القلب وبقية الجسم.

فلقد انتعشت في عمان الداخل فنون أدبية وغنائية وحرف وصناعات تقليدية تأكد فيها الطابع العماني الصرف. ولانها في مأمن من تلك المؤثرات الخارجية عكف العمانيون من خلالها على تجذير معارف وعلوم وابداعات وأرسوا تقاليد فنية وابداعية ظلت تتوارث عبر الأجيال. هذا التمايز البيئي للمنتوج التراثي في كل منطقة من المناطق المقسمة اداريا الى ولايات قد حدد فنون كل ولاية او منطقة ومايز بينها وبين فنون الولايات الاخرى، ففن «الهبوت» على سبيل المثال، وهو عبارة عن مسيرة انشادية منظمة تشارك بها القبائل في الاعياد والاحتفالات العامة، ينقسم الى ثلاثة أنواع: (هبوت) المدن، و(هبوت) البادية، و(هبوت) القرى الجبلية وهو من بين الأنواع الثلاثة الذي ينشد باللغة (الجبالية) وهي لغة خاصة بسكان القرى الجبلية.

ان تأثير المناطق المتاخمة للحدود العمانية على البيئات الاجتماعية القريبة منها ليس امرا غريباً، لذلك نجد في بعض فنون الجنوب العماني تأثيرات الفن اليمني وبالذات في مجال الغناء والرقص، ومن الطبيعي ان يمتد هذا التأثير الى عمان القريبة مثلما امتد الى بقية مناطق

الخليج الأبعد، كما نرى امتداد العادات والتقاليد البدوية على المناطق المتاخمة لصحراء الربع الخالي، فالبيئة البدوية هي هي في عُمان أو الجزيرة العربية أو شبه جزيرة سيناء أو الصحراء الكبرى.

وغني عن القول بأن هذا التمايز البيئي لم يكن في أي ظرف حاجزا في وجه وحدة هذا التراث وامتزاجه وامتداده ليشمل بصورة عفوية المجتمع العماني بأسره دون احساس بهذه الفوارق الفنية التي تعتبر تمايزا وتفردا له.

خامساً - الجمع بين تأصيل الجذور والتفاعل مع الجديد

يغلب على تركيبه المجتمع العماني النظام القبلي، فأغلب قطاعات المجتمع حينما كان سكناها تنضوي بشكل أو بآخر تحت هذا النظام الذي مايزال سائدا في بعض اجزاء الوطن العربي، واذا انفك عقد هذا النظام في منطقة من المناطق العمانية، لأي سبب، فهو لا يعدو ان يكون مجرد انضواء تحت نظام العائلة الكبيرة. هذه التركيبة السكانية ساعدت على تأصيل الجذور التراثية لطبيعة التفكير القبلي وأسلوب تعامله مع الجديد. فعقلية البدوي، كما هو معروف، عقلية تقليدية بالطبع تتحكم فيها مصلحة القبيلة التي لا تقبل أي شرخ ولا حتى مجرد خدش في تعاليمها وتقاليدها واعرافها المرعية، لذلك نجد دائما بان ذهنية البدوي ذهنية متوجسة فاحصة وفارزة في تعاملها مع الآخر ومع الأشياء والمعطيات الاخرى الخارجية، وقد ظلت الفنون بصفة عامة حصينة في خزانة هذا البدوي الذي صانها وحافظ عليها.

وفي المقابل فان الشخصية العمانية بحكم تأثير البحر وما يتركه من سحر على ابناء البيئة البحرية، وما يولده لديهم من شغف بارتياد المجهول وسبر الأغوار واستكشاف الأبعاد والترحال الى مدى الآفاق، خلق لدى ابناء هذه البيئة قدرة على التعامل مع الغرباء والدخلاء والنزول في اراض بعيدة واقتناص ما عندها مما يروق له وجلبه معه عند العودة. هذه الذهنية الاستكشافية المرنة، القابلة للتفاعل والأخذ والعطاء، ساعدت في نقل فنون عمانية الى أراض بعيدة كما اسهمت في جلب فنون البلاد البعيدة التي وصل اليها العماني، لقد كانت هذه الذهنية ذهنية انتقائية، نقلت ما استطاعت من فنونها الى الآخرين لكنها اختارت من فنون البلاد الاخرى ما لقي في نفسها هوى وطابق مزاجها، فضلا عن افساحها في المجال للوافدين بممارسة فنونهم وطقوسهم وعاداتهم وتقاليدهم بحرية الواثق من امتصاص هذه المعطيات الجديدة والقدرة على صهرها في البوتقة العمانية شديدة الحساسية.

لقد اجتمعت لعمان خاصية الجمع بين تأصيل الجذور وثباتها واستمرارها ونفاذها عبر الاجيال، وخاصة في التفاعل مع الجديد الوافد وتحويله الى عنصر مغذٍ لوريد الثقافة الشعبية العمانية. وهذه هي احدى سمات وعي العماني بفلسفة الموقع الاستراتيجي لبلاده.

سادساً ـ عمان . . بوابة الفنون الافريقية الى بلاد الخليج العربي

وصل العمانيون الى افريقيا، متوغلين حتى الكونغو. . ولعل صلات عمان مع زنجبار وساحل افريقيا الشرقي تعود الى العهود الغابرة، وهذه الصلات التاريخية العريقة لم تكن صلات سياسية واقتصادية، بقدر ما كانت صلات ثقافية وروحية، فقد استوطن العمانيون تلك الأرض وحكموها ونقلوا الى بلادهم البضائع والرقيق والفنون والتقاليد والروح الأفريقية المتوثبة الى الانعتاق والدخول الى عوالم جديدة، فتجمعت هذه المدخرات في عمان، جاء بها البحارة والتجار والمستكشفون والرقيق والمصاهرة، وقد فعلت فعلها في حقن المجتمع بثقافة غنية بالغة التمرس والتمايز. وبفعل التنقل والارتحال والاقامة لقطاعات عديدة من المجتمع العماني في مناطق الخليج الاخرى عبر فترات تاريخية متعددة، نقل العمانيون الى هذه المناطق عددا من الفنون الغنائية التي وجدت ترحيبا حارا لها من قبل المجتمع العربي في الخليج بصفة عامة، مثل فن «الليوة» أو «الهبان» وهو فن أفريقي صرف مورس في عمان وانصهر في تلك البوتقة العمانية. ويبدو لي ان العمانيين عندما مارسوا هذا الفن لم يقبلوه على علاته، ذلك ان العماني لا يقبل بأي شيء يمس من عقيدته، فهناك قول ـ غير مؤكد ـ بأن رقصة «الليوة» أو «الهبان» هي رقصة جنائزية لها علاقة بطقس وثني افريقي، وهي تعبير حزين يصرخ منه «الصرناي» أو «الهبان» معولا طيلة وقت الأداء على ايقاع عدد من الطبول الرتيب والرقص الدائري المتواصل، إلا ان المزاج العماني الخاص قد غير الغرض من أداء هذه الرقصة وحوله من غرض ديني وثني حزين الى احتفالي فرح، وان كانت الرقصة قد حافظت على جوهرها الايقاعي وعلى ذلك الشجن الشفيف وتلك الروح الأفريقية الصرفة التي تكتنف الأداء، عزفا ورقصا، مثلما حافظت على الأصول الافريقية للنص المغنى ومضمونه المغرق في الحزن والألم. ومثل هذا الفن انتقلت ـ عبر بوابة عمان الى الخليج ـ رقصة «السومة» وهي رقصة ايقاعية ظلت تمارس في البحرين حتى أواخر الستينات من هذا القرن.

لقد كانت عمان فعلا بوابة واسعة عبرت منها الفنون الافريقية الى بقية مناطق الخليج، وهي بوابة لم تكن مشرعة قط وانما كانت تسم كل فن بطابعها ومزاجها الخاص، فلقد

اندثرت العديد من الفنون التي لم تتلاءم مع طبيعة المجتمع العماني، وتركها الشعب العماني تضمحل وتتلاشى لانها لم تناسب عاداته وتقاليده، او ربما لكونها تمس من قريب او بعيد جانبا من جوانب عقيدته الدينية، في الوقت نفسه ازدهرت وامتزجت فنون اخرى حافظ عليها المجتمع العماني وامدها بكل مقومات الحياة والاستمرار.

خاتمة

إن هذاالتراث العماني جدير بالتعب عليه، وعلى العمانيين المضي على طريق الأوائل في المحافظة على خصوصيته وبريقه الاكثر لمعانا وثراء على صعيد واقعنا العربي. فمما لا شك فيه ان حجم المتغيرات التي نعيشها ومقدار التطور الذي بدأ يطال جزئيات حياتنا ويمتد بتأثيراته الى تفاصيلنا اليومية، لهو بحاجة الى وقفة توازي ذلك التحدي المدني الحديث بما لا يكون في صف احدى الكفتين: تراثنا، وحياتنا المعاصرة.

ويحق لعمان ان تفخر ببعد نظر القيادة السياسية في ايجاد وزارة متخصصة في التراث القومي والثقافة قائمة بذاتها، ويبدو لي ان هذه الوزارة قد قطعت شوطا ما في التعامل مع هذا الميدان الواسع المتعدد الحقول، والذي يحتاج الى أيد عمانية تحرث فيه.

وإنه لمن تحصيل الحاصل القول بما يجب الأخذ به على أعلى مستوى للحفاظ على التراث الشعبي في أي جزء من أجزاء وطننا العربي، خصوصا بعد تلك المراكز والهيئات العلمية المتعددة المعنية بالفنون الشعبية، وتلك المؤتمرات والمنتديات الدولية التخصصية التي عقدها مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية في السنوات الثلاث الأولى لتأسيسه (٨٢ - ١٩٨٤م) ونتائجها موثقة ومنشورة منذ ذلك الوقت.

ويجدر بنا هنا ان نحدد النقاط التالية فيما يخص الحفاظ على التراث الشعبي العماني:

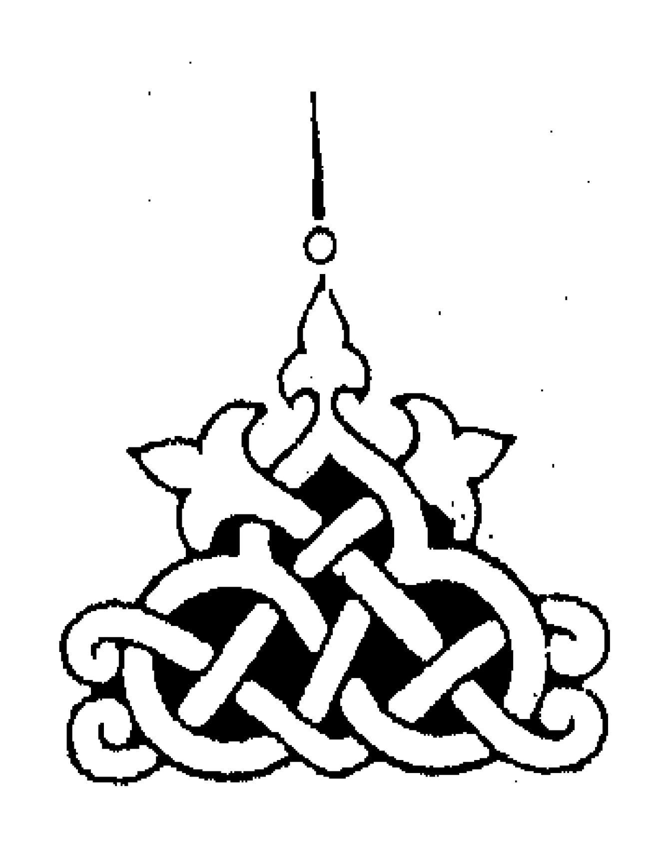
- التخطيط لجمع وتدوين وتصنيف مواد التراث الشعبي العماني.
- العمل على تنفيذ هذه الخطة وفق مراحل مدروسة وبقيادة متخصصين في علم الفولكلور.
- العمل على تأسيس أو استكمال أرشيف مواد التراث الشعبي.
- الاستفادة من المدونات والمخطوطات والمراجع والمصادر التي تناولت التراث العماني، الى جانب دعم جهود رواد العمل الميداني في هذا الحقل.

● العمل على تأهيل كوادر وطنية على أعلى مستوى في حقل الدراسات الانسانية المتصلة والمختصة بعلم الفولكلور.

● العمل على اصدار تشريع وطني لحماية التراث الشعبي في عمان.

كلمة أخيرة

لاشك ان هذه النظرة العجلي في تحديد مميزات الفنون الشعبية العمانية هي وليدة التعميم الذي لم تتهيأ له فرصة الالمام بتراث غني لبيئات متعددة متنوعة مترامية الأطراف، فمازلنا في منطقة الخليج بصفة عامة أسرى هذه النظرة العجلى لكون هذه المادة التراثية مازالت في مراحل الجمع وأعمال التدوين والتصنيف، إن لم تكن في طور الآمال والتمنيات. ولكن حسبي ان ما تبلور لديّ من معلومات كان حصيلة بدائية لعمل ميداني ـ لا يخلو من التقصير ـ اجريته على الأرض العمانية في شتاء ١٩٨١م، وحسبي انني أحلم بقطع مراحل ما بعد هذا الاستكشاف الأوليّ.





جانب من فعاليات المنتدى الأدبي

اشكال الفنون الشعبية العُمـانيـة (*) ومدى تمازجها بمثيلاتها بمنطقة الخليج دراسة في الحكايات الشعبية العُمـانية

آمنـة راشـد الحمـدان
رئيس قسـم البحـوث
مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

ان التشابه والتمازج بين أشكال التعبير الفني وابداعات الشعوب سمة لا تخص منطقة بعينهـا أو فئـة أو جماعـة دون اخرى، خاصة إذا اتفقنا على تحديد معنى ومدلول التعبير والابداع الفني، وخلصنا الى القول بأن الابداع حالة ملازمة للانسان يعبر بها عن مراحل حياته ونموه وتطوره ويسطر من خلالها تاريخ الانسانية وتتابع المراحل التاريخية، ويروي فيها علاقته بمحيطه وبيئته وتجربته.

وقد تتفاوت قدرة الأفراد والأمم في التعبير عن ذلك ولكنها تتحد في الفكر والظروف مما يجعل التشابة امرا واردا لا يحتاج الى تبرير ونجد ان لكل أمة وجماعة حكايات ورموزاً فنية تعبر عن الواقع الذي تعيشه وعن قضاياها ورغباتها بصدق.

وقد تناول عدد من المفكرين والعلماء موضوع التشابه والتمازج مما دفع الى نشأة عدد من المدارس والنظريات الفكرية التي تناولت هذا الموضوع وأشبعته بحثا وتحليلا وفي كل مرحلة من المراحل تتهاوى نظرية أو مدرسة ما لتقوم اخرى لتبني نتائجها على ما سبق من دراسات

(*) ورقة مقدمة لندوة المأثورات الشعبية (المنتدى الأدبي) - مسقط، من ١٩ - ٢١ ديسمبر ١٩٩٢م

كنظرية الاستعارة او الموضوعات الراحلة أو الروايات المتنقلة او نظرية الهجرة للباحث الألماني «تيودور بنفى».

ان التدافع للبحث عن تبرير أو سبب أو دافع بعينه لتفسير التشابه، دفع الى اعمال العقل في تفسير الكون بما فيه من ظواهر تنعكس على حياة البشر، وعلينا ان نوحد بين هذه الاجتهادات جميعها ونعمل على تنقيحها دون ان نرهق أنفسنا بإتلافها أو تغليب واحدة على الاخرى.

ولعل المفكر الفرنسي (بيدييه) محق تماما حين قال ان التشابه في الثقافات الانسانية اساسه اشتراك شعوب العالم القديم في افكار انسانية وظروف فكرية واحدة، وقد واجه الجميع سر الطبيعة الغامض وقصة الخليقة والبحث عن هذه القوة الجبارة التي تقف وراءها، كما واجه سر الموت والحياة، والوجود والفناء، هذه جميعها وحدت فكر الانسان نحو العمل على تفسير ووصف وشرح هذه الظواهر، واستثارت قوته وكوامنه لتوظيف ما حوله، فاستعار اشكالا من التعبير كالأسطورة والقصة والنقش والرسم لتفسير ذلك وشرحه.

هذا العامل الرئيسي الذي اوجد التشابة بين الشعوب في التعبير عن قدرتها وعجزها، وعن امانيها ورغباتها، يمكن ان تضاف له عوامل اخرى اسهمت في خلق التشابه والتمازج بين الشعوب والتأثر والتأثير بنتاجها ومن أهمها: الحدود الجغرافية المشتركة، والتاريخ، وبشكل عام اللغة والدين كعناصر هامة في هذا المجال.

واذا نظرنا الى هذه العوامل ـ مضافا اليها العامل الانساني الذي وحد بين البشر ـ نجدها تتمثل بشكل جلي وواضح في منطقة البحث.

هذا الأمر يقودنا الى ان التشابه بين فنون الخليج العربي ليس وليد صدفة ولكنه نتيجة اشتراك هذه الدول العربية في تاريخ حضاري واحد منذ ان فتح العرب البلاد في ظل الاسلام وأخذت قبائل البدو في الجزيرة العربية وجيوش العرب البدو تتدفق على العراق والشام ومصر والسودان وشمال افريقيا، امتزجت القبائل العربية بالشعوب الاصلية لهذه البلاد وأخذ الجميع يعيشون في كنف حضارة إسلامية جديدة تميزت بالنهضة الفكرية والرقي الاقتصادي. وقد تشكلت الحياة الاجتماعية في هذه البلاد جميعا بطريقة متشابهة الأمر الذي زاد من التقارب الفكري والاجتماعي في هذه البلاد.

ان السواحل البحرية المشتركة والمتصلة قاربت بين هذه الدول اتصالا ومعيشة، وكذا الصحراء ومناطق الرعي. وليس هذا هو السبب فقط بل ان الصلات البشرية الوثيقة جدا

ساهمت في خلق هذا التشابة، فالرجل يرحل بغرض التجارة الى قطر عربي معين ويرجع ومعه الزوجة والجواري يقطعون السفر بالسمر حتى يصلوا الى بلاد الزوج.

كما ان لقاء التجار والمرتحلين وتواجدهم في منطقة محددة للتزود بالماء او الاستراحة قبل مواصلة السفر، وتبادلهم الاحاديث المختلفة ساهم في تعزيز الصلات بين هذه الدول والتمازج الثقافي بينهما.

سبب آخر لايمكن انكاره هو الحج والتقاء الناس من نقاط ومواقع مختلفة، والتفافهم حول عقيدة واحدة وتعبيرهم عن ذلك بوسيلة واحدة هي اللغة العربية جعل من التشابه أمرا حتمياً، ولكنه ايضا ابرز تمايز هذه الثقافات المختلفة، إذ تدين كل دولة ببعض من المعتقدات التي ترتبط بتصورات اسطورية، وليس غريبا ان تنغرس بعض هذه الصور المرتبطة بهذه المعتقدات في نفوس الناس وتتجسد في أشكال فنية جديدة.

وعليه فإن التشابه في البيئة والتاريخ انعكس على أشكال التعبير الشعبي ومضامينها، ويتضح هذا الأمر إذا قمنا بعمل مناظرة في تحليل المضمون بين اشكال التعبير المختلفة في فنون المنطقة.

بيد انه عند النظر الى محور هذه الندوة لوحظ انه من الصعب الحديث عن كل فنون عمان ولعل هذه الصعوبة جاءت نتيجة سعة الموضوع ذاته وحاجة الباحث الى فريق عمل متخصص يستطيع حصر الموضوعات المختلفة والمتنوعة، كما يحتاج الامر الى زمن يتسع لمزيد من الدراسات للوقوف على أوجه التشابه، ولذا وجدنا انه من الضروري اقصار الأمر على شكل من اشكال التعبير الشعبي كنموذج يمكن ان نخلص منه الى نتائج محددة يهدف اليها البحث، ووقع الاختيار على الحكاية الشعبية لعدة اسباب ـ تتضح فيما بعد ـ لكن يكفي القول هنا ان اختيار الحكاية دون غيرها من الاجناس الفولكورية قد تم بسبب توفر مادة ثرية جمعت من عمان ومن كل دول الخليج الأمر الذي يمكننا من الوقوف على اوجه التشابه من حيث المضمون والبناء.

حين يبحث الباحث عن مصطلح ما يلجأ الى حشد الكثير من التعريفات الموجودة في القواميس الدلالية والقواميس اللغوية والمراجع المتخصصة بهدف شرح وتفسير وظائف المصطلح وأبعاده وعلاقته بمفاهيم ومصطلحات اخرى تتداخل بعض حلقاتها بالمصطلح المراد تحديده ـ ويجد الباحث نفسه مضطراً لجمع هذه التعريفات المختلفة ليختار منها ما يناسب ويوافق فكره وتوجهه.

واذا رجعنا الى هذا الكم المضمن في طي المراجع المتوفرة لمصطلح الحكاية فإننا نجد تعـريفا وصفيا واسعا يضم بين ثناياه، وظيفة الحكاية واهميتها في تاريخ الأمم والشعوب والدوافع المختلفة لابرازها والحرص على دراستها، كما يضم الكثير من جوانب تاريخ هذه الأمم وبطولاتها وحروبها والمعتقدات والمعارف السائدة في مجتمع البحث. ولو دققنا في مجمل التعريفات التي اوردتها القواميس المتخصصة، نجد ان مصطلح الحكاية الشعبية مرتبط بالقص الشعبي والذي هو بدوره يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر.

هذا الحدث القديم ليس مقصورا على فئة بعينها أو محصورا في جماعات محددة، ولكنه حدث عام أسـاسـه الانسـان ومسـيرة التـطور التي مر بها، ومجمـوع الوقائع والأحداث والمفارقات التي عاشها.

لقد واجه الانسان ظواهر الطبيعة المختلفة وعجز عن تفسيرها فقام مضطرا يدفعه عجزه عن فهم ما يدور حوله الى تقديس هذه الظواهر وعبادتها، وقادته حيرته وكفاحه اليومي، ورغبته في تذليل ما يواجهه وتكييف حياته وصياغة أمانيه الى خلق وسيلة للتعبير عن ذلك، فكانت الحكاية او القص او الرواية أو الاسطورة.. وكلها جميعا تتصل بهذا الحدث القديم والهاجس العام للبشر في نقل تجربة التطور والنمو في المجتمع الانساني.

هذا العبور الشاق يفرض علينا مرحليا تحديد الانماط المختلفة في التعبير وبما أننا بصدد الحديث عن الحكاية، لذا فإن علينا ان نحدد مجموعة من الخصائص لهذا النمط يقودنا والقارىء الى فهم محدد وواضح لأهم خصائص الحكاية التي يأتي على رأسها:

● **التداول الشفاهي**: إذ أن من أبرز سمات الحكاية الشعبية التداول الشفاهي، وحين يتولى بعض الكتاب إعادة كتابتها كما هي في حكايات التراث نجدهم يشيرون الى مصدر جمعها ومجهولية قائلها فيذكر حكى اعرابي أو قال الراوي... أو يحكى ان... الخ

● **العـراقـة**: قد نعود مع القارىء الى ما ذكرناه في مقدمة هذا البحث عن نشأة الحكاية والتأكيد على انها ليست من ابتكار تجربة ذاتية لفرد أو لأمة ولكنها ملازمة للانسان. ولذا من الصعب البحث عن أصلها ونشأتها ـ واذا اتفقنا على أهمية ما قام به الجامعون مثل الأخوين جريم ودوافع هذا العمل فإن ذلك لا يعني تاريخ نشأة الحكاية وأصلها.

من الصعب ان نأتي على أوجه التشابه بين حكايات المنطقة ولكننا سنحدد مجموعة من العنـاصر قد تبـدو من أبـرز السمات في الحكايات التي بين ايدينا، كما سنأتي على البناء القصصي في هذه المجموعة وارتباط ذلك بالقصص العالمي.

اذا أخذنا حكاية «**الصياد**» من سلطنة عمـان ونظيرتها حكاية «**ثلاثة في ثلاثة في ثلاثة**» والتي جمعت من دولة الكويت، نجد ان ثمة تشابها كبيرا في صميم بناء الحكاية. ففي حكاية «**الصياد**» من سلطنة عمان لاحظ رجال الوالي وجلسائه المرور المتكرر لرجل يذهب الى البحر ليصطاد السمك فيبيعه، ويكرر ذلك ثلاث مرات يوميا. . أخذوا يتهامسون على الرجل وانه لايمل وقد يكون كون ثروة كبيرة من وراء ذلك. ضاق الوالي بحديثهم فطلب منهم استدعاء الرجل، فلما جاء سأله عن سر تكالبه على العمل فأجاب الرجل «انا أدين، وأوفي دينا، وأرمي ورائي». رد الوالي «لا تبيع ارخيص»، فرد الرجل «لا توصي حريص».

ترك الرجل مجلس الوالي، وطلب الوالي من رجاله ان يفسروا كلام الرجل والا سيقطع رؤوسهم، فاحتاروا في ذلك واضطروا للذهاب اليه فرفض وعرضوا عليه مبالغ طائلة لينجوا بأرواحهم. فشرح لهم معنى أدين أي أطعم أولادي، وأرد الـدين أي أصرف على أمي وأولادي، وأرمي وراي أي اطعم بناتي اللاتي سيتزوجن وينتقلن مع أزواجهن.

سألوه عن (لا تبيع ارخيص، لا توصي حريص)، فأجاب ما دفعتوه من مال في سبيل معرفة ما قلته يفسر هذا القول. وعادوا واخبروا الوالي وعرف منهم الوالي انهم دفعوا مبلغا من المـال لمعـرفة هذا القول فنهاهم عن التدخل في شؤون الغير ومراقبة الآخرين. هذا باختصار ملخص لحكاية «الصياد» من سلطنة عمان.

أمـا بنية حكاية «ثلاثة في ثلاثة في ثلاثة» من دولة الكويت فهي مشابهة الى حد كبير «حيث نجد ان مزارعا يتصادق مع الوالي ويسأله: «ثلاثة مع ثلاثة مع ثلاثة ما يكفونك عن ثلاثة»، فيجيب قائلا «ادين دينا وأوفي دينا وأكط في البحر»، وهو يقصد بأنه يرد دين والديه ويقرض ابناءه بالانفاق عليهم ويلقي في البحر لأن عنده زوجة لا يظهر عليها الفضل.

نرى في هاتين الحكايتين تشابها من حيث المضمون والدلالة الاجتماعية، إذ تعتمد على ابراز أهمية المؤسسة الاسرية كوحدة اقتصادية واجتماعية، يتم من خلالها تحديد دور الأفراد في مختلف مواقعهم وفئاتهم العمرية. فالأسرة هي البناء الاجتماعي الذي يحاول الجميع الاحتماء به. ان مفهوم الاسرة في هاتين الحكايتين ليست الأب وزوجته وابناءه وإنما هي الجد والجدة وهذا امتداد اقتصادي واجتماعي فرضته الظروف المعيشية الشحيحة وغياب الكفالة الاجتماعية للعاجزن من كبار السن والنساء ـ والوجدان الشعبي في هذه الحكاية يسن قانونا عاما للمجتمع لحفظ الشيخوخة وصونها.

إذا دققنا في التعبير الذي أورده الراوي نجد انه يضع اساسا لكبره فهو «يدين» اذ يربى ابناءه الذكور ـ والذكور فقط ـ كوديعة او مدخر لعوادي الزمن.

وجاءت هذه الكلمة في مقدمة الأشياء سابقة لغيرها من الاعباء المترتبة عليه، ثم «يرد دين» أي يعيل اباه وأمه وذلك إلزام لرد دين سابق، ثم يرمي وراءه في البحر كما ورد في الحكايتين أي يربي بنات أو يصرف على زوجته ـ المرأة ضيفة في منزل ابيها، ستخرج منه الى بيت آخر هو بيت الزوجية وتلك مسلمة لا تقبل الجدل، كما انها لا تحمل اسم اسرتها. . ولذا فإن ما يقدم لها من رعاية وعناية يعد جهدا لا عائد منه.

نعود الى حكاية أخرى من عمان «ابو البنات السبع وأبو الصبيان السبعة» ونجد ما يشابهها في المملكة العربية السعودية ـ المنطقة الشرقية وهي حكاية «عين زيد عين جارية» حيث تقف البنت الصغرى تصد عن ابيها اعتداء الآخرين عليه، وتدافع عنه وعن مكانتها في المجتمع.

تقدم لنا قصة «أبو البنات السبع وأبو الصبيان السبعة» من سلطنة عمان وهي تطرح موقف المجتمع من الأبناء الذكور، فمكانة الأولاد ثابتة في الوجدان الشعبي فهم المفضلون على البنات ويعير الآخرون الأب الذي لا ينجب الا البنات. لكن الحكاية تحاول تطهير الوجدان الشعبي من هذه المسلمة اذ تطرح الفتيات قادرات على منازلة الرجال ويتفوقن على الأولاد، تدور حكاية «ابو البنات السبع وابو الصبيان السبعة» عن رجل عنده سبعة أولاد يعاير اخاه الفقير ابو السبع بنات، ولكن البنت الصغرى تتصدى لذلك وتتحدى أبناء عمومتها في رحلة بحرية تعود بعدها بكسب وفير، وتستطيع ان تخدع مضيفها «علي بن بدرا» وتعود لبلادها محملة بالهدايا، بينما يعود ابناء عمومتها منكسرين يتبعها «علي بن بدرا ويتزوجها».

نجد في المملكة العربية السعودية ـ المنطقة الشرقية حكاية مشابهة تماما وهي حكاية «عين زيد، عين جارية» حيث تدور الحكاية حول «اخوان اثنين» واحد غني وعنده اولاد، وواحد فقير وعنده بنات، اعتاد الأخ الفقير ان يذهب كل يوم الى أخيه الغني ويفطر عنده. وذات يوم كان الأخ الغني متضايقا فأخذ يعاير أخيه الفقير ويقول له «ان حظك في الأرض مع البنات لأنهم لا يفيدونك بشيء اما انا أبو الأولاد فحظي في السماء وهذا هو ولدي الصغير سوف يسافر ويجلب لي الخير»،

تضايق الاخ الفقير وذهب الى بناته، شاهدت البنت الصغرى حالة والدها فسألته عن السبب، فأجابها بما قاله عمها الغني، فطلبت من والدها السماح لها بالسفر فوافق بعد الحاحها، سافرت البنت بعد ان قصت شعرها ولبست ثياب الصبيان وذهبت وعملت في المزرعة التي يعمل بها ابن عمها ولكنه لم يعرفها، ومن كثر حلاوتها أحبها صاحب المزرعة

فوظفها تشرف كل يوم على المال. شك ابن صاحب العمل وقال ان هذا الجمال جمال بنت والصوت صوت بنت، فذهب وأخبر والدته بما يشك فيه، فأعطته والدته عدة من التجارب يقوم بها لاثبات اذا كانت بنتا أو ولدا، بعد ان قام الولد بتنفيذ ما قالته والدته ظهرت جميع هذه التجارب تؤكد على انها صبي وليست بنتا، أما ابن عمها فقد تعب من الشغل ورجع الى بلاده، بعد ذلك جمعت الفتاة الكثير من المال ورجعت الى بلادها وقالت ان الحاكم الظالم يجب ان يخلع من الحكم، فوافق أهل البلدة وخلعوا الحاكم عن الحكم وطلبت منهم ان يحضروا والدها وعندما رأته وكان قد أصبح أعمى بعد فراقها، وافق أهل البلدة على تعيين والد الفتاة حاكما على البلاد وعاشوا في أمان وسعادة.

حكاية «ابو البنات السبع والصبيان السبعة» تشابه ايضا حكاية اخرى جمعت من المملكة العربية السعودية (المنطقة الشرقية) ففي حكاية «بنت لخييط» حيث تظهر الحكاية الفتاة ذكية تنقذ اباها الذي يعمل بأجر يومي في بساتين السلطان عندما اراد السلطان ان يختبر ذكاء والدها فطلب منه عددا من الطلبات التعجيزية فقد أمره ان يحضر «سلة بعود وسلة بلا عود، وقبضة بذهب واخرى بفضة، وان يحضر رمانة من حجر»، فحلت الفتاة الصغرى الالغاز لوالدها وهي كالتالي: «الأولى سلة فيها تمر واخرى فيها لبن ومغرفة، والثانية ان يأخذ من سعف النخيل واحدة ويضعها في الشمس فتصبح بيضاء، ويأخذ الثانية خضراء» اما لحل اللغز الثالث فتطلب الفتاة من والدها ان يخبر السلطان بأن بناته يردن الغداء معه فوافق السلطان على ذلك. وتدور محاورة بين الفتيات والسلطان عندما رفضن الأكل الا بحضور السلطان، وعند حضوره يرفضن الأكل ويسألهن السلطان مستغربا عن سبب عدم أكلهن فيخبرنه انهن وحامى، يستغرب السلطان من جوابهن لعلمه بأنهن غير متزوجات فيسألهن عن كيفية ذلك فترد البنت الصغرى سائلة السلطان وكيف تطلب من والدنا رمانة من حجر؟.

يبرز الراوي قيمة أساسية في المجتمع ومسلمة لا تقبل النقاش وهي أهمية الذكور وكما يشير الراوي في بداية حديثه بأن الأولاد فيهم بركة اكثر من البنات وعدم انجاب الذكور تعد سبة وضعفا، لكن الوجدان الشعبي يدافع عن ذلك من خلال روايات يبدعها ويصبغها لدحض هذا القول.

مثال ثالث على التشابه نجده في حكايتي «صبر ساعة» من سلطنة عمان، وحكاية «سلام بن عافية» من دولة قطر. حيث السماح للرجل بالزواج باكثر من واحدة أو ما يسمى بتعدد الزوجات يستمد شرعيته من اطار ديني يبيح هذا الفعل، واطار اجتماعي آخر يرى ان «ما

يتشـاكـون الا بنـات الحلال»، لكن الثقافة الشعبية قاومت هذا الحق بصور مختلفة مرة بصراحة متناهية ومرة بابراز سلبيات الأخوة غير الأشقاء ويتضح هذا الأمر في الحكايتين.

الفتـاة المـظلومـة في حكاية صبر ساعة من عمان ليست شقيقة خالصة لاخواتها وأمها حبشية، ويفهم من سياق الحكاية غياب الأم مما يدفع بأخواتها الى محاربتها بالقول والفعل.

تحكي حكاية صبر ساعة ان رجلا عنده سبع بنات من بينهن واحدة امها حبشية متوفية وربتها جدتها، نوى ابوها على السفر، فبعث اخواتها ليسألنها ماذا تريد ان يحضر لها معه من السفر؟ فوجدنها تصلي فأخبرتهم صبر ساعة، عدة مرات فذهبوا واخبروا والدها بان هناك رجلا يدعى صبر ساعة وتريده.

سافر والدها وسمع الناس هناك ينادون على رجل يدعى صبر ساعة فنادى عليه واخبره بان هناك فتاة تريد ان تتزوجه، فرد عليه بأنه بعد ان ينتهي من اعماله ويفرغ سيحضر لها واعطاه حصاة واخبره بأن يعطيها الى الفتاة.

رجع الرجل الى بيته وأرسل اليها الحصاة فأخذتها، مسحت الفتاة على الحصاة فتحولت الى صندوق، ووجدت في داخله حقيبة وبها قفل ومفتاح، فتحتها فوجدت بداخلها رسالة مكتوبا فيها بأن تعد البيت وسيحضر بعد خمس سنوات ليتزوجها، وأرسل لها نقودا.

جلست البنت تنتظر حضور صبر ساعة وجاء عند الرجل وطلب منه ان يزوجه ابنته، فأخبره الوالد بأن لديه سبع بنات وعليه ان يختار واتفق معه ان يرسل له كل يوم واحدة لتسكب عليه ماء ليغسل يديه ويختار من يريدها، حضرت البنات الست بكامل زينتهن فلم يخترهن، وحضرت البنت الحبشية بثيابها العادية بعد صلاتها وسكبت عليه الماء، فذهب الى والدها وقال أريد الزواج منها، فزوجها له، بعد ذلك جاءت اخواتها وسألنها عن مكان نومه ومكان جلوسه وملابسه، فأخبرتهن فوضعوا له سما في هذه الأماكن وبعد ذلك امتلأ جسم صبر ساعة بالعورات، واخبر زوجته بأنه يريد الذهاب الى أهله ليتعالج هناك، وستصلها أخباره إن كان حيا أو ميتا.

مرت سنتان ولم تأت أخبار عن صبر ساعة، وفي يوم من الأيام كانت «بنت الحبشية» جالسة واذا بها تسمع ثلاث حمامات يتكلمن فتقول الأولى بأنها لو كانت تعرف بأن دمي سيشفي صبر ساعة لذبحتني، وقالت الثانية واذا اخذت لحمي وشوته واعطته لصبر ساعة سيشفى، وقالت الثالثة لو نتفت ريشي وداوت به صبر ساعة سيبرى من مرضه، فأخذت الحمامات الثلاثة وذبحتهن وفعلت بهن مثل ما سمعت، وذهبت الى البلد التي يوجد بها صبر ساعة وتخفت بزي طبيبة وأخذت تنادي في البلد طبيبة، طبيبة، حتى وصلت الى بيت صبر

ساعة فنادتها أمه وأخبرتها بعلة ولدها، فقالت لهم انها ستداويه وأدخلوها عليه وعالجته بما سمعته من الحمامات الثلاثة.

بعد ثلاث أيام برىء صبر ساعة من مرضه ورآها مرة في البيت لوحدها فدخل عليها فحملت منه وبعد ذلك ارادت الرحيل فسألوها ماذا تريد منهم مقابل شفاءه فطلبت منه طاقيته عندما كان صغيرا، وطلبت حزامه عندما كان صغيرا، وطلبت منه دشداشته عندما كان صغيرا، فأعطوها كل ذلك ورجعت الى بلدها.

بعد عودتها ظهر انها حامل فعلم أهلها وأرادوا قتل الطفل فرفضت وقالت بأنها ستربيه، بعد ذلك عاد صبر ساعة من عند أهله وأخبروها بذلك، فألبست ابنها لباس صبر ساعة وهو صغير، وعندما رأى صبر ساعة الطفل، عرف بأنه ولده، فقال له والدها بأنه ليس ابنه، فرد عليهم بأنه ولده وذهب اليها وسألها عن القصة فروت له القصة بكاملها، فأخذها وأخذ ولدها وعاشوا في هناء».

وشبيه بهذا تماما قصة الفتاة في حكاية «سلام بن عافية» من دولة قطر فهي ايضا يتيمة وكلتاهما تتعرضان لكيد اخواتهن غير الشقيقات، ويدرك المتلقي دلالة هامة هي ان الزوجة الثانية مصدر للتعاسة وغياب الأم لأي سبب يعرض الأبناء للشقاء، وهذه دعوة واضحة لسوء زوجة الأب وسلاح تشهره المرأة باتجاه الزوجة الثانية.

وتتحد الحكايتان في وسيلة علاج الأزمة التي تمر بها الفتاتان، فالطير هو القوى المساعدة التي تبرز لتقف مع المظلوم... وللطير في حكايات الخليج دور مستمد من الدين.

تدور حكاية سلام بن عافية انه كان لأخ ثلاث أخوات اثنتان من أم واحدة والثالثة من أم أخرى متوفية، وكان الأخ يحب اخته كثيرا، قرر الأخ ذات يوم السفر فسأل اخواته ماذا يردن ان يحضر لهن معه من السفر، فقلن له لا نريد شيئا وقالت الأخت الثالثة أريد سلامتك وعافيتك، فاعتقد الأخ بأنها تريد شخصا اسمه سلام بن عافية.

سافر الأخ وأخذ يسأل عن سلام بن عافية حتى وجده وأخبره بطلب اخته، فرحب به سلام بن عافية وأعطاه ثلاث جوزات وطلب ان يأخذها الى أخته، اعطى الأخ أخته الثلاث جوزات فوجدت في الأولى ذهبا وفي الثانية وجدت ثيابا وفي الثالثة وجدت نقودا. فأخبرته أخته انها كانت تريد له السلامة والعافية وليس سلام بن عافية.

تزوجت الأخت سلام بن عافية، واصابت الغيرة اخواتها فدبرا لها حيلة بأن وضعوا الزجاج على فراش سلام بن عافية، وحين جاء لينام دخل الزجاج في بدنه ومرض سلام بن عافية واخبر زوجته بأنه سيذهب الى بلاده للعلاج وأخبرها بأن هناك بستانا كبيرا له اذا

ارادت الاطمئنان عليه تذهب الى البستان فإذا رأته مخضرا كان بخير واذا تحول البستان الى اللون الاصفر كان زوجها في حالة خطرة، أخذ البستان يتحول الى اللون الأصفر فأرادت الزوجة انقاذ زوجها فتنكرت بثياب طبيب بعد ان سمعت حوار الحمامات الثلاث بوصف الدواء الشافي لزوجها فأخذته وذهبت لبلاد زوجها وعالجته وشفته من مرضه، أرادوا مكافأتها على ما فعلته لولدهم فطلبت منهم السيف والخاتم الذهبي وعصاة سلام بن عافية، فأعطوها ما طلبت وعادت الزوجة الى بلادها، بعد ذلك رجع سلام بن عافية الى زوجته واستغرب عندما رأى الخاتم الذهبي بأصبعها فأخبرته بما فعلت فقال ابن عافية اشهدوا بأنني قد وهبت كل حلالي ومالي وما ملكت لزوجتي الطيبة.

حكاية «**المرأة الذكيـة**» من سلطنة عمان وحكاية «**الأمانـة**» من دولة الامارات العربية المتحـدة تضـع المرأة في مقابل رجل الدين وتتفوق عليه في حيلة تمكن التاجر أو المسافر باسترداد ماله من هذا الرجل الذي حاول انكاره.

هنا لابد من وقفة متأنية ـ وبعيدا عن أي انفعال أو محاولة لاجتهادات قد تخلق اشكالية نحن في غني عنها ـ إذ ليس المقصود من ذلك تقليل دور رجل الدين أو إدانته بقدر ما تعني «ان ابن آدم خطاء، وان النفس أمارة بالسوء» والمعصوم عن الخطأ هو الله وكلنا عرضة للزلل.

تدور حكاية المرأة الذكية، من سلطنة عمان حول رجل جمع ما لديه من مال وخرج من بلاده، حتى وصل بلدة اخرى فصلى في المسجد وقرر ان يمكث بها بضعة أيام واحتار كيف يحافظ على ماله، واهتدى الى ان يؤمنها عند امام المسجد، قبل الامام الأمانة ولكنه انكرها على صاحبها حين أتاه مطالبا بها، حزن الرجل، وخرج من عنده مهموما، علمت احدى نساء المدينة بما حل به ووعدته بأن تعيد اليه ماله، طلبت منه المرأة ان يرافقها الى بيت الامام ويقف خارج البيت، ثم يدخل بعد ذلك ويطلب الأمانة أثناء وجودها مع الامام ثم يخرج بعد ذلك.

ذهبت المرأة الى الامام ومعها مجوهراتها وادعت ان زوجها مسافر وترغب بان تودع ما لديها عنده خشية ان تسرق، أثناء الحديث دخل الرجل يطلب أمواله فسلمها له الامام طمعا في ما أمامه من مجوهرات وأموال وقبل ان تفرغ المرأة من حديثها دخلت خادمتها تخبرها بأن زوجها قد عاد من سفره، وانه لا حاجة لايداع أموالها عند إمام المسجد فجمعت المرأة ما لديها وخرجت.

هذه الحكاية تشابه تماما حكاية «الامانة» من دولة الامارات العربية المتحدة والتي يدور محورها حول رجل عنده ذهب ومال، وقرر السفر، فسأل اصحابه اين يمكنه انْ يجد انسانا يثق به ويترك عنده ماله وذهبه، فأشاروا عليه بأن يودعها عند المطوع فليس هناك من هو اكثر امانة من رجل الدين. ذهب الى الامام واعطاه الأموال وسافر وبعد مدة عاد الرجل من السفر وذهب الى المطوع يطالبه باسترجاع الأمانة، لكن المطوع انكر انه استلم منه شيئا.

خرج الرجل من عند المطوع باكيا ورأته امرأة كانت مع خادمتها وسألته عما حدث فأخبرها بحكايته، فطمأنته واخبرته بأنها سترجع له ماله. ودبرت حيلة مع الرجل تحتال بها على المطوع لاسترجاع ماله. ذهبت المرأة الى المطوع ومعها مجوهراتها وأخبرته بأنها تريد السفر وراء زوجها ولم تجد أحدا أكثر أمانة منه لتضع مجوهراتها عنده، في هذه الاثناء جاء الرجل الى المطوع يطلب ماله فأعطاه اياه، أما المرأة فقد غيرت رأيها وأخذت ذهبها وخرجت بعد ان تركت المطوع صفر اليدين.

تتشابه ايضا حكاية «**الصياد واليهودي وخاتم سليمان**» من سلطنة عمان؛ وحكاية «**الصائغ واليهودي**» من دولة الامارات العربية المتحدة، حيث تتفق الحكايتان حول ظلم اليهودي وجبروته وقسوته، وترتكز الحكايتان على أربعة عناصر أساسية هي :

أ ـ الايمان في قدرة الخالق المطلقة وانه على كل شيء قدير.
ب ـ اليهود وحبهم للثروة والتملك.
ج ـ البحر مصدرا للرزق.
د ـ الحيوان، السمك، الكلب، القطة، الفأر قوى مساعدة تقف مع البطل في محنته.

تدور أحداث حكاية «الصياد واليهودي وخاتم سليمان» حول صياد يربي مجموعة من الحيوانات ـ كلاب، قطط، فئران ـ وجد الصياد خاتما ثمينا في بطن سمكة أغناه عن العمل اليومي الشاق. سمع اليهودي بالنبأ فرغب في الحصول عليه بأي طريقة حتى تمكن من أخذه بالقوة، حزن الرجل لفقده الخاتم، وفي الصباح عرفت الحيوانات بذلك فاتفقت على ان تكافيء صاحبها وتعيد له الخاتم من الرجل اليهودي وأخذ الخاتم من فمه. فنفذت الخطة باحكام حيث قام الكلب بحراسة الباب والقطة جلست على السرير، أما الفأر فاستغل ذيله في مضايقة أنف الرجل اليهودي حتى عطس، تسلم القط الخاتم وسلمه للكلب من فمه وتم تسليمه للصياد.

تشابه هذه الحكاية تماما حكاية «الصائغ واليهودي» من دولة الامارات العربية المتحدة والتي يدور محورها حول أحد الصاغة المسلمين الذي يمارس مهنته بأمانة واتقان وكان كلما صادفته مشكلة او عرض له امر يقول «يدبرها المدبر»، سمع احد اليهود هذه العبارة وسأل عن معناها ففسروا له بأنها تعني ان الله قادر على كل شيء. لم يعجب اليهودي هذا التفسير وأراد ان يوقع بالصائغ المسلم، فدبر حيلة للصائغ فاعطاه خاتم الحاكم لاصلاحه وقبل انصرافه طلب من الصائغ ان يحضر له كوب ماء، وفي فترة انشغال الصائغ باحضار الماء قام اليهودي بسرقة الخاتم من الخزنة وغادر المحل وذهب الى البحر ورمى بالخاتم. في صباح اليوم الثاني ذهب الصائغ كعادته الى سوق السمك واشترى كمية من السمك وعاد الى بيته، ذهب الصائغ الى دكانه وفتح خزانته لاخراج الخاتم ليقوم باصلاحه وصعق عندما لم يجد الخاتم وظل حزينا طوال اليوم، عند عودة الصائغ الى بيته اخبرته زوجته بانها قد وجدت خاتما ثمينا في بطن احدى السمكات اثناء تنظيفها، شاهد الصائغ الخاتم وحمد الله وقال لقد نجوت من كارثة محققة. في الموعد المحدد جاء اليهودي لأخذ الخاتم فقام الصائغ وسلمه الخاتم، لم يصدق اليهودي ما رأى وقص الصائغ ما فعله، وكان الحرس في هذه الأثناء قد احاطوا باليهودي وبدأوا بوضع القيود في يديه بعد انفضاح مكيدته وانكشاف أمره، فنظر اليه الصائغ وقال له: يدبرها المدبر.

خلاصة القول :

ان الحكايات السابقة توضح بجلاء ان ثمة تشابها كبيرا بين حكايات سلطنة عمان وحكايات غيرها من دول الخليج، هذا التشابة يجعلنا نتناول المضامين التي تحتويها تلك الحكايات الموجودة في منطقة الخليج بصفة عامة ولعل هذا التناول يرتكز على ثلاث عناصر هي :

أولاً - المرأة

من خلال تجربتنا في الدول المؤسسة للمركز لاحظنا ان المجتمعات حاربت التعدد من خلال القصص الشعبي - رغم اباحة الدين لذلك - إلا ان هذا الموضوع يتكرر بصورة مكثفة من خلال زوجة الأب والأخت غير الشقيقة.

فزوجة الأب في القصص الشعبي ومعاملتها السيئة لابناء زوجها ما هي إلا سلاح فتاك لمحاربة الزوجة الثانية.

ان الحكاية بصفة عامة تبدأ برجل ثم ما يلبث ان يغيب تاركاً ساحة القتال لامرأة تديرها بخبثها ومكرها وقدراتها الخارقة.

إنها المرأة . . . . ذلك المخلوق الذي مازال الوجدان الشعبي يبحث له عن اقنعة يضيفها لادواره المتعددة . . انها سر مطلق وقوة خارقة وقدرات لا تضاهى ، إنها البنت الصغرى التي تتحدى الرجل او الملك لتؤكد قدرتها على تخطي الصعاب ومواجهتها بل وتتفوق على الرجال في ذلك حيث تستطيع اخفاء شخصيتها وتضليل الملك وتتغلب على أبناء عمومتها .

انها تلعب دور البطولة بدون منافس وبدون قوى مساعدة . . فهي تواجه امام المسجد او المطوع ذلك الرمز الديني للأمانة لتنتصر عليه ولتثبت انها خليط عجيب محير . . إنها مزيج بين اللذة والألم . . إنها طبيعة لا يسهل فهمها الا على النابهين .

ثانياً ـ القـوى الغيبيـة

لعل المسترجع للحكايات السابقة يلاحظ انها متمثلة في الحمام . . ذلك النوع الأليف الـذي له طبـاع تقـترب من طبـاع الانسان إلا ان لحمه وريشه هو مفتاح الاطلاع على الغيب . . فعن طريق أكله أو ملامسته يشفى المريض من مرضه وعن طريقه يستطيع البطل ان يلحق بزوجته ويخلصها من ظلم ابيها وأخواتها غير الأشقاء .

فمن أين اكتسب الحمام هذه الصفات الغيبية ؟

يبـدو ان لزينـة الحمام علاقة بذلك خاصة وان تلك الزينة ترتبط ارتباطا وثيقا بقصة الطوفان ودعاء نوح للحمام واستجابة الله لذلك الدعاء ، كما الحمام كطائر اولا وكطائر وديع ثانيا . . ونعرف ان الروح هي من كائنات العالم الغيبي . . عالم المعرفة المطلقة . . فأنت تستطيع ان تفسر السبب في ان الحمامات اتصفت ببعض الصفات الخارقة كارتباطها بمعرفة الغيب وما فيه والنطق بلسانه .

الحـديث عن الحكـايات الشعبية في سلطنة عمان وتشابهها مع حكايات دول الخليج الاخرى لا ينضب . فالتشابة ينبع من عوامل تاريخية وجغرافية وبشرية . هذا التشابة لاينفي تشابه حكايات عمان مع الحكايات العالمية ، لكن التأمل في حكايات عمان من حيث البناء والمضامين التي تطرحها تجعلها ذات تميز واضح مرتبط بثقافة هذه المنطقة . فهي ليست نسخا مكررة من الحكايات العالمية ولا من حكايات دول الخليج الأخرى . ففي كثير منها نجد تميزا واضحاً يرتبط بخصوصية سلطنة عمان الثقافية .



جانب من فعاليات المنتدى الأدبي

الأبعاد الروحية في المأثورات الشعبية (*)

اعداد : ناصـر بن حمـد البـلال

السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ، ،

تلقيت دعوة كريمة من المنتدى الأدبي يطلب اليّ فيها أن اشارك في ندوة المأثورات الشعبية ببحث تحت عنوان «الأبعاد الروحية في الموروثات الشعبية» وابديت حماسا لهذا التشريف، وفور وصول كتاب التكليف الرسمي بدأت التفكير في وضع خطة للبحث وتداعت في ذهني افكار عديدة جاءت في اسئلة هي :

ـ هل تم جمع كل نصوص المأثورات الشعبية ونشرها، ليصار الى استنطاقها ورصد الأبعاد الروحية المتضمنة فيها؟

ـ ثم ما الذي تعنيه الأبعاد الروحية ؟

ـ وما هي المأثورات الشعبية على وجه التحديد ؟

وتوالت اسئلة اخرى كثيرة، ألقت ظلالا من الحيرة وشعرت كأنني وسط موج كالجبال يتقاذفني وتزداد الاسئلة معه إلحاحاً.

وتبدأ رحلة البحث في الموسوعات والمعاجم والمراجع ذات العلاقة بالموضوع ـ وهي قليلة ـ لتقف على اجابات تبدد بعض تلك الظلال.

ما المـوروثـات الشـعبيـة ؟

ـ يقـول ابن منـظور في لسان العرب: (الارث أمر قديم توارثه الآخر عن الأول)، وفي الحديث الشريف: «إنكم على إرث من إرث أبيكم ابراهيم» يريد به ميراثهم ملته.

ـ والارث الثقافي : «مصطلح يشير الى النتاج الثقافي الموروث من أجيال سابقة في جوانبه المـادية والمعنـوية، وفي الاخـيرة يتضمن الحكايات الشعبية والاهازيج الرئيسية والألفاظ والأمثلة الشعبية الايجابية والسلبية»

(*) ورقة مقدمة الى ندوة «المأثورات الشعبية» ـ المنتدى الأدبي ـ مسقط من ١٩ ـ ١٩٩٢/١٢/٢١.

ـ ويرى سيد حامد حريز ان «التراث الشعبي يشمل الأدب الشعبي بأنواعه المختلفة، كما يشمل غيره من فنون الرقص والغناء والموسيقى، بالاضافة الى الانماط الاخرى كالممارسات والمعتقدات الشعبية».

هذا عن المأثورات الشعبية فماذا عن الأبعاد الروحية؟

يورد المعجم الفلسفي تعريف ابن سينا للبعد وهو:

ـ «كل ما يكون بين نهايتين غير متلاقيتين ويكون هذا البعد خطيا من غير خط، ويكون بعدا سطحيا من غير سطح» وضرب مثلا لهذا التعريف.

ـ كما أورد هذا المعجم تعريفين لكل من البعد الرياضي والبعد الفيزيائي. ويورد هذا المعجم كذلك التعريفين التاليين للروح:

ـ الروح الانساني: «هي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان الراكبة على الروح الحيواني، النازلة من عالم الغيب، تعجز العقول عن ادراك كنهها، وتلك الروح قد تكون مجردة وقد تكون منطبقة في البدن».

ـ «في الفلسفة المعاصرة يقال الروح في مقابل الموضوع أو المادة أو الطبيعة»

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ الاسراء ـ الآية ٨٥.

بعد هذا العرض الموجز ولعلمنا جميعاً ان النصوص المأثورة لم يتم جمعها وتدوينها بعد، تبدو محاولة الكتابة تحت العنوان المقترح صعبة جدا ـ لأن المأثورات الشعبية ميدان كثير التنوع في فنونه لا يفي به بحث خصص له بعض ساعة من نهار، بل يستنهض همم جمع من الباحثين في المجال الواحد من مجالاته المتعددة.

وحيث إن الأدب الشعبي هو بعض المأثورات الشعبية فإنني أجد في نفسي ميلا للكتابة في هذا الجانب وأقرأ الدواوين الأربعة التي تكرم المنتدى الأدبي بارسالها اليّ وأمعن في قراءتها ولا أجد الا تلكم الأمواج المتلاطمة وهي تقذف بي تقذفني الى بر آمن في بلد الشراع، وهنا يتحدد عنوان البحث ليكون «الملامح الدينية عند الشاعر ولد وزير». وهو موضوع بحثي يتسق ومناهج البحث الأدبي.

ولكن لماذا هذا الشاعر دون غيره؟

ويكون هذا الاختيار مسببا بما يلي:

أولاً: يقول الشاعر علي عبدالله خليفة في تقديم الديوان:

«والاستاذ الغيلاني من أسرة عريقة في الأدب، وجامع دؤوب صدرت له أعمال سابقة.

وقد وقع اختياره على الشاعر (بن وزير) لسببين :

الأول : انه تتمثل في نتاج الشاعر آخر مرحلة من مراحل بعض الفنون الشعرية التي كانت سائدة وأوشكت على الانقراض كفن (الميدان) .

وثانيا : لأنه شاعر «أمد الله في عمره ـ مازال حيا يعيش بيننا ويتمتع بذاكرة مذهلة تستجيب سريعا للاستثارة ، ولديها جلد غير عادي في الحفظ والاستظهار وهو ما كان يحتاجه الجامع لكي يطمئن الى صدق الرواية والتثبت من كل تفاصيلها»(١)

ثانياً : وجدت ان فنون الشعر وموضوعات قصائد الديوان تتنوع عند الشاعر ولد وزير تنوعا يمد البحث بالمادة المطلوبة ، ولم أجد مثل هذا التنوع في بقية الدواوين الأخرى .

ثالثاً : أفرد جامع الديوان ومحققه قسما خاصاً بالقصائد الدينية تحت عنوان «الدينيات» .

وهذا القسم ـ بلا شك ـ يخدم البحث خدمة كبيرة مباشرة .

وعلى الرغم من اختياري لديوان هذا الشاعر فإن لي جملة من الملاحظات سأضرب صفحا عن ذكرها الآن .

توطئـة :

تعلمون أيها الجمع الكريم ان الموروثات الشعبية العمانية نشأت في جو ديني مفعم . ولا غرو في ذلك ، فعمان أول قطر خارج نجد والحجاز يدين بالاسلام . ولذلك فإن جل فنوننا الشعبية العمانية ـ على تنوعها ـ لا تخلو من ملمح ديني او اكثر ، إلا ان كون عمان دولة بكل المقومات زمن البعثة المحمدية ، ولكونها امبراطورية أفرو آسيوية فيما بعد ، ولتاريخها البحري العظيم ـ فقد تأثرت كما اثرت بالحضارات التي تم التواصل معها ومن اجل ذلك فإننا نجد بعضا من معتقدات تلك الشعوب وبعضا من مفرداتها اللغوية ، قد تسربت الى بعض مأثوراتنا الشعبية ، وامتزجت بالتالي بهذه الفنون : اعتقادا وممارسة ، وخطابا . وشاعرنا ولد وزير لم يشذ عن هذه المقولة ولهذا فنجده يوظف بعض المفردات غير العربية في قصائده فمثلا نراه يقول في قصيدة من فن الميدان : (٢)«احسنت (سانا) يامولانا» وكلمة (سانا) كلمة سواحلية تعني جدا أو كثيرا .

ومثل آخر ، يقول الشاعر في قصيدة من فن الرمسة : (٣)

«وفتحت بوك الهوى اللي رقابه تنود» يعني فتح كتاب الهوى مستخدما الكلمة الانجليزية Book

---

١) الديـوان ص ٥ ، الديوان

٢) الديوان ص ٤٣ . ٣) الديوان ص ٨٩.

وفي احـدى قصـائـده التي سنعرض لها تفصيلا، يتحدث الشاعر عن مساعدة الحية لابليس كي يدخل الجنة بعد ان منع من دخولها. (٤)

بعد هذه التوطئة التي ارتأيت انها ضرورية سنحاول التعرف الى أهم الملامح الدينية في قصائد شاعرنا ـ رحمه الله ـ من خلال المحاور التالية:

ـ قصة بـدء الخليقة ـ من قصص الأنبياء ـ المولد النبـوي.

ـ الاسراء والمعراج ـ هجرة الرسول ﴿ﷺ﴾ الى المدينة ـ ملامح دينية أخرى.

أولاً: قصـة بـدء الخليقـة:

يستلهم الشاعر قصة بدء الخليقة من القرآن الكريم، ومن كتب التفاسير، ومما تعلمه من أساتذته في (دار القرآن). ويذكر الشاعر ذلك في موضعين من الديوان.

الموضع الأول: على شكل لمحة سريعة في بيت واحد من قصيدة حماسية في فن الرمسة يقول: (٥)«آدم نشاه من مدر وحواء نشئت من اليسار».

الموضع الثاني: في قصيدة آدم وحواء(٦) يذكر ذلك في عشرين بيتا يتبعها بأربعة أبيات عن نبأ ابنى آدم، استكمالا للقصة، وهنا نجد الشاعر يضيف مشاهد كثيرة الى القصة في محاولة منه لابرازها للقارىء. والمشاهد متنوعة فهي مرة من خيال الشاعر، وهي مرة اخرى من كتب التفاسير التي احتوت على الاسرائيليات يقول ولد وزير:

آدم وحـواء في قصـورهـا سكـان ... أمـر من اللـه في الكتـاب مـبـيـنـيـن

آدم سـكـن في الجنـة وجـاور الـولـدان ... لـي خـرجـه ملجنـة شيـخ المغوييـن

قـام يتعبـد ويـداور عـلى الـبـنـيـان ... ويخـلي نـفـســه من رجـال الصـالحـيـن

فـوق بابهـا حـارس ومـالك وخـــزان ... يمنعـو الخـارج منهـا والـداخـلـيـن

قصة آدم وحواء:

* سـكنهم الجنـة

* إغواء ابليس لآدم.

ولا بأس ان نقـرأ بعض أبيات هذه القصيدة لنتعرف على هذه الملامح والمصادر التي أخذت عنها ص ١٩٨ ـ ٢٠١ من الديوان

---

٤) الديوان ص ١٩٨.

٥) الديوان ص ٧٧ ٦) الديوان من ص ١٩٨ ـ ٢٠١.

الآيات الكريمة التي اقتبس منها الشاعر بعض المعاني :

في الاستهلال : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ١/٦ الفاتحة.

في قصة آدم وحواء :

١ ـ ﴿وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة، فتكونا من الظالمين﴾٢/٣٥ ـ البقرة.

٢ ـ ﴿فأزلهما الشيطان عنها، فأخرجهما مما كانا فيه . . ﴾ ٢/٣٦.

٣ ـ ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما، وقال ما نها كما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين، أو تكونا من الخالدين﴾ ٧/٢٠ الأعراف.

٤ ـ ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا . . . ﴾ ٢/٣٨ البقرة.

في قصة نبأ ابني آدم : الآيات الكريمة ٢٧ ـ ٣١/ ٥ المائدة.

افاد الشاعر من آيتين فقط.

١ ـ ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله، فأصبح من الخاسرين﴾ ٥/٣٠

٢ ـ ﴿فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه، قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب، فأواري سوءة أخي، فأصبح من النادمين﴾ ٣١/ ٥ المائدة.

﴿إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين﴾ ١٢٠ النحل.

يوم ما حصل سوى صاحب وخلان	كلهم على حيله وخدع متعاملين
الحية خذته وضمته ورا النيبان	ومروا على الجنة وهم الخاينين
من حس به آدم يظنبه سلطان	ومره يتصور كنه واحد مسكين
لين كلامه واستوى من الرهبان	واللي يشوفه يحسبه مراسخين
ربي نهاكم ما يالكم برهان	لتكونوا في الجنة ملوك خالدين
كلوا من الشجرة بخاطر فرحان	من تاكلوا بنخرج منها الحين
نزلت عليه اللعنة ومسكن النيران	وأمة محمد من شره متعوذين
جات الامارة من ربي عظيم الشان	ثم اهبطوا منها جميع مشردين
عقب الصداقة ساروا كلهم عدوان	الآدمي والحية وابليس اللعين
حواء في جدة والوالد في بر سيلان	مدة طويلة في الأرض متغايبين
ساروا يدوروا من مكان الى مكان	في الليل يناموا وفي النهار مسيرين
فوق الجبل في العرفة تعارفوا الشيبان	والحمد لله من تلاقوا الوالدين

هـذا الاسـم من سـابق في الجبـل ما كان	خطـوه من سـاروا الأهـل متعارفيـن
حـواء حملت وشـلت في البطـن اثـنـان	تم الحمـال وجابت للـوالـد ثـنـيـن
وحمـلت حمـال الثـاني وكثـروا الغلمـان	ماشـي حـرج حـرمه ورجل متخالطين

● في قصـة الطـوفـان :

١ ـ ﴿حتى إذا جاء أمرنا، وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك، إلا من سبق عليه القول، ومن آمن. وما آمن معه إلا قليل﴾ ١١/٤٠ هود.

٢ ـ ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها، إن ربي لغفور رحيم﴾ ١١/٤١ هود.

٣ ـ ﴿قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء، قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ ١١/٤٣ هود.

● في قصة اسكان ابراهيم عليه السلام من ذريته في مكة :

١ ـ ﴿ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم. . .﴾ ١٤/٣٧ ابراهيم.

٢ ـ ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ ٢٢/٢٧ الحج.

٣ ـ ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ ٢/١٢٥ البقرة.

قصـة أصحاب الفيـل :

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول﴾ سورة الفيل ١٠٥.

آدم يشـوف أولاده كلهـم اخـوان	حـلل ورخـص في زواج الأخـــويـن
واحـد رضـي والثـاني خاطـره زعـلان	يـبـا المـرة المـزيـونـه والوجـه الحسـين
سـار القتـل وحـلت قصـة في الزمـان	أول ثنينـه في الأرض متقـاتـليـن
القـاتـل تعـايـا وأيـزا يللخو تعبان	ماشـي عـرف معهم لـدفـن المـيـتـيـن
أنـزل عليـهـم ربـي مسـمـا غربـان	يبحـش قبـر للمـيـت ويدفنـه دفـيـن

بعد ان سرد الشاعر قصة آدم وحواء وسكناهم الجنة واغواء ابليس لآدم وهبوطهم منها، وقصة نبأ ابني آدم يستكمل هذه القصيدة بقصة الطوفان، واسكان الخليل من ذريته بواد غير ذي زرع، وقصة أصحاب الفيل في القالب التالي:

والثانيـة السـفينـة صـابهـا طـوفـان	فيهـا نبـي اللـه وأهـلـه سـالميـن
قـام وحمـل فيها من كل شـي زوجـان	وقـال اركبـو فيهـا بسـلام آمـنيـن

ابنه نـزل وأيـزا في الجبـل حصـلان   طـم الغـرق وغـابـوا كلهـم أجمعـين
أم القـرى بـلاد الرحمـة والأمـان   فيهـا خـليـل اللـه وهـاجـر سـالمـين
مـروا عليهـا وكل مظمـا عـطـشـان   الشـيـر يـابـس والخـلايـق ضـامـيـين
هاجـر لقـت زمـزم وشـافـت المـيْ عـيـان   وكانـوا عليهـا في الحفـر متساعديـن
أذن نبـي اللـه وجـاتـه الركـبـان   مـن كـل فـج سـاروا عليـه مهـرولـين
قـال النـبـي مكـة لمعشـر الانـسـان   طـوفـوا وصـلوا في مقـامي ركعـتـين
أمـر، ومن البـاري منـزل في القـرآن   عمـر وطهـر بـيـتـنـا للطـائـفـيـن
وصـلوا صحـاب الفيـل وعصبـة الأوثـان   شـروا الجـراد المنتـشـر متـواصـلين
يبغـوا يهـدمـوا الكعبـة ويكسـروا البنيـان   قبـل النـبـي وقبـل جيـش المسـلمـين
أرسـل عليهـم طـيـر مكتسـي الجـنـحـان   يحمـل حـجـار ويـرمـى جيـش المعتـدين
ذلـوا ، وثـنـي يرجـع كيـدهـم خـسـران   سـبـحـان ربـي صاحـب القـوة المتيـن

وكأني بالشاعر يعتبر قصة الطوفان وقصة اعمار البيت الحرام ودعاء ابراهيم الخليل عليه السلام ﴿**فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**﴾، وانكسار أصحاب الفيل، كأني به يعتبرها امتدادا لقصة بدء الخليقة.

ثانياً ـ من قصص الأنبياء :

استقرىء ملامح قصص الأنبياء في قصائد مختلفة سنأتي على ذكرها حسب تسلسلها في ديوان الشاعر

ففي قصيدة من فن الرمسة (ص ٨٩) يذكر الشاعر: سكنى آدم وحواء في الجنة، وسجود الملائكة لآدم، وامتناع ابليس عن السجود في الأبيات التالية:

آدم وحواء اسكنوا في وسط دار الخلود   وأهـل السـما كلهم قامـوا لآدم سـجـود
وابليس ابى وعصـى وعاصى الاله والجنود   ولابليـس في الآخرة النار ذات الوقـود

وضمن قصيدة له في فن الرزحة المربوعة يسرد الشاعر قصة اسماعيل الذبيح ـ عليه السلام ـ وافتداءه (ص ١١٥) التي اصبحت سنة للمسلمين، يقول:

هـــذا مـــن رب الـبـــريـــة   ســـابـــق في ســـنـــة نـبـيـــه
شـــايـــف حـــلـــم في مـنـــامـــه   يـضـحـــي بـالـولـــد ويـشـــوف
قـــام وتـلـــه مـن جـبـيـنـــه   وقـــابـــض الـشـــفـرة بـيـمـيـنـــه
راد لـــه ربـي ســـــلامـــة   وأفـــــداه بـكـبـــش مـعـــروف

واستوت سنة علينا سنها الهادي نبينا
والحن تابعين السنة لعيد الأضحى والوقوف

وضمن قصيدة بعث بها الشاعر الى سعيد بن راشد الفارسي (رحمه الله) يأتي على قصة موسى عليه السلام (ص ١٨٦) في أهل مدين ملغزا:

بانا شدك عن قصة فيها العجب قصة نبي عند نبي مستجير
أتى النبي يمشي على بير الشرب لقى بنات وعندهن جبل قصير
قالوا مشت وحده وسارت في الدرب تمشي على استحياء وتقصر المسير
وصلت الى الشيبة ولقته مستهب ردت وقالت عندنا شيخ كبير
واستأجر الخاطر على البنت وخطب وروى غنمهم وأدلى دلوهم في البير

وتحت عنوان «قصيدة بمناسبة ليلة نصف شعبان (ص ٢١٧ - ٢١٩)» يخصص الشاعر عشرين بيتا من مجموع واحد وثلاثين بيتا تشكل هذه لقصة يوسف يسبقها بومضات سريعة عن:

قصة الطوفان - نجاة الخليل - عليه السلام - من الحرق - انغلاق البحر لموسى - عليه السلام - حزن يعقوب - عليه السلام - الذي أضر ببصره في الأبيات التالية:

نجى السفينة وأهلها من الغرق أمر منزل في كتاب الله الحكيم
وانقذ خليله ملحرائق والشنق يانار كوني وابردي بردن سليم
موسى كليم الله له البحر انفلق حتى استوى كل فرق كالطود العظيم
يعقوب من حزنه بصر عينه انهدق من كثر ما يبكي على يوسف مديم
صحت عيونه وغاب من قلبه الحمق من ريح يوسف عندما هب النسيم

بعد هذه الاشارات السريعة تأتي قصة يوسف عليه السلام مع زليخا:

وصاب الزليخا من حسن يوسف عشق يوسف مكرم ما يفعل فعل الذميم
يوم وصل سيده الباب وطرق قامت تقدم شكوى من قلب هضيم
شقت قميصه ما بغت تحكي صدق قالت صبيكم هذا رجال غشيم
يوسف تشقق ثوبه من كثر الفرق قبضة حسين الخدخلته سقيم
شاهد شهد عليها في المهد ونطق مثل المحامي يللي في الدعوى زعيم
وبعد السجن حصل سلامه وانطلق قابض في رب منشي العظم الرميم
فيه الحموة لخوته وله قلب شفق من شيمته واخلاقه والقلب الحكيم

سوى لهم ضيافة بترحيب ورفق — يوم وصلوه يسيروا في الليل البهيم
حط الأكل وقعد كل ثنين فرق — واحد بقى لحاله مثل طفل يتيم
قام وخذه عنده ودموعه تنهرق — يوسف عرف خليصه وكلمه تككيم
ويعقوب قلبه فغياب العيال شتق — رخص لهم روحه وثنى يستليم
يوم وصلوا للديرة مقصوص الشبق — جابوا عذر للوالد والوالد فهيم
هم الذي قالوا مشينا نستبق — ويوسف قصد يحرس متاعه ومستقيم
الوالد كلامه بحشمه ويحسن الخلق — يسأل عن القصة وذا الأمر الهميم
غيبتموا يوسف واذا الثاني لحق — وجيتوني تبكوا في العشا وقت العتيم
قالوا : يا أبانا إن ذا ابنك سرق — ماخذ صواع الملك وضامنه ضميم
جونا العساكر في الشوارع والطرق — يتصارخوا علينا وينهموا بنهيم
قطوا حملنا وفتشوا شداد النوق — بنوا يعرفوا السارق ويفصحوا الغريم
يوسف رجع مع خونه والشمل التفق — لا ماكله ذيب ولاصابه خصيم

وفي قصيدة النصح والأرشاد (ص ٢٣٣ ـ ٢٣٦) يذكر الشاعر قصة طوفان نوح دون بقية القصص فيقول :

سميت باسمك ياعزيز المقتدر — اسم توسل به النبي في سفينته
سوى النبي سفينته من لوح ودسر — تجري وترسي بأمر ربي وقدرته
جاب الأوادم والهوايش والبقر — والطير معهم كل زوج بزوجته
سافر بهم وهاجت أمواج البحر — حتى على الجودي الارادة جابته

وتلى هذه القصيدة، قصيدة موضوعها البر بالوالدين تحتوي على اشارات ضمنية عن يونس ونوح ـ عليهما السلام ـ واشارة صريحة عن ابراهيم عليه السلام :

يامن هو خالق شجار الياقطين — والبدر في تلك المنازل سيره
يا منجي ابراهيم من نار اللعين — وعلى سحر نمرود ربي انصره
والفلك تجرى بقدرة رب العالمين — والحوت في لج البحور مسخره

وفي نهاية المطاف نجد الشاعر يذكر موت النبي سليمان ـ عليه السلام ـ ملغزا في قصيدة من فن الميدان يقول ـ رحمه الله ـ :

تشلني عليكم في بر زومات — ييحب الميل في البرزة
شوف الوقت شين من دلهم — يموت النبي الجن ندلهم
جالس بياهم في برزومات — من هو الذي مات في البرزة

ثالثاً ـ المولد النبوي :

يستلهم الشاعر هذا الحدث العظيم من بعض آي القرآن وبعض الأحاديث الشريفة، ولكنه يعول بدرجة كبيرة على كتب السيرة.

وقد ذكر شاعرنا المولد النبوي في قصيدة تحمل نفس العنوان يقول فيها :

يانبي الله ذا الجاه الرفيع ... يارسول الله يا الهادي الشفيع
أظهرت للناس في أول ربيع ... ليلتك طيبة وميلادك عظيم
ليلتك تحيي قلوب المسلمين ... ياحبيب الله ياطه الأمين
جابك الله رحمة للعالمين ... بالنصر والعز والدين القويم
والنصر والعز في وجهك ظهر ... وأصبحت مكة علمها منتصر
تشكر النعمة وتعلن بالخبر ... قد عطاها الله حظ مستقيم
قد عطاها الله سيد من مضر ... الذي مولود في هذا الشهر
ليلة الاثنين والثاني عشر ... شعشعت أنوار في ليل بهيم
فاز الاسلام ليلة ما ولد ... وعرفوه الناس بعده في المهد
مارأوا قبله ولا بعده ولد ... مثل هذا النور والوجه الكريم
واستوت زينة عظيمة واحتفال ... وجمعت مكة نساها والرجال
كلهم أهله عمامه والخوال ... والنبي ما بينهم عايش يتيم

ثم يقول : ....[١٣، ١٤]

والهمه الانصاف ربي في الرضاع ... من سهم أخيه يرضع ما استطاع
ما يحب تصير في القسمة نزاع ... والنبي عادل وله قلب حليم
يا محمد ألفت جمع العرب ... واستفادوا الأدباء كل الأدب
وأنت متهم في حسبهم والنسب ... طاعتك لله وسيفك للخصيم

كما جاء ذكر المولد النبوي في أبيات من قصيدة في مكارم الأخلاق وصفات الرسول صلى الله عليه وسلم منها :

حسن الخلق والشيمة ربنا عطاه ... كمل معانيه وأحسن ربوته
علم السماوي يلِّي علمه ورباه ... قام النبي روحه وعلم أمته

● **رابعاً ـ الاسـراء والمعـراج :**

يعالج الشاعر قصة الاسراء والمعراج في أطول قصيدة دينية في ديوانه، وهي ثاني أطول قصيدة في الديوان.

يسرد الشاعر مشاهد من الاسراء ويفيض في ذكر ما رآه المصطفى ﴿ﷺ﴾ في المعراج، ذاكرا بعض الآيات التي اطلع عليها وطلب النبي موسى الى النبي ان يراجع ربه ـ جل وعلا ـ في فرضية الصلاة، وغيرها من المشاهد، وسأقرأ عليكم مقاطع من هذه القصيدة :

سبحان من أسرى بعبده من الحرم ... في ليلة أشرق سعدها وابتسم
أمر جرى في اللوح مكتوب بالقلم ... اسم النبي سلالة عبدالمطلب
ليلة بدا الاسراء من أم القرى ... من حرم مكة رسول الله سرى
للمسجد الأقصى وصل خير الورى ... ليلة عظيمة في شهر آخر رجب
جاء البراق المسرع لخير الأمم ... شاف النبي واهتز صرجه واللجم
قرب رسول الله للمسرى وعزم ... قبل السفر صلى ومن تالي ركب
سار النبي راكب على ظهر البراق ... حرك جناحه واختفى بين الآفاق
من مسجد الأقصى الى سبع الطباق ... جاوز سما الدنيا ونظر فيها العجب

ويأتي الشاعر على المشاهد التي رأى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ. الى حيث كان قاب قوسين أو أدنى، يقول ولد وزير :

لما وصلوا عند المقام المستتر ... وبيخاطبوا الرب العزيز المقتدر
بادر رسول الله وجبريل انقصر ... طوع وتواضع من عظمة جلال الرب
جاب النبي مع ربه هذى الكلمات ... التحيات المباركات الصلوات
كانت على المسلم فروض واجبات ... قدره إلاهية وأمر قد وجب

ثم يذكر الشاعر أمر الله ـ عز وجل ـ بفرض الصلاة على امة محمد يقول :

بلغ كتابي والرسالة والوصاه ... وفرض على الأمة خمسين الصلاة
طاع النبي وارضى بما قال الاله ... لقى النبي موسى واحكى له السبب
قال النبي موسى الى خير الأنام ... ثني الى ربك وراجع في الكلام
هذى الصلاة وايد ويتبعها صيام ... بها تستوى زحمة وعلى الأمة تعب

ويذكـر الشاعر بعد ذلك مراجعة الرسول الكريم لربه الرحيم عملا بنصيحة موسى الكليم ، ثم يقول في تفضل الرب العظيم على نبيه «ﷺ» :

نحـن الـذي جبنـاك من بيت القـدس ... ونحنـا اللى طـهـرناك من جمـع الدنس
هـذي الصـلاة كلها جـعلـنـاها خمـس ... ولها أجـر خمسـين في اللوح انكتب
حصـل مـراده في السـمـوات السبـع ... خـاطـب وجـاوب في مـقـام مرتفـع
في ليـلتــه ثـنـى الى مكـة ورجـع ... خـبـر بني عمـه وقـالـوا لـه كـذب

ويأتي الشاعر بعد ذلك على ذكر تكذيب قريش ، وطلبهم الدليل من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ان يذكر لهم اوصاف بيت المقدس ، ويذكر علامات الطريق بينه وبين مكة ، وتكذيبهم ايضا رغم وصول القافلة التي وصفها الرسول لهم . ثم يقول في تصديق ابي بكر له :

صـدق كلامـه وقـام عنـده بوبكـر ... والمصطفـى يطالـع عليه وينتظـر
حـط اللقب فوقـه باسـم اشـتهـر ... نعـم الصحابي ويانعـم ذاك اللقب

خامساً ـ الهجـرة الى المـديـنـة :

في قصيدة للشاعر بمناسبة هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة والتي تتكون من اثنين واربعين بيتا يسرد الشاعر علينا قصة الهجرة النبوية ويذكر مصاحبة ابي بكر للنبي في الهجرة ، ولجوئهما الى الغار اتقاء كفار مكة ، واستخلاف النبي «ﷺ» لعلي بن ابي طالب الذي نام في فراشه تلك الليلة ليرد الامانات ثم يذكر ترحيب المدينة بالقادم الكريم فيقول :

راس السـنة يعرف في هجـرة المصطفى ... وعنـوانـهـا ديـن المحبـة والصـفـا
والشـرك أظـلـم سـراجـه وانطـفـى ... والنصـر والعـز عنـد المـسلمـين
الـنـبي هـاجـر في سـنـة بينـه ... ويـفـرح الاسـلام بدخـول السـنـة
هـاجـر لـيثـرب ومـكـة موطـنـه ... وكلـنـا لسـنـة نبينـا تابـعـيـن

بعـد أبيـات اخـرى يقـول :

النبي قبـلـه الصـحـابـة هـاجـروا ... أمـر عليهـم للمـديـنـة يظهـروا
شـاف الخيـانـة والعـدا يتشـاوروا ... في دار النـدوة مع قصـي متجـمـعيـن
ومن بعـد مـا جـاه أمـر اللـه الـولي ... قـام وعـزم هـذا الرسـول الفاضـل
وفي منـامـه نـام سـيـدنـا علـي ... وأهـل مكـة مـادروا ومغـفـلـيـن
عـصبـة الكـفـار شـدوا للسـفـر ... تـابعـيـن المصـطفى خير البـشـر

والنبي في الغار عنده بوبكر والكفر ذلوا وثتنوا معتمين
إذ هما في الغار ساروا ثنينهم وصاحبه خاف وحزن من شافهم
قال له لا تخاف الله فوقهم عندنا ثالث له حبل متين

ويذكر بعد ذلك دور العنكبوت والحمامة في اقتناع الكفار بأن الغار لم يدخله أحد :

صاحبه الصديق ينظر من تحت والعنكبوت بقدرة الله لحفت
بجناحها تمحى الشواري وامتحت هي والحمامة في العمل متساعدين

ويذكر الشاعر خروج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصاحبه من الغار ومواصلة سيرهم الى المدينة، ويقول في ترحيب الأنصار وبناء الرسول مسجد قباء :

قاموا الأنصار بأفراح وقبول رافعين الصوت ويحيوا الرسول
النبي جاهم على ظهر الذلول والصحابة في يساره واليمين
مرحبا بك يا محمد مرحبا كل أمر لك علينا أوجبا
جيت من مكة الى وادي قباء اخضر الوادي بقدومك يا أمين
أول مسجد اللى أسس للصلاة في قبا بيد رسول الله بناه
والقبائل في خدمته ومن وراه بالحقيقة للرسول مبايعين

وبعد أبيات يقول :

المطية للمدينة وصلت والقبائل وقفوها ما وقفت
النبي أشر عليها وبركب دار أبي أيوب كلهم نازلين
للنبي الأعظم كثير المعجزات في كتاب الله جات البينات
وأظهر الدين بسيوف صارمات وانتشر فضله لجميع المسلمين

عند هذه الأبيات ينهي الشاعر حدث هجرة المصطفى ـ عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم ـ، ولكنه لا ينهي القصيدة حيث نراه في ستة أبيات تالية يتحدث عن تعبد النبي في غار حراء ونزول جبريل ـ عليه السلام ـ عليه في الغار، ثم عودته الى خديجة وهو يقول: «زملوني زملوني» وسؤال خديجة ابن عمها ورقة ابن نوفل عن هذا الأمر وهي القصة التي تعرفون تفاصيلها :

ان نقف على هذه الابيات التي تتحدث عن بدء الرسالة بمكة في ختام قصيدة عن الهجرة الى المدينة، ليس بالأمر العفوي، وليس كما رأينا في بعض القصائد من تحرر الشاعر في اتباع تسلسل الأحداث زمنيا.

هل يوظف الشاعر ما يعرف في القصص الحديث الاسترجاع او الاسترداد الفني في سياق تاريخي او ما يعرف بـ (Flash Back) في سياق تاريخي ؟

لن أسعى الآن وراء الاجابة على هذا السؤال إذ هو خارج حدود هذه الورقة .

سادساً ـ ملامح دينية أخرى :

ديوان الشاعر ولد وزير ـ رحمه الله ـ ملىء بالاشارات والاقتباسات والتعبيرات والملامح الدينية، وعدا المجالات السابقة هناك ملامح اخرى نأتي على ذكرها سريعا :

أولا ـ في القصائد الدينية :

١ ـ استهلال قصيدة ليلة نصف شعبان (الابيات الأربعة الأولى)

٢ ـ قصيدة في شهر رمضان (٥٢) ص **٢٢٠ ـ ٢٢٢**

٣ ـ قصيدة في ذكرى معركة بدر الكبرى (٣٠) ص **٢٢٢ ـ ٢٢٥**

٤ ـ قصيدة في السعي لأداء فريضة الحج (٢٢ بيتا) ص **٢٢٥ ـ ٢٢٦**

٥ ـ قصيدة في يوم الوقوف بعرفة (١٨ بيتا) ص **٢٢٦ ـ ٢٢٧**

٦ ـ قصيدة في عودة الحجاج (٢٥ بيتا) ص **٢٢٨ ـ ٢٢٩**

ثانياً ـ في قصائد النصح :

١ ـ قصيدة خص بها تاركي الصلاة وتابعي اللهو والملذات (٢٦ بيتا) ص **٢٣٣ ـ ٢٣٦**

٢ ـ قصيدة في بر الوالدين (٣٠ بيتا) ص **٣٣٦ ـ ٣٣٩**

٣ ـ قصيدة في حساب القبر (٢٨ بيتا) ص **٢٣٩ ـ ٢٤١**

إذن يتضمن الديوان ـ عدا ما ذكرنا من القصائد ـ في المحاور الخمسة السابقة على ٩ قصائد تتنوع فيها الملامح الدينية بدرجة تسمح لها ان تكون عنوان بحث مستقل . وقد أشرت الى عدد أبيات كل منها ومكانها في الديوان، هذا بالاضافة الى أبيات متفرقة هنا وهناك .

بقيت كلمة لابد منها تحت هذا المحور تخص استهلال القصائد وختامها تبدأ معظم قصائد الديوان ـ بل غالبيتها العظمى ـ . بذكر الله او صفاته . أو مظاهر قدرته ، أو لطفه بخلقه، أو بالثناء والحمد لله ، وغيرها وفي بعضها يتبع ذلك الصلاة على الرسول ويكون ختام جل القصائد بالصلاة والسلام على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر الصحابة كما يتضمن الختام احيانا الاشارة الى بعض الصور القرآنية ونأتي بأمثلة من الديوان :

● من فـن الرمسـة :

تصدق الكلمة السابقة على هذا الفن دون استثناء البتة ، فكل قصيدة (فن بن عبادي) يجب ، ويجب بالضرورة ان تستهل بذكر الله جل جلاله وان تختتم بذكر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو ذكر أسماء بعض سور القرآن الكريم بعض النظر عن موضوع القصيدة.

الأمثـلـة :

الاستهلال	الختام
١ ـ طلبت ربي كريم لي غافر الساية	تغفر ذنوب علينا من سنين مكسايه
وختمتها بالنبي اللي مظهر الرايه	واسعيد في يقرا الهوى واسمعوا ياقرايه
* * *	
٢ ـ طلبت ربي كريم لمفرّج احزوني	اختمتها بالنبي وبالقاف والنون
ثاير بافن الهوى كان باترخصوني)	
* * *	
٣ ـ طلبت ربي كريم عبد دعا واستجار	وختمتها بالنبي وأصحاب طه الخيار
رافع سماه بلا عمد ومحصى النبت والشجار	يشفع لنا في الحشر يوم البعث والانتشار
ومحصى جميع الخلق كلهم صغار وكبار	
آدم نشاه من مدر وحواء نشئت من اليسار	
ويمدح رجال البلد أهل الحصوْن الكبار	زهت بهم دارنا هم سورها والجدار
* * *	
٤ ـ طلبت ربي كريم العرش منشى سحابه	وختمتها بالنبي يا الله بدعوه مجابة
يا من حضر كلكم ذكروا النبي والصحابة	
قال الفتى خو علي يوناس سمعوا جوابه)	وسمعوا معاني المثل كنتو تفهموا عرابه

* * *

٥ ـ طلبت ربي كريم العرش رافع سماه	وختمتها بالنبي محمد وسورة براه
رب غفور رحيم سبحان ما حد سواه
يغفر جميع الذنوب والعبد يمحى خطاه
واللي دعا نبيه ما خاب عبد دعاه
وصلوا وذكروا النبي محمد عليه الصلاه
اللى سرى للسما وربي رفع منتهاه
وذكروا الصحابة الذي هم اخلصوا
للاله
مجاهدين الكفر وأقاموا فروض الصلاه
(وسعيد فن المثل سمعوا قصيده وغناه)	وما يستند قولنا اللي ما عرف له معنا
وهكذا في كل قصائد هذا الفن وليس مع شاعرنا وحده.

● من فن الرزحة المربوعة

استهلال :

أول صلاة الله على الهادي ألف	وأزكى سلامي للنبي وعترته
بثني بصلاتي عدّ ما عاكف عكف	وبعدّ من صلى وأخلص نيته

ختام :

ويدخل في موضوع القصيدة فيقول :

ياطير بمبي صفج بالجنح وكسف	ووصل الى دار الجنيبي وحلته
وصلوا على نبيكم عالي الشرف	بنفوز بالجنة ورضاه ودعوته
وذكروا الصحابة أهل طاعة والسلف	ساداتنا أهل الشروع الثابتة
والخاتمة صلوا على الهادي ألف	والقول تختيمه من أول بدوته

وهكذا نجد في بعض القصائد الاخرى،

وهنا يلح عليّ سؤال :

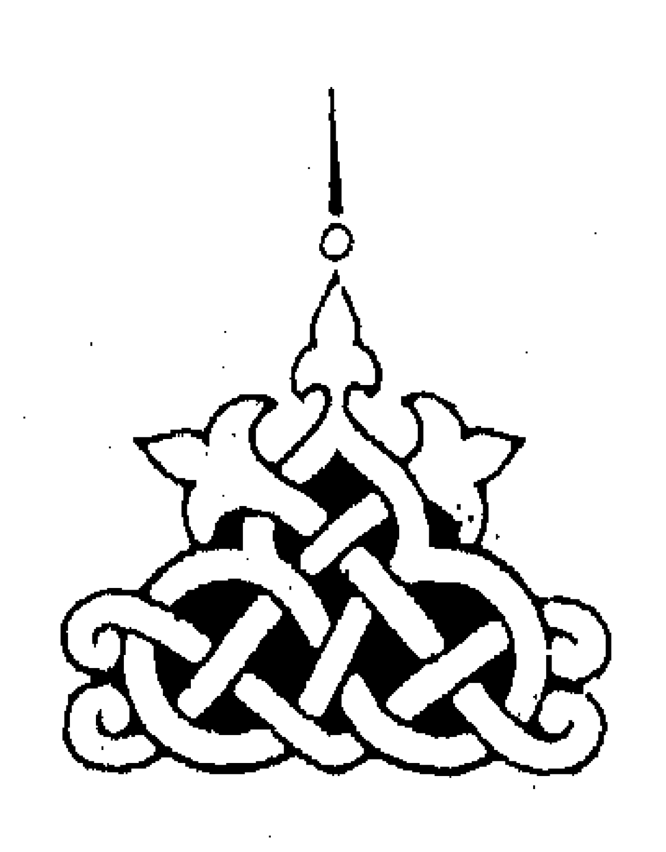
ـ هل اتباع هذا النهج عند شعرائنا الشعبيين هو امتداد لوقوف أجدادهم على الاطلال والرسوم في استهلال قصائدهم؟

ـ أم هو أثر المسجد والخطابة الدينية في البدء بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه ﴿ﷺ﴾، والختام بالصلاة على النبي؟

لا ارشح نفسي للاجابة، بل اتركها لأصحاب التخصص وأرباب القلم.

ايها الكرام: هذا جهد مقل اتيح له من الوقت قليل فإن وفقت في شيء فمن حسن ظنكم، وان كانت الاخرى، فإنني اعتذر إليكم.

والحمد لله في بدء وفي ختم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..





جانب من فعاليات المنتدى الأدبي

الباب الثاني

في فكر المرحوم الشيخ خلفان بن جميل السيابي

لمحات في ادب
الشيخ خلفان بن جميل السيابي(*)
(أديباً وشاعراً)

اعداد : خليفة بن أحمد بن حميد القصابي

تمهيد . .

إن الأدب العُماني عميق كل العمق غزير متسع يعالج نواحي عديدة في الحياة وبطرق مواضيع مهمة منها .

هذا الأدب بشعره ونثره ـ للأسف ـ لم يجد اليد التي تبعد عنه اللثام وتخرجه الى عالم القراء ، ولا أعني بذلك طباعة الدواوين فما اكثرها ولكن ما عنيته هو دراسة هذا الادب فناً ومعنى ودراسة فكر قائله وحسه الفني وذوقه الجمالي .

وإن ذلك الأدب وان ظهرت عنه دراسات بسيطة ضئيلة فالأسواق العربية لم تشهدها فظلت الى اليوم محرومة منها .

وفي الوقت الذي نرى فيه الدراسات الكثيرة الموسعة عن أحمد شوقي وشعره وعن البارودي فاننا لا نجد ذلك عن الشيخ ناصر بن سالم الرواحي ولعل ذلك يعود الى ان شوقي نشأ في مصر حيث بالامكان في ذلك العصر تصدير كل شيء الى العالم العربي ، بينما نشأ الشيخ ناصر في زنجبار وكانت حياته بها محدودة .

إن كان ذلك في عصر هؤلاء الأدباء فما العذر اليوم وقد تيسرت أساليب البحث وأساليب النشر واقترب العالم من بعضه وسهل الاتصال ، فأي عذر يمنع من دراسة ذلك التراث الذي عند أدباء عمان باعتبارهم جزءا من أدباء العالم العربي الاسلامي .

لماذا يدرس أدونيس ومن سار على ركبه ويترك الشيخ خلفان بن جميل واخوانه .

فما على القادرين الا ان يشمروا عن ساعد الجد ليخرجوا هذه الثروة للأجيال المتعطشة لها ، وعدم حرمانها منها لان ذلك امانة لابد من ابلاغها .

من أدباء عُمان المغلقين وعلمائها البارزين الذي يعتبر في طليعة أدباء عصره الشيخ

(*) القيت في حفل تكريم المرحوم الشيخ /خلفان بن جميل السيابي الذي اقامه المنتدى الأدبي مساء يوم الثلاثاء ١٩٩٢/٥/٥م تحت رعاية معالي السيد هلال بن سعود بن حارب البوسعيدي مستشار الدولة .

خلفان بن جميل السيابي ـ رحمه الله ـ، المتوفى عام ١٩٧٢م والذي ولد في بلدة سيما من أعمال ولاية ازكي، وتنقل في مناصبه العلمية، بين سيما والرستاق ونخل وصور ومطرح ثم استقر في الفيحاء سمائل التي اكسبته الكثير من الحس الأولى.

وللأسف لم يكن الشيخ خلفان بن جميل بأوفر حظا من غيره من أدباء عمان وعلمائها بل كان حاله كحالهم إن لم يكن أقل منهم فإنك لا تجد عنه دراسة الانتفاً في مقدمات كتبه التي تسرد لك حياته وتنقلاته ثم مكانه وذلك بإيجاز شديد، وقد تجد نتيفات بسيطة في بعض الكتب كالـزمـرد الفائق وشقائق النعمان بشعراء عمان. مما يدفع الباحث الجاد الى محاولة الولوج الى نصوص الشيخ عله يستطيع الخروج بشيء من بحر علومه الزاخر والاطلاع على خصائص كتاباته الأدبية شعراً ونثراً.

ولا ادعي بأنني في ورقتي هذه استقصيت كل شيء بل إن ما كتبته لا يعدو ان يكون اشارات عابرة لتلك الكنوز العظيمة علها تجد من يبحث فيها البحث الذي تستحق.

حاولت في هذه الصفحات القليلة ان انظر في خصائص شعره والمواضيع التي طرقها ثم اعرج على تراثه النثري ذاكرا ذلك بإيجاز نظرا لقلة حيلتي وعزمي.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل الشيخ خلفان بن جميل من العلماء ام من الشعراء ام الأدباء؟

والاجابة التي في مخيلتي والتي اتصورها هي ان الشيخ خلفان أديب بما تحتوي كلمة (أدب) من فنون شاملة للشعر وغيره إذ ان الأدب اطار لمختلف النتاجات الفكرية ممزوجا بالعـاطفة وبعض المتعة لقارئه، وانتاج الشيخ خلفان بن جميل يمتزج بهذه الخصائص، خصائص الانتاج والعاطفة والمتعة.

والشيخ خلفـان عالم محقق وباحث متأمل ومفكر المعي خرج علمه وفكره ومهارته في البحث وأدبه العميق، فقدم لنا العلوم بأسلوب علمي أدبي جميل شعراً ونثراً فكان علمه عقودا تزين دفاتر الكتب وجواهر تملأ الصفحات ورياضا يرتاح فيها المرتاد ويستفيد منها المحتاج ويأنس بها الجليس ويشتاق اليها العابر.

فتعال بنا نطل عبر وقفات سريعة على علوم وأدب الشيخ خلفان بن جميل بن مهّيل السيابي ـ رحمه الله ـ.

أولاً ـ روافده العلمية والأدبية :

وهو في نظري استمد مقدرته تلك من عدة روافد أهمها :

١ ـ حفظه وتلاوته للقرآن الكريم الذي هو وعاء اللغة العربية وهذا التأثير واضح جليّ إذ ان اغلب شعره ونثره إن لم يكن جميعه يتحدث عن الأهداف القرآنية نفسها من ترسيخ للعقيدة وغرس الأخلاق الفاضلة واصلاح للنفس والمجتمع . ولا أريد هنا ان اتقيد بأبيات محدودة اعرضها كمثال ، وإنما بإمكان من طلب ذلك ان يفتح على أي صفحة شاء من كتب الشيخ خلفان .

٢ ـ وجوده في جو علمي ملىء بالأدباء والعلماء سواء كان في تنقلاته في عُمان ام عند استقراره في سمائل .

٣ ـ ولا شك ان لجو سمائل الملهم اثره في حياة الشيخ .

٤ ـ حياة الشيخ كقاضٍ أعطته نوعا من الدقة في استخراجه للألفاظ وفي تحقيقه للمسائل .

٥ ـ حياة الشيخ كمعلم اعطته الخبرة في استخدام الكثير من الأساليب لايصال العلوم كما اعطته المزيد من الهدوء وسعة البال .

٦ ـ اطلاعه على التراث شعرا ونثرا بكافة علومه من عقيدة وتفسير .

تواضعه واخلاقه :

وفي هذا المجال لابد لنا من ان نقف بعض الوقفات لملاحظة التأثيرات التي تسربت الى نفس الشيخ من خلال مراسه فيها وفهمه العميق لها حتى صارت جزءا من نفسه .

ففي الفقه نجده يقدم لنا سلك الدرر(١) وميمية الدماء ، وكتاب فصول الأصول الذي ناقش فيه أصول الفقة ، وهذا لم يأت من فراغ فلابد له من الاطلاع على كتب العلم التي تركها السلف .

ولنا ان نلاحظ بعض التأثيرات التي يبدو انها خرجت من اعماق الشيخ بعد هضمها والحياة معها زمنا مزجها بدمه ، فنراه يقول :

---

١) سلك الدرر ص ٦ .

الحمد لله الذي قد نورا نهى أولي العلوم من بين الورى
فسلكوا بنورها سبل الهدى وجانبوا سبل الضلال والردى
حتى انتهوا الى المقام الأرفع الى نعيم ليس بالمنقطع

عندما نسمع هذه الأبيات نشعر ان الشيخ قد حوى قصيدة انوار العقول للشيخ السالمي التي يقول فيها :

الحمد لله الذي قد اشرقا شمس الأصول في نهى ذوي النقا
فأبصروا بنورها المسالكا وجانبوا بسرها المهالكا
حتى استووا على بساط القرب في حضرة قدسية بالغرب(٢)

ونجد لمحة اخرى من هذا التأثر بالعلوم والتعمق فيها إذ يقول الشيخ خلفان عن النفس :

لانها عدوة وكامنة في باطن الانسان لا مباينه
وانها منك وأنت منها كيف يكون الاقتران عنها

مثل هذا المعنى نجده عند الشيخ الجيطالي في قناطره في الجزء الثالث في معرض حديثه عن النفس عندما يستشهد بهذه الأبيات :

قلبي الى ما ضرني داعي يكثر اسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي وعدوي بين اضلاعي(٣)

ولو نظرنا الى قصيدة من قصائد الذكر والترتيل والدعاء عند الشيخ خلفان بن جميل، يحس احدنا بأن الشاعر قد قرأ كثيرا واستوعب قصائد الشيخ ناصر بن سالم بن عديم الرواحي، فمثلا قصيدة القطرة الغيثية والوسيلة الالهية الواردة ضمن كتاب (بهجة المجالس) ص ١٣٣، لو قرأتها دون ان تعرف قائلها لساورك ظن انها للشيخ ناصر بن سالم من ناحية طول النفس وشدة التبتل فالقصيدة تبلغ مئتي بيت وبيت، ولو لاحظنا تكرار بعض الكلمات مثلا كلمة (الهي) لوجدناها قد تكررت خمسا وخمسين مرة، وهذا كما يدل على طول النفس يدل على شدة تعلقه بالله - عز وجل - ايضا .

٢) مشارق انوار العقول/الشيخ السالم ص ٧ .

٣) قناطر الخيرات ص ٣ .

ثانياً ـ من خصائص شعره :

أ ـ ترتيب القصيدة

لا نجد في شعر الشيخ خلفان تقليدا حرفيا للقديم في ترتيبه للقصيدة من وقوف على الاطلال والتشبيب ثم ذكر الرحلة في الموضوع الذي يريد أن يطرقه الشاعر.

بل نجد الشيخ يقول في ذلك :

ما كنت أبكي على رسم ولا طلل — ولا ربوع عفت من سالف الزمن
ولا شجاني غراب البين إذ رحلوا — ولا ولعت بذكر الشجو والشجن
ولا لهوت بغزلان اغازلها — ولا صبوت لذات المنظر الحسن(٤)

ونلاحظه حينما وجه اليه سؤال يتجه صاحبه الى الاطلال فيقول:

لمن هذه الاطلال درساً عوافيا — تقادمها مر الزمان لياليا
وغيرها نسج الرياح عشية — كما هطلت فيها المزون غواديا(٥)

نرى الشيخ يتجه بمقدمة جوابه الى الله ـ عز وجل ـ فيقول :

هو الله قد وجهت فيه مراميا — وحسبي به ربا معينا وكافيا
له الحمد لا ابغي سوى الله ناصرا — ولا عاصما أو كاشف الكرب منافيا
إليه إناباتي عليه توكلي — به ثقتي في كل أمر عرانيا
فمن يطع الله الجليل ثناؤه — يوفق ولا يخشى ظلوما وغاويا(٦)

فهو شعر منبثق من عقيدة راسخة لا يهول صاحبها الطلل البالي لانه من صنيع الله وراجع اليه، ولا يستخدم الطلل بما يخدم هدفه من الدعوة الى الله وترسيخ للعقيدة الحقة.

كما ولا نجد الشيخ خلفان ذلك الشاعر الذي ينفلت من الشعر العربي الأصيل حتى يصبح بينهما بون بعيد جدا وانما كان شعرا رزينا يأتي دون تكلف قالب تركيبي معين بل يأتي حسب الموضوع المطروق .

---

٤) بهجة المجالس ص ١٦٢ .

٥) المرجع نفسه ص ٢٨٢ .

٦) المرجع نفسه ص ٢٨٣ .

وكثيرا ما نجد القصيدة ـ خصوصا في معرض اجوبته على ما يسأل عنه من قضايا ـ نجده يناقش موضوعه مبتدئا بالحمد لله ومختتما بالصلاة والسلام على الرسول ﴿ﷺ﴾، وكأن القصيدة رسالة عادية قد صاغها صاحبها بعقد شعري جميل.

وهكذا في كثير من أجوبته يبدأ بأبيات طوال من الثناء على الله عز وجل والصلاة على رسوله ﴿ﷺ﴾ ثم اسداء شيء من النصح المطرز بأبيات من الحكمة فيها العذوبة والجمال، وبنفس وزن وقافية السائل.

نلاحظ البيت التالي من القصيدة السؤال بقول صاحبه:

دعها تدك الصخر عند مثارها وارخ الزمام لما بحال مغارها(٧)

فيرد الشيخ قائلاً:

حمدا لمن سمك السموات العلا بيد تعالت في علا اقدارها(٨)

ومقدماته هذه عبارة عن مقدمات الخطابة الاسلامية إذ يبتدىء فيها بالحمد له:

الحمد لله ولا ابغي سواه بدلا
حمدا كثيرا طيبا مباركا مفضلا(٩)

ثم الصلاة على الرسول ﴿ﷺ﴾

ثم صلاته على صفوته خير الملا
محمد وآله وصحبه ذوي العلا(١٠)

ثم البعدية والدخول في الموضوع

وبعد فالعلم بما حلل اوما حضلا
فرض على مكلف غير حبي عقلا(١١)

٧) بهجة المجالس/قسم الأجوبة ص ٥٠٣ .
٨) المرجع نفسه ص ٥٠٤
٩، ١٠، ١١) المرجع السابق ص ١٨٢ .

ب ـ الانسانية والتواضع :

وان من يقرأ شعر الشيخ خلفان يجده ممتزجا بعاطفة الخوف على الانسان والرغبة في اصلاحها موجها شعره للانسان ايا كان ذاك الانسان قريبا ام بعيدا المهم هو الاصلاح، وهذا واضح جلي حينما تقرأ بعض ابياته :

باساحبا ذيل تيه غره امل بصحة نسي الاسقام والعللا
مالي اراك غفولا لاهيا فرحا من نيل عافية تستقدم الأجلا(١٢)

وحينما يقول :

مالي ارى ثقلاء الناس اثقل من حمل ثقيل ولو قد كان ذا جيلا
الحمل يحمله اثنان روحك مع جسم وما غير روح يحمل الثقلا(١٣)

وحينما يتوجه اليه بالمديح نجده الشيخ المتواضع ليس بذاك الشاعر الكثير الفخر بمدحه .

دع المدح واقصد في السؤال فما انا
كما قد تراءى في خيال التوهم
فإني بنفسي منك ادرى بعجزها
وتقصيرها عن كل مرقى معظم

وعن درك غايات العلوم وفضلها
فيارب عفوا عن قبيح مذمم
إذا أفلت شمس المعارف وانطفت
مصابيح هذا العلم في عالم عمي
تراءى لهم نجم السها يحسبونه
هو البدر ليل الصحو غير مقتم(١٤)

---

١٢) المرجع نفسه ص ٧٣ .
١٣) بهجة المجالس ص ٢٩٥ .
١٤) المرجع نفسه ص ٧٣.

جـ ـ الهـــدوء والسـكينـة :

ترى هدوء شعر الشيخ خلفان وعدم صخبه او عنفه فكأنك تعيش معه في سكينة وهدوء وينبع ذلك من خلال موسيقاه الشعرية، فمثلا في مواضيع بهجة المجـالس جاءت على البحر البسيط بإيقاعه الهادىء المتمثل في طول التفعيلة الأولى ثم الاستراحة في التفعيلة التي تليها، كذلك نجد حرف الروي هو اللام المطلق.

وكأن هذا الايقاع الشعري الجميل الرزين يدل على رزانة صاحبه وهدوء طبعه واتزانه وعمق فكره مما يعطيه طاقة على اعمال الفكر وإبداء الرأي والنقاش وان كان ذلك بأسلوب الشعر الذي يحكم على صاحبه السير وفق قواعد وأنظمة معلومة لاتسمح جديتها بالخروج عنها والتحلل منها.

ولنعش قليلا مع أبياته لنرى تلك الرزانة والهدوء والسكينة إذ يقول:

إن المصيبـة ان تصبـر فـواحـدة　　وان جـزعـت تكـن ثنيتن فاحتفـلا
النفس أقوى القوى إن توبعت لهوى　　عـلى الذي سـامها المرعى وقد غفلا
الوعـــد منـك سحـاب غيـر ذى مطر　　لكن انجازه الغـيث الذي هطلا(١٥)

* * *

د ـ العاطفـة الصـادقـة :

عاطفة المؤمن دائما صادقة مندفعة من قلب يعمره الصدق والأخلاق النابعة من إيمان صادق عميق ثابت، محفوفة بالاخلاص الذي يزين العمل ويكسبه البهجة والصفاء، فترى عاطفة الحب والخوف على الآخرين حينما ينصح:

يا أيهـا الرجـل اللاهـي بغفلتـه　　ويك انتبـه انه قد خاب من غفـلا
هـذا الذي أنت فيه ما خـلقـت لـه　　بـل قـد خلقت لشـيء غيـره عملا
خـلقـت لـلـه عبـدا تـعـظـمـه　　وقـد اعـد لك الاكـرام والنـزلا(١٦)

كما تلاحظ تدفق تلك العاطفة عندما تسمع قصائد الحماسة والاستنهاض:

ما أقبـح العيـش في دهـر يسـاء لـه　　أولو النهـى ويريش النـوك والسفـلا
ياللرجـال الا هبـوا فـديتـكم　　الا هلمـوا اميطـوا، عنكـم الفـشـلا

١٥) المرجع نفسه ص ٨٥.
١٦) بهجة المجالس ص ١١٧

هذى معالم دين الله قد درست ونور شمس نهار العدل قد افلا
وانتم في رياض الجهل قد رتعت قلوبكم شربت كأس الهوى عللا
أين المسامع منكم والنهى ذهبت اهكذا سير من منكم مضى وخلا(١٧)

فما تكاد تقرأ أو تسمع هذه الأبيات الا وتحس بانتفاضة داخل جسمك تدعوك لتشارك الشاعر احساسه وحماسته وهذا قمة التأثير وصدق العاطفة.

ويتضح جليا ان هذه العاطفة تحافظ على قوتها من أول القصيدة الى آخرها فخذ مثلا قصيدة من اطول قصائده البالغة مئة وخمسة وثلاثين بيتا وتجول من بدايتها ووسطها وآخرها ولاحظ :

إن الكريم الذي كفت مروته اذاه عن كل مخلوق وإن سفلا
ان القوي الذي تقوى قواه على دفع الهوى ليس بالحمال ما ثقلا(١٨)

وتمعن قليلا في وسط رياض هذه القصيدة لترى تلك العاطفة الدفاقة التي لا تفتر:

إياك تركب ما فيه تلام ولا تنال منه الثنا والاجر قد جزلا
إياك تغرس ما لا تجتنيه ولا تلقاه في صحف الأعمال قد ثقلا(١٩)

وما ان تصل الى البوابة الاخيرة لتلك الروضة الغناء إلا وتشعر بذلك السيل القوي من العاطفة الصادقة المحبة:

من ظن أن قد حوى في العلم منزلة
فالميم والنون زالا قد حوى زللا
اياك والكبر إن الكبر يورثك الـ
بغضاء والمقت عند القادة الفضلا(٢٠)

فهذه العاطفة لا يشوبها غرض ولا دخل ولا يقصد صاحبها مصلحة دنيوية وإنما حبا منه لاصلاح الآخرين لذلك تجد عاطفته عاطفة صادقة قوية بقصد منها الاصلاح والصلاح.

---

١٧) المرجع نفسه ص ١١٩
١٨) بهجة المجالس ص ١٤٢.
١٩) المرجع السابق ص ١٢٥.
٢٠) المرجع نفسه ص ٣٣.

المواضيع التي طرقها الشيخ خلفـان في شعره

تعددت المواضيع التي طرقها وذلك حسب تعدد وسائل الدعوة الى الله ، وتعدد وسائل ايصال الحرف الى الناس ونصحهم للاصلاح ومن ابرز تراثه في ذلك :

الشـعر التأليفي :

الـذي طرق فيه مواضيع العقيدة والفقه كما في بعض قصائد بهجة المجالس وبعض اجوبته الفقهية ، وناهيك بسلك الدرر الحاوي غرر الأثر فقد جاء منظوما في سلسلة من الاراجيز السهلة اليسيرة التي لا يحس قارئها بملل وذلك لخلوها من التكلف والالتواءات اللفظية ، وقد برزت في سفره هذا مقدرته على استيعاب العلوم ككتاب النيل ثم نظمه شعرا ممزوجا بالعاطفة الجياشة وهذا دليل على العبقرية الفذة سواء في دقة الفهم والحفظ ام جودة الشاعرية والتمكن من اللغة .

والكتاب المذكور قد احتوى على بحوث فقهيه كما احتوى على بحوث تاريخية وردت في آخر الجزء الثاني .

أسـلوبـه في عـرض العـلوم :

أسلوبه في عرض العلوم قائم على ايجاد الوسيلة الصحيحة لايصال ذلك العلم ، فكثيرا ما نجده يستخدم الاستفهام وأسلوب المخاطبة مما يعطي للقارىء ترابطا مع الشاعر وكأنه قريب منه يخاطبه كذلك يعطيه شحذا لذهنه حيث يطرح له السؤال أولا وبطبيعة الفكر الانساني حينما يسمع سؤالا يود لو يجيب عليه وبعد ان يعمل الفرد ذهنه للوصول الى الاجابة يأتي الشيخ بالجواب ، وهذا فيه ما فيه من أسلوب تربوي تعليمي قائم على الاكتشاف الذاتي من المتعلم مثلا :

مـا النحـس والسـعد من الأوقـات هــل ... وردت فيـه أدلـة شــرع توضـح العـللا
مـا كـان ذا زمـن التشـريـع معتبـرا ... ولا عن الصحـب والأتبـاع قـد نقـلا[٢١]

---

٢١) المرجع نفسه ص ٣٥

ونجده يفترض شخصا يسأله فيرد عليه الشيخ :

هل الكتابة للأسما كذلك من يرضى بها أو دعا الرحمن مبتهيلا
ترى الجواز أو التحريم فيه اتى أو الكراهة فصل نلت كل علا
أرى الجواز لمن قد كان يعرفها بأنها حللت أو لا فقد خطلا(٢٢)

ويحتوي اسلوبه في عرض العلوم على عناصر تشويقية منها كما قلنا أسلوب السؤال الذي يدفع القارىء الى الرغبة في معرفة الجواب ومنها طرح بعض الترغيب مثلا :

ما الواجبات التي فرض تعلمها على المكلف لا عذر لمن عقلا
هاك الجواب على هذا فاصغ له واعمل به تنل المطلوب والأجلا

وتبدو بعض قصائده وكانها بحوث علمية حقق فيها ودرس بعض القضايا مثلا قصيدة وردت في البهجة ص ٥٢ بعنوان بحوث تتعلق بأوصافه ﴿ﷺ﴾ مع بحوث اخرى، لو تتبعنا هذه البحوث نجده يناقش فيها بعض القضايا مثل تسمية الرسول ﴿ﷺ﴾ وهل سمي باسمه قبله ام لا، وعن عدد ابنائه واسمائه.

كذلك يناقش أمور التحية والتهاني عند اللقاء والمناسبات ويناقش صلاة الرسول ﴿ﷺ﴾ في تهجده، وهكذا الى آخر القصيدة. نجده يطرح القضية بصيغة الاستفهام ثم يأتي بالأقوال والاراء السابقة له ثم يناقشها ويبدي رأيه تماما كأنه في بحث علمي هذا البحث مقدم بصورة شعرية عذبة جميلة.

الحكمة والوعظ في شعره :

إن كان حديثنا السابق عن الشعر التأليفي وجماله وأسلوب الشيخ خلفان فيه، فإن الحكمة لها نصيبها من ذلك الشعر أيضا، ولم يحرم باب من أبواب شعره من الحكمة فتجد الحكمة في مجال عرض العلوم وتجد الحكمة في مجال الرسالة، وتجد الحكمة في كل باب من أبوابه وكل غرض من اغراضه فيقول :

وبعد فالعلم أولى ما سعت همم
جدّا وكدّا إليه عند من عقلا

---

٢٢) بهجة المجالس ص ١٨.

ولكـن أرى في زمـاني كـل طـالـبـه

وعـز مـطـلـبـه واسـتـفـحـل الجـهــــلا[٢٣]

بل نجد قصائد بأكملها في الحكم فمثلا نجد ص ٧٣ من بهجة المجالس قصيدة بعنوان حكم يقول فيها :

ان المصيـبـة ان تـصـبـر فـواحـدة وإن جـزعـت تـكـن ثنتين فاحـتفـلا

قـاقـنـع بـعـشـر وداد الخـل حـين يلي ولايـة قبلهـا واسـتـحـضـر المثـلا

ونجـد قصـائـد غيـرها بنفس العنوان .

هذه الحكمة قائمة على اصلاح الاخلاق وحسن المعاملة بين أفراد المجتمع ، فيلقي حكمته بغرض الوعظ .

كما ان وعظه قائم على الترغيب والترهيب .

يا أيـهـا الرجـل اللاهـى بغفـلتـه ويـك انتبـه انـه قـد خـاب من غفـلا

* * *

ومن المواضيع التي طرقها الشيخ الاخوانيات ، فإن كنا نعـرف في الأدب العربي الرسائل الاخـوانية فإننا نجد عند الشيخ خلفـان بن جميل قصـائد نستطيع ان نسميها بالقصائد الاخوانية ، فنلاحظ في ردوده على الكثير من الاسئلة التي وردت مرفقة بكتاب بهجة المجالس تحتوي على مقدمات اخوانية رائعة مثل :

وبعـد فقـد وافى سـؤالـك يـا أخـي

ويـا ولـدي يـامـن لـه صفـوة الـود

ويـقـــول :

---

٢٣) بهجة المجالس ص ١٣٤ .

فهـاك جـوابـي يـا أبا شـامـس فخـذ
بـه إن يكـن حقـاً ودع عنـك مـا انـبـهـم

كما نجد ان الشيخ خلفان قد أفرد بعض القصائد بالذكر لله عز وجل كمنظومـة القطـرة الغيثيـة ص ١٣٣ من البهجة.

وفي هذه القصيدة يلتزم الشيخ بأدب الدعاء فيبتدي بالثناء على الله ثم يعرض حاجته وتبتـلالـه ويختم بالصلاة على الرسول «ﷺ»، ونجد في هذه القصيدة الخشوع واظهار الضعف من نفسه فيقول:

الهـي انا العبـد الـذي جـاء حـامـلا
ذنـوبـا وأوزاراً بهـا غـــره الجـهـــل

الهـي أنـا العبـد المجنى الذي جنـا
عـلى نفسـه مـا لا يطـاق لـه حمـــل(٢٤)

* * *

ونلاحظ اهتمام الشيخ باللغة وبحوثها مثلا نجده في احدى القصائد يناقش الفرق بين بعض الكلمات كالشبيه والمثيل والنظير فيقول:

ما الفـرق بين شبيـه والمثيـل كـذا لفـظ النـظيـر تـرى ام واحـدا جـعـلا(٢٥).

ويهتم الشيخ بالكنى والألقاب فيجعل لها قصيدة يقول فيها:

الاشـعري ابو موسـى بكنيتـه قـد كان يعـرف بالاسـم الذي حـصـلا (٢٦)

وهكـذا يجمـع في هذه القصيدة القـابـا وكنى لاشخاص اشتهروا بها مثل ابي موسى الاشعري والاخطل والأصمعي.

* * *

ونجد عند الشيخ نماذج لقصائد التاريخ كما ورد في آخر سلك الدرر وورد في البهجة من مثلها حيث يقول:

---

٢٤) المرجع نفسه ص ٦١.

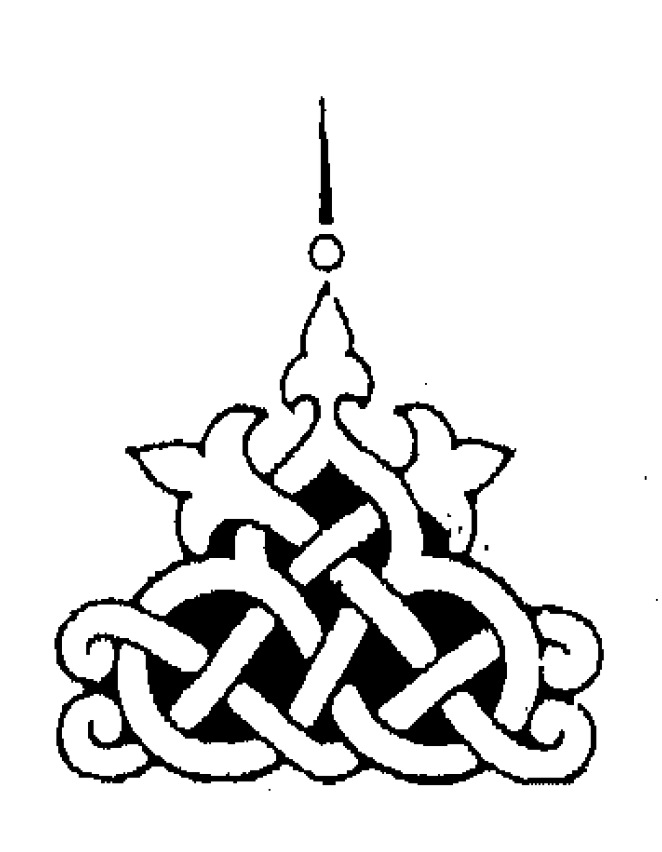
٢٥) بهجة المجالس ص ١٩٠.

٢٦) فصل الخطاب ص ١٨٨.

العرب كانت لهم أسواق تجمعهم في الجاهلية فيها كلهم وصلا
نعم ثلاثة أسواق لهم عددا مجنة وهو بالظهران فاحتفلا
وذو المجاز يسار الواقفين إذا كانوا لدى عرفات واقفين على
وغير ذين عكاظ بين نجدهم وطائف وضعوها هكذا نقلا

ولانجد الشيخ خلفان بذلك المدّاح المكسب بشعره فإنه بعيد كل البعد عن ذلك . بل نجده حينما يتوجه إليه بالمدح يرد قائلا :

يا خالد سل ولا تمدح فاني لم أكن لما قلته قطعاً بفعال





جانب من فعاليات المنتدى الأدبي

النـثـــر

اما تراثه النثري فقد تمثل في كتاباته التي تركها وهي :
شرح قصيدته المسماة ميمية الدما فقد شرحها شرحا شيقا بغرض تسهيلها على طالب

العلم، واسمى ذلك الشرح جلاء العمى شرح ميمية الدما.
نجده في هذا الكتاب يطرح لنا بحوثا لغوية، بشرحه لبعض المصطلحات لغة وشرعا وبيانه للخلاف الموجود في بعضها.

كما نجده يقدم لنا بحوثا عن القضايا الفقهية المتعلقة بالدمار وينتهج في بحوثه هذه نهجا قائما على البحث العلمي حيث يعرض آراء لكثير من علماء وأئمة السلف فيعرض آراء للامام جابر بن زيد وابي عبيده كما يعرض آراء للامام الشافعي ومالك وابي حنيفة واحمد بن حنبل وغيرهم، وهذا واضح في ثنايا كتابه المذكور كما نجده يدعم رأيه بالدليل من كتاب الله ـ عز وجل ـ وحديث رسوله ﴿ﷺ﴾ وأقوال السلف عليهم الرحمة والرضوان.

وحينما يبتدىء بشرح مجموعة من الأبيات يستهل ذلك الشرح بعبارة تدل على اهتمامه بطالب العلم من ناحية وتواضعه من ناحية اخرى، فكثيرا ما يردد عبارات مثل: اعلم انهم قالوا ـ اعلم ان العلماء ذكروا ـ اعلم انه ورد.

أما جهده النثري الاخر فهو كتاب اسماه فصل الخطاب في المسألة والجواب، وواضح من اسم الكتاب انه يحتوي على اسئلة وجهت اليه فقام بالرد عليها.

هذا الكتاب عبارة عن بحوث ومقالات ورسائل؛ فما من رد يرده الشيخ على سائله إلا ويبحث فيه القضية التي سئل عنها بحثا علميا مستفيضا ان كان السائل يحتمل النقاش للمسائل وبحثها وان كان السائل يريد معرفة الجواب السريع فانه يعطيه الجواب اما مختصرا يحوي المعلومة فقط، وإما يصيغ له مقالة شيقة يطعمها شيئا من النصح لذلك السائل.

وان كان يريد اسداء نصح لشخص يكن له الولاء والمحبة فإنه يرد على سؤاله برسالة ملؤهـا الحب وفحـواهـا النصيحـة، مثـلا الرسالة التي بعث بها للامام محمد بن عبدالله الخليلي(*) ـ رحمـه الله ـ هذه الـرسالة نجدها تحمل عواطف الخوف على الدولة وعواطف الحماس ضد الفساد، كما نجد الشيخ لايحجم عن اسداء النصح الجرىء إذ يقول في رسالته تلك . . وأقول ايها الامام انتم رأيتم هذا الذي هو حاضر معكم وكم وكم لهذه الامور من افوات في سائر البلدان مع العمال ومنتأ هذا من غفلتك وعدم تثبتك في تولية العمال وانك تجعل التولية والعزل على رأي الرؤساء الذين لا نظر بهم في عز الدين والابقاء على الدولة بل مطمع نظرهم المطامع والحظوظ الدنيوية(٢٨).

فهذا كلام يدل على ان صاحبه ذو رأي صائب لا يخاف من الاسداء به وذو حب صادق لا يقـوده الا الى اصـلاح محبـه؛ وسياسي محنك يعرف مواطن الضعف في الدولة وكيفية النهوض بها.

وما أجمل هذه الرسالة التي يصدرها بالبسملة ثم الحمد والثناء لله عز وجل ثم يمهد لموضوعه بمقدمة وبعدها يدخل فيما يريد قوله مبتدئا بـ . . اما بعد فقد بلغني (٢٩)
ونـلاحظ حديثـه وهو يسيل بكلمات الاخوة والتقدير وهو في موضع الناقد البصير إذ يقول: فقد بلغني كتابكم ايها الامام ومن حضره من الاخوان بنزوى. . » ثم نجده في النهاية يختم رسالة هذه بقول « . . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم» ثم الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الحمد الله رب العالمين (٣٠).

اما كتابه الثالث فهو عبقرية علم أصول الفقه ذلك العلم الشائك الا لمن يسره الله اليه، نجد الشيخ يخصه بكتاب اسماه فصول الاصول، ناقش فيه مسائل أصول الفقة بأسلوب سهل يسير جميل، ولا استطيع الخوض فيه لان حبالي اليه معدومة فضلا ان تكون قصيرة وصلتي ضعيفة ضعيفة.

---

٢٧) فصل الخطـاب ص ١٩٠.
٢٨) فصل الخطـاب ص ١٨٨.
٢٩) فصل الخطـاب ص ١٩٠.
٣٠) المصدر نفسه ص ١٩٠.

ففي نثـره هذا لا نجـد ذلك التعقيد سواء في اللفظ ام التركيب ام استخدام الصور والاخيلة بل نجد الدقة المتناهية في اختيار الفاظه وامتيازها بالسهولة والوضوح، والتي تناسب المعنى، كما نجده يستشهد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وأسلوبـه الخـطابي المنتشر في ثنايا تأليفاته يخلو من التكلف اللغوي والتعقيد اللفظي والأسلوبي والزخرفة التي تخل بالمعنى.

الخـاتمــة

وبعد ما عشنا مع الشيخ خلفان بن جميل السيابي ـ رحمه الله ـ للحظات يسيرة، رأيناه الشاعر المتمكن والناثر المتثبت.

وان شعره ونثره لم يأت الا لخدمة الهدف الذي سيطر على لبه وحوى كيانه وهو تبليغ كلمة الله وشرعه وايصاله الى الناس وافهامهم اياه ليعملوا به، ويستخدم لذلك مختلف الوسائل التشويقية والتربوية.

صحيح ان الشيخ لم يقل شعرا في المدح او في الغزل وهذا لا يخرجه من اطار الشعر والادب، فليس الشعر مدحا أو غزلا أو هجاء فحسب بل ان الشعر الجيد هو ما افاد وكان وسيلة لاحقاق الحق وازهاق الباطل، وهذا ما اتبعه الشيخ بعينه فلم ينظر الى الشعر أو النثر الا كوسيلة يصل بها الى غاية.

لم يتخذ من الشعر مركبا يوصله الى الثراء بالرغم من ضيق حاله وشدة حاجته.

فهو الشاعر العالم الذي سيطر علمه على شاعريته، وهو الأديب الذي املى علمه على أدبه ليصوغه في عقود مزدانة بالجمال ممزوجة بعاطفة الوفاء لايصال العلم الى مستحقيه.

ان مثـل هذا الشيخ من يستحق الـدراسـة الواسعة والبحث العميق لاخراج الكنوز المختبئة بين دفات الدواوين والكتب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

١ ـ الشيخ خلفان بن جميل السيابي

ـ فصل الخطاب في المسألة والجواب/وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ١٩٨٤

ـ بهجة المجالس المشتملة على فنون كثيرة من العلوم والحكم والمواعظ/وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عمان ـ الطبعة الثانية ١٩٨٩م

ـ سلك الدرر الحاوي غرر الاثر/وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عمان/الطبعة الثانية ١٩٨٨م

ـ جلاء العمى شرح ميمية الدما/المطبعة العمومية بدمشق ١٩٦٤م

٢ ـ الدكتور عـزالدين اسماعيـل

الأدب وفنونه/دار الفكر العربي/ الطبعة السابعة ١٩٧٨م

٣ ـ ابو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي

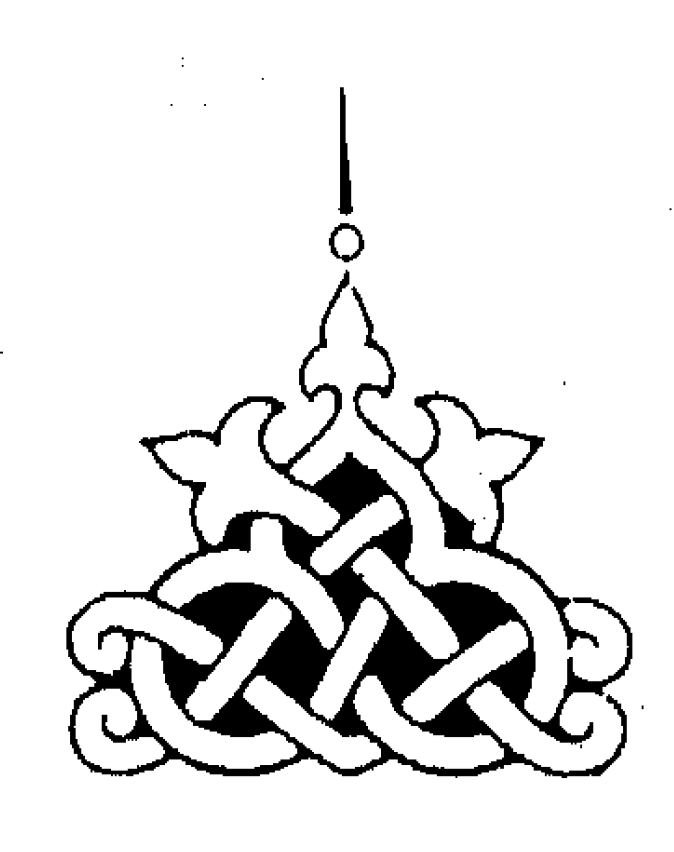
قناطر الخيرات/وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عمـان

٤ ـ الشيخ نور الدين عبدالله بن حميد السالمي

مشارق أنوار العقول / سلطنة عمـان ـ الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

٥ ـ الشيخ محمد بن راشد بن عزيز الخصيبـي

شقـائق النعـمان على سمـوط الجـمان في اسـماء شعراء عمان ـ وزارة التراث القومي والثقافة/سلطنة عمـان ـ الطبعة الثانية ١٩٨٩م.



أيــــام مـع

المرحوم العلامة الشيخ خلفان بن جميل السيابي

الشيخ سعيد بن خلف الخروصي

الحمد لله الذي أودع قلوب العلماء أسرار حكمته، وجعل العاملين بها أهل مثوبته ورحمته،

ضاءت بسرائـرهم الأنوار، فأخرجت أفكارهم لطائف الأسرار، فهم هداة الأمة بما خولوه من المعارف والحكمة، أخلصوا لربهم الأعمال فأثمر صدق الأفعال وروائع الأقوال ـ رضي الله عنهم ـ ما رويت اخبارهم وشنفت الاسماع آثارهم وكم من هذا الصنف من العلماء العاملين والجهابذة المخلصين من كان لهم القدح المعلى في قصبات السباق ومن يحسر المباري لهم في اللحاق.

ومن هؤلاء السابقين في المضمار، من سبق الكثير من الأخيار وهو من دعانا اليوم صاحب السمو وزير التراث القومي والثقافة لتكريمه(*)شيخ الاسلام، العلامة الشهير علامة زمانه ومفتي اوانه شيخنا ابو يحيى خلفان بن جميل السيابي من شهد له امام المسلمين العلامة الجليل محمد بن عبدالله الخليلي بعلاميته في الأصول والفروع ـ رحمهما الله وجزاهما عنا وعن المسلمين أفضل الجزاء ـ .

وبعد؛ فهذه نبذه وجيزة في سيرته وحياته وفضله ومؤلفاته.

ولد شيخنا خلفان بن جميل ـ رحمة الله عليه ـ ببلدة سيما من أعمال ولاية ازكي عام ألف وثلاثمائة وثمان سنين للهجرة ولما بلغ رشده اهتم بطلب العلم النافع شأن الرجال الكمل ذوي الهمم العـالية، يزامله في الطلب جاره وزميله واخوه وخليله الشيخ سيف بن حمد الاغبري فدرسا معا فترة من الزمان ثم انتقل شيخنا ابو يحيى الى سمائل لشهرتها بالعلماء الأفاضل فتتلمذ على العلامة الشهير حمد بن عبيد الضرير البصير.

(*) حفل تكريم المرحوم خلفان بن جميل السيابي الذي اقامه المنتدى الأدبي مساء يوم الثلاثاء ١٩٩٢/٥/٥م تحت رعاية معالي السيد/هلال بن سعود بن حارب البوسعيدي مستشار الدولة.

ثم تتلمذ على إمام المسلمين الحجة الولي محمد بن عبدالله الخليلي وذلك قبل نصبه بزمان وبعد ان أصبح زاده من العلم وافرا كان كل منهما للآخر، بمثابة الاستاذ والزميل في وقت واحد، وكانا ينتقلان ما بين وادي محرم وسمائل جادين مجتهدين حتى صارا شمسي هداية وبدري كمال.

عمل ـ رحمه الله ـ مدرسا بنخل ثم قاضيا بها. ثم قضى بالرستاق زمانا عصر الامام الخليلي ـ رضى الله عنه ـ . ثم قاضيا بها ثم قضى بالرستاق زمانا عصر الامام الخليلي ـ رضى الله عنه ـ . ثم بمسقط وصور، عصر السلطان تيمور وابنه السلطان سعيد بن تيمور. ثم عاد الى وطنه سمائل عام ألف وثلاثمائة واثنين وستين وبقى بها قاضيا للامام الخليلي رضى الله عنهما ـ جميعا ـ ومدرسا في نفس الوقت ومرشدا ناصحا وواعظا مخلصا وادرك من عهد جلالة السلطان قابوس عامين كاملين كان فيهما هو المفتي بالسلطنة ولما كنت عاملا بسمائل. صحبته اثنى عشر عاما. فرأيت اوقاته موزعة في فضائل الأعمال. شأن الكملة من الرجال. فلا تجده الا مصليا أو ذاكـرا داعيا. مستقبلا المحراب. أو تاليا للكتاب أو كاتبا أو مملئا فتوى، او حاكما بفصل الخطاب في دعوى، لا يخلو مجلسه من طالب علم أو مسترشد او زائر في الله او مسترفد، لا يبخل بموجود كما لا يتكلف المفقود، لاتسمع في مجلسه أحاديث الدنيا بل همته ميالة الى الصفات العليا، لا يجامل غنيا لغناه ولا يحتقر أحدا لفقرة المسلمون لديه متساوون، ولارشاده مستمعون، أذكر من عدم مجاملته. قال لي يوما: لم وصفتني بقولك. .

(مشكاة نحلته مصباح أمته . . سجاد ليلته حامي حمى الحرم)

قال: من أين تعلم اني سجاد ليلتي ألا تدري ان الكذب حرام؟ وهذا البيت من أبيات قلتها في تقريظ كتابة بهجة المجالس، فأجبته وصفتك بذلك لشيئين

أما اولاً فالحديث «من صلى العشاء الأخرة في جماعة فكأنما قام نصف الليل فإذا صلى الفجـر في جماعة فكأنما قام الليل كله وكان نومه عليه صدقة» وأنت لا تفوتك الصلوات الخمس في الجماعة **وإما ثانيا** فلاني صحبتك في السفر فرأيتك قواما فأنا غير كاذب فتبسم وقال ماشاء الله.

كان ـ رحمه الله ـ فقيها محققا وأصوليا مدققا شهد له بذلك الامام الخليلي ـ رحمه الله ـ كما مر آنفا. له في فروع الفقة «كتابه سلك الدرر لحاوي غرر الأثر» في مجلدين وفي أصول الفقة كتابه «فصول الأصول» يبدو تحقيقه الأصولي واضحا لمن تأمله في أجوبته النظمية والنثرية وكان واسع العلم في أحكام الدماء. وله فيها قصيدة شرحها شرحا مفيدا وافيا سماه «جلاء العمى في شرح ميمية الدما».

وله كتاب رابع نفيس رائع سماه «بهجة المجالس» اشتمل على قصيدته الطويلة المسماة «بلامية الحكم» وعلى قصيدة في السلوك سماها «القطرة الغيثية» وعلى اجوبته النظمية منها في أصول الفقة وغالبها في الفروع، وجميع مؤلفاته واضحة سهلة مليئة بالتحقيق والتدقيق.

جزاه الله بما يستحقه من افضاله وكراماته وسقى مضجعه وليشمله ببره ورحماته. توفاه الله في النصف من جمادى الاخرى عام ألف واثنين وتسعين للهجرة مرضي السيرة صافي السريرة ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ واختم كلمتي بقصيدة قلتها في تقريظ كتابه «فصول الأصول» لاشتمالها على شيء من صفاته وذكر مؤلفاته وهي كما يلي:

تقريظ

يارائما للفقة من أسفاره ... لازم فصول أصوله ومداره

لايدركن فروعه من لم يكن ... مستجليا للأصل من أخباره

منع الوصول الى الفروع إضاعة ... لأصوله من زاخرات بحاره

فاسهر لدرك فصوله من أصله ... من محكم التنزيل أو آثاره

وارفع عقيرة معجب بفصوله ... إذ فزت من محصوله بنضاره

شعت شموس الحق من أخباره ... فانجاب غيم البطل من أنواره

سفر إذا أمعنت في تحريره ... أبقيت أن الحق في أسراره

عذبت مجاري ورده. وصفت فما ... بردى على تفضيله كغراره

فالرشد في تذكاره والسعد في ... أسطاره والرفد في استظهاره

لم لا وجامعه الفقيه المرتضى ... إنسان عين المصر خير خياره

علامة العلماء ابن جميل ... هو بدر هذا العصر شمس نهاره

حبر إذا يممته في مشكل ... جلى بنور العلم غيم غباره

حقا يذكر بالاله لقاؤه ... من طيب منطقه وحسن حواره

في هدى خير الخلق أما سمته ... سمت الملوك لجده ووقاره

لم يختدعه الزخرف الفاني ولا ... يرنو لدرهمه ولا ديناره

لم تلقه إلا بمجلس ذكره ... أو منزل الضيفان أو في داره

لم يخش إلا ربه فلذا غدا ... لا يخشى صرف الدهر في أدواره

عشق المحامد في غصون شبابه فسمت به للمجد في أطواره
فسميره العلم الرفيع وخدنه ذكر الاله بليله ونهاره
إن شئت تعرف شأنه ومكانه فاستفسر الأخبار من آثاره
من سلكه وجلائه ومقبوله أو بهجة كالبدر في أنواره
فيها جلاء سموه وكماله وبها اجتلاء الخير من أخياره
حوت الشريعة والحقيقة وانثنت تملي الهدى والرشد عن أخياره
فاذا نظرت إلى متين أصوله وجنيت شهد الحق من أثماره
فادع الاله بجوف ليلك مخلصا للشيخ فضل العفو من غفاره
ويأن يطيل حياته كي ينشرن علم الهدى والرشد في أدهاره
وامنن عليه إلهنا بسلامة حتى يقر على النعيم وداره
في مقعد صدق جوار محمد أنعم به وبطيبه وجواره
صلى عليه الله ما فلق الدجى صبح الهدى من واضحات بحاره
مع آله الراقين فوق سما العلا والعاقرين الكفر وسط قراره
وعلى الصحابة كلهم مع من قفا نهج النبي وسالكي آثاره



لمحات من قصـائد
المرحوم الشيخ/ خلفـان بن جميّـل السيـابي

لمحـات من قصـائد ابن جميّـل

اعداد الشاعر: سـالم بن علي الكلبـاني

مـالي وللشـعـر يـاليـث الـوغـى مـالي ... لم أحظ منـه بأوطـار وآمـال
مـا كنـت مـن سـاكـني واديـه قـط ولا ... في ذلـك المعـرك السـامي بجـوال
للشعـر قـوم أجـادوا في صنـاعتـه ... نعـم وجـاءوا بسحـر سـالب البـال
هـامـوا بـكـل فـريـق من سنـباسـبـه ... حتى ارتقـوا طـوده السـامي الـذرا العـالي

بهذا التواضع الجم يبدأ العلامة خلفان بن جميل السيابي أحد الأجوبة النظمية التي كان يعتمدها للاجابة عن السوألات الموجهه اليه نظما.

والنظم في عصره كان سمة غالبة وأسلوبا متبعا لما فيه من سلاسة وعذوبة ولكونه يصوغ المعلومات في قوالب كلامية سهلة الانتظام في مخازن الذاكرة. ولقد تلقى الشيخ عددا كبيرا من هذه الاسئلة بلغ خمسة وخمسين سؤالا شملها كتابه بهجة المجالس الذي شمل ايضا مجموعة من القصائد التي تبحث في الدين والعبادات والأحكام والأصول والتوحيد بلغة عربية يغلب عليها البسط والتحليل للموضوع الذي تتناوله.

ولئن كنا لن نستطيع في هذا العرض حصر جميع اشعار الشيخ فإنه من التفريط الحكم القاطع على عينة صغيرة ربما لا تمثل مجمل انتاجه، فقد توفر لنا فيما توفر من قراءة مؤلفاته قراءة (سلك الدرر) وهو مجموعة كبيرة من قصائد الرجز تؤلف جزأين في مجلدين نظم خلالهما كتاب النيل كما فعل الشيخ السالمي قبله وتوفر لنا ايضا ان نقرأ قصيدته (ميمية الدماء) التي شرحها بكتابه (جلاء العمى) وهي قصيدة حكميّة كما يدل عليها اسمها هذا بالاضافة الى كتابيه (فصول الأصول وفصل الخطاب في المسألة والجواب) وهما كتابان نثريان.

(*) القيت في حفل تكريم المرحوم خلفان بن جميل السيابي الذي اقامه المنتدى الادبي مساء يوم الثلاثاء ٥/٥/١٩٩٢م تحت رعاية معالي السيد هلال بن سعود بن حارب البوسعيدي مستشار الدولة.

كذلك قرأنا له كتاب (بهجة المجالس) الذي ذكرناه آنفاً وهو الكتاب الذي سوف نركز معظم الحديث عليه ومعروف ان هذا النوع من قصائد العلماء يصعب ان تتأتى له رقة وعذوبة الشعر الذي يقذف به وجدان الشعراء المطبوعين إلا ان المتتبع لشعر ابن جميل لن يعدم ما يسره في هذا المجال.

فعلى مدى حوالي خمسة وخمسين قصيدة اجاب فيها على سؤالات مختلفة في شتى فروع الاحكام والاديان كانت ترد خلال تلك القصائد مقاطع تحمل طابع الشيخ وتعبر عن نفسه. ولعل ابرز الامور التي تجود فيها قريحته وبرق شعره موضوع التأفف من زخرف الحياة والبراءة من باطل الدنيا. فما ان تسنح الفرصة وينفتح الباب على هذه الجهة حتى تجده يسهب ويطنب معبرا عن آرائه وموضحا نتيجة تجاربه. ولقد حرك وجدانه واباح كتمانه ذات مرة سؤال أتاه من أحد المهتمين بالأصول يسأل فيه عن صحة القول القائل تفترق امتي من بعدي ثلاثا وسبعين فرقة . . الخ .

وقد استهل السائل سؤاله بديباجة حسنة ربما تكون من افضل الاستهلالات في محتويات البهجة جاء في مطلعها:

مقال تهاديه اليك القرائح	ويبرزه ود طوته الجوانح
وتزجيه بالأسحار ريح مودة	وتشدو به في الدوح ورق صوادح

ويستمر هكذا حتى يصل الى المسئول بقوله :

أخلفان طاب اليوم فيك لنا الثنا	وقد حسنته فيما ارتأيت المدائح
فماذا ترى فيما أتانا محورا	به الاثر المشهور والقول واضح
تفرق دين الله من بعد أحمد	ثلاثا وسبعينا فهل ذاك صالح

إلى آخر القصيدة التي حركت في وجدان الشيخ ساكنا وبعثت دفينا فقال بعد ابيات المقدمة والثناء :

سألت عن الصحب الكرام وماجرى	هناك من الأحداث فالخطب فادح
بذاك جرى في لوحه قلم القضا	وما الله قاضيه فما عنه جامح
تحزبت الأحزاب من بعد أحمد	وكل الى تحقيق مرآه طامح
وما كان دين الله رث ولا وهى	ولكن وهت عنه القلوب القوارح
وما كان عصر المصطفى نيل بالاذى	ولا سامة بالخسف غاو وكاشح
وما كان عصر المصطفى ناقص الوفا	بل الآي بالتكميل فيه موادح
وقد ضيم بالاعراض عن ذكر ربنا	وبالميل للأغراض إذ عز ناصح

قلوب تمادت في الغرور وأخلدت — الى عاجل اللذات وهي مذابح
قلوب ثناها عن مناهج من مضى — زخارف دنيا والأماني الفواضح
وميلولة النفس الجموح مع الهوى — وما منهما الا الى الشر جامح
ومنا هذه الدنيا وما قدر قدرها — ولذاتها عما قليل روائح
وحبكموها رأس كل خطيئة — ومنبع شر منه تبدو القبائح

الى قوله . .

وليس على التحقيق للمرء وازع — سوى رحمة المولى لمن هو مانح

ثم يأخذ في ندب المسلمين ناعيا عليهم تهاونهم في أداء الواجبات وتقصيرهم عن اخذ الحقوق المشروعة لهم . في مقطع من مقاطع القصيدة كرر فيه نداء ملة الاسلام ثماني مرات كان آخرها قوله :

فيا ملة الاسلام مالي أراك قد — لبست ثياب الحزن والدمع سافح

ثم أخذ بعد ذلك في تعديد مناقب السلف الصالح وذكر الأبطال المسلمين الذين يرى فيهم ـ ونحن معه ـ رموزا للعظمة الاسلامية التي نشرت راية العدل والكرامة على جميع أرجاء المعمورة .

ومن اللافت للنظر خلو اشعار الشيخ من المقدمات الغزلية التي لم تكن في عصره قد اختفت من أشعار الآخرين وكأنه قد أحسَّ في قرارة نفسه أنه لم يخلق لهذه المهمة فأعرض عنها متنصلا مؤكدا عدم الانسجام بينه وبين هذا اللون من الشعر ومن تنصله هذا قوله :

قل للذي قرض الأشعار يسألني — مالي وللشعر دعني يا أخا المنن
ما كنت ابكي على رسم ولا طلل — ولا ربوع عفت من سالف الزمن
ولا شجاني غراب البين اذ رحلوا — ولا ولعت بذكر الشجو والشجن
ولا لهوت بغزلان أغازلها — ولا صبوت لذات المنظر الحسن
في عينها حور في لحظها فتر — في وجهها قمر وردية الوجن

وإنه لما يشدنا الى شخصية الشيخ حبه للعلم واكرامه للعلماء وتشجيعه على التعلم . بدا كل هذا واضحا في معظم ما نظم من قصائد قلما تخلو احداها من حض على فضيلة أو نهي عن رذيلة . بيد أنه فتح في أحد أجوبته باباً للتساؤل حول رأيه في موضوع العصامية والعظامية : فقد ذهب وهو الرجل العصامي المعروف الى ان الموهبة والالهام هما الكفيلان للانسان ببلوغ مراده من العلم والحكمة .

وهنا يحق للقارىء ان يسأل هل كان الشيخ متمذهبا بهذا المذهب ام انه كان مجاملا بشعره هذا الشيخ أبا سعيد الذي حكى عنه الجوهر قائلا:

العلم إلهام من الحميد في مذهب الشيخ ابي سعيد
وعنده التعليم كالنبات للنخل للتلقيح والثبات

علماً ان الجوهر نفسه قال بعد ذلك.

وخالف الشيخ أبو محمد فقال بالجد ينال فاجهد

وقال في موضع آخر:

لا يورث العلم من الأعمال ولا يرى بالليل في المنام
لكنه يحصل بالتكرار والدرس في الليل وفي النهار

فهل قصد الشيخ ياترى مخالفة هذا الرأي حين قال:

مطالع الوهب وإلا لهام لا الهمم والجدُّ يطلع منها العلم والحكم
تبدو على أفق التوفيق مشرقة أنوارها بسماء العقل ترتسم

أم أنه قصد مناقشة سائله حمدان بن خميس اليوسفي الذي كان على قدر جيد من الشاعرية في سؤاله المستهل بقوله:

مطالع الجد منها تطلع الحكم والمجد تثمره للماجد الهمم
والقرب من مطلع التوفيق منبلج والوهب من فيضان العون منسجم

لا ندري؟ إلا أن الشيخ اجمل فيما بعد فتخلص لنفسه قائلا:

عناية الله للانسان كافلة بسعيه حينما وجدانه عدم
ولطفه المحض مشمول به أبدا من كان أو لم يكن قد خطه قلم
وفيضه الشعشعاني الذي انتعشت منه العقول به المعقول منتظم
وسيب رحماه غمار خليقته طبق المشيئة بالتقدير منقسم
هنى المقادير لابدع ولا عجب قد حكمت فعلام اللوم والندم؟
تجري بمستطر التكوين منتسقا حسب الذي خطه في لوحة القلم
لازيد لا نقص لا بعدية سبقت قبلية كيف والمصنوع محتكم
وإنما تنشر المطوّي منه على طبق المشيئة تحدوها به حكم
لكن سوابق كل الكائنات على كون اللواحق مما كنه العدم
وسائط وهي اشباه لها جعلت بل إنها علل التكوين لاجرم
وعلة الشيء والمعلول أجمعه والكل والجزء تحت القهر منحتم

ولقد قلنا في بداية الحديث اننا لسنا بصدد الحصر الشامل لشعر الشيخ ولكن نشير الى بعض المواضع التي نرى انها تستلزم الاشارة واذا ادركنا شظف العيش الذي كان يعيشه المرحوم وقسوة الحياة التي يحياها في زهده وتقشفه فإنه لابد لنا ان ننظر اليه والى أمثاله من النوابغ الافذاذ في عصره نظرة المعجب بصبرهم واصرارهم على ان يبقوا بصيص نور يضيء في حنادس الجهل المطبق على الناس من كل جانب. انهم بحق أشخاص استثنائيون لايملك المرء وهو يتمثل مواقفهم الانسانية النبيلة إلا ان يغبطهم على ما حباهم به الله من أخلاق كريمة بوأتهم تلك المنزلة الرفيعة في قلوب الناس وبما انه لكل انسان سلوكه الخاص وميزاته المميزة فإن السمة الغالبة على الشيخ ابن جميل هي الحشمة والوقار اكد لي ذلك اكثر من واحد من معاصريه كما أكدها لي ايضا نظمه المتزن الذي يربأ به عن النزول عند رغبات النفس المتهافتة ونوازع الهوى الباطل. فاذا سمعته يقول مثلا

على باب من اهوى يلذ لي الذل فياعز قوم تحت اعتابه ذلوا

فلا نظن إلا خيرا وتأكد ان هذا الباب الذي يلذ للواقف امامه الذل هو باب الرحمة والرضوان الذي طالما لثمت عتباته المقدسة أرواح المؤمنين المتلهفين الى الاقتراب من الذات الالهية والظامئين الى كوثر الخلود السرمدي. لقد سمعنا فيما مضى عن مئات العشاق الهائمين بالمناجاة الربانية وهم يتغنون بالمحبوب الأوحد الذي يتمثلونه في أنفسهم رمزا للكمال المطلق ومن بين هؤلاء العشاق يبرز للعمانيين قلة نادرة وصفوة مصطفاة نراها تؤثر في أشعارهم كما اثرت في أفكارهم فتصبغ هذه الأشعار بصبغتها المتميزة التي تستمد لونها من الومضات الروحية المتدفقة من أنوار الذات المقدسة فندرك نحن القراء مدى التواصل العاطفي الذي يربط بين هؤلاء العشاق ومدى الألفة النفسية التي تجمعهم على بساط المحبة الطاهرة.

وليس المرحوم ابن جميل استثناءً من قاعدة التأثر والتأثير فقد يحس القارىء لشعره ان سلافة هؤلاء العشاق قد انسكبت في روحه وان أنغامهم الشجية قد رنت في أذنه وها هي الأن تتكرر توقيعاتها على ألحانه ولكن بعد التطويع والتكيف على أوضاع الحياة التي يحياها هو وبعد ان تأخذ الأسلوب الذي يناسبه. ولئن اتخذ معظم شعراء هذا الفن الشعري من المحبوب المخلوق تورية لشعرهم في المحبوب الخالق وجعلوا من جماله الدنيوي الفاني كناية عن جمال الفن الشعري الاخروي الباقي الذي يهيمون به. فإن ابن جميل لم يختر مجاراتهم في هذا المنهج بل إنه جعل يتمثل في قرارة نفسه ذلك الجلال الشامخ والسلطان القاهر الذي هيمن به محبوبه الخالد على الوجود بأكمله. لهذا لم نسمع من الشيخ شعرا على شاكلة.

تـه دلا لا فـأنـت أهـل لـذاكـا   وتحـكـم فالحـسن قـد أعـطـاكـا
ولـك الأمـر فـاقـض مـا أنـت قـاض   فـعـليَّ الجـمـال قـد ولاكـا

أو على شاكلة

أنا مـن أهـوى ومن أهـوى أنـا   نحـن روحـان حـللنـا بـدنـا
فـاذا أبـصـرتـنـي أبـصـرتـه   واذا أبـصـرتـه أبـصـرتـنـا

وهذا شعر نادر المثال عزيز المنال إلا أن ابن جميـل فضل التحرز واختار المباشرة في تقديس الذات الالهية مجردة من الكناية او التورية وهذا نموذج من نماذجه :

فـسبحـانـك اللهـم جـلـت وقـدست   صـفـاتـك عـن مثـل وأنـى لها مثـل
وقـدرتـك الـعـظمـى وحـكـمتك التي   تـرد النهـى حسـرى فيـدركها الـكـل
نعـم يجـب التصميـم بالعزم في الـذي   أمـرت ومنـك العـون والحـكم والفعـل
إذ الفـاعـل المختـار أنـت حـقيـقـة   ونسبتـه للعبـد حكـمـا هـو العـدل
إلهـي اخـلـصني الـيـك بـنـظـرة   لدنيـة عـني بها ينجـلي الجـهـل
إلـهـي واجـمـعـني إلـيـك بجـذبـة   مـن الـقـرب حتى يستبين لي الـوصـل
وخـذني عـن نـفـسي لديـك بجـذوة   من النـور تمحـو صفحـة الكـون أو تجلو
أزل سـحـب الآثـار عنـي فـلا أرى   سـواك عـلى لـوح الـوجـود بـه أسـلـو
أمـط حجـب الأغـيـار وامـح ظـلامهـا   وجـلٍّ دجـاهـا مـاسـواك لهـا يجـلـو

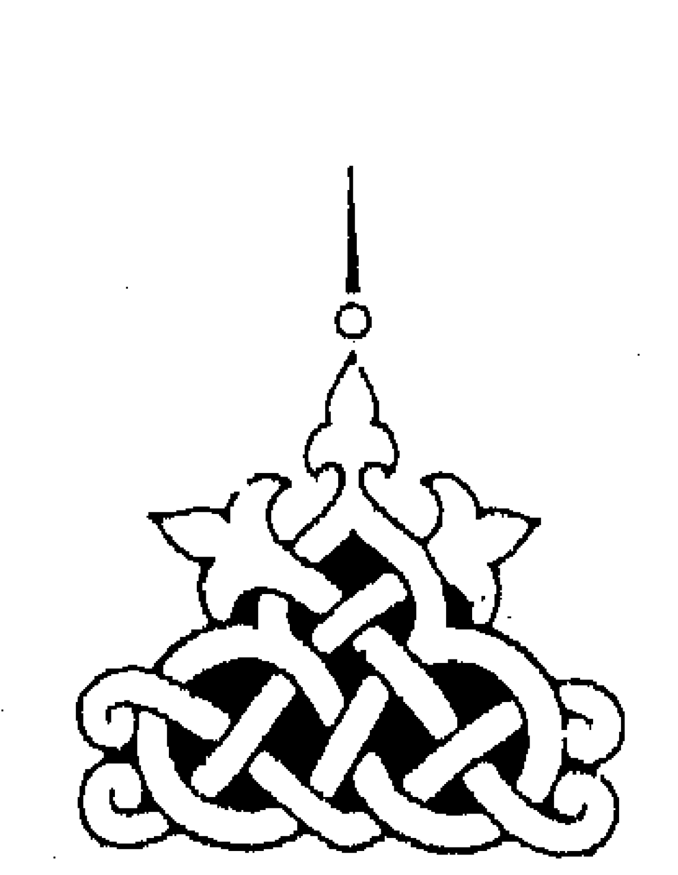
إلـى ان يقـول :

أقمـني مـقـام الـصـدق بيـن يـديـك في   عـبـوديتي حـتى يحـق لـي الـوصـل
بتحقيـق أهـل القـرب حقـق حـقيـقتي   ووحـد سـبيـلي حيثمـا افـترق السبـل
إلهـي ملكـني هـوى الـنـفـس إنهـا   لـكـل شـرور المـرء من أصلها أصـل
إلهـي أشكـو الأسـر في شـرك الهـوى   ففي عنقـي من اسـره أبـدا غـل
إليـك بـكـلي قـد توجـهـت هـذه   بـضـاعـتـي المـزجـاة جيـدهـا رذل

وهذه هي ايضا البضاعة التي جئناكم بها إسهاما منا في إحياء ذكرى رجل صالح كان لحياتـه العـامرة بالخير اثرها الطيب في حياة مجتمعه : وقبل الختام أود أن أنوه الى العفوية والسلاسة التي تحلت بها أرجوزته خطبة سلك الدرر فإنها تستحق التنويه : فقد جاء فيها بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله

وبعد فالعبد يقول طالما نظرت في مصنفات العلما
فلم أجد سفرا لنا في المذهب كالنيل يجلو ضوؤه للغيهب
عن وصمة الاخلال طرا عاري خال من التعقيد والتكرار
لكنه للمبتدين صعب يقف محتارا لديه اللب
لكثرة اختصاره والحذق مع موالاة ضمير العطف
فقمت في نظامه مشمرا لعله بعد الخفا أن يظهرا

ثم أخذ بعد ذلك في توضيح كيفية شرحه بأسلوب سلس بسيط. فمن أحب الاطلاع عليه الرجوع الى سلك الدرر.



الشيخ/ خلفان بن جميل السيابي(*)

(زهده وورعه)

اعداد : احمد بن سعود السيابي

نبذة مختصرة عن حياته :

كان مولده سنة الف وثلاثمائة وثمان (١٣٠٨) للهجرة في بلدة سيماء من اعمال ولاية ازكي ، وتوفي عنه والده وهو لايزال في مرحلة الطفولة البريئة . وكان والده قد انتقل من بلده سيماء الى سمائل ومعه ولده المترجم له . وهناك في سمائل عاش يتيما بيد انه اشتغل في طلب العلم واكب على النهل من معينه وصارت له رغبة جامحة في دراسة العلوم فلازم العلامة الجليل الزاهد الشيخ احمد بن سعيد بن خلفان الخليلي لاخذ العلم عنه وجد الشيخ واجتهد في تحصيل العلوم حتى بلغ منزلة عالية في ذلك وصار علما في العلماء . فاوكل اليه الامام سالم بن راشد الخروصي مهمة الاوقاف في بلدة سيماء وقام بذلك خير قيام وفق ما يقتضيه الشرع ثم عينه الأمام المذكور مدرسا في بلدة نخل وهناك استفاد منه عدد من الناس .

وبعد ذلك عينه الأمام محمد بن عبدالله الخليلي قاضيا على ولاية الرستاق . ثم عمل قاضيا على مطرح في عهد السلطان تيمور بن فيصل كما استقضاه السلطان سعيد بن تيمور على ولاية صور . وآخر اعماله الوظيفية في مجال القضاء كان قاضيا على سمائل للامام محمد بن عبدالله الخليلي .

ومنذ عام ألف وثلاثمائة وسبعة وستين (١٣٦٧هـ) تخلى عن الالتزام بأعمال القضاء حيث تفرغ لنشر العلم تدريسا وتأليفا وافتاء .

وسافر الى زنجبار بشرق افريقيا سنة ١٣٧١هـ للاطلاع على الأحوال ، وفي سنة ١٣٧٣هـ سافر الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج . وهكذا عاش حياته للعلم ومن اجل العلم . يقول تلميذه الشيخ /سالم بن حمود السيابي «فاذا زرته لا تجده إلا قارئا او كاتبا أو مصليا أو

باحثا ولا تجد مجلسه للهو واللعب والخزعبلات والخرافات» حتى توفاه الله في ١٥ من جمادى الثانية ١٣٩٢هـ رحمه الله ورضى عنه.

زهــده وورعــه :

قد يتساءل متسائل عن العوامل التي اثرت في حياة الشيخ خلفان بن جميل حتى جعلت حياته متمثلة في سلوك الزهد والورع. حيث انه لابد لكل اثر من مؤثر ولابد لكل سلوك من موجه نقول ان هناك عاملين فيما يبدو، كان لهما اثرهما في حياة الشيخ وسلوكه. وهما القدوة والفكر.

اما **القدوة** فقد كانت متمثلة في الشيخ احمد بن سعيد الخليلي الذي تتلمذ عليه الشيخ خلفان ولازمه.

ذلك العلامة الزاهد الفاضل الذي يقول فيه ابو مسلم البهلاني :

ارتاح فيها ابى خل فيبهـرني   صدق وقصد ومعروف واحسان

ويقول فيه :

نظرت احمد حتى حل مسكنـه   في الخلد من حوله حور وولدان

وصار عند ابيه في حظائر - قدس الله حظهما - فوز ورضوان

ولاشك ان سلوك ذلك العالم الرباني الشيخ احمد بن سعيد الخليلي انعكس على سلوك شيخنا ابي يحيى فصار التلميذ مقتديا بشيخه مقتفيا أثره. ودائما تكون بين التلميذ وشيخه علاقة روحية تربط بينهما سلوكا وفكرا.

والعامل الثاني الفكر. وهو يتمثل في قراءات الشيخ ومطالعاته. التي من شأنها تكوّن الفكر وتؤطره في اطار موضوعها. فما هي القراءات والمطالعات التي تكوّن منها فكر الشيخ خلفان؟ وما هي الكتب التي كان لها اثرها في فكره؟

يشير الى شيء من ذلك تلميذه الشيخ / محمد بن راشد الخصيبي حيث يقول «وقد كان في مبدأ حبه ورغبته في العلم وطلبه كثيرا ما يقرأ في كتاب احياء علوم الدين للشيخ العلامة ابي حامد الغزالي وهو الذي هذبه وشحذ افكاره».

وكتاب احياء علوم الدين للغزالي حجة الاسلام من الكتب المعتنى بها عند الاباضية عامة، والاباضية أهل عمان خاصة. فهو سفر مرغوب فيه عندهم فقلما نجد احدا من اهل العلم أو المنتسبين الى العلم. الا وعنده كتاب احياء علوم الدين.

وتنويها بشأنه يقول فيه نورالدين السالمي :

ولم يكن احياء علوم الدين   بجامع لنـا علوم الدين

نعم حوى كشف عيوب النفس   كشفا بليغا مدخلا من البحس

من ها هنا انثى عليه الاصـل   إذ منه داء النفس قد يحـل

لقد كانت ملازمة الشيخ خلفان لهذا الكتاب في بداية حياته التعليمية لها اثرها الفعال في سلوكه في حياته كلها.

كما سمعت ايضا من بعض اهل العلم ان الشيخ كان يقرأ كثيرا ايضا في كتاب قناطر الخيرات للعلامة ابي طاهر الجيطالي. وكتاب القناطر يصب في نفس المصب الذي يصب فيه كتاب الاحياء، ويسير في نفس الاتجاه.

ان قراءة شيخنا في مثل هذه الكتب لاشك انها هذبت سلوكه وترقت بافكاره الى مراتب الصالحين ومدارج الزهاد وأهل الورع والعفاف والفضل.

اذا كان الشيخ قد عرف بالزهد والورع في حياته وانصب منها سلوكه. فما هو الزهد؟ وما هو الورع بالنسبة الى الشيخ خلفان بن جميل قولا وفعلا وسلوكا، وما حققه كل منهما؟ هو ما ستتعرض له في سياق بحثنا او مقالنا هذا.

أولا ـ زهــده :

الزهد في اللغة ضد رغب. وهو ما يعني ترك الدنيا وعدم الرغبة فيها.

امـا الجـرجاني فيعرفه بأنه ترك الميل الى الشيء، وقيل هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة، وقيل هو ان يخلو قلبك مما خلت منه يدك، ونقل عن اهل الحقيقة في اصطلاحهم بانه هو بغض الدنيا والاعراض عنها.

وقد خصص الشيخ المرحوم باباً للزهد وذم الدنيا في الجزء الثاني من كتابه القيم سلك الدرر الحاوي غرر الأثر، تحت عنوان «باب في ذم الدنيا والركون اليها والزهد فيها».

وحقيقة الزهـد عند الشيخ فانه ينقسم الى ثلاثة أقسام كل قسم تتميز به فئة من الناس فهناك **زهد العوام**، وهو ترك المحرمات لأنه واجب على الجميع ولا يصح خلافه

والزهـد أقسـام ثلاثـة ورد   زهد عن الحرام واجبا يعد

وهـو زهـد للعــوام ينسـب   لانـه على الجميـع يجـب

اما القسم الثاني من الزهد فهو ترك المباح الحلال خوف الوقوع في الحرام او المكروه على حد قول امير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة ان نقع في الحرام، وهذا النوع من الزهد هو **زهد الخواص من الناس**.

والثـاني زهـد عن مباح حللا   في الشرع لكن تركه مذ فضلا

مخافـة الوقـوع في الحــرام   وهو زهـد خاصـة الانــام

والقسم الثالث من أقسام الزهد الثلاثة هو زهد أهل المعرفة بالله الذين يتركون ما لا باس به ولا يخشى منه بأس لئلا يشغلهم عن رب الأرباب الخالق العظيم ـ جل جلاله ـ .

ثالثها زهـد اولي العرفـان سـموا به لارفـع المكـان
عن كل ما لا يختـشـى بـأس به بل خـوف ان يشغله عن ربـه

ومن موجبات الزهد ان يكون امل الانسان قصيرا في هذه الدنيا وحطامها، لايعلق الآمال الطويلة عليها، وان تكون ثقته بالله كبيرة فيما ينزل عليه من ضر، لأن كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس.

من موجبات الزهـد تقصير الأمل وثقة بالله فيما قـد نزل

ولابد لكل شيء من نتيجة، فان نتيجة هذا السلوك الزاهد ان تهون المصائب على الزهاد لعلمهم بأن الأشياء بقضاء وقدر ولو اجتمع الناس على ان يضروهم بشيء لم يضروهم إلا بشيء قد كتبه الله عليهم، ولو اجتمعوا على ان ينفعوهم بشيء لم ينفعوهم إلا لشيء قد كتبه الله لهم، رفعت الاقلام وجفت الصحف، كما قال عليه الصلاة والسلام.

ان زهد الانسان في الدنيا تهن مصائب الدنيا عليه كلهن
إذ كل ما قبل الممـات لا يعـد شـيئا سـوى طاعة مولانا الصمد

وللشيخ خلفان ـ رحمه الله ـ مواقف تدل على زهده ـ وان كانت حياته كلها حياة زهدا وتقشفا وعفة ـ منها: تركه القضاء، خشية ان يشغله عن العبادة والعلم طالبا ومطلوبا.

ومنها انه كان يتقاضى مساعدة مادية قليلة من السلطان سعيد بن تيمور واقتنع بها في معيشته مقتصدا ومقتصرا على الضروريات من المعيشة ولم تغره الدنيا والمناصب.

ومنها ما حدثني به الشيخ سعيد بن خلف الخروصي وهو من تلاميذه قال كنا عند الشيخ خلفان فجرى ذكر الأموال واقتنائها فقال الشيخ عندي المشجوعية وغيل داؤد ـ ضياحتان من النجيل في سمائل ـ ووالله لا أريد ثالثا. وقد وقف احداهما وقفا لبعض المصالح الاسلامية.

ومنها ايضا انه كان له قريب في النسب، وتوفي عن بنت واحدة وكان الشيخ يرثه عصبة باقرار ذلك الشخص نفسه امام الشيخ سعيد بن خلف الخروصي. إلا ان الشيخ خلفان لم يأخذ الميراث خوفا من الشك في ذلك. وهكذا نتعرف من خلال هذه المواقف وهي قليلة من كثير ـ إذ حياة الشيخ كلها زهد وفضل ـ ان زهده كان من القسم الثالث من أقسام الزهد وهو زهد العارفين بالله الذين يتركون ما لا بأس منه.

ثانيا : ورعه :

الورع في اللغة التقوى، وهو التخرج ايضا.

ويعرفه الجرجاني بأنه اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع في المحرمات.

وقيل هو ملازمة الأعمال الجميلة.

واذا كان الورع هو التقوى فان حقيقة التقوى عند الشيخ خلفان هي كما اوردها في ارجوزته التي جعلها تتمة أو خاتمة لكتابه القيم (فصول الأصول) التي يقول في مقدمتها:

طوبى لعبد يتقي مولاه ... في سره وجهره يخشاه
مؤتمرا بكل ما به أمر ... مزدجرا عن كل ما عنه زجر
يرضى بما له من الرزق قسم ... قد استوى البؤس لديه والنعم
متجره الفضائل المكتسبة ... يرقى لها ولو بأعلى عقبة
منطقه الصواب حيثما نطق ... فلا تراه ناطقا إلا بحق
ولايزال الاقتصاد ملبسه ... في فقره وفي الغنى لا انفسه
يمشي تواصفا يغض البصرا ... عن كل ما الهه قد حجرا
قد أوقف الفكرة والسمع على ... علم الذي يدنيه من رب العلا
قد استوى البلاء والرخاء ... معا لديه فهما سواء

واذا كانت حقيقة التقوى هي كما وصفها شيخنا المرحوم، فان سلوكه منها بمكان مكين، وله العديد من المواقف وأهمها

انه كان لا تأخذه في الحق لومة لائم. ومنها. ماذكره عنه الشيخ محمد بن راشد الخصيبي انه لما تولى القضاء في سمائل واعطى الاحكام شكاه بعض أهلها عند الامام الخليلي فاجابهم الامام ان فيه حدة العلماء. فلا تستنكروا منه ذلك.

ومن ورعه انه كان لا يتكلم بفضول الكلام حتى صار السمت والوقار من صفاته معروفا بهما وربما عاتبه بعض اخوانه ظنا منهم ان ذلك انقباض منه. فانشد ابيات القاضي الجرجاني التي يقول منها:

يقولون لى فيك انقباض وانما ... رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن اكرمته عزة النفس اكرما
وما كل برق لاح لى يستفزني ... ولا كل من لاقيت ارضاه منعما

الى آخر الأبيات.

خاتمة

لقد عرفنا واتضح لنا مما مر آنفا ان حياة الشيخ العلامة الجليل خلفان بن جميل السيابي - رحمه الله ورضى الله - كانت مليئة بالزهد والورع والخوف من الله والتقوى. حافلة بالعطاء العلمي والعمل الصالح. وعرفنا ان زهده زهد العارفين بالله وهو ارقى درجات الزهد. وهم الذين يتركون ما لابأس منه خشية ان يكون فيه مشغل عن الله. كما عرفنا ورعه وتقواه وانه نتيجة لقوة ورعه لا تأخذه في الحق لومة لائم. ورزق الهيبة والوقار والسمت والرزانة ودللنا على ذلك بشيء من مواقفه وصلابته وترفعه فكانه من الذين عناهم شاعر العرب العلامة ابو مسلم البهلاني - رحمه الله - بقوله في نونيته المشهورة:

سمت الملوك وهدي الأنبياء على ... اخلاقهم فكأن الفقر تيجان

تمثلت لهم الدنيا فما جهلوا ... حقيقة الأمر إن العيش ثعبان

الباب الثالث

حصاد ندوة «العمانيون ودورهم الحضاري في شرق أفريقيا».

محاضرة
سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي
مفتي عـام السلطنـة
العمانيون وأثرهم في الجوانب العلمية والمعرفية بشرق افريقيا

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

معالي الأخ العزيز الشيخ محمد بن علي القتبي وزير الكهرباء والمياه راعي هذه الندوة الطيبة المباركة،

سعـادة الأخ العـزيز الاستـاذ سالم بن محمد الغيلاني رئيس المنتدى الأدبي، أصحاب الفضيلة والسعادة.

أيها الأخوة الحضور جميعا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

انه ليسعدني ان أكون بينكم في هذه الليلة المباركة الطيبة الميمونة في هذا المكان الذي ينطلق منه صوت الأدب؛ وكم كنت أتمنى أن أكون قاعدا مقعد المستمع لاستفيد ممن يدلون بدلوهم هنا من العلماء المحاضرين في المجالات الأدبية والفكرية والتاريخية ولكن دعيت لأن أكون متحدثا وليتني اعددت لهذا الحديث عدته؛ فان الحديث في مثل هذا الموضوع الشائك هو بحاجة الى استعداد ذلك لأن الحقائق التاريخية لا تخطلط بالخيال وانما يجب على الباحث فيها ان يغوص في أعماق التاريخ لأجل استخراج دررها من أصدافها.

وكم كنت أود أن تتاح لي الفرصة لارجع الى مظان هذا البحث وان كانت شحيحة اذا نظرنا الى ما نتطلع اليه من قدرات لما قدمه سلفنا في العصور الغابرة السحيقة من جوانب فكرية عندما انتقلوا من وطنهم الأم الى تلكم الديار التي اتخذوها وطنا لهم، ولكن الفرصة لم تتح لي، فما أذكره لكم انما هو بقدر ما يسمح للخاطر في هذه الوقفة العابرة.

لاريب ان صلات العمانيين بشرق افريقيا صلات ضاربة بجذورها في عمق التاريخ والذي دفعهم الى ان يخوضوا تلك الغمار حتى يصلوا الى تلك الأماكن التي كانت في ذلك الوقت تعد بعيدة جدا عن الجزيرة العربية هو ولعهم بالبحار وخبرتهم بالملاحة البحرية فان العمانيين قطعوا من أجل هذا المسافات فكانت سفنهم تمخر هذا العباب عباب المحيط الهندي حتى وصلت الى قرب المحيط الهادي من جانب الشرق كما وصلت ايضا من جهة الجنوب الغربي الى اقصى نقطة في شرق افريقيا.

ولا استطيع ان احدد الزمن الذي بدأت فيه هذه الصلات، وانما استنتج بأن الزمن زمن سحيق وان البداية كانت منذ امد بعيد ذلك لانني اذكر انني اطلعت في مجلة (هنا لندن) التي صدرت في شهر يوليو في عام ١٩٧٦م على مقال أعيد نشره من جديد وقد نشر من قبل في نفس المجلة عندما كانت تسمى بالمستمع العربي في شهر يوليو عام ١٩٤٢م هذا المقال فيه عرض لكتاب الف حسبما قيل باللغة العربية ومؤلفه تاجر يوناني كان يقيم في الاسكندرية، وقد وصل الى الجزيرة العربية، ووصل الى المنطقة الجنوبية لسلطنة عمان اي الى ظفار، حيث اطلع هناك على كيفية استخراج اللبان من الاشجار ووصل في رحلته الى شرق افريقيا ووصل الى جزيرة زنجبار نفسها فيما قيل وذكر حسبما أذكر انه مدون في المقال انه نزل في الساحل الشرقي الأفريقي بمستعمرات عربية لعرب جنوبي شبه الجزيرة العربية.

ولا ريب ان هؤلاء العرب هم عرب عمان وعرب اليمن والكتاب الف في القرن الأول للميلاد فمعنى ذلك ان هذه العلاقة تمتد الى ما قبل ألفي عام أو ما يزيد عن ذلك، وعندما جاء الاسلام الحنيف فان هذه الصلات لم تنقطع بل زادت قوة ورسوخا.

والذي سجله التاريخ ان أول هجرة من هجرات العمانيين الى افريقيا الشرقية بعدما اكرم الله - تبارك وتعالى - البشر بالاسلام وغمر هذه البلاد نوره، هي هجرة سليمان وجيفر حفيدي الجلندى بن المستكبر بعدما دارت الحروب الطاحنة ما بينهما وبين الحجاج بن يوسف، وهجرتهما الى شرق افريقيا دون سائر بلدان العالم تدل دلالة واضحة على ان العلاقات بين العمانيين وبين افريقيا الشرقية علاقات قديمة وان للعمانيين وجودا هناك والا فما الذي كان يدعوهما الى ترك أرض فارس وأرض الهند وأرض الصين وغيرها من بلاد العالم والذهاب الى شرق افريقيا لولا ان للعمانيين وجودا هنالك؟

وقد اكتشف في الأيام الاخيرة ان اقدم مسجد بشرق افريقيا كان من بناء هذين الرجلين العمانيين العربيين المسلمين، وهو مسجد بنياه في جزيرة (بمبا) التي سماها العرب بالجزيرة

الخضراء، وكـان انتقـالهما من عمان الى هناك في العام الرابع والسبعين من القرن الاول الهجري، فمعنى هذا ان ذلك المسجد ـ كما يقول مكتشفوه ـ بني في القرن الأول الهجري، في الربع الاخير من القرن الاول الهجري.

وظلت العلاقات ما بين العمانيين وما بين المناطق الافريقية الشرقية علاقات متصلة قائمة طيلة تلك القـرون الماضية، ومن خلال وجود العمانيين هناك ـ مع كونهم أصحاب فكر وأصحاب مدرسة ـ لابد من ان يكون لهم انتاج فكري في المجالين العلمي والأدبي، ولكن الظروف الزمانية التي أتت على الكثير من التراث العماني هنا في عقر داره هى بطبيعة الحال التي أتت على ذلك التراث هناك ونتيجة لتلك العوامل فاننا لم نطلع إلا على النزر اليسير من ذاك الكم التراثي الهائل مما يدلنا على ان العلماء العمانيين الذين ذهبوا الى هناك كانوا ينشرون فكرهم ويقومون بدورهم في نشر الدعوة الاسلامية في اواسط الافارقة هناك.

ومن الـدلائل التي تدل على ان للعمانيين صلات علمية وفكرية بشرق افريقيا وجود المدرسة الاباضية بشرق افريقيا في تلكم القرون الغابرة السحيقة، فقد كانت مدينة (كلوه) حاضرة لهم وكان هنالك الكثير من علمائهم وأولئك العلماء كانوا على صلة بأخوانهم علماء عمان.

ومما يستفاد مما اطلعنا عليه ان أحد العلماء الذين كانوا ينتمون الى هذا المذهب وكانوا يقيمون في مدينة (كلوه) عالم نيسابورى، مشهور (بابي الوليد سليمان الدياري) هذا الرجل كانت له مدرسة هناك، وعندما مات وترك أولادا كان من مشهور أولاده ولدان هم (يارك والوليد) الذي سمي به، وبما ان يارك كان مقدما على أخيه في رجاحة عقله وغزارة علمه وسعة اطلاعه، فقد كان وصـيّ والده وكان وريثه في مدرسته تلك، وقد كان ذلك سببا في حقد اخيه عليه ومنافسته له. فاستصرخ أخوه ببعض علماء عمان فارسلوا اليه وفدا للنظر في الأحوال هناك والسعي الى رأب الصدع وجمع الكلمة

وكتبت رسائل في ذلك من بينها رسالة كتبها العلامة القلهاتي صاحب كتاب الكشف والبيان، وهذا يعني ان للعمانيين دورا فكريا هناك، على ان هذا الدور الفكري ما كان ايضا مقطوعا عن الدور السياسي، ولا أدل على ذلك من قيام دولة لبني نبهان في القرن السابع الهجري هناك في شرق افريقيا في أرض (بته) واستمر وجودهم زمنا طويلا، على ان بعض المؤرخين يذكرون ان البرتغاليين عندما جاءوا الى شرق افريقيا مستعمرين وجدوا تأثيرا كبيرا للعمانيين هناك، ووجدوا مدنا على ساحل افريقيا تضاهي مدن اوربا في ذلك الوقت في

حسن عمرانها وفي حسن نظامها، وقد بهرهم هذا الذي لقوه بعدما كانوا يتخيلون انهم سيجدون الافارقة هناك اشبه ما يكونون بالسباع في الغابات.

وقد حاول البرتغاليون بكل جهد وبكل همة ان يمسحوا هوية تلك الشعوب هناك ولكنهم لم يفلحوا رغم استمرار استعمارهم لها زمنا طويلا حتى انهم عمدوا الى أمير كان بمدينة (مالندى) فاغتالوه واخذوا ولده الذي كان يسمى (يوسف) وكان طفلا صغيرا لم يتجاوز السابعة من عمره فأخذوه الى مدينة (جوه) بأرض الهند وعمدوه هناك ونصروه على الملة الكاثوليكية وسموه (فرناندو) حتى يجهل هويته بل يجهل اسمه القديم، ورجع بعد ذلك الى (مالندى) وكانوا يظنون انه على ملتهم وانه يحمل نفس الفكر الذي يحملونه بعدما غسلوا دماغه ـ فيما يرون ـ فأمروه ليكون لهم وسيلة لتغيير هوية الشعب هناك وتحويله عن الاسلام الى النصرانية ولكنهم فوجئوا بأن الأمر كان خلاف ما يظنون فاذا بهذا الشاب ينتصر لابيه وينتصر لابناء ملته فيقتل القساوسة فجأة، ثم بعد ذلك يشن حربا عصابية ضد الاستعمار البرتغالي. وكان يمخر عباب البحر ويأتيهم ليحرق سفنهم تارة وليغزوهم في أماكنهم تارة اخرى بكل ما يستطيع من قوة وبمن كان معه من الجنود حتى استشهد في سبيل الله وفي سبيل الدفاع عن العقيدة السمحاء، وظل الافارقة يرددون أناشيد تعكس بطولات هذا الشاب الذي ضحى بنفسه في سبيل دين الله ـ تعالى ـ.

ثم بعد ذلك استصرخ المسلمون الذين هم بافريقية الشرقية بأخوانهم العمانيين بعدما طارد العمانيون الدولة البرتغالية وطهروا شواطىء الخليج من رجسهم ومن أثر استعمارهم وتتبعوا خروجهم في سواحل الهند وفي سواحل ارض فارس المطلة على الخليج وهذا الاستصراخ الذي لم يكن الا بالعمانيين ليدل دلالة واضحة على مكانة الصلات والا فقد كانت ايضا للمسلمين هنالك دولة وهي الدولة العثمانية الناشئة آنذاك، فلماذا اثير الاستصراخ بالعمانيين دون غيرهم لولا متانة الصلات التي تربطهم بهم، وعلى أي حال فان هذه الفترة ـ كما قلت ـ لابد ان تكون مصحوبة بنشر العلم ونشر الأدب، ولكن تلكم الفتن التي تعاقبت على محيط الساحل الافريقي هي التي اتت على ذلكم التراث وجاء دور اليعاربة الذين قاوموا الاستعمار البرتغالي واستخلصوا منهم القلعة التي كانوا يسمونها قلعة (يسوع) وتتبعوا خروجهم من السواحل العمانية.

وكان الرجل الذي اعطى افريقيا الشرقية عنايته البالغة هو السلطان سعيد بن سلطان الذي أسس امبراطورية هنالك، وكان نفوذه يمتد من (دلجادو) في الجنوب الى (مقديشو) في الشمال حوالي ألف ميل، ولم يكن هذا النفوذ في الساحل الافريقي فحسب بل كان يمتد في

اعماق افريقيا الى البحيرات، ويدل على ذلك المثل الافريقي الذي ترجمه احد العرب الى بيت شعري عربي والبيت يقول:

ان تعالى زامر بزنجبـــار رقص الناس في البحيـرات رقصا

هذا المثل قد يكون غير مستساغ في بيئتنا العربية الدينية الاسلامية من حيث انه يربط المـدن بالمزمار مثلا ولكن علينا ان نعلم البيئة التي قيل فيها هذا المثل، فانه مثل شعبي افريقى، ومن عادة الافارقة الارتباط بالناي والارتباط بالطبل فامثلتهم تنبع من بيئتهم كما ان البدوي ايضا ان مثل فان لسانه ينبع من بيئته كما كان من الشاعر العربي البدوي علي بن الجهم الذي مدح الخليفة العباسي، فقال له:

انـت كالكلـب في حفـاظـك العـهـد وكالـتيـس في قـراع الخـطـوب
أنـت كالـدلــو ـ لا عـدمتـك ـ دلـــوا مـن كـبـار الـدلاء عظيـم الـذنـوب

وعندما انكر على هذا الشاعر ان يمدح الخليفة بمثل هذا المدح فيشبهه تارة بالكلب وتارة بالتيس وثالثة بالدلو، رد عليهم الخليفة نفسه بأن تشبيهه انما هو نابع من بيئته، فلو تركناه هنا وظل فترة لقال قولا غير هذا القول وفعلا أقرب للخليفة لمدة عام هناك فما كان منه إلا ان افتتح قصيدة قالها بمطلعها المشهور وهو قوله.

عيـون المها بين الرصـافة والجسـر جلبن الهـوى من حيث ادري ولا أدري

فهـذا التحـول انـما هو نتيجـة تحول البيئة وكذلك البيت الشعري المترجم عن المثل الافريقي انما يعكس البيئة الافريقية هناك في شرق افريقيا، وعلى أي حال فان ذلك المثل يدل على تغلب نفوذ السلطان سعيد بن سلطان في قلب افريقيا حتى وصل الى البحيرات، وقد قام بأمر يعد منعطفا تاريخيا خطيرا وذلك أنه حول بلاطه من مسقط عاصمة عمان الى زنجبار لتكون زنجبار في ذلك الوقت عاصمة للسلطنة من حيث انه كان يقيم اكثر ما يقيم هنالك في زنجبار ولابد ان يصحب مع هذا الانتقال ايضا انتقال لطائفة من العلماء.

وفعـلا فقد تردد على شرقي افريقيا طائفة من العلماء الذين كانوا هنا بعمان من بينهم العلامة المشهور الشيخ ناصر بن ابي نبهان الذي انتقل بصحبة السلطان سعيد بن سلطان الى شرق افريقيا وظل هناك فترة طويلة كان في اثنائها يأتي الى عمان ولكنه لم ينقطع عن زنجبار حتى توفي هناك ولايزال قبره معروفا الى اليوم هنالك، وقد كانت وفاته في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الاولى عام ألف ومائتين وثلاثة وستين للهجرة (١٢٦٣هـ) أي قبل وفاة السلطان سعيد بن سلطان بعشر سنوات، كما ان العلامة الشهير الشيخ سلطان ابن

محمد البطاشي كانت له ايضا زيارات الى شرق افريقيا في ذلك الوقت بمعية السلطان سعيد بن سلطان.

والشيخ ناصر بن ابي نبهان من العلماء الذين عنوا بالتأليف في مجالات متعددة فقد عني بالتأليف في التوحيد وعني بالتأليف في الفقة وعني بالتأليف في الطب والفلك وعني بمجالات متعددة، وكان من اشهر مؤلفاته كتاب ألفه في ستة مجلدات جوابا على سؤال طويل يتعلق بقضايا العقيدة وقد سماه (الحق اليقين) وقد اطلعت على الجزء الأول منه وهو مجلد كبير يتناول جوانب متعددة من قضايا العقيدة وكان في كتابه هذا لا ينغلق على فكرة معينة بل يناقش أقوال العلماء على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية فقد استعرض فيه كثيرا مما جاء في العقيدة النسفية التي تمثل العقيدة الاشعرية وما في شروح هذه العقيدة وخوافيها فكان يأتي بكلام الامام النسفي نفسه ثم يتتبع ذلك بما قيل في شرح كلامه ثم يتتبع ما قيل في حواشي ذلك الشرح ثم يناقش هذا الكلام على ضوء الادلة من القرآن الكريم ومن سنة رسول الله ﴿ﷺ﴾.

ولهذا الشيخ مؤلفات متعددة من جملة هذه المؤلفات كتاب (لطائف المنن في أحكام السنن) وهو كتاب حاول فيه ان يبوب (الجامع الصغير للامام جلال الدين السيوطي) تبويبا يختلف عن تبويب مصنفه لأن مصنفة بوبه على الحروف الهجائية، بينما الشيخ ناصر بن ابي نبهان أخذ يبوب الكتاب على الأبواب الفقهية، فجمع الأحاديث النبوية التي تتعلق بأي باب من أبواب الفقة في موضعه الخاص في موضع ذلك الباب، وهكذا أخذ يشرح هذه الاحاديث شرحا غير مخل وغير ممل اي شرحا متوسطا بين التطويل والاختصار؛ ومما يدل على ان هذا الشرح ربما كان في زنجبار وربما كان أثناء عودته من زنجبار الى عمان في بعض الفترات أو بعض الأوقات، انه اشار هناك عندما ذكر الاحاديث التي تتعلق بالسواك والترغيب فيه ان أهل زنجبار يحرصون كل الحرص على السواك وقد امتدحهم بذلك واثنى عليهم لتطبيق هذه السنة النبوية ولكنه بجانب ذلك لاحظ على كثير منهم انهم يستعملون ما يسمى عندهم بالتبغ وهو نبات يمضغ ومضغه يؤثر على الاضراس ويبدل لونها الأبيض الى السواد فتمنى بجانب محافظتهم على السواك ان لا تكون هذه العادة موجودة فيهم وهذه العادة كانت مألوفة من قبل هناك وقد عهدناها في بعض الناس الذين تقدم بهم العمر قبل عقود من السنين.

وألف الشيخ ناصر بن ابي نبهان كتابا طبيا شعبيا ذكر فيه العلاج بأنواع النباتات الموجودة هناك في شرق افريقيا سمي هذا الكتاب (السر الجلي في ذكر اسرار النبات السواحلي) وفي

هذا الكتاب قدم مقدمة شارحا فيها ذكر مصطلحات اللغة السواحلية وما فيها من تفخيم المسمى وتصغيره مصطلحات التفخيم ومصطلحات التصغير ومصطلحات الجمع لان في هذه اللغة مصطلحات للتفخيم كما ان في اللغة العربية التصغير فهناك اللفظ قد يفخم وقد يؤتى به عاديا وقـد يؤتى به مصغـرا وذكر هذه المصطلحات وأورد اسماء الاشجار باللغة السواحلية المستعملة هناك، اللهم إلا ما كان من الاشجار موجودا في البلاد العربية فانه يترجم بعد ما يذكر الاسم السواحلي الاشجار الى الاسم العربي المعروف.

وفي عهد السلطان سعيد بن سلطان تولى رئاسة القضاء في زنجبار الشيخ العلامة محمد ابن علي المنذري وظل رئيسا للقضاء الى وفاته في عهد السلطان ماجد بن سعيد بن سلطان وكانت وفاته في اليوم الثالث عشر من جمادى الثانية من عام ألف ومائتين وستة وثمانين للهجرة (١٢٨٦هـ)، ولهـذا الشيخ مؤلفات متعددة فقد ذكر بعض المترجمين له انه الف كتابا في العقيدة سماه (الخلاصة الدامغة) وقد اطلعت على جواب له طويل وجه اليه من قبل الشيخ علي بن عبدالله المزروعي، وهو من المزاريع العمانيين الذين أقاموا في شرق افريقيا وقد كان الشيخ المزروعي شافعي المذهب اشعري العقيدة فوجه اليه سؤالا فيه مناقشة في موضوع رؤية ـ الله تعالى، واجاب الشيخ المنذري على هذا السؤال جوابا مطولا أودعه كثيرا مما اطلع عليه من اقوال العلماء المفكرين في شتى المذاهب الفكرية الاسلامية ويدل جوابه هذا على انه كان ايضا مطلعا على كثير من دقائق علم التشريح التي امكن الوصول اليها في ذلك الوقت فقد رسم هناك، كيف ينطلق الشعاع من العين الى الشيء المبصر ومد خطا ووضع اضلاعا مما يدل على انه كان على اطلاع في هذه العلوم، ويقال ايضا بأن لهذا الشيخ كتابا في اللغة العربية ولعله في النحو أو انه يجمع ما بين النحو والتصريف.

هذا وللشيخ المزروعي الذي ذكرته ايضا كتاب آخر في العقيدة حاول ان يجاري فيه الشيخ المنذري سماه (الدروع السابغة) ولعله ناقش فيه بعض ما ذكره الشيخ المنذري في كتابه (الخلاصة الدامغة)

وابن الشيخ المنذري المذكور تولى القضاء ايضا في زنجبار فترة من الزمن الى ان توفي في عهد السلطان خليفة بن حارب الذي امتدت سلطنته نحو نصف قرن من الزمن هناك، وقد كانت وفاة الشيخ علي بن محمد المنذري في عام الف وثلاثمائة وثلاثة وأربعين للهجرة ١٣٤٣هـ، وقد ألف مؤلفات متعددة منها كتاب مختصر في التوحيد يسمى (نور التوحيد) ومنها كتاب (الصراط المستقيم) وهو ايضا في التوحيد وهو رسالة مختصرة ومنها كتاب رد فيه على مؤلف كندي نصراني الف كتابا في عهد المأمون رادا فيه على صديق له هاشمي مسلم

كان في بلاط المأمون وقد دعاه الهاشمي الى ان يدخل في دين ـ الله تعالى ـ فانكر ذلك الرجل هذه الدعوة وحاول ان يطمس بعض الحقائق في رسالة وجهها الى ذلك الصديق الذي ابتدأه بالدعوة فاطلع عليها الشيخ المنذري وقد كتب كتابا في الرد على ما كتبه النصراني بعنوان (الرد على النصراني الكندي) في نحو مائتين وستة وثمانين صفحة والكتاب لايزال موجودا مخطوطا بوزارة التراث القومي والثقافة، وفي هذا الكتاب مناقشة دقيقة للعقيدة النصرانية من خلال الرجوع الى العهدين العهد القديم والعهد الحديث، مما يدل على ان الشيخ كان على اطلاع على هذين الكتابين وكان على معرفة بالاناجيل واختلافها وتفاوت عباراتها في عرض كثير من الحقائق.

وللشيخ المذكور ايضا شرح على كتاب (مختصر الخصال) وكتاب مختصر الخصال هو للأمام الفقيه العلامة ابراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي، الذي هو من اباضية حضرموت وكان في القرن الخامس الهجري وكان على صلة بعلماء عمان وائمتها في ذلك الوقت، وقد رأيت مسودة هذا الشرح أي شرح الشيخ المنذري على هذا الكتاب قبل نحو ثلاثين عاما منذ الآن والكتاب ـ كما هو ـ معروف لانه كتاب متداول مشهور وقد طبعته وزارة التراث القومي والثقافة اخيرا وهو كتاب يشتمل على ابواب في الفقة بعضها في الاديان والعبادات وبعضها في المعاملات وبعضها ايضا في الاخلاق.

وقد اختصر الشيخ المنذري ـ فيما اخبرت ـ كتاب (الاستقامة) للامام المشهور ابي سعيد الكدمي إلا انني لم اطلع على هذا المختصر وله مؤلفات اخرى، ولعمه الشيخ عبدالله بن علي المنذري ايضا مؤلفات ولكنني لم اطلع على شيء منها وإنما سمعت عنها.

هذا ولنرجع قليلا الى الخلف بعد ما انتهى عهد السلطان سعيد بن سلطان وجاء دور ابنه السيد ماجد ابن سعيد فقد ظلت العلاقة مستمرة ما بين عمان وما بين زنجبار بشرق افريقيا في ظل حكم السلاطين البوسعيد الموجودين هنا وهناك، ثم جاء بعد ذلك عهد السيد برغش بن سعيد والسلطان برغش بن سعيد حرص على ان يدخل بالبلاد أي شرق افريقيا طورا جديدا فأنشأ المباني العمرانية المتطورة ومد انابيب المياه الى المدينة من مكان بعيد نوعا ما، وحاول ايضا ان يطور الثقافة والوعي هناك، واتى بأول مطبعة تطبع الكتب العربية هناك هذه المطبعة، ابتدأت الطباعة فيها في عام ألف ومائتين وسبعة وتسعين (١٢٩٧هـ)، وابتدأ أول ما ابتدأ بطباعة قاموس الشريعة الذي يقع في تسعين مجلدا وقد طبع منه السلطان برغش سبعة عشر (١٧) مجلدا ثم طبعت كتب اخرى واستمر السلاطين هناك يطبعون على تلك المطبعة مجموعة من الكتب العمانية وغيرها الى عهد السلطان حمود بن محمد بن سعيد

ابن سلطان، وفي عهد السلطان برغش انتقل كثير من علماء عمان وأدبائها من عمان الى شرق افريقيا لاسباب بعضها يعود الى ما كان في عمان آنذاك من فتن قبلية وتقاتل ما بين العمانيين أنفسهم في ظل العصبيات القبلية البغيضة وبالتأكيد فان مشايخ العلم، ما كانوا يرتاحون الى ذلك الوضع وما كانوا يتلاءمون وينسجمون مع افكار زعماء القبائل الذين كان معظمهم اجهل من عشائرهم ولذلك كانوا يقودون عشائرهم الى هذه الحروب الطاحنة؛ ومن هذه الاسباب ضيق المعيشة في عمان آنذاك واتساعها هناك في شرق افريقيا فقد كانوا يعيشون هناك عيشة رغدة.

ومن تلكم الاسباب تشجيع السلطان برغش بن سعيد لأهل العلم، فلذلك حاول كثير من العلماء الهجرة من هنا الى هناك، فكانت هجرة الشيخ يحيى بن خلفان بن ابي نبهان الخروصي الذي تولى رئاسة القضاء هناك وكانت هجرة الشيخ سالم بن عديم البهلاني الرواحي الذي اصطحب معه ابنه وهو صغير هو العلامة المشهور الشاعر الكبير ابو مسلم ناصر بن سالم بن عديم البهلاني الرواحي، فقد ذهب الشيخ سالم بن عديم من سلطنة عمان الى سلطنة زنجبار في عام ألف ومائتين وخمسة وتسعين للهجرة (**١٢٩٥هـ**)، وكان معه ابنه ابو مسلم وكان ابو مسلم آنذاك حسب ما قيل لي لايتجاوز السبعة عشر عاما، فظل الاب والابن هناك وتولى الاب القضاء ايضا عند السلطان برغش بن سعيد وظل ابنه يتعلم ويتولى بعض المناصب الدينية في عهد ذلك السلطان وبعد خمس سنوات رجع الابن الى عمان ثم بعد ما قضى خمس سنوات اخرى هنا في عمان عاد أدراجه الى شرق افريقيا ليلقي بها عصى الترحال، وظل هناك الى ان توفي في عام الف وثلاثمائة وتسعة وثلاثين (**١٣٣٩هـ**) ولم اطلع على شيء من المؤلفات للشيخ سالم بن عديم مع انه كان مشهورا انه من كبار العلماء في ذلك الوقت ولربما كانت له اجوبة ولربما كانت له مؤلفات وقد تلاشت. اما ابنه ابو مسلم فقد عني بالتأليف كما عني بقرض الشعر وعني بالصحافة في نفس الوقت وترك مؤلفات جمة من بينها كتاب (نثار الجوهر) وهو اشهر مؤلفاته وهو كتاب ينبىء عن غزارة علم مؤلفه فانه يربط فيه بين الفقة والحديث وفي نفس الوقت يصل الفروع فيه بالأصول وهو يبحث المسألة بحثا أصوليا بحيث يؤصل كل مسألة ويؤصل ما جاء بها من خلاف فيتناول اقوال العلماء من مختلف المذاهب الاسلامية وكأنما الكتاب أراده مؤلفه ان يكون موسوعة فقهية اسلامية شاملة لجميع المذاهب الاسلامية.

والكتاب يدل على عمق اطلاع مؤلفه فانه اطلع على مؤلفات الائمة الأوائل وكان ينقل من هذه المؤلفات نفسها فضلا عن نقله عما استجد من بعض مؤلفات اصحاب تلكم

المذاهب فكان ينقل عن الامام الشافعي في كتابه (الأم) وكان ينقل عن الامام مالك في كتابه (المدونة) وعن الموطأ، وينقل ايضا عن أئمة الحنفية من كتبهم المشهورة (الهداية وشروحها) والمبسوط للامام السرخسي.

وبالجملة فان الكتاب يدل على سعة علم مؤلفه كما يدل ايضا على اطلاعه على كتب الحديث مع قلة المراجع الحديثية في ذلك الوقت لان المطابع ما كانت قد نشرتها مثلما نشرتها الآن ولكن وقف له الاجل بالمرصاد فلم تتحقق امنيته في انجاز هذا الكتاب المبارك بل وصل فيه الى كتاب (الجنائز) واشتمل الكتاب على مقدمة في التوحيد ثم على كتاب (الطهارات) وكتاب (الصلاة) ثم على كتاب (الصوم) ويقع هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات تم المجلدان الاول والثاني ونهاية المجلد الثاني بنهاية أبواب الصلاة، أما المجلد الثالث فهو في الصوم، ونثر في هذا الكتاب كتاب (جوهر النظام) للامام العلامة المحقق نور الدين السالمي ـ رحمه الله تعالى ـ

ومن تأمل هذا الكتاب وجد ـ كما يقول بنفسه ـ شرحا من جوهر ولأصله الذي هو أرجوزة العلامة الصائغي في الفقة وبما ان صاحب الجوهر قدم كتاب الصوم على كتاب الجنائز فان مؤلف النثار ايضا سار هذا السير فلذلك كان انتهاء كتابه بكتاب الجنائز ولم يأت إلا بعض احكامها وقيل لي بأنه كان يتحرى بأن يكون في اثنين وعشرين مجلدا مع ان مجلداته ضخمة جدا كما هو واضح بعد ما صور هذا الكتاب وتداولته الايدي وتناقله الناس من مكان الى مكان.

ولهذا الشيخ من المؤلفات كتاب (العقيدة الوهبية) وهو كتاب جم الفائدة الا انه لم يوجد بكامله وقد برز في هذا الكتاب في البحوث الكلامية وخصوصا في مسألة الأسماء والمسميات هل الاسم هو عين المسمى أم ان الاسم هو غير المسمى كما ان له كتبا في نشأة الرسول ﴿ﷺ﴾، وهو كتابه (النشأة المحمدية) ومنها كتاب (النور المحمدي) وله ايضا كتاب في اسماء الله يسمى (ارواح الاسرار والواح الأنوار) وجمع افكاره الشعرية في كتاب سماه كتاب (النفس الرحماني في اذكار ابي مسلم البهلاني) أتى فيه بثمانية أذكار، الذكر الاول منها الوادي المقدس الذي هو عبارة عن قصيدة تائيه على قافية واحدة تقع في ألف وستمائة بيت دعا الله ـ تبارك وتعالى ـ في هذه القصيدة بجميع اسمائه الحسنى وتوسل اليه ـ سبحانه وتعالى ـ فيها ومن بين هذه الاذكار (المعرج الاسنى في اسماء الله الحسنى) ومن بين هذه الاذكار ايضا (درك المنى في تخميس سموط الثنا) وقد خمس في هذا الذكر قصيدة للامام المحقق العلامة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وكان الشيخ يبتهل بها الى ربه سبحانه وتعالى، ويتضرع اليه

بأن يغيث المسلمين وان يجمع كلمتهم وان يرأب صدعهم وقد حرص العلامة ابو مسلم ان يكون تخميسه لهذه القصيدة منسجما تمام الانسجام مع الأصل لفظا ومعنى، كما يدل على ذلك مطلع هذا التخميس فان القصيدة مطلعها:

سموط ثناء في سموط فريد   بكل لسان قد بثثن وجيد

وإذ بالمخمس يقول:

ـ اوجه باسم الله وجه شهودي

ـ لعز جلال الله رب وجودي

ـ تسابيح اخلاصي له وصمودي

سموط ثناء في سموط فريد   بكل لسان قد بثثن وجيد

وحب له في لب قلبي وقشره

وخوف يوازيه رجاء لبره

وشكر ومن لى ان اقوم بشكره

وحمد تغص الكائنات بنشره   اذا نشرت منه اجل برود

وشوق يذيب النفس لاعج حره

ووقفة مضطر اسير بفقره

واخلاص ستر نوره حشو ستره

وذكر له تحيا النفوس بذكره   ويبعث قبل البعث من هو مودى

صرفت مرادي فيه طوعا لصرفه

حقيقة ذكرى انني عين ظرفه

حباني به طيبا عرفت بعرفه

تعطرت الآفاق من طيب عرفه   فما مسك دارين يشاب بعود

وعندما جاء الى الموضوع الاساسي للقصيدة وهو ابتهاله الى الله بأن يغيث المسلمين ويقهر اعداء الدين ـ ان يقطع دابر الملحدين قال:

الهي عدو الله يشفى غليله

سبيلك يدينها ويعلي سبيله

يغالب أمر الله حتى يحيله

فيا غارة الله اغضبي وخيوله   اركبي ومواضيه انعمي بورود

ودائرةالسوء استمري بدورة
عليه ومقت الله خـذه بسـورة
ويابطشـة الله اسحقيـه بثورة
ومني على الاعداء منك بزورة تريحهم من كفرهم بلحود
ومرقـهـم اللهـم كل ممـزق
باهلك غلبا فيلقا بعد فيـلق
ونكل بهـم وامحقهـم بالتفـرق
ويارب مزق كل سور وخندق عليهم وحصـن شامخ ووصيـد
طغـوا في بلاد الله لما تطقهم
وتغييرك اللهم لم يعتنقهم
وانك بالمرصـاد خذهـم وبقهم
وقد مكروا فامكر بهم واذقهم عواقب مكـر في البلاد شديد
لقد وطئوا الدنيا برجـس مرجس
وعانـوا بظلم في عبـادك مضرس
شياطين ملعونين من كل مبلس
فطهر بقاع الارض منهم بانفس من البغي تجريها بكل صبعيد
الهي قبيل جاحد لك قد غوى
يعاديك لا يألو على حربك انطوى
ابده ومن والاه وحيا وما حوى
وشرد بهم في كل أرض فلا سوى فتيل ومأسور يرى وطريد
بغيرتك اللهم ياحامي الحمى
بسطـوتك اللهم يارافع السما
سميع دعائي كن عليهم مدمدما
وصب عليهم سوط منتقم كما لعاد وفرعون جرى وثمود
وعذبهم نكر العذاب ودنهـم
وشدد عليهم وطأة واهنهم
وعن كل خزي ربنا لا تصنهم
ولا تبق ديارا على الأرض منهم فما قوم نوح منهم ببعيد

فالمطلع على هذا التخميس من غير ان يعرف ان الاصل لغير المخمس يتوهم ان الجميع لناظم واحد نظرا للتوافق والانسجام الذي بين الأصل والتخميس.

هذا وكان - كما قلت - للعلامة ابي مسلم دور ريادي في الصحافة هناك فقد انشأ مجلة سميت آنذاك (النجاح) وتولى رئاسة تحريرها فترة طويلة وكان يتابع الاحداث في العالم الاسلامي ويهتم بكل ما يجري في العالم ولا يألو جهدا ان يشارك اخوانه المسلمين جميع همومهم ولا أدل على ذلك من انه كان - على بعد الشقة - يحرص على ان يراسل اخوانه المسلمين الذين يهتمون بالقضايا الاسلامية ويجتمعون من اجل القضايا الاسلامية في ذلك الوقت الذي لم تتوفر فيه وسائل الاعلام التي توفرت في وقتنا هذا فعندما كانت الدعوة الفرعونية في مصر قائمة وكان الناس يدعون ان مصر فرعونية وهي دعاية استعمارية لقطع صلة المصريين بالاسلام واعتبار المسلمين مستعمرين دخلاء عليهم وانعقد من أجل ذلك مؤتمر إسلامي برئاسة (رياض باشا) في مصر ما كاد يسمع ابومسلم هذه الأنباء حتى بادل اخوانه المسلمين هناك همومه وأرسل اليهم قصيدة عصماء يؤيد فيها المجتمعين في ذلك المؤتمر وكانت فاتحة القصيدة:

هزت العالم أدوار البشر ... ينقضي الدور بأدوار أخر
كل دور رقص الدهر له ... ضايق العالم وارتاد القمر
أيها العالم سعها جلدا ... إن نصف الليل يتلوه السحر
ان هذا النيل أم حافل ... كلنا يرضع منها ويذر
فغدت حافلنا ترضعها ... حية أشبه شيء بسقر
رضعتها لبنا ثم دما ... واغتبطنا بمشاش وو‌بر
وهي لا يقنعها ما ترتمي ... لا ولا يقنعها بلع الحجر
ذكرتنا بعصا موسى على ... ان ذي تلقف أرواح البشر
نيلنا في الغرب يجري ذهبا ... وبقينا نترامى في الحفر

الى قوله:

لو يكون الشعر نصرا لم أزل ... أنظم الانجم لا أرضى الدرر
لو ملكنا السيف لم نرجع إلى ... قلم في النصر ان قام عثر

ودعا للمؤتمر وللمؤتمرين بالنجاح ودعا لـ (رياض باشا) نفسه بطول العمر.

وفي عهد السلطان برغش بن سعيد بن سلطان هاجر ايضا من عمان العلامة المشهور الشيخ سيف بن ناصر الخروصي وكانت هجرته الى شرق افريقيا في عام ألف وثلاثمائة

للهجرة ١٣٠٠هـ على انه لم تنقطع صلته بعمان بل كان يأتي اليها بين الحين والآخر، وهذا الشيخ كان قبل عهد السلطان حمود بن محمد مرجع القضاء والفتوى في زنجبار فالشيخ سيف بن ناصر كانت مكانته هنالك مكانة مرموقة وكان شأنه ما بين المسلمين العمانيين وغيرهم شأنا رفيعا وكان له اسهام في التأليف، ومن بين مؤلفاته كتابه الذي سبكه سبكا رصينا وهو كتاب (الجامع لأركان الاسلام) تحدث فيه عن اركان الاسلام بعباراته الرصينة التي هي تشبه الى حد بعيد بعبارات صاحب (النيل)

ولهذا الشيخ ايضا مؤلف في العقيدة وهو مؤلف مختصر سبكه سبكا يشبه سبك (جامع اركان الاسلام) وقد شرحه شرحا موسعا في جزئين وعنوان الشرح (الارشاد بشرح مهمة الأعتقاد) تناول الجزء الأول القضايا الاعتقادية اما الجزء الثاني فقد تناول المذهب وتفاصيلة من الناحية التاريخية والفكرية ايضا الا ان هذا الكتاب كانت موجودة منه نسخة واحدة واظنها بخط مؤلفه وللأسف الشديد تلاشت تلك النسخة بعد ما وصلت الى ايدينا ولا نعرف مكانها الآن، وكما ان العمانيين الذين وفدوا الى شرق افريقيا كان لهم اسهاما في التأليف في شتى المجالات - كما تعلمون - والأمثلة السابقة تدل على ذلك وهي - بالطبع - قليل من كثير؛ فان للقبائل العمانية التي تسلسل وجودها هناك ايضا اسهام ومن بين هذه الامثلة التي تدل على ذلك ما ذكرته عن العلامة الشيخ محمد بن علي المنذري وولده الشيخ علي بن محمد فانهما جميعا ممن ولدوا من العمانيين في شرق افريقيا وكان وجود هذه القبيلة بل وجود هذه السلسلة في شرق افريقيا قبل عهد السلطان سعيد بن سلطان، وكما تعلمون فان للشيخ محمد بن علي مؤلفات ولأخيه الشيخ عبدالله بن علي مؤلفات وان لم نتطلع عليها إلا إننا سمعنا بتلك المؤلفات فهذه السلسلة مباركة.

ومن بين العمانيين الذين ألفوا وولدوا في شرق افريقيا العلامة الشيخ علي بن عبدالله المزروعي وغيره من قبيلة المزاريع ومن بين هؤلاء الشيخ الأمين علي المزروعي الذي ألف من بين مؤلفاته رسالة مختصرة في العبادات سماها (هداية الأطفال) وقد ألفها على نمط العصر الحديث في الكتب المدرسية.

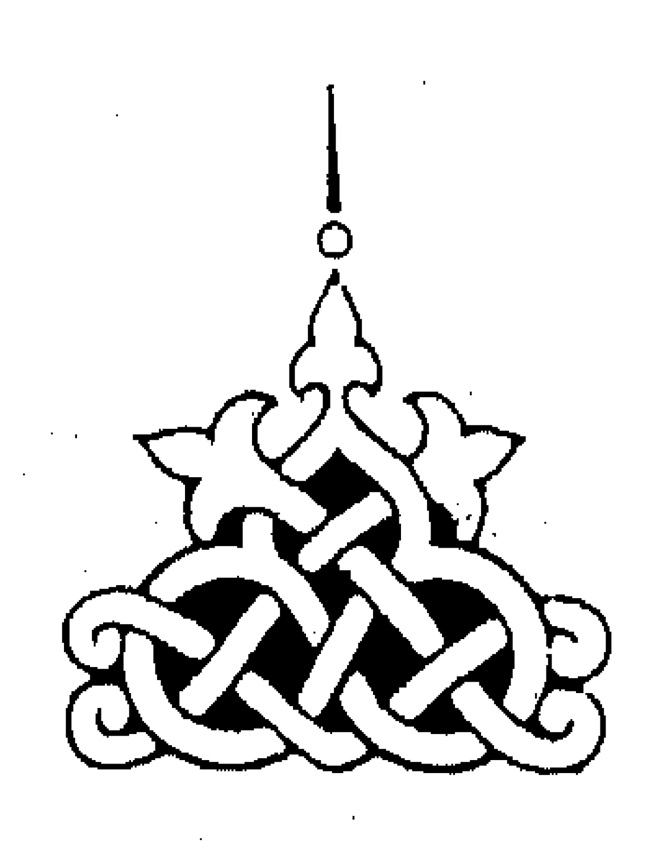
ومن المؤلفين ايضا بشرق افريقيا ممن ولد بشرق افريقيا الشيخ محمد بن علي بن خميس البرواني هذا الشيخ انتقل والده من عمان الى شرق افريقيا وظل هناك الى ان مات وترك ولده العلامة الشيخ محمد بن علي بن خميس وكان الشيخ العلامة محمد بن علي بن خميس أديبا كوالده بل كانت الناحية الأدبية عنده تطغى على الناحية العلمية والفكرية ولذلك عني بالأدب عناية بالغة وله ديوان شعري وله مقامات ومع انه ولد هناك بشرق افريقيا ما كان

ينسى وطنه الأم عمان، ولذلك سمى بعض المقامات التي احتواها كتابه الخاص بذلك باسماء بلدان عمان فهناك المقامة (الصحارية) وهناك فيها اذكر ايضا المقامة (العمانية)

ومن بين المؤلفين ممن شبوا وترعرعوا في شرق افريقيا وتعلموا هناك ممن ينحدرون من اصول عمانية الشيخ العلامة سالم بن سعيد الشعبي وقد كان شافعي المذهب وألف كتابا في الفرائض سماه (اسمى المقالب المبهمات) شرح فيه جانبا من علوم الفرائض خصوصا، ما يتعلق بتوريث الاجداد شرحا واسعا مطولا ومن بين هؤلاء ايضا الشيخ سليمان بن محمد العلوي. الذي قضى فترة طويلة في التدريس وله كثير من الطلبة واسمه مشهور هناك في شرق افريقيا وقد ألف شرحا مختصرا لتلامذته على (الاجرومية) للامام الصنهاجي، كما ألف ايضا شرحا مختصرا لكتاب (متن البناء في علم التصريف) على ان الكثير ممن طواهم الدهر وممن لم تبلغنا اسماؤهم وممن لم يبلغنا انتاجهم كان لهم دور في التأليف في شرق افريقيا ممن ينحدرون من أصول عمانية.

هذا ما استطعت استحضاره الآن في هذه الجلسة.

واستمحيكم عذرا بأن ذلك كله كان ارتجالا ولم يكن ناشئا عن التفكير وعن اعداد وعن بحث وتنقيب وقد كان الاحرى ان نرجع الى المظان التي يمكن منها ان نستلهم ما هو اكثر من هذه الحقائق وأسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ التوفيق، ولا يفوتني هنا ان اشكر وزارة التراث القومي والثقافة وعلى رأسها سمو الوزير الموقر السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وان اشكر سعادة الأخ العزيز رئيس المنتدى وجميع العاملين بوزارة التراث القومي والثقافة على اتاحة هذه الفرصة للحديث الى هذا الجمع الكريم وأسأل الله ـ تعالى ـ ان يوفق الجميع لما فيه الخير في ظل القيادة الرشيدة لعاهل البلاد المفدى ـ حفظه الله تعالى ـ وشكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





جانب من فعاليات المنتدى الأدبي

الاسهام العُماني في المجالات الثقافية والفكرية
والكشف عن مجاهل القارة الافريقية في العهد البوسعيدي(*)

د. ابراهيم الزين صغيرون
كلية الآداب ـ جامعة السلطان قابوس

ان الاهتمام بدراسة التراث العربي الاسلامي في إفريقية عامة وشرقها بوجه خاص قد أصبح أمرا عاجلا وملحا نسبة للتحديات الفكرية والحضارية التي واجهت الاسلام والعروبة في فترة الهيمنة الأوروبية على هذه القارة. فالدراسات الأوروبية وحتى الكثير من الدراسات الافريقية الحديثة والمعاصرة والمتأثرة بالمنهج الاستعماري الغربي قد كرست مفاهيمها وتصوراتها ومناهجها لتشويه تاريخ العرب في افريقية وحشدت الكثير من المفتريات والشبهات لتخلق نوعا من الجفوة والتباعد بين العرب والأفارقة(١). ومن ثم فان دراسة الدور الطليعي للعمانيين في انتشار الثقافة العربية الاسلامية في شرق افريقيا ينبغي ان يحتل مكانا متميزا في التاريخ الافريقي لاسباب عديدة من بينها : **ان ارتباط عمان بالقارة الافريقية ليس بالحدث الجديد بل ان جذوره تضرب في أعماق التاريخ**. فالتواصل البشري والتجاري والحضاري بين عمان وافريقية يرجع الى عصور موغلة في القدم . فقد كان البحر الأحمر والمحيط الهندي يشكلان همزتي الوصل بين السواحل الافريقية وشبه جزيرة العرب كما كان التجار العرب وفي مقدمتهم العمانيون أول من نقل المؤثرات العربية الى القارة الافريقية(٢). كذلك ان بعض الهجرات البشرية قد شقت طريقها قبل ظهور الاسلام وبعده، وازدادت أهمية هذه الهجرات وفاعليتها بظهور الاسلام الذي اعطاها السند الروحي والمضمون السياسي. وهذا أدى بدوره لامتزاج الحضارة العربية بالحضارات المتعددة للشعوب الافريقية مما جعل العالم العربي وإفريقية بحكم روابط الجوار في الموقع الجغرافي وسرعة الاندماج بين شعوبهما وتاريخهما الحافل بالكفاح المشترك أقرب الى التضامن والتفاهم.

ومن جهة اخرى ان القيام بمثل هذه الدراسة كان ولايزال تكتنفه صعوبات عديدة، من ناحية المصادر والمراجع المتاحة وهذا مرده لفقدان الكثير من الوثائق والسجلات العربية

(*) شاركت هذه الدراسة في ندوة (العمانيين ودورهم الحضاري والريادي في شرق افريقيا والتي اقامها المنتدى في الفترة من ٢٨ ـ ٢٩/٩/١٩٩٢م.

وغلبة المصادر الأجنبية التي اتسمت بالكثير من المعلومات الخاطئة والتي استهدفت مسخ وتشويه الدور الاسلامي والحضاري للعرب وخاصة العمانيين منهم في ارساء قواعد الأصول الحضارية في افريقية الشرقية . ومن هنا تنبع أهمية هذه الندوة التاريخية وهي خطوة في الطريق الصحيح ودليل يبشر بتعاظم الاهتمام بهذه الحقبة المشرقة والوضاءة في التاريخ العماني واعادة كتابتها بعد تنقيتها من الشوائب والاخطاء المتعمدة لانها تمثل ولاشك جزءا حيويا وعنصرا أساسيا وفاعلا في التراث العربي الاسلامي في إفريقية(٣).

ومن الناحية التاريخية قد ركزت هذه الدراسة على العصر البوسعيدي لأنه باجماع المصادر المحلية والأجنبية يمثل العصر الذهبي للوجود العماني في شرق افريقية لاسيما في عهد السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي (١٢١٩-١٢٧٣هـ - ١٨٠٤-١٨٥٦م) وقد ساعد الاستقرار الذي ساد تلك الفترة وقوة شخصية السيد سعيد وحنكته السياسية والادارية على الازدهار في شتى مجالات الحياة(٤). فقد كان لترسيخ الحكم العماني في زنجبار آثار حضارية عميقة شملت كل نواحي الحياة في شرق وأواسط افريقية وفي الأماكن التي اتصل بها العُمانيون والتي لاتزال آثارها واضحة للعيان في المجتمعات الافريقية . وقد شاركت عدة عوامل فاعلة في جعل العامل الحضاري العماني عاملا مؤثرا في هذه الأماكن وفي مناطق شرق افريقية بصفة عامة إلا ان هذه الدراسة تنحصر أهدافها في التركيز على الاسهام العُماني في المجالات الثقافية والفكرية والكشف عن مجاهل القارة الافريقية . ويمكن ان نجمل أهم نتائج هذا الدور فيما يلي :

● انتشـار الاسـلام :

وغنى عن القول ان قمة الدور الحضاري الذي أسهم به عرب عمان في القرن الماضي كان في مجال الدعوة الاسلامية والتي تمثل حجر الزاوية والأساس والمنبع والمعين الذي لاينضب الذي جاء في ركابه الاسهام العماني في المجالات الثقافية والفكرية في شرق إفريقية . فقد شهدت فترة البوسعيديين مرحلة مهمة من مراحل انتشار الاسلام في شرق افريقية، حيث اشرق نور الاسلام لأول مرة في المناطق الداخلية من البر الافريقي واستشرف آفاقا جديدة في ربوع أوغندا(٥) وأعالي نهر الكونغو (الزائير حاليا) وفي رواندا وبوروندى وذلك فضلا عن تنجانيقا (في تنزانيا الحالية) ومنطقة نياسا (ملاوي حاليا) وزامبيا وموزمبيق . ففي ذلك العهد اصبحت زنجبار مركز اشعاع اسلامي منذ ان اتخذها السيد سعيد بن سلطان حاضرة الحكم العماني في شرق افريقية عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م . وعن هذا المفهوم يحدثنا احد العاملين في حقل الدعوة الاسلامية في تاريخنا المعاصر عن انطباعاته حين قام بزيارة الجزيرة في عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م فيقول :

. . . . . وهكذا مضى الحكم الطويل برخائه وبؤسه، وقد كان الكل مسلمين ولازال الاسلام حتى يومنا هذا هو الدين السائد في الجزيرة كلها. وتتميز زنجبار عن سائر

مقاطعات شرق افريقية بظاهرتين :ـ
الأولـى : بروز المظاهر الاسلامية في شتى أنحاء الجزيرة.
الثانيـة : الطابع العربي في مظاهر المدينة الخارجية كالمباني والطرقات ويعود ذلك الى اصالة الاسلام في سكانها بصورة تكاد تشمل جميع السكان على اختلاف اجناسهم، حيث تولى المسلمون الحكم فيها خلال عهود طويلة متقادمة. ومما يغني عن الاسهاب فيما تعرضنا له حول الاسـلام ان زنجبـار وشقيقتها بيمبا (الجزيرة الخضراء) تضمان على صغرهما **٣٥٧** مسجـدا، وبهـذا نعلم اذا استعرضنا عدد السكان ان لكل مائة شخص مسجدا واحدا باستثناء النساء. وقد كانت زنجبار وفي زمن ليس ببعيد منتدى افريقية الشرقية، فقد كانت تلقى الـدروس في أروقـة المسـاجـد على يد نخبـة من الرجال الافذاذ الذين بلغوا أعلى المستويات العلمية (الدينية)(٦).

وقد تم انتشار الاسلام في العهد البوسعيدي عن طريق قوافل التجار العمانيين القادمين من زنجبار والمدن الساحلية الاخرى وكان يطلق عليهم في المصادر المحلية والأجنبية لقب (الـزنجبـاريين) وكـان ذلك قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وذلك عن طريق التسرب السلمي لدعوة قامت على الاقناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لايملكون حولا ولا طولا إلا إيمانهم العميق. ولعـل من أهم الـطرق التجارية التي أسسها العمانيون في الكشف عن مجاهل القارة الافريقية وعن طريقها توغل الاسلام وانتشر في المناطق التي أشرنا اليهـا آنفا حيث كان التجار العمانيون الى جانب نشاطهم التجاري يقومون بالدعوة الى الاسلام، ثلاث طرق رئيسية لتجارة القوافل العربية المتجهة من ساحل شرق افريقية نحو الداخل وهي(٧):

(١) **الطريق الأوسط** ويبدأ من الموانىء المواجهة لزنجبار مثل تانغة وبنغاني وبغمايو (Bagamoyo) ويتجه الى مدن وسط تنجانيقا خاصة طابورة التي يتفرع عندها الطريق الى فرعين:

فرع شمالي الى هضبـة البحيرات الاستوائية ويؤدي الى مملكة بوغندا (Buganda) أهم الممالك في أوغندا الحالية وفرع **جنوبي غربي** الى منطقة اوجيجي وحوض نهر الكونغو.

وقـد زاد حجم التجارة على طول هذا الطريق ابتداء من القرن التاسع عشر بسبب ارتفاع اسعار العاج العالمية، ودخل العمانيون وأتباعهم من السواحليين في علاقات ودية مع قبائل الانياموزي (Nyamwezi) التي تسكن هذه المنطقة من اجل تسهيل مهامهم التجارية. وكان هذا الطريق اهم الطرق التجارية على الاطلاق التي ارتادها العمانيون نظرا لخبرتهم الطويلة به ولأنه اكثر أمنا الى جانب عوائده التجارية العالية وبالتالي قد كان من أهم الطرق التي أسهمت في انتشار الاسلام في مناطق متعددة من شرق وأواسط افريقية.

(٢) الطريق الشمالي الممتد من ممباسة ومالندى الى هضبة البحيرات خاصة المناطق الشرقية لدولة اوغندا الحالية.

(٣) الطريق الجنوبي وهو يمتد من كلوة المدينة الاسلامية التاريخية المشهورة في جنوب تنزانيا حاليا ويتجه عبر جنوب تنجانيقا وشمال موزمبيق الى بحيرة نياسا. وقد كان التجار العمانيون قد دخلوا في تحالف مع قبائل الياو (Yao) التي كانت تجلب العاج ومنتجات الداخل الاخرى وتبيعها لتجار القوافل العربية.

والجدير بالذكر انه في أواخر عهد السيد سعيد بن سلطان في عام ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م فقد تم فتح طريق تجاري جديد يربط الساحل الشرقي لافريقية بساحلها الغربي عبر بحيرة تنجانيقا. وفي ذلك العام وصلت أول قافلة من زنجبار في المحيط الهندي الى بنقويلا (Ben-guela) في الساحل الغربي الافريقي على المحيط الاطلسي(٨).

ولعل أهم الدعاة العمانيين من الرواد الأوائل الذين تركوا أثرا بعيدا ومهما بالنسبة لانتشار الاسلام في اوغندا هو الشيخ أحمد بن ابراهيم العامري. ويعتبر وصول هذا التاجر من زنجبار الى بلاط الملك (سنا) (Sunna) في مملكة بوغندا معلما بارزا ونقطة تحول في تاريخ المملكة إذ يعتبر هذا الحدث بداية دخول الاسلام في أوغندا. وتشير المصادر الى أن الشيخ احمد ابن ابراهيم العامري من اوائل التجار العمانيين الذين وصلوا الى تلك المملكة. وقد وضح ذلك من مذكرات أمين باشا التي اورد فيها ان الشيخ العامري اخبره بأن أول زيارة له لبوغندا قد تمت في عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٣م(٩).

وتتفق المصادر المحلية والأوروبية بأن هؤلاء التجار ورحلاتهم التجارية وما يتم فيها من تبادل للمنافع والسلع كان يصحبه دائما تبادل في الآراء والأفكار مما أفسح المجال لانتشار الاسلام في تلك البقعة النائية والمناطق الاخرى في اواسط افريقية. ولعل أهم ما وقع في هذه الفترة واشارت اليه المصادر موقف الشيخ احمد بن ابراهيم العامري الشجاع الذي ابداه في البلاط الملكي تجاه بعض الممارسات الهمجية والوحشية التي تتمثل في قتل وسفك دماء الابرياء من رعايا الملك قربانا للآلهة، وذلك تمشيا مع متطلبات وطقوس الديانة الوثنية الافريقية (لوباري Lubaare) التي كان يعتنقها أهل بوغندا وعلى رأسهم الكباكا (الملك) الذي يمثل السلطة الزمنية والروحية في ذلك المجتمع. وفي احدى المرات أصدر الكباكا أوامره بالقيام بهذه المذبحة وذلك تمشيا مع طقوس الديانة التقليدية وروحها الهمجية الوثنية، فما كان من الشيخ العامري إلا ان وقف متحديا الكباكا وسط دهشة الحاضرين مخاطبا ومعاتبا اياه قائلا:

«. . . . مولاي ان هؤلاء الرعايا الذين تسفك دماءهم كل يوم بغير حق انما هم مخلوقات الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي خلقك وانعم عليك بهذه المملكة»(١٠).

وكانت دهشة الحاضرين في البلاط الملكي أقوى وأشد عندما تميز الكباكا بضبط النفس وأجاب الشيخ احمد بأن آلهته هي التي منحته هذه المملكة واستمر الشيخ احمد يكرر له في اصرار ويركز على فكرة الله الواحد الأحد الى ان بدأ الكباكا يتساءل في حيرة عن الله هذا الـذي يتحـدث عنـه الشيخ احمد والذي يعتبره الخالق للكون وما حوى والذي له ما في السموات والأرض، ورويدا رويدا انفتح قلب وعقل الكباكا وطلب من الشيخ احمد ان يعلمـه عن هذا الـدين الـذي لامكـان فيه للشرك وعبـادة وتقديس الأفراد مثل الكباكا واستجاب الشيخ احمد لرغبته ومضى يعلمه في صبر واناة وركز بصفة خاصة على مسألة التوحيد والحياة الاخرى والبعث وموضوع الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

وهكـذا بدأ الكبـاكا يتعلم مبادىء الدين الاسلامي وتشير المصادر بأن الشيخ احمد استـطاع ان يعلمــه اربعــة اجــزاء من القـرآن الكـريم قبـل وفـاة الكبـاكـا في عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م. وبذلك انفتح الباب على مصراعيه بعد هذه الخطوة المباركة ليمهد الطريق امام انتشار الاسلام في أوغندا والمناطق المجاورة(١١).

هذه القصة نموذج أصيل لعمل الطلائع من الدعاة المسلمين من العُمانيين في ربوع القـارة الافريقية وشخصية الشيخ احمد بن ابراهيم العامري نموذج رائع للداعية المسلم يدعـو للاعجـاب والتقدير فقد كانت اخلاقه سامية وشخصيته قوية ومؤثرة وجذابة وفيه شجاعة وايثار لايخشى في الله لومة لائم ويباشر دعوته مع تجارة يزاولها واحيانا يتفرغ للدعوة والتعليم فيلتف الناس حوله من يوم الى يوم وينجذبون للدعوة الاسلامية.

هذا الأساس المتين الذي وضعه الشيخ العامري ومن أتى بعده من التجار العمانيين والسـواحليين اتضحت معـالمـه في صحـوة إسـلامية شاملة في عهد الملك موتيسا الأول (١٢٧٣-١٣٠٢هـ/١٨٥٦-١٨٨٤م). فقـد ابدى موتيسا حماسا منقطع النظير للاسلام وعمل على نشره ليس وسط قومه في مملكة بوغندا فحسب، بل تعداها الى الممالك المجاورة عندما كتب الى كاباريجا (Kabarega) ملك بنيورو (Bunyoro) داعيا له وناصحا بالدخول في الاسلام واصدر توجيهاته الى سكان الاقاليم باعتناق الدين الاسلامي واقامة شعائره وتشييد المساجد.

وقد اتضح النفوذ الاسلامي الكبير في البلاد في تلك المكانة المرموقة والمتميزة التي حظي بها التجار العمانيون في عهده واتخاذهم مستشارين له وتبادله الهدايا والرسائل مع سلاطين زنجبار الذين عاصر منهم كلا من السيد ماجد بن سعيد (١٨٥٦-١٨٧٠م) والسيد برغش بن سعيد (١٨٧٠-١٨٨٨م)، كما منح بعض السواحليين ولايات ليقوموا بادارتها وتصريف شؤونها. ليس هذا فحسب بل أدخـل لأول مرة العمل بالتقويم الهجري في كافة انحاء المملكـة وأمـر الرؤساء وزعماء القبائل بالتحلي والالتزام بالآداب والأخلاق الاسلامية في المعاملات اليومية والاجتماعية(١٢).

ومـع ذلك فان الدور الذي أسهم به العمانيون في انتشار الاسلام في شرق وأواسط افريقية في عهد البوسعيديين لايزال ينتظر المزيد من البحث والدراسة خاصة من وجهة النظر العربية الاسلامية لقلة المصادر التي كتبها المسلمون في هذا المجال. فهناك الكثير من الجنود المجهولين الذين نجد اخبارهم متناثرة ومتفرقة خاصة في المصادر الأوروبية المتمثلة في الوثائق الحكومية الرسمية وتقارير بعثات الارساليات التنصيرية. وعلى سبيل المثال لا الحصر تذكر هذه المصادر الدور الذي قام به الشيخ خميس بن جمعة الذي أسلم على يده الملك موتيسا والشيخ عبدالرحمن بن عبيد بن حمود الذي كان مندوبا شخصيا للسيد برغش بن سعيد سلطان زنجبار في بلاط الملك كاباريجا عاهل بنيورو وكان ايضا من مستشاريه المقربين. وقد قام هذا الشيخ بجهد واضح في مجال الدعوة الاسلامية عن طريق اقامة المساجد وتزعم الجالية الاسلامية من التجار العمانيين والسواحليين والمسلمين الوطنيين(١٣).

وتشير مصادر جمعية الكنيسة التبشيرية الى عدد من التجار العمانيين الذين تزعموا الحركة الاسلامية وقاوموا وعارضوا نشاط الارساليات النصرانية في أوغندا في الربع الاخير من القرن التاسع عشر. ومن الاسماء التي ترددت في وثائق الكنيسة في هذا الصدد برز كل من الشيخ سليمان بن زاهر الجابري وهو ايضا من الاصدقاء المقربين للسيد برغش بن سعيد سلطان زنجبـار وكـان يترأس الجالية العمانية من التجار وله دور قيادي في رعاية وتوحيد صفوف المسلمـين الأوغنديين في مجابهة الخطر الصليبي المتمثل في نشاط الجمعيات والارساليات النصرانية الأوربية. وكان من ابرز معاونيه من التجار العمانيين كل من مسعود بن عبيد، وسعيد بن سيف وصالح بن سالم وغيرهم(١٤).

ولا ننسى في هذا الاطار الدور الريادي الذي قام به اشهر التجار العمانيين على الاطلاق في شرق وأواسط افريقية الشيخ حميد بن محمد بن جمعة المرجبي ومعاونه ووكيله الشيخ محمد بن خلفان البرواني وما قاما به من تأسيس امارة عربية اسلامية في منطقة اعالي الكونغو كانت تدين بالولاء لسلطنة زنجبار الاسلامية(١٥).

وقد أشار الشيخ المغيري في «جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار» الى هذا النشاط الاسلامي بوضوح ولكن في اختصار شديد عندما ذكر:

«... ومما لا ريب فيه ان العرب العمانيين من رعايا السيد سعيد هم الذين شيدوا المـراكز في داخلية البر الافريقي للتجارة وتسلطوا على طرقها وبنوا المستعمرات العربية، وجعلوها مركزا لنشر الديانة الاسلامية، ونشر سلطة زنجبار»(١٦).

وفي المـراجع الحديثة التي اهتمت بالنشاط العربي في أواسط افريقية تعرض البعض للدور الذي قام به عرب عمان في انتشار الاسلام والذي جاء نتيجة لنشاطهم التجاري في منطقة الكونغو وفي تفسير هذه الظاهرة ذكر احد المراجع بأن العرب لم يستخدموا ضغطا سياسيا ولا قهرا على الوطنيين ولم يقوموا بفرض حضارتهم ودينهم. ولكنهم حققوا كسبا دينيا

بجانب الكسب الاقتصادي وذلك بدخول الوطنيين الاسلام سلميا دون اكراه. وقد علل ذلـك بأسباب في مقدمتها مكانة العرب في نظر الأفارقة الذين رغم - تفوقهم - لم يكونوا متكبرين عليهم، وما لاحظوه من الامانة في المعاملات التجارية وعدم التعصب او النظرة المتهافتة تجاههم، اضافة لروح التسامح إذ لم ينكر الاسلام عليهم عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية مثل تعدد الزوجات(١٧).

وقد أسهم العمانيون ايضا في دخول وانتشار الاسلام في منطقتي رواندا وبوروندي. وهنا تجدر الاشارة الى الدراسة التي اجرتها كوليت ميزون الباحثة الاجتماعية الفرنسية في كلتا المنطقتين. ولعل ابرز ما توصلت اليه هو خصائص المجتمع الاسلامي الذي تكون نتيجة لهجرات قبائل الحرث العمانية في تلك المناطق في اواسط افريقية. وقد انتشر الاسلام ايضا في هذه البـلاد بالوسائل السلمية التي افرزتها المعاملات والنشاط التجاري والاندماج في المجتمعات الافريقية عن طريق الزواج والمصاهرة. فقد تبلورت بمرور الزمن مجتمعات حضرية إذ ان الأغلبية العظمى من المهاجرين العمانيين كانوا يعيشون في المدن الكبيرة، وعلى سبيل المثال ذكرت الباحثة بأن ثلاثين في المائة من مسلمي رواندا يقيمون في كيجالي بينما يقيم سبعون بالمائة من مسلمي بوروندى في بوجومبرا عاصمة البلاد(١٨).

دور العلماء ونشاطهم التربوي والتعليمي في زنجبار وشرق افريقية:

من المعالم البارزة الجديرة بالتسجيل والاشادة المكانة السامية والاحترام والتكريم الذي لقيه العلماء من سلاطين زنجبار. وقد كان هذا العمل سمة بارزة أرسى قواعدها السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي مؤسس الدولة في شرق افريقية والذي خص العلماء من كافة المـذاهب برعـايتـه واحـترامه. وعلى ذلك فقد كانت روح التسامح الديني والمذهبي من الخصائص المميزة لهذه السياسة التي انعكست بصورة ايجابية في الصلات الطيبة والوثيقة التي سادت بين العلماء على الرغم من ان المذهب الاباضي هو المذهب الرسمي للدولة. وقد برزت هذه الروح في اوساط العلماء والفقهاء والقضاة وذلك في ظهورهم على قدم المساواة في مجالس السلاطين وفي تعيينهم لمناصب الدولة واتخاذهم مستشارين للسيد سعيد وأبنائه من بعده(١٩).

فالعلماء والفقهـاء كانوا القوة المحركة في سلطنة زنجبار الاسلامية في مجالات حيوية متعددة. فقد كانوا هم الذين يبسطون العدل بتطبيق حكم الشرع في زنجبار وملحقاتها كما اوكلت لهم مهام التربية والتعليم والارشاد وبالتالي الاشراف على النظام التعليمي واشاعة القيم الاسلامية في مجتمع زنجبار وشرق افريقية(٢٠).

ومن ثم فقـد افردوا حيزا كبيرا من وقتهم للاطلاع الواسع والتبحر في دراسة العلوم الشرعية الاسلامية. كما اسهموا بالتأليف ووضع المصنفات والشروح في شتى فروع العلوم الاسـلامية واللغـة العـربية وآدابها. ومن هذا المنطلق ولتحقيق الهدف المنشود فقد قاموا

بالرحلات العلمية للاحتكاك والافادة من مصادر المعرفة الاصيلة في المعاهد العلمية الكبيرة ومراكز الدراسات الاسلامية في الأراضي المقدسة وعُمان وحضرموت. وبمرور الأيام كونوا لأنفسهم مركزا مرموقا ومستقلا لايقل عن المراكز الاسلامية التقليدية الاخرى في العالم الاسلامي(٢١).

وقد أسهم هؤلاء العلماء في نشر الوعي والثقافة الاسلامية تدريسا وتأليفا وتتلمذ على ايديهم اعداد غفيرة من سكان زنجبار وملحقاتها والمناطق المجاورة والداخلية في شرق افريقية، ولعله ليس من السهل في هذه الدراسة ان نتناول جميع العلماء وإنما سنكتفي بتقديم باقة مختارة على سبيل المثال لا الحصر برزت منذ منتصف القرن الماضي واستمر نشاط بعضهم وتواصل عطاؤهم وعطاء من تتلمذ عليهم حتى منتصف هذا القرن. وقد خلفوا الكثير من المؤلفات اكثرها لايزال مخطوطا أو مفقودا والقليل المنشور باللغة العربية والسواحلية وقد تناولت شتى الموضوعات المتعلقة بالتراث الاسلامي في شرق افريقية والذي لايزال ينتظر الاهتمام بجمعه أولا ثم العناية بتحقيقه ودراسته بعد ذلك.

ومن العلماء الذين ترددت اسماؤهم في المصادر العربية والأجنبية وفي فترات مختلفة من تاريخ زنجبار وشرق افريقية الحديث والمعاصر والتي اوردت بعض المعلومات القليلة التي تتعلق بنشاطهم ومؤلفاتهم لمعت بعض الاسماء من امثال الشيخ عبدالله بن مبارك بن عبدالله النزوي أول قاض أباضي تم تعيينه في عهد السيد سعيد(٢٢) والشيخ ناصر بن جاعد الخروصي (١١٩٢-١٢٦٢هـ/١٧٧٨-١٨٤٧م) هو من كبار علماء المذهب الاباضي ومن المستشارين المقربين للسيد سعيد والذي كان يستنير بآرائه ويبعثه بمهام كبيرة خاصة في عمان وذلك لاسداء النصح وتذليل بعض المشاكل التي تواجه ابنه السيد ثويني في مسقط(٢٣).

ومنهم الشيخ علي بن خميس بن سالم البرواني (١٢٦٩-١٣٠٤هـ/١٨٥٢-١٨٨٦م) والذي تتلمذ على ايدى صفوة علماء الأباضية في زنجبار في عهد السيد برغش بن سعيد من أمثال الشيخ يحيى بن خلفان الخروصي والشيخ محمد بن سليمان المنذري والشيخ خميس بن سالم الخصيبي(٢٤). ومن مشاهير العلماء ايضا الشيخ محيى الدين بن شيخ القحطاني (١٢٠٥-١٢٨٦هـ/١٧٩٠-١٨٦٩م)(٢٥). والشيخ علي بن عبدالله بن نافع المزروعي (١٢٤١-١٣١٢هـ/١٨٢٥-١٨٩٤م)(٢٦) والشيخ عبدالعزيز الأموي (١٢٤٨-١٣١٤هـ/١٨٣٢-١٨٩٦م)(٢٧) والشيخ العلامة الشاعر ناصر بن سالم بن عديم الرواحي (١٢٧٣-١٣٣٩هـ/١٨٥٥-١٩٢٠م)(٢٨) والشيخ عبدالله بن محمد باكثير الكندي (١٢٨١ - ١٣٤٤هـ)/ (١٨٦٤ - ١٩٢٥م)(٢٩) والشيخ الأمين بن علي بن نافع المزروعي (١٣٠٩-١٣٦٧هـ/ ١٨٩١-١٩٤٧م)(٣٠) ومن العلماء المتأخرين الذين كان لهم جهد كبير في مجال الكتابة التاريخية وأسهموا بمؤلفات أفادت كثيرا هذه الدراسة الشيخ سعيد بن علي

المغيري صاحب «جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار» والشيخ عبدالله بن صالح الفارسي الذي كان قاضي قضاة كينيا وأسهم بكتابه القيم «البوسعيديون حكام زنجبار»(٣١).

التربيـة والتعليـم :

أما في مجال التعليم فقد كانت نواته الأولى وبداياته المبكرة تتمثل في المدرسة القرآنية (الكُتاب) وحلقات الدرس في المساجد ودور العلماء والتي كانت تشكل في مجملها القاعدة الأسـاسية للتعليم الاسـلامي التقليدي في زنجبـار والمراكز الاسلامية الاخرى في شرق افريقية مثل بيمبا «الجزيرة الخضراء» ولامو وممباسة ومالندى وكلوة(٣٢). فقد كانت هذه هي المؤسسات التربوية التي ارتكز عليها التعليم على امتداد المجتمع السواحلي في شرق افريقية والتي مازالت تؤثر تأثيرا واضحا في صياغة الانسان الافريقي المسلم وعلى تكوين الثقافة السـواحلية. وهكـذا ارتبطت المراحل الاولى في التعليم في المجتمع السواحلي بالاسلام ولذلك نجد ان التعليم قد اتبع نهجا اسلاميا واضحا في طريقته ومضمونه. ويظهر ذلك بجلاء في المراكز التي أشرنا اليها والتي يؤمها الطلاب من الجنسين حيث يدرسون القرآن الكريم والتفسير والفقة ومبادىء اللغة العربية وهي دراسة تهدف الى غرس القيم الاسلامية وتعليم السلوك القـويم(٣٣). ولعـل اصدق ما يبرز لنا هذا الجهد التعليمي والمنهج الذي اختطه وسار عليه بعض العلماء في شرق افريقية، والذين جاهدوا بمالهم وعلمهم ما قام به كل من الشيخ سعيد بن علي المغيري في الجزيرة الخضراء (جزيرة بيمبا) والشيخ الأمين بن علي المزروعي في مدينة ممباسة والمناطق المجاورة لها. فقد جاء في ترجمة الشيخ المغيري انه فضـلا عن اسهـامـه الكبير في مجال التأليف والكتابة التاريخية فقد اسهم ايضا في انشاء المساجد والمدارس والأعمال الخيرية والتي تبرز بجلاء الدور العماني في مجال الدعوة الاسلامية وأثـره في الجوانب العلمية والتربوية ونشر الثقافة الاسلامية. جاء في مقدمة محقق كتاب «جهينة الأخبار» مايـلي:

«. . . والشيخ سعيد الى هذا رجل من كبار مزارعي القرنفل والنارجيل وكان حريصا على عمل الخير، ويخاطب حكومة زنجبار كثيرا في مصالح الجزيرة الخضراء، حتى اطلق عليه، ديك الجزيرة، وله أعمال جليلة خيرية في الجزيرة الخضراء، منها قيامه ببناء مسجد ببلدة ويتة بمشاركة اخوانه من المسلمين، واقامة مدرسة دينية ملحقة بهذا المسجد، وقد اشترك في اقامة تذكار في بلدة ويتة للسيد خليفة بن حارب بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على ارتقائه عرش زنجبار، وهذا التذكار يستعمل برزة، كما انه اقام تذكارا آخر في بلدة ويتة لجلالة السيد سعيد بن سلطان بن أحمد الامام، جد العائلة المالكة لزنجبار ولعُمان، وهو الموجد لشجرة القرنفل في زنجبار وفي الجزيرة الخضراء، وهذا التذكار عبارة عن مدرسة تسمى المدرسة السعيدية، وقد اشترك في بناء هذه المدرسة كل الطوائف الاسلامية وغير الاسلامية.

وبنى الشيخ سعيد ايضا المصلى الذي كان موجودا بقرب الفرضة على البحر بويتة على نفقته الخاصة، وشيد مسجدا في بلدة مكواني للاباضية بمشاركة اخوانه المسلمين.

ومن أعمال الشيخ سعيد ايضا بناؤه مدرسة إسلامية في ناحية كفوندى من أعمال ويتة، وقد اوقف عليها ألف قورة قرنفل من شانبة كمباني، يقدر دخلها السنوي بخمسين ألف شلن تقريبا. وقد أوقف بيته الكائن بجوار بيته الكبير ببلدة ويتة لينفق المتحصل من تأجيره لافطار الصائمين واكرام الفقراء في عيد الفطر وعيد الاضحى، وكان ثمن هذا البيت الموقوف يقدر في وقته بثلاثين ألف شلن. وكذلك اوقف بيته المبنى في أرض الحكومة ببلدة ويتة لتعليم الدين الاسلامي في المدرسة الموجودة بقرب مسجد الاباضية بساحل ويتة ويقدر ثمن هذا البيت في ذلك الوقت بعشرين ألف شلن(٣٤).

أما ما قام به الشيخ الأمين بن علي المزروعي فيعتبر نموذجا آخر لجهود ودور العلماء العمانيين في مجال التربية والتعليم. فقد جاء في مقدمة كتاب مخطوط لهذا الشيخ تناول فيه جزءا من تاريخ شرق افريقية، يلقي الضوء على جهود هذا العالم واسهامه الكبير في هذا المجال الحيوي، ومما جاء في هذه المقدمة:

«... فلأجل الدعوة الى الحق والى ترك الباطل، ولأجل الارشاد العام للخاصة والعامة، كان يدرس دائما في بلدة ممباسة وفي جميع البلدان التي زارها، وفتح مدرستين واحدة في ممباسة واخرى في قرية (غوى) من أعمال ممباسة، أنفق عليهما من جيبه الخاص ومن تبرعات أهل الخير وقليل ماهم، ولأجل هذا ألف نيفا وثلاثين كتابا طبع بعضها وبعضها الآخر لم يطبع، بعضها باللغة العربية واكثرها باللغة السواحلية التي تكتب بالحروف اللاتينية إذ هي الشائعة الاستعمال في شرق افريقية، والتي هي في ظلام دامس وحاجة قصوى الى من يخرجها من الظلمات الى النور، فدخل فيمن عناهم عز من قائل عليم: ﴿... ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين﴾ صدق الله العظيم، ولو لم يكن له الا كتابه في الفقة المسمى (هداية الاطفال) المقرر تعليمه في جميع مساجد شرق افريقية ومدارسها لكفاه مأثرة كبيرة في الدنيا وذخرا جليلا في الآخرة... فضلا عن ان له تآليف في التفسير وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفي جميع مهمات أبواب الفقه»(٣٥).

ومن الملاحظ ان حركة التعليم قد تضافر فيها الجهد الحكومي مع تبرعات المحسنين من أهل البر والتقوي الذين أنفقوا بسخاء ابتغاء وجهه ـ سبحانه وتعالى ـ ورضوانه مما يؤكد غيرتهم على دينهم ورفعته وعلو همتهم لنشر العقيدة الاسلامية والثقافة العربية الاسلامية بشتى فروعها. وكما اشرنا سابقا فقد انتشرت المدارس والمعاهد في زنجبار وملحقاتها في الجزر والسواحل وامتد هذا الجهد فيما بعد ليشمل مناطق البر الافريقي الداخلية. وعلى

سبيل المثال لا الحصر .فقد قامت الحكومة في زنجبار بتشييد مدرسة تحبيش وقد كان من أهدافها تربية أبناء البلاد على الاخلاق والقيم الاسلامية الفاضلة . وفي سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م رأت الحكومة ان تنقل هذه المدرسة من كجيشى الى مقر أرحب وأوسع بالقرب من بيت الرآسى أحد مآثر السيد سعيد بن سلطان(٣٦). ومن المدارس التي شيدتها الحكومة البوسعيدية مدرسة بويتة عاصمة الجزيرة الخضراء وقد تم افتتاحها رسميا في ١٩ من ذي الحجة عام ١٣٥٩هـ الموافق ٦ يناير عام ١٩٤٢م وقد تشرف بفتحها الشيخ سعيد ابن علي المغيرى المؤرخ العماني المشهور وقد جاء في خطبة الافتتاح التي ألقاها الشيخ المغيري ما يلي :

«باسم الحكومة وباسم مدير المعارف وباسم التلاميذ والمتعلمين افتتح هذه المدرسة في هذا اليوم وهي وحيدة من نوعها بهذه الجزيرة والله سبحانه وتعالى ندعو ان يبارك فيها للوطن وأبنائه فتخرج لنا من طلابها أمة راقية ترفع هذا الوطن وأبناءه وترشدهم بنور العلم الى ما فيه خير الدارين . . . آمين»(٣٧).

يتضح مما سبق وما جاء في خطبة الشيخ المغيرى اهتمام الحكومة في زنجبار برعاية وتوسيع رقعة التعليم في مختلف المناطق داخل زنجبار وبقية اقاليم السلطنة . وقد أورد الشيخ المغيرى ايضا اهتمام سلاطين زنجبار بالتعليم وتنوعه لمواجهة متطلبات النهضة التي شهدتها البلاد ، مما دفعهم الى التفكير بابتعاث بعض الطلاب الى البلاد الأوروبية في فترة مبكرة من القرن الماضي . فقد ذكر على سبيل المثال ان السيد ماجد بن سعيد سلطان زنجبار في الفترة (١٨٥٦-١٨٧٠م) كان عازما على أرسال بعثة عربية تتكون من عشرين طالبا الى اوربا لتعلم الصناعات وسائر العلوم العصرية لكن عاجله الأجل ووافته المنية قبل تنفيذ هذا المشروع(٣٨).

ومن السادة البوسعيديين الذين شجعوا التعليم وأوقفوا له بعض اموالهم السيد المحسن حمود بن احمد البوسعيدي(٣٩) الذي بنى مسجدا بزنجبار وجعل له وقفا ينفق منه لطلبة العلم والمعلمين والقائمين فيه ، كما قام بتشييد مدرسة لتعليم القرآن الكريم في منطقة (بوبوبو) في زنجبار(٤٠).

وجاء في (جهينة الأخبار) ايضا ان السلطان علي بن حمود بن محمد البوسعيدي (١٩٠٢-١٩١١م) هو أول من انشأ مدرسة تعلم العلوم العصرية في زنجبار عام ١٩٠٨م وصار يمدها بالمال وكان في طليعة اساتذة هذه المدرسة السلطانية عند افتتاحها كل من الشيخ الشاعر عبدالرحمن بن محمد الكندي والشيخ الأديب احمد بن حمدون الحارثي(٤١).

هذه النهضة التعليمية التي شهدتها سلطنة زنجبار في العهد البوسعيدي شجعت الجماعات والعناصر الاسلامية الاخرى المقيمة في السلطنة ، والتي انخرطت في خدمة الدولة ، الاسهام بدورهم في هذا المجال الحيوي خاصة المجموعات السكانية من أهالي جزر القمر وحضرموت مما اثرى التجربة التعليمية وجعلت من زنجبار مركز اشعاع وكعبة

يحج اليها العلماء والدارسون من شتى الاقطار الاسلامية خاصة أبناء المسلمين المنتشرين في السواحل وجزر القمر ومناطق أوغندا والكونغو في البر الافريقي. فقد قام بعض سكان جزر القمر بالعمل في مجال التدريس فمنهم على سبيل المثال الشيخ فاضل بن علي القمري الذي كان يقوم بالتدريس في مسجد غوف، ومنهم الشيخ العلامة السيد عبدالرحمن بن احمد بن جمل الليل والذي كان يدرس في مسجد فوغا في زنجبار علوم النحو والبيان والفرائض وقد تتلمذ على يده الكثير من أبناء زنجبار. ومنهم الشيخ محمد بن عبدالله باوزير الذي كان يدرس تفسير القرآن الكريم بمسجد كيكوني ومنهم الشيخ العلامة احمد بن محمد ملمري الذي كان يدرس الناس امام منزله وفي مسجد شنغاني وقد أسس مع اخوانه مدرسة القمر والجمعية القمرية لتعليم أولادهم اللغة العربية والانجليزية وغيرهم من العلماء والمدرسين القمريين الذين قاموا بخدمة العلم والثقافة في زنجبار(٤٢).

وقد اتضح هذا الدور العماني في تشجيع القمريين للعمل في خدمة الدولة في المجال التعليمي خاصة في عهد سلاطين زنجبار المتأخرين من أمثال السيد علي بن حمود (١٩٠٢-١٩١١م) والسيد خليفة بن حارب (١٩١١-١٩٦٠م). ولعل من ابرز العلماء الذين خدموا الدولة في هذا المجال الاستاذ الفاضل الشيخ برهان بن محمد المكلا والذي اصبح من اعلام علماء زنجبار وكان له باع طويل في علوم اللغة العربية وآدابها وقد أسهم في خدمة التعليم تدريسا وتأليفا. وقد ذكر الشيخ المغيرى بأنه نبغ في العلوم العربية حتى لقب (بسيبويه زنجبار)، وله كتب في النحو والصرف والبيان ومن مؤلفاته «مرشد الفتيان في علم البيان» كما كان له مؤلفات مخطوطة في تاريخ جزائر القمر وديوان شعر في المدح والرثاء والتهاني. وقد كان بحق يعتبر من أصحاب الخدمة الطويلة الممتازة في مجال التعليم في زنجبار، حيث عمل الشيخ برهان زهاء ثلاثين عاما في المدرسة الحكومية وذلك في الفترة من (١٩٠٨ الى ١٩٣٩م). ولقد تخرج على يديه أجيال من شباب المسلمين في زنجبار وشرق افريقية(٤٣).

وامتد أثر العمانيين الحضاري في الجوانب العلمية والمعرفية في البر الافريقي حتى وصل الى هضبة البحيرات الاستوائية ومنطقة أعالي الكونغو في أواسط افريقية. فالدور الريادي الذي قام به جيل الرواد من أمثال الشيخ احمد بن ابراهيم العامري وصحبه الأبرار الذين قاموا بنشر الاسلام في ربوع اوغندا قد أسهم في قيام مجتمع اسلامي متماسك له تقاليده الراسخة وكانت زنجبار ومعاهدها ومراكزها الاسلامية في المناطق الساحلية هي ملاذ وقبلة الزعماء والعلماء والدارسين من أبناء المسلمين الأوغنديين والأنموذج الذي يستمدون منه الالهام وكل أسباب المعرفة والثقافة الاسلامية، هذا فضلا عن دور الدعاة والمعلمين العمانيين الذين أقاموا في تلك البلاد أو من خلال رحلاتهم التجارية والعلمية التي لم تنقطع

فيقومون بنشر التعليم الاسلامي الصحيح الذي تأصل في النفوس فطبعها بطابع الاسلام ونشطت مجالسه وازدهرت حلقاته في المساجد والمعاهد حتى انتشر في المدن والقرى ممتدا كالسيل الآتي في الاحراش والادغال حتى اصبحت كلمة الله في تلك الربوع هي العليا. وقد كان من الطبيعي ان تثمر هذه الجهود النبيلة من جيل الرواد من الدعاة العُمانيين في ظهور مجتمع اسلامي راسخ الجذور وله تقاليد مرعية حفظت للجماعة الاسلامية في أوغندا كيانهم الاسلامي البارز على الرغم من الحملة الصليبية الشرسة التي تعرض لها المسلمون في تلك البقعة النائية في قلب افريقية. ولعله من المناسب في هذا الاطار ان نعطي لمحة موجزة تبرز بجلاء النتائج التي ترتبت على هذا الدور الحضاري العماني في صياغة المجتمع الاسلامي في أوغندا وبخاصة في مجال الدعوة والتربية والتعليم والقيام برعاية شؤون المسلمين والحفاظ على هويتهم وشخصيتهم المتميزة.

جاء في تقرير أورده مصدر عربي معاصر مايلي: —

«فهناك زعماء، وهناك مشايخ، ولكل من أولئك الزعماء والشيوخ صلاحياته وارتباط الآخرين به، وقد اقرت الحكومات التي حكمت البلاد هذه العادات التقليدية.

وعلى رأس زعماء المسلمين المشهورين الأمير المجاهد بدر بن نوح(٤٤)، ومعالي الاستاذ ابو بكر مايانجا(٤٥)، والحاج موسى كسيرو، وعلى رأس شيوخهم الشيخ الفاضل شعيب(٤٦)، والشيخ احمد بن كعب والشيخ علي كلومبا(٤٧).

وهناك شيوخ كثيرون ومعلمون اكثرهم منبثون في كل مقاطعات أوغندا، وقد خدم هؤلاء دعوة الاسلام احسن خدمة، واكثرهم خدمة هو الأمير بدر بن نوح فله يد بيضاء على المسلمين في أوغندا ـ فلقد وقف الأمير من أراضيه ثمانين هكتارا في سبيل الاسلام، أنشأ فيها جامعا فخما كما أسس على نفقته الخاصة مدرسة ثانوية في العاصمة كمبالا ووجه عنايته فيها بتعليم الدين، ومن العادات المتبعة هناك في تنصيب الشيوخ، هو اجتماع أهل المقاطعة واستدعاء اكبر مجموعة من الزعماء والعلماء، فيقام احتفال ديني يتبادل فيه الخطباء كلماتهم، ثم يقدم المؤهلون لتنصيب المشيخة فيلبسهم رئيس الحفل ـ العمامة الاسلامية العربية، ويعلن على الملأ أهليتهم لذلك ليبلغ الحاضر الغائب، وهكذا تقام في كل عام تقريبا، ويخول الشيخ بعد ذلك القيام باصلاح ذات البين وبالعقود والانكحة وكتابة الوصايا والوثائق الدينية على نهج الشرع الاسلامي الشريف وبالخطابة الدينية في المحافل العامة وبتفسير القرآن الكريم والسنة بعنعنة التلقين الى غير ذلك مما يتعلق بالشؤون الاجتماعية الاسلامية، ومازال لباس الشيوخ يعطي الصورة الصادقة المشرفة للزي الاسلامي العلمي، فهو مكون من السروال والثوب ثم الجبة والعمامة الاسلامية المعروفة..»(٤٨).

وهكذا ونتيجة لهذا الجهد التعليمي الذي ازدهر في العهد البوسعيدي تم تعليم الكثير من الافارقة وعلى أيدي تلاميذ هؤلاء العلماء الافذاذ الذين تناولنا سيرتهم العطرة سواء من العمانيين وأتباعهم من المستعربين والسواحليين، تمت مواصلة مسيرة التعليم في شرق

افريقية الذي هيمن عليه الطابع الاسلامي إلا ان عرب عمان قد كان لهم قصب السبق والريادة في هذه الملحمة الخالدة. فقد قاموا بنشر هذا النوع من التعليم الذي كانت اللغة العربية وسيلته الرئيسية، ولذا نجد ان المؤثرات الثقافية العربية الاسلامية تنتشر في هذه المنطقة عن طريق المعلم العربي وقد كان لهذا الاسهام العماني في هذا المجال في شرق افريقية نتائج ايجابية من اهمها انه ازال الأمية اولا وربط المجموعات الافريقية المختلفة ببعضها البعض ثانيا ثم مهد الطريق لارتباط هذه المجموعات بالعالم العربي والاسلامي ثالثا. ومن نتائج ذلك ايضا ان المجموعات الافريقية المسلمة اصبحت تعبر عن رغبتها في الانتماء والارتباط بالعنصر العربي في صور مختلفة تنعكس في تراثها(٤٩).

انشاء المطبعة السلطانية وقيام الصحافة العمانية في زنجبار وشرق افريقية:

ومن التطورات المهمة التي ساعدت كثيرا على النهضة العلمية في شرق افريقية تأسيس المطبعة السلطانية في زنجبار في عهد السلطان برغش بن سعيد والذي حكم في الفترة (١٢٨٧-١٣٠٦هـ/ ١٨٧٠-١٨٨٨م). وقد قامت هذه المطبعة بنشر العشرات من الكتب العمانية وبخاصة المؤلفات الدينية. وقد حدثنا مصدر عماني وثيق الصلة بسلاطين زنجبار المتأخرين عن دور هذه المطبعة في نشر التراث الديني والأدبي مشيدا بمآثر السلطان برغش في هذا المجال فقال:

« . . . وقد انشأ في زنجبار مطبعة عربية لطبع الكتب الدينية والأدبية وسائر العلوم وهي باقية الى الآن، ولو لم تطبع هذه المطبعة شيئا الا كتاب هميان الزاد وقاموس الشريعة وحاشية الترتيب ومختصر الخصال، وجامع البسيوى وإزالة الاعتراض ومنظومة مدارج الكمال لكفاها فكيف وقد طبعت عددا كثيرا من الكتب. . . »(٥٠).

وعلى الرغم من ان الشيخ العلامة نور الدين السالمي لم يتناول في تاريخه أخبار زنجبار والسواحل حيث كان جل اهتمامه وتركيزه على عمان إلا انه تعرض لمآثر السلطان برغش في سياق حديثه عن السيد سعيد بن سلطان حيث ذكر عن مآثره الحسنة مايلي:

« . . . جمع الأخبار وقرأ الآثار ولازم العبادة وطبع جانبا من كتب المذهب وجعل للحجاج مركبا يحملهم في كل عام من السواحل وعمان من غير نول وهم فيه مكفولون ذاهبين وراجعين وحج البيت وزار القبر واجزل العطاء واكرم العلماء ورحم الفقراء ونصب القضاء، وبسط اخباره تحتاج الى مجلد وليس ذلك من غرضنا الآن»(٥١).

ولعل أهم ما جاء في هذا النص المأخوذ من كتاب «تحفة الاعيان» للشيخ السالمي هذا الاهتمام الذي ابداه حكام زنجبار بجمع التراث الديني وطبعه وحفظه ومن ثم هذا التكريم والمكانة السامية المرموقة التي تبوأها العلماء في ذلك المجتمع، هذا فضلا عن العناية والسهر على خدمة عامة المسلمين في أداء شعائرهم المقدسة.

وقد مهد هذا الانجاز الكبير في مجال الطباعة والنشر السبيل لتطور جديد له آثار بعيدة المدى في مجال التوعية ونشر الثقافة العربية الاسلامية . فقد شهدت سلطنة زنجبار في العهد البوسعيدي ظهور الصحافة العمانية في زنجبار حيث انشأوا صحفا منها (الفلق) و(النجاح) و(النهضة) و(الاصلاح) و(المرشد) وغيرها من الصحف الرسمية مثل صحيفة (زنجبار) التي كانت تصدر باللغة العربية والانجليزية في آن واحد(٥٢).

وقد تولى تحرير هذه الصحف نخبة من الأدباء والعلماء الافذاذ من أمثال الشيخ أحمد بن حمدون الحارثي والشيخ الخطيب هاشل ابن راشد المسكري والشيخ عبدالله بن حمود الحارثي والشاعر العلامة الشيخ ناصر بن سالم الرواحي والشيخ ناصر بن سليمان بن ناصر اللمكي ، والشيخ الداعية الأمين بن علي المزروعي الذي اصدر جريدة (الاصلاح) في ممباسة بكينيا ، والسيد سيف بن حمود بن فيصل مؤسس جريدة «النهضة» والشيخ احمد بن سيف الخروصي وكان يقوم بتحرير صحيفة «المرشد» . ومن كبار رجال الصحافة ايضا الاستاذ احمد بن محمد بن ناصر بن سليمان اللمكي والشيخ سعيد بن سالم بن محمد الرواحي وهما من الكتاب البارزين وقد تولى كل منهما رئاسة تحرير جريدة «الفلق» . ومن الأسماء التي ترددت في عالم الصحافة في زنجبار الشيخ محمد بن هلال البرواني وسيف بن عيسى البرواني والأديب محمد بن علي البرواني صاحب مقامات ابي الحارث(٥٣) .

وقد كان ميدان الصحافة واحدا من المنابر الحيوية الهامة التي لعبت دورا كبيرا في النهضة الفكرية والثقافية التي اسهم به اهل عمان والتي شهدتها شرق افريقية لأول مرة في تاريخها . وكان يكتب في هذه الصحف كثيرون من ادباء عمان وكتابها سواء ممن كانوا مقيمين في زنجبار أو أولئك المقيمين في عمان(٥٤) . وقد قامت هذه الصحف ـ كما أسلفنا ـ بدور ملحوظ في النهضة الأدبية وتوعية المسلمين في شرق افريقية بأمور دينهم ودنياهم ، وبالأخطار التي تتعرض لها المجتمعات الاسلامية في تلك الفترة ، والمبادىء والقيم التي ينبغي التمسك بها للحفاظ على هويتهم العربية الاسلامية(٥٥) .

ومن خلال النسخ القليلة التي تمكنا من الحصول عليها من هذه الصحف وبعض الدراسات المحلية التي اطلعنا عليها وتناولت الدور الذي اضطلعت به الصحافة العمانية ، نستخلص عددا من الأهداف التي يمكن ان نوجزها في الآتي :

(١) أولت مصالح البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية اهتماما كبيرا وعلى سبيل المثال التركيز على النهضة الزراعية والاهتمام بمشاكل الانتاج والتسويق للحاصلات الزراعية وفي مقدمتها محصول القرنفل . ويظهر هذا التوجه جليا في ديباجة صحيفة «الفلق» حيث جاء شعارها في أعلى الصفحة الأولى بأنها «جريدة أدبية سياسية اخلاقية زراعية» مما يعكس طبيعة الموضوعات التي تتناولها والأبواب الثابتة فيها والتي تخدم أهداف الصحيفة(٥٦) .

(٢) قامت هذه الصحف بدور ملحوظ في النهضة الأدبية وتوعية المسلمين في شرق افريقية بأمور دينهم ودنياهم وبالأخطار التي تتعرض لها المجتمعات الاسلامية في تلك الفترة

والمبادىء والقيم التي ينبغي التمسك بها للحفاظ على هويتهم العربية الاسلامية، ومن ثم يتضح لنا هذا الدور الاصلاحي للمجتمع الذي كان في طليعة أهداف الصحافة العمانية في شرق افريقية. فقد جاء في مقدمة «ديوان ابي مسلم» للشيخ العلامة ناصر بن سالم الرواحي ترجمة لحياته الحافلة بجلائل الأعمال ومنها اسهامه في مجال الصحافة عندما قام بتأسيس جريدة «النجاح» مايلي:

«. . . وكان حسن السياسة قل ان يشابهه احد في لم الشعث وتوطيد الاصلاح بين المسلمين حرر جريدة النجاح طلبا في ائتلاف الرابطة الاسلامية لكي تبلغ من الكمال مبلغا يكون عليه منشأ الترقي وفتح باب السعادة لبني الانسان ودعا الناشئة الزنجبارية الى اقتطاف ثمرة العلم النافع ونبذ طريق الجهلاء فلباه وسمع دعوته طائفة من أبناء جنسه واجتمعوا على ما دعاهم إليه. . . »(٥٧).

أما الشيخ الأمين بن علي المزروعي أصدر جريدة «الاصلاح» في ممباسة على الساحل الكيني فقد امدنا احد معاصريه بهذه النبذة التاريخية التي تلقي بعض الضوء على نشاطه في مجال الصحافة حين قال:

«ولقد أولع بدراسة الصحافة وقراءة المجلات والجرائد لاسيما المجلات الدينية والاجتماعية والسياسية التي شغف بها وبالمنافع التي تنجم عنها فأصدر في ممباسة في ٤ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ الموافق ٢٧ أكتوبر ١٩٣٠م جريدة باللغة السواحلية اعتنت كثيرا بالمسائل الدينية والاجتماعية والسياسية. ثم في ٢٢ شوال ١٣٥٠هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٩٣٢م أصدرها باللغة العربية تحت اسم جريدة «الاصلاح» وكان شعارها الآية الكريمة ﴿ان أريد الا الاصلاح ما استطعت﴾ فأصلح ما استطاع اصلاحه واقفا دون رأيه لايخاف في الله لومة لائم. ولقد كان ـ رحمه الله ـ سلفيّ النزعة تجري في دمه منذ الصغر محبة الاعتصام بالكتاب والسنة وكراهية التشبث بالبدع. . . فكان بينه وبين أصحاب البدع مايكون بين المستمسك بالحق والمتشبث بالباطل»(٥٨).

(٣) اهتمت الصحافة العمانية الناشئة في زنجبار بالمرأة ودورها في المجتمع والأخذ بيدها لتخرج من دياجير الجهل والظلام كما تناولت بعض القضايا المطروحة في الساحة في تلك الفترة حول مساواة المرأة بالرجل واخضاعها لمبادىء وتعاليم الاسلام. فقد جاء في صحيفة «الفلق» الصادرة بتاريخ ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٣٤٧هـ الموافق السادس من مايو ١٩٣٩م مقالة عنوانها «التعليم والمرأة» تعرض صاحبها للهدف الاسمى من هذا التعليم حين ذكر:

«. . . فعلموا المرأة قبل كل شيء دين الاسلام دين الحياء والعفاف والأمانة والشجاعة وكل خلق كريم لتغرس ذلك في نفوس ابنائها لينشأوا على الفضيلة بعيدين عن كل خلق ذميم. . . »(٥٩).

(٤) افردت الصحف حيزا مناسبا من صفحاتها للاهتمام بأخبار عمان الوطن الأم في كافة المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية. وكان هذا طبيعيا فقد أسهم بالكتابة في هذه الصحف كثيرون من علماء وأدباء عمان سواء ممن كانوا مقيمين في زنجبار أو أولئك المقيمين في عمان. ففي مجال الشعر مثلا نجد بعض القصائد التي تؤرخ لبعض المناسبات المهمة مثل ظهور كتاب جديد تمت طباعته في زنجبار مثل القصيدة التي نظمها الشيخ أبو مسلم الرواحي في مدح وتقريظ «كتاب مدارج الكمال» الذي ألفه الشيخ السالمي او القصيدتين اللتين نشرتا في جريدة «زنجبار» بتاريخ **٢٥** رمضان **١٣٤٩**هـ الموافق **١٤** فبراير **١٩٣١**م وقد نظم القصيدة الأولى الأديب السيد عمر بن احمد بن سميط امتدح فيها الشيخ المفضال من أعيان عمان سليمان بن حميد الحارثي عند زيارته لزنجبار وأجابه الممدوح بقصيدة بعث بها من عمان (٦٠). ولعله من المفيد في هذه العجالة ان نورد بعض الأبيات من قصيدة الشيخ ابي مسلم «اللامية» والتي يصور فيها ملامح الشخصية العمانية وتمسكها بالدين والعلم فضلا عن صور البطولة في دروب الجهاد والتضحية، وقد نشرت في جريدة «النجاح» والتي جاء فيها:

تفضل بالزيارة في عمان ... تجد افعال أحرار الرجال
تجد ماشئت من مجد وفضل ... واحساب عزيزات المثال
تجد ما قدمته من المنايا ... خيول الله في حزب الضلال
تجد من هيبة الاسلام شأنا ... عليه الكفر مبيض القذال
تجد همم الرجال مصممات ... بثأر الدين ترخص كل غال(٦١)

(٥) ومن الجوانب المشرفة والتي تعكس نشاط وهمة جيل الرواد من رجال الصحافة العمانية في زنجبار المشاركة والاسهام بانتاجهم الفكري والثقافي في الدوريات والمجلات العربية في مصر وكان ذلك في وقت مبكر. فقد نشرت مجلة «الهلال» المصرية في عددها الصادر بتاريخ التاسع من جمادى الأولى سنة **١٣٢٤**هـ الأول من يوليو سنة **١٩٠٦**م موضوعا افتتاحيا عنوانه: «اشهر الحوادث وأعظم الرجال: حميد بن محمد المرجبي فاتح الكونغو» وقد اسهم به الشيخ ناصر بن سليمان اللمكي الذي يعتبر من نخبة العلماء في زنجبار ومن الرواد الذين قامت على اكتافهم نهضة الصحافة وتولى مهمة التحرير في جريدة «النجاح» مع الشيخ العلامة ناصر بن سالم الرواحي. وتعتبر هذه الدراسة لسيرة الشيخ المرجبي وثيقة تاريخية على قدر كبير من الأهمية ومصدرا أصيلا للباحثين والمهتمين بالدراسات العمانية بصفة خاصة لانها تلقى الضوء على المؤثرات الحضارية العمانية في الكشف عن مجاهل القارة الافريقية والنشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي ترتب على الوجود العربي العماني في مناطق

البر الافريقي . ومن ناحية اخرى تنبع أهمية هذه الدراسة التي أسهم بها الشيخ ناصر بن سليمان اللمكي والتي نشرتها مجلة «الهلال» في عددها المشار إليه بأنها من الكتابات النادرة التي تناولت هذا الجانب من وجهة النظر العربية الاسلامية .

والكاتب من المعاصرين للأحداث وفيها تصحيح للكم الهائل من الدراسات الأوروبية التي كرست مفاهيمها ومناهجها لتشويه تاريخ العرب والمسلمين عامة في افريقية . وقد اشاد محرر مجلة الهلال المصرية باسهام الشيخ ناصر اللمكي في افتتاحية العدد المشار اليه مؤكدا على أهمية الموضوع والحاجة الماسة له في أوساط القراء والدارسين لما احتواه من صور البطولة والبذل في سيرة المرجبي والدور العماني في كشف مجاهل افريقية . وقد جاء ذلك في الكلمات المشرقة التالية :

«لم يتعود قراء هذا الزمان الاطلاع على أخبار الهمم العالية والنفوس الكبيرة وظهور نوابغ القواد ورجال الدهاء الا بين أهل الغرب . ويعجبهم على الخصوص اذا قرأوا عن قائد أو وزير أو ملك نبغ من بين العامة وتسنم عرش السيادة بجده وسعيه . ولكن بين أهل الشرق اليوم نوابغ لا تقل نفوسهم كبرا ولا هممهم سموا عن أولئك فقد ينبغون في اواسط آسيا وافريقيا ويأتون بمعجزات السياسة والدهاء والقيادة ولا نعرف أخبارهم . واليك ترجمة رجل منهم ولد في الفقر والضنك وارتقى بهمته وسعيه حتى قاد الألوف وفتح البلاد ـ نعنى به حميد بن محمد بن جمعه المرجبي الملقب بتيبوتيب فاتح الكونغو بأواسط افريقيا وقد بعث الينا برسمه وترجمة حاله حضرة الشيخ ناصر بن سليمان اللمكي ساكن زنجبار فاثبتناهما مع الثناء على غيرته في نشر مآثر الشرقيين»(٦٢).

(٦) ومن الأشياء الجديرة بالتسجيل الدور الذي قامت به الصحافة العمانية في الاهتمام بترقية الثقافات المحلية والمتمثل في تطور وانتشار اللغة السواحلية وآدابها والنابع من الدور الحضاري العماني في كافة المجالات مما اكسب هذه اللغة الذيوع والانتشار في شرق وأواسط افريقية ونالت المكان اللائق بها كواحدة من أهم اللغات الافريقية في عالمنا المعاصر. ولاشك ان لذلك ما يبرره فاللغة السواحلية ثمرة من ثمار الاتصال العربي الافريقي وقد تأثرت في روحها وجوهرها بالثقافة العربية الاسلامية . ومن ثم كان من البديهي ان تولي الصحافة هذا الموضوع اهتماما خاصة بعد انعقاد مؤتمر علمي بدار السلام سنة **١٩٢٥**م للنظر في تصويب بعض الاخطاء التي لوحظت في كتابة بعض المصطلحات والكلمات السواحلية وضبطها حسب القواعد والتراكيب المرعية في هذه اللغة . فقد جاء في صحيفة «زنجبار» مايلي :

«ومن أهم ما تقرر في هذا المؤتمر هو ان تكون لهجة سواحلية زنجبار هي العمدة ومفضلة على جميع لهجات بلاد السواحل لفصاحتها وأخيرا تقرر بأنه اذا احتيج الى ادخال كلمة جديدة في اللغة السواحلية لتعبر عن معنى من المعاني يجب قبل كل شيء الاجتهاد في

البحث عن الكلمة المطلوبة من احدى لهجات البنتوية» فان عجزت هذه عن وفاء الطلب فليوجه الطلب الى العربية او الى اللغات الاخرى التي منها تستعير السواحلية عادة الكلمات التي تحتاج اليها.

وقد سبقت الاشارة آنفا عن ان مؤتمر دار السلام الأول كان أهم خطوة خطيت في هذا السبيل لأن بعده ألفت كتب قيمة باللغة السواحلية وتتناول هذه الكتب موضوعات مهمة مثل الجغرافيا والحساب والتاريخ والزراعة والعلوم التي تبحث عن العلة والمعلول ولم تزل المهمة مبذولة في جعل اللغة السواحلية لغة مستقلة ذات أدب وافر في النثر والشعر يتلذذ بقراءتها أو بسماعها كل أديب كما يتلذذ الأديب العربي بأدبيات لغته أو الانجليزي بمنثور ومنظوم لسانة(٦٣).

وغنيّ عن القول ان موقف الصحافة العمانية من هذه القضية والذي يتضح في كلمة التحرير هذه له أهمية ودلالة ومغزى خاص من الناحية التاريخية. فاللغة السواحلية شأنها في ذلك شأن الثقافة العربية الاسلامية قد تعرضت لمحاولات المسخ والتشويه وقد امتد هذا المسخ لتحريفها بمحاولات استهدفت استبدال الكلمات ذات الأصول العربية بكلمات اخرى. فمثلا عندما تم القيام بوضع قاموس سواحلي ـ انكليزي تعمدت بعض الجهات تخفيض استخدام الألفاظ والمصطلحات العربية واستبدالها بكلمات من لغة البانتو. (٦٤)

ليس هذا فحسب بل ظلت الصحف العربية في زنجبار وفي طليعتها جريدة «الفلق» تهاجم وتنتقد سياسة الادارة البريطانية في مجال التعليم خاصة كتابة اللغة السواحلية بالحروف الرومانية بدلا من اللغة العربية والذي جاء نتيجة لنشاط القساوسة والمبشرين النصارى في النظام التعليمي منذ بداية القرن الحالي، وبعد ان كانت السواحلية تكتب بالحرف العربي على مدى اكثر من خمسة قرون وقد أدى هذا بدوره الى عزوف غالبية السكان عن التعليم الحكومي مما ترتب عليه نتائج وخيمة. ومن ثم قامت مصلحة المعارف في زنجبار بتكليف المستر ولسون لبحث هذه الظاهرة واسبابها. وبعد دراسة ميدانية تقصى من خلالها عدة قضايا تربوية، من بينها مدى المام المواطنين بالكتابة والطريقة التي يكتبون بها، توصل هذا الخبير الى معلومات مفيدة ذات دلالة مهمة للغاية تؤكد عمق واستمرارية النفوذ العربي المتمثل في غالبية السكان في زنجبار والجزيرة الخضراء الذين لايزالون يستعملون الحرف العربي في كتابة اللغة السواحلية وذلك حتى قيام الحرب العالمية الثانية كما يتضح من الاحصائية التالية التي قام باعدادها المستر ولسون الخبير البريطاني:

بين كل مائة شخص وجد المستر ولسون ان :

٥٥ شخصاً يكتبون بالحروف العربية.

١ شخص واحد يكتب بالحروف الرومانية.

٧ أشخاص لهم المام بالحروف العربية والحروف الرومانية.
٣٧ شخصا أميين.

الجزيرة الخضراء (بيمبا):

بين كل مائة شخص وجد المستر ولسون أن:
٣٢ شخصا يكتبون بالحروف العربية.
٢ شخصان يكتبان بالحروف الرومانية.
٢ شخصان يكتبان بالنوعين معا.
٤٤ شخصا أميين(٦٥).

الدور العُماني في انتشار اللغة العربية والثقافة السواحلية:

ساهمت عدة عوامل في نشر اللغة والثقافة العربية الاسلامية في مناطق الساحل الافريقي الشرقي والمناطق الافريقية الداخلية نذكر من أهمها:

(١) تزايد الهجرات العربية الى تلك الجهات وخاصة الهجرات العمانية الفردية والجماعية. وقد ازداد عمق هذه الهجرات في عهد الدولة البوسعيدية وبالذات في عهد السيد سعيد بن سلطان عندما ركز على ممتلكاته الافريقية عند انتقاله وتركيز اقامته في زنجبار بدءا من عام ١٨٣٢م. هذا فضلا عن الازدهار التجاري والتنمية الزراعية الهائلة والتي شهدتها هذه الفترة والتي جذبت اعدادا كبيرة من العمانيين الى شرق افريقية.

(٢) النشاط المستمر الذي بذله أفراد الجاليات العربية الاسلامية وعلى رأسها الجالية العمانية الاكثر عددا في نشر دينها ونشر لغتها وثقافتها بين أهالي شرق افريقية، وخاصة وان الكثير من تلك الجاليات كانت ذات نزعة دينية اسلامية عربية.

(٣) مرونة اللغة العربية ووفاؤها بمتطلبات المؤسسات الحكومية التي انشأتها الحكومات العربية العمانية في تلك الديار الافريقية، تلك الحكومات التي ظلت تساعد حركة نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية داخل مناطق سيادتها والتي تمكن العمانيين بزعامة السيد سعيد من ترسيخ حكمهم لتمتد الدولة العمانية لتشمل من مقديشو شمالا الى مشارف موزمبيق في جنوب الساحل الشرقي، كما امتدت في الاتجاه الشمالي الغربي لتصل الى مملكة بوغندا، وغربا حتى أعالي نهر الكونغو (منطقة زائير حاليا) في أواسط افريقية.

(٤) قيام التجار العرب من العمانيين والسواحليين ببذل جهد كبير في نشر اللغة العربية في المناطق الافريقية الداخلية بعد ان تمكنوا من اقامة مراكز تجارية عربية مستقرة في تلك المناطق منها على سبيل المثال طابورة (في أواسط تنزانيا) واوجيجي على بحيرة تنجانيفا

وكاسونجو في أعالي الكونغو وغيرها. وظلت الحكومات العمانية في مناطق الساحل الافريقي تساعد هذا الجهد وتدعمه، كما ان اللغة العربية غنية بالمصطلحات الفنية التي ساعدت في تسهيل المعاملات التجارية مما أدى الى زيادة انتشارها في المدن والأرياف.

(٥) انتشار الدين الاسلامي بين الأفارقة ساهم بدرجة كبيرة في تسهيل عملية انتشار اللغة العربية لانها لغة القرآن الكريم وضرورية للعبادة وأداء الصلوات وقراءة القرآن الكريم وتفسيره ومعرفة السنة النبوية الشريفة. وقد لاحظ لورد منتمور - الذي زار بلاد ارويمى في شرق الكونغو عام ١٩٠٥م - انه وجد زعماءهم يقرأون القرآن ويتكلمون اللغة العربية(٦٦).

(٦) لعبت المساجد وحلقات التدريس ومجموعة الكتاتيب التي انتشرت لتعليم الدين الاسلامي واللغة العربية دورا بارزا في نشر اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية في تلك المنطقة.

(٧) ساهمت عملية الزواج والاختلاط بين العرب والافريقيين في نمو حركة انتشار اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية في مناطق متعددة من شرق وأواسط افريقية، خاصة وان العرب الوافدين الى تلك الديار كانوا على مستوى طيب من الحضارة والتقدم مما شجع على تطوير المسيرة الحضارية هناك. وقد ادى الثقل الحضاري والسياسي الذي كان يتمتع به عرب عمان في الساحل الافريقي الشرقي الى الحفاظ على هويتهم وظلوا الطليعة الامامية لنشر اللغة العربية في هذه الجهات(٦٧).

(٨) ان الحديث عن الاسهام العماني في انتشار اللغة العربية والثقافة الاسلامية عامة لن يكتمل دون الاشارة الى الدور الذي قامت به المطبعة السلطانية في القرن الماضي وقيام الصحافة العمانية في زنجبار وشرق افريقية منذ العقد الاول من هذا القرن. وقد قامت المطبعة السلطانية كما اسلفنا بنشر كتب التراث الديني والأدبي والتي أصبحت في تناول اعداد كبيرة من العلماء والدارسين عربا وأفارقة. وقد قامت الصحافة بدور اكبر واشمل في نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية على نطاق واسع اسهم به عدد كبير من العلماء والأدباء العمانيين وكانت منبرا للجميع سواء ممن كانوا مقيمين في زنجبار وشرق افريقية أو في عمان مما اثرى هذه الصحف التي تعرضنا لدورها واهدافها في مكان آخر من هذا البحث. ولعل من المناسب ان نشير في هذا الصدد بأن الشيخ ناصر بن سليمان بن ناصر اللمكي، وهو من الرواد العمانيين في مجال الصحافة في زنجبار ومن المؤسسين لجريدة «النجاح» في ١٩١١م والتي استمرت في الصدور حتى الحرب العالمية الأولى، كان محبا وغيورا على اللغة العربية فقد وهب نفسه لخدمتها وخصص وقتا لتدريسها لطلاب العلم في زنجبار. وقد جاء على لسان احد احفاده، وكان رئيسا لتحرير جريدة «الفلق» في حديث عن جده الشيخ ناصر ابن سليمان اللمكي، نشرته جريدة (عُمان) مؤخرا مايلي:

« . . . وكانت احدى قناعاته بأن الجريدة تلعب دورا كبيرا في نشر اللغة العربية وقد ثبتت لديه هذه الفكرة عندما كان في مصر»(٦٨).

وبفضل تضافر كل هذه الجهود وتلك العوامل انتشرت اللغة العربية والحضارة العربية الاسلامية في مدن الساحل الافريقي، وغدت المساجد والمدارس والكتاتيب ومراكز المؤسسات التي أقيمت في ظل السيادة العربية العمانية تشكل قواعد ممتازة لنشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية بين الأهالي الافريقيين في الساحل الشرقي وفي المناطق الافريقية الداخلية التي جابها التجار العرب العمانيون على مدى حقب تاريخهم في تلك المناطق، وظل التراث العربي العماني من كتابات وآثار عمرانية ومساجد(٦٩) وغيرها من البصمات ماثلا هناك في كل المناطق التي جابوها أو استقروا فيها. ولم يقتصر هذا التأثير على المناطق الشمالية من الساحل الشرقي وإنما امتد جنوبا حتى موزمبيق ومدغشقر.

وقد ساهمت الدوائر والمؤسسات العمانية القائمة في تلك الجهات في نشر اللغة العربية حيث انها اللغة الرسمية التي تدون بها المراسلات وكل مقتضيات الدولة العمانية، وزادت تلك المساهمة وتبلورت بدرجة كبيرة في عهد السيد سعيد بن سلطان الذي ارسى دعائم الدولة العمانية في شرق افريقية وطور مؤسساتها ونظم أجهزتها الادارية.

ونتيجة لذلك كله فقد انتشرت اللغة العربية بين قطاعات مختلفة من السكان في شرق افريقية وكانت لغة الصفوة المتعلمة والمستنيرة، كما كانت لغة التجارة والادارة والحكم والأدب. أما بالنسبة لعامة الناس من المسلمين الأفارقة فقد اكتفى معظمهم بالقدر اليسير من هذه اللغة الذي يمكنهم من ممارسة شعائر وتعاليم الاسلام وتلاوة القرآن الكريم، واستخدموا اللغة السواحلية في مختلف شؤون حياتهم، وان كان علماؤهم يجيدون الحديث باللغتين العربية والسواحلية.

وقد اندهش الرحالة الأوروبيون في القرن الماضي، عندما اكتشفوا ان الملوك من أمثال موتيسا وكاباريجا في أوغندا الحالية، وكثيرا من الرؤساء الأفارقة في المناطق الداخلية يجيدون الحديث بهاتين اللغتين في آن واحد(٧٠). وفي ماعدا ذلك ظل التعامل اليومي بين عامة الناس خاصة في المناطق الداخلية في شرق افريقية يتم بواسطة اللغة السواحلية المفعمة بالكلمات العربية والمصطلحات التي تعبر عن المفاهيم الاسلامية. والواضح ان الدولة العمانية في شرق افريقية قد اتخذت اللغة السواحلية لغة ثانية الى جانب اللغة العربية التي كانت اللغة الرسمية في البلاط والدواوين الحكومية. فحكام المناطق العربية الافريقية كانوا عربا من عمان، يدينون بالاسلام ويتحدثون بالعربية، فمن البديهي انهم صبغوا عاصمتهم زنجبار وحواضر أقاليم الدولة، باللون العربي الاسلامي وبالتالي صارت زنجبار مركز اشعاع ثقافي وإداري وسياسي كبير. وبالتالي سارت اللغة العربية والسواحلية جنبا الى جنب مع النفوذ العماني في جميع المناطق التي وصل اليها نفوذ العمانيين في شرق افريقية(٧١).

أما الثقافة السواحلية في صورتها المطلقة والتي مانزال نجدها في الجزر والمناطق الساحلية وبعض الحواضر والمدن في أواسط افريقية، فتنعكس في العقيدة الاسلامية وأسماء الاشخاص والعادات والتقاليد والملبس والأزياء والعمارة والآداب والفنون والامثال وقبل هذا وذاك في اللغة، وهي لا تخرج عن كونها ثقافة افريقية عربية مسلمة. ومن ثم اصبحت كلمة سواحلي تطلق على كافة سكان الساحل الشرقي الذين تربطهم بالعالم العربي علاقات ثقافية وتجارية، وجل هؤلاء السكان كانوا قد اعتنقوا الاسلام وانسجموا مع نمط العيش والتقاليد العربية والاسلامية.

ومن الحقائق التاريخية المهمة والجديرة بالتسجيل ان انتشار اللغة السواحلية وتوغلها الى أواسط افريقية قد ارتبط بمرحلة النفوذ العماني في شرق افريقية وبخاصة في عهد السيد سعيد بن سلطان الذي أرسى قواعد الدولة البوسعيدية والتي جاء في ركابها الازدهار الاقتصادي الذي كان من أهم نتائجه تنشيط وانتظام الحركة التجارية وفتح الطرق الى داخل القارة الافريقية. وبالتالي كثرت وتعددت القوافل التي كان قوامها التجار والجند وخبراء الدرب والحمالون والعديد من القبائل الافريقية ذات المصلحة في هذا النشاط الاقتصادي. وكل هؤلاء ربطتهم لغة تخاطب مشتركة واحدة ألا وهي اللغة السواحلية، وهكذا فقد صحب حركة القوافل التجارية انتشار هذه اللغة الى أواسط افريقية(٧٣). هذا فضلا عن اسهام بعض العلماء العمانيين في اثرائها وتطويرها ضمن حركة النشر والتأليف التي شهدتها زنجبار وملحقاتها في هذه الفترة(٧٤).

وقد كان لهذا الدور والاسهام العماني في هذه الفترة نتائج ثقافية وفكرية وسياسية بعيدة المدى في التاريخ المعاصر، فاللغة السواحلية تعتبر من أهم اللغات المستعملة في افريقية اليوم حيث تحتل المكانة الثانية بعد اللغة العربية من حيث انتشارها وعدد الناطقين بها. انها اللغة القومية في جمهورية تنزانيا الاتحادية واللغة الرسمية في جمهورية كينيا، كما انها تستعمل على نطاق واسع في الجنوب الصومالي وأوغندا وفي المناطق الحضرية في رواندا وبوروندي وكذلك في شرق زائير وشمال موزمبيق وجزر القمر. ويقدر عدد الناطقين بها على اختلاف مستوياتهم باكثر من اربعين مليون نسمة. ولعل هذا التطور الملحوظ يفسر لنا المكانة العلمية التي اكتسبتها هذه اللغة في الدوائر والمراكز الاكاديمية في شتى بقاع العالم، حيث تدرس اللغة السواحلية اليوم في الجامعات ومعاهد اللغات في افريقية وأوروبا وامريكا وآسيا كما اتخذتها منظمة اليونسكو لغة عمل في نشراتها(٧٥).

هوامش وتعليقات البحث

(١) جمال زكريا قاسم : تاريخ العرب في افريقيا سبيل للتقارب ام للتباعد، بحث في كتاب «العرب في افريقيا : الجذور التاريخية والواقع المعاصر» اشراف د. رؤوف عباس حامد، (القاهرة - ١٩٨٧م) ص ٢٤ - ٢٥.

(٢) في محاولة لابراز الدور الحضاري العماني في شرق افريقية قام كاتب هذه السطور باعداد بحث عنوانه : «المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقية في ظل الدولة البوسعيدية». قدم للنشر في كتاب «عمان في التاريخ» وزارة الاعلام، مسقط ١٩٩٠م. وقد تمت المشاركة بهذا البحث في الندوة العلمية عن «التجربة العمانية في التنمية المعاصرة» والتي عقدت في القاهرة في الفترة ٥ - ٧ / ١١ / ١٩٩٠م. وتناول هذا البحث في جانب منه الاسهام العماني في بعض المجالات الثقافية والفكرية.

(٣) قامت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان بجمع المخطوطات والوثائق والكتب التاريخية النادرة التي تتعلق بالتاريخ العماني والاهتمام بدراسة هذا التراث وتحقيقه ونشره واقامة الندوات العلمية التي اشترك فيها عدد كبير من العلماء والمتخصصين من داخل السلطنة وخارجها مما ألقى الضوء على جوانب كثيرة من تاريخ عمان قديما وحديثا. وقد افاد هذا البحث من العديد من الكتب والدراسات التاريخية التي اصدرتها وزارة التراث القومي كما سيتضح في هوامش هذا البحث.

(٤) من أفضل المصادر التي تم الكشف عنها بجهود وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان والتي عالجت سيرة السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي والدولة البوسعيدية في شرق افريقية واسهم بها مؤلفون معاصرون للأحداث واعتمدوا على مصادر وثائقية عربية وألقت الضوء على الدور العماني في افريقية في مختلف المجالات مايلي :

(أ) المغيرى : «**جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار**» وقد قام بتحقيق الكتاب كل من الاستاذين عبدالمنعم عامر، طبعة أولى، (١٩٧٩)، ومحمد علي الصليبي، طبعة ثانية (١٩٨٦م).

(ب) الشيخ عبدالله بن صالح الفارسي : «**البوسعيديون حكام زنجبار**»، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة (١٩٨٢م).

(جـ) حميد بن محمد بن رزيق : «**الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**»، تحقيق عبدالمنعم عامر ود. محمد مرسي عبدالله ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. وقد أفرد ابن رزيق ملحقا كاملا تناول فيه سيرة السيد سعيد بن سلطان، يقع في مائة صفحة سماه «بدر التمام في سيرة السيد الهمام سعيد بن سلطان» أنظر صفحات ٤٥٦ - ٥٦٥.

(د) السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان : «**مذكرات اميرة عربية**»، ترجمة عبدالمجيد القيسى، وزارة التراث القومي والثقافة، (١٩٨٣).

(٥) ابراهيم الزين صغيرون: لمحات تاريخية عن انتشار الاسلام في أوغندا، **مجلة كلية العلوم الاجتماعية**، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، العدد السادس، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، صفحات ١٧ - ٣٩.

(٦) محمد احمد مشهور الحداد: حقائق تاريخية عن العرب والاسلام في افريقيا الشرقية، دار الفتح (١٩٧٣م)، صفحات ١٢٣ - ١٢٤.

(٧) عن الأثر الاسلامي للنشاط الاقتصادي لتجارة القوافل العمانية وفتح الطرق التجارية في منطقة البر الافريقي، أنظر بحثنا المنشور بالانجليزية في **مجلة كلية الآداب**، جامعة الملك سعود (الرياض ١٩٨٤م) وعنوانه كما يلي:

Soghayroun, I. E., Islam in East Africa. The Impact of the Introduction and Expansion of Islam: The Economic and Material Contribution, Journal of the College of Arts, King Saud University, Vol. II, No. 2, (1984), PP. 131-133.

(٨) سيد حامد حريز: المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرقي افريقية، (بيروت، ١٩٨٨)، ص ٢٠.

(٩) أنظر Gray, J. M., 'Ahmed bin Ibrahim: The First Arab to Reach Uganda,' Ugnada Journal, Vol. II, (1947); also Gray, J.M., 'Emin Diaries, Ext. 1, Uganda Journal, Vol. 25, No. 1, (1961), Entry tor August 11, (1876), P. 10.

(١٠) Apolo Kagwa, 'How Religion Came to Buganda,' Mengo Notes, Vol. 3, No. 5, (May, 1902).

(١١) ابراهيم الزين صغيرون: لمحات تاريخية عن انتشار الاسلام في أوغندا، ص٢٢.

(١٢) نفس المرجع، ص ٢٣.

(١٣) أنظر مجموعة دار الوثائق البريطانية الوثيقة:

Public Record Office (PRO).
Fo 403/109, Emin Pasha to Colonel Euan-Smith, Wadelai, August 20, 1887.

(١٤) أوردت وثائق جمعية الكنيسة التنصيرية ووثائق وزارة الخارجية البريطانية تقارير عن نشاط التجار العُمانيين ودورهم في انتشار الاسلام ومقاومة نشاط الارساليات التبشيرية النصرانية في أوغندا. وقد ترددت أسماء البعض من أمثال سليمان بن زاهر الجابري، ومسعود بن عبيد وسعيد بن سيف وآخرين وذلك في الوثائق الآتية:

C.M.S. Archives, G3A7/No. 28, Rev. 28, Rev. Walker to Mr. Lang, November 10, 1888.

F.O.81/1981, Mackay to Euan Smith from Usambiro, enclosed in Euan Smith to Salisbury from Aden, dated 28 November 1889.
F.O.81/1981, Mackay to Euan Smith from Usambiro, enclosed in Euan Smith to Salisbury from Aden, dated 28 November 1889.
(١٥) F.O. 403/97, Acting Consul-General Holmwood to the Marquis of Salisbury, Zanaibar, January 8, 1887; see also
F.O.403/127, Report by Mr. H.H. Johnston, Her Majesty's Consul on the Nyasa - Tanganyika Expedition 1889-90,
Note with Reference to the Arabs in Central Africa,
PP. 34-39.

(١٦) المغيري، المصدر السابق، ص ١٥٩.

(١٧) يواقيم رزق مرقص: العرب والكونغو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، بحث في كتاب «العرب في افريقيا: الجذور التاريخية والواقع المعاصر»، ص ٢٣٧.

(١٨) كوليت ميزون: هجرات الحرث الى اواسط القارة الافريقية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، العدد ٦١ (نوفمبر ١٩٨٤م)، ص ٨.

(١٩) الفارسي: البوسعيديون حكام زنجبار، صفحات ٧٣ - ٨٠، المغيرى: المصدر السابق، صفحات ١٦٦، ١٧٤.

(٢٠) Martin, B.G., 'Notes on Some Members of the Learned Classes of Zanzibar and East Africa in the Nineteenth Century' The International Journal of African Historical Studies, Vol. IV, Part 3, (1971), PP. 526-527.

(٢١) أحمد عيضة سالم The Swahili Speaking Peoples of Kenya's Coast, 1895-1965, (Nairobi, 1973), PP. 159-168.

(٢٢) الفارسي، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٢٣) الفارسي، نفس المصدر، ص ٩٠.

(٢٤) يعتبر الشيخ محمد بن علي بن محمد المنذري من أشهر القضاة الاباضية في زنجبار ومن مؤلفاته كتاب «الخلاصة الدامغة» في التوحيد، وتولى القضاء فترة طويلة امتدت منذ عهد السيد سعيد وحتى عهد خلفه السيد ماجد بن سعيد. وعند وفاته عام ١٣١٤هـ/١٨٦٩م أصبح أخوه الأصغر الشيخ عبدالله بن علي المنذري رئيسا للقضاء وتبوأ هذا المنصب الرفيع لفترة طويلة امتدت حتى بداية عهد السيد خليفة ابن حارب. هذا فضلا عن ابنه علي بن محمد بن علي المنذري الذي تولى منصب قاضي زنجبار. وقد كان للأخير مؤلفات في مجال التربية والتعليم منها «كتاب اختصار الأديان لتعليم الصبيان» الذي قامت وزارة التراث القومي والثقافة بنشره من ضمن اصداراتها في العدد رقم ٦٥، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. ومن المصادر التي تعرضت لهذا الدور في سيرة آل المنذري أنظر: الفارسي، المصدر السابق، صفحات ٧٣ - ٧٤.

(٢٥) كان الشيخ محيي الدين بن شيخ القحطاني من أبرز القضاة السنيين ومن العلماء والمستشارين في عهد كل من السيد سعيد بن سلطان وابنه السيد ماجد بن سعيد. وقد تعددت مواهبه في مجال الفقة واللغة والأدب العربي والسواحلي وذلك فضلا عن أعماله التاريخية ونقله للمستخلص النادر لمخطوط حولية كلوة «كتاب السلوة في تاريخ كلوة» المجهول المؤلف والذي يعتبر من المصادر الأساسية لتاريخ كلوة، المدينة الاسلامية والساحل في العصر الوسيط وذلك نسبة لضياع النسخة الأصلية. واشتهر الشيخ محيي الدين ايضا كشاعر مجيد من شعراء العربية والسواحلية. وتميز شعره بالناحية الوثائقية في تسجيل الوقائع والأحداث التاريخية كالقصيدة التي نظمها عن واقعه حصار القلعة والتي قام فيها السيد سعيد بن سلطان باسترداد ممباسة في الحرب التي دارت بينه وبين المزارعة وقد أورد هذه القصيدة كاملة الشيخ المغيرى في «جهينة الأخبار» وقد قام المستشرق الدكتور ليندون هاريس بجمع أشعاره السواحلية وقد عزا اليه الفضل في انتشار الشعر السواحلي ـ المنظوم على القوالب والأنماط الشمالية التي كانت شائعة في مركزها الكبير في لامو ـ الى زنجبار والمناطق الاخرى.

وللمزيد من التفاصيل عن سيرته أنظر:

(١) المغيرى : المصدر السابق، صفحات ١٣٠ ـ ١٣٣.

(٢) الفارسي : المصدر السابق، صفحات ٧٥ ـ ٧٧، ومن المراجع الأجنبية :

(1) Martin, B.G., Op. Cit., PP. 531-534.

(2) Lyndon Harries, Swahili Poetry, (Oxford, 1962), P. 13.

(٢٦) يعتبر الشيخ علي بن عبدالله المزروعي من مشاهير العلماء وقد تقلد قضاء ممباسة في عهد السيد ماجد بن سعيد (١٨٥٦ ـ ١٨٧٠) وكان قد جاور مكة المكرمة في آخر عمره ولازم أجلة علمائها. ويحدثنا ابنه الشيخ الأمين بن علي المزروعي بأن من مؤلفات والده المخطوطة «الدروع السابغة» و«السبل الواضحات في شرح دلائل الخيرات» و«مختصر في ذكر أسماء أهل بدر» و«شرح لطيف على شمائل الترمذي».

أنظر:

(١) مخطوط تاريخ المزارعة في افريقية الشرقية، تأليف الشيخ الأمين بن علي المزروعي، النسخة المحفوظة بالمكتبة المركزية لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، صفحات ٣ـ٤.

(٢) Martin, B.G., Op. Cit., pp. 536 - 537.

(٢٧) تتلمذ الشيخ عبدالعزيز الأموي على يد الشيخ محيي الدين القحطاني وقد عينه السيد سعيد بن سلطان قاضيا على كلوة ثم انتقل الى زنجبار عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م وظل قاضيا حتى عهد السيد علي بن سعيد (١٨٩٠ـ١٨٩٣م) وله عدة مؤلفات في التوحيد والفقه والشعر والطب وأدب الرحلات والتاريخ ولم

يصلنا أي منها لأنها لم تطبع. ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان الشيخ عبدالله الفارسي قد ذكر في تاريخه «البوسعيديون حكام زنجبار» أن السيد حمد بن ثويني سلطان زنجبار في الفترة (١٨٩٣-١٨٩٦م) قد طلب من الشيخ عبدالعزيز الكتابة عن تاريخ زنجبار في ظل الدولة البوسعيدية حتى عهده. وقد قام بهذا العمل بالصورة المرجوة الى درجة ان السيد حمد بن ثويني قد أشاد بهذا العمل ومنحه نيشانا من الطبقة الثالثة في ٢٧ شعبان ١٣١١هـ/٧ مارس ١٨٩٤م ولكن مما يؤسف له ان هذا الانجاز العلمي الهام لايزال مفقودا ولعل العثور عليه سيلقى المزيد من الضوء على التاريخ العُماني الحديث في زنجبار وشرق افريقية. انظر:
(١) الفارسي : المصدر السابق، صفحات ٧٧-٧٩.
(2) Martin, B. G., Op. Cit., pp. 537-538.

(٢٨) هو العالم العلامة والقاضي الفقيه والشاعر الأديب والصحافي اللامع كل هذه الصفات ترددت في المصادر والمراجع العُمانية التي تناولت سيرة الشيخ ناصر بن سالم ابن عديم الرواحي، عالم الشعراء وشاعر العلماء. وقد جاء في مقدمة «ديوان أبي مسلم» للشيخ سالم بن سليمان بن سالم بن عديم البهلاني ترجمة اضافية لحياة الفقيد الشيخ ابي مسلم، وقد ألقى فيها الضوء على اسهامه الكبير في مجال التأليف حين ذكر:

«. . . وله عدة مؤلفات بعضها مطبوع وبعضها بخط قلم يده، فمن مؤلفاته النثرية (نثار الجوهر) وهو كتاب جليل جزيل الفائدة حوى مهمات الأثر مشحونا بالأحاديث النبوية والأدلة العقلية بيد انه عاجلته الأيام قبل اتمامه ومنها (ألواح الأنوار وأرواح الأسرار) وهو كتاب . . . في طريقة الذكر على أحسن أسلوب ومنها (العقيدة في المذهب) جعل وضعها على سؤال تلميذ وجواب أستاذه وهي على أسلوب انيق . . . ومنها (النور المحمدي) و(الكنوز الصمدية في المفاخر المحمدية) الى غير ذلك من الرسائل الدينية. ومؤلفاته النظمية كثيرة جدا في أسماء الله الحسنى والمديح والأذكار فمنها (الوادي المقدس) وهو على قافية التاء وصدره بمقدمة في شروط الذكر به والتلاوة له ومنها (تخميس سموط الثناء) والأصل للقطب النوراني سعيد بن خلفان الخليلي . . . ومنها (الناموس الاسنى والمعرج الاسنى والباقيات الصالحات والكلم الطيب ومقدس النفوس والنفحة الفاتحة) في التوسل بأسماء الفاتحة وكثير من الأذكار جمعنا ما عثرنا عليه في ديوان سماه «النفس الرحماني في أذكار ابي مسلم البهلاني، . . .» أنظر «ديوان ابي مسلم» ص٤. اما اسهامه في مجال الصحافة فسيأتي في مكان آخر من هذه الدراسة. وفي ختام حديثنا عن مؤلفاته لابد من الاشارة الى اسهامه في مجال الكتابة التاريخية والمتعلقة بموضوع هذه الندوة حيث قام

باعداد كتاب يعتبر من المؤلفات النادرة القليلة التي وصلتنا عن تاريخ شرق افريقية وعنوانه :

« اللوامع البرقية في رحلة مولانا السلطان المعظم حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان بالأقطار الافريقية الشرقية» وقامت بنشره وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، العدد ٤٧، (سبتمبر ١٩٨٣م).

(٢٩) وهو عالم من أصل حضرمي تتلمذ على يديه اعداد غفيرة من الطلاب في زنجبار وجزر القمر. وقد ترعرع في مدينة لامو على الساحل الكيني ونال قسطا من التعليم في العلوم الشرعية في مكة المكرمة على ايدي مشاهير اساتذتها. وعن سيرته واسهامه في مجال التعليم في زنجبار وشرق افريقية أنظر مقدمة كتابه: «رحلة الأشواق القوية الى مواطن السادات العلوية» (القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩ - ١٩٤٠م) وتناول نشاطه العلمي في زنجبار ايضا الدكتور مارتن في حديثه عن علماء زنجبار في بحثه المشار إليه في الهوامش السابقة: (أنظر هامش رقم ٢٠).

Martin, B. G., Op. Cit., pp. 538-541.

(٣٠) وهو قاضي قضاة كينيا وشيخ الاسلام فيها وقد أسهم بنشاط واسع في مجال التعليم والدعوة الاسلامية والصحافة حيث يعتبر المؤسس الأول الذي أدخل الصحافة العربية لأول مرة في تاريخ الساحل الكيني عندما انشأ نشرة دورية أسماها «الصحيفة» وظهرت أول مرة في اكتوبر ١٩٣٠م وقد صدرت بالسواحلية ايضا وتعنى بالمسائل الدينية والسياسية والاجتماعية وأعقبها باصدار جريدة «الاصلاح» باللغتين العربية والسواحلية في شوال ١٣٥٠هـ/ الموافق فبراير ١٩٣٢م وقد أسهمت هذه الصحف في نشر الوعي في أوساط المسلمين وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم والوقوف ضد اعداء الاسلام وأصحاب المبادىء الهدامة هذا فضلا عن اهتمامه بالناحية التاريخية عندما قام بتأليف الكتاب المخطوط «تاريخ المزارعة في افريقية الشرقية» وقد احتوت مقدمة الكتاب على معلومات وافية عن نشاطه في كافة المجالات التي تعرضنا لها في ايجاز في هذه العجالة. ومن مؤلفاته كتابه في الفقه المسمى «هداية الأطفال» وهو من الكتب المقررة للتعليم في جميع مساجد شرق افريقية، فضلا عن ان له تأليفاً في التفسير. فهناك طبعة انيقة لتفسير سورتي الفاتحة والبقرة بالسواحلية وجاء عنوان كتاب التفسير كالآتي :

Sheikh Al-Amin Bin Ali Mazrui0 Tafsiri ya Qurani Tukufu
Al-Faatiha- Al Baqarah, (Nairobi, 1980).

أنظر ايضا دراسة الكتاب المخطوط والمشار إليه في هذا الهامش في: ابراهيم الزين صغيرون: «التراث العربي الاسلامي في شرق افريقية: دراسة اولية لمخطوط» تاريخ

المزارعة في افريقية الشرقية، تأليف الأمين علي المزروعي، **مجلة عالم الكتب**، المجلد السادس، العدد الثاني، (شوال ١٤٠٥هـ/يونيو ١٩٨٥م) صفحات ١٩٠ - ٢١٨.

(٣١) قامت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان بترجمة كتاب «البوسعيديون حكام زنجبار» الذي ألفه بالانجليزية الشيخ عبدالله بن صالح الفارسي وقام بالترجمة الى اللغة العربية الاستاذ محمد أمين عبدالله (١٩٨٢م)، أما كتاب «جهينة الأخبار» فقد قام بتحقيقه كل من الاستاذين عبدالمنعم عامر، طبعة أولى (١٩٧٩م) ومحمد علي الصليبى، طبعة ثانية (١٩٨٦م)، وزارة التراث القومي والثقافة.

(٣٢) وعن دور العلماء العمانيين وأثرهم في الجوانب العلمية والمعرفية أنظر التعقيب على بحث د. شوقي عطا الله الجمل وعنوانه «دور مصر وعمان الحضاري في افريقيا» وذلك في **حصاد ندوة العلاقات العمانية المصرية**، من ٢ الى ٤ مارس ١٩٩١م، المنتدى الأدبي، وزارة التراث القومي والثقافة، الجزء الثاني (يناير ١٩٩٢م)، صفحات ٢٠٠ - ٢٠٧.

(٣٣) حريز: المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية، صفحات ٥٧-٥٨.

(٣٤) أنظر مقدمة كتاب «جهينة الأخبار» للاستاذ عبدالمنعم عامر، صفحات (ق - ر).

(٣٥) مخطوط «تاريخ المزارعة في شرق افريقية» أنظر المقدمة بقلم العلامة المرحوم علي بن جعفر الوهط السقاف، من أهالي زنجبار. ص٥، أنظر ايضا: ابراهيم الزين صغيرون: التراث العربي الاسلامي في شرق افريقية: دراسة أولية لمخطوط تاريخ المزارعة في افريقية الشرقية، تأليف الشيخ الأمين بن علي المزروعي، **مجلة عالم الكتب**، المجلد السادس، العدد الثاني، الرياض، (١٩٨٥م)، صفحات ١٩٠-٢١٨.

(٣٦) المغيرى، المصدر السابق، ص ٢٥٢.

(٣٧) المغيرى، المصدر السابق، ص ٣٦٣.

(٣٨) المغيرى، المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(٣٩) قد أفرد الشيخ المغيرى حيزا مناسبا في كتابه للاشادة بأفضال وأعمال رجل البر والاحسان السيد حمود بن أحمد البوسعيدي خدمة للاسلام والمسلمين عندما ذكر:

«ان احسن ما ينبغي ان نزين به صفحات هذا التاريخ هو ذكر السيد المحسن الجليل، حمود بن احمد بن سيف البوسعيدي . . . فكان - رحمه الله - أفضل المتقدمين والمتأخرين من العرب، ان المآثر التي تقرب بها لوجه الله السيد حمود بن أحمد، والأوقاف الطائلة التي اوقفها من املاكه في سبيل البر والرحمة تدل على فضله وتقدمه على غيره.

فمن أعماله الجليلة المخلدة بيت الرباط الذي بمكة المشرفة، اشتراه من طيب ماله، وأوقفه لوفد الله القادمين الى حرمه وأمنه، لأداء فريضة الحج من أهل عمان وزنجبار، والذين هم على مذهبه القويم الاباضي، وبيت الرباط الذي بزنجبار، وأوقف أموالا بزنجبار وأراضي، تنفق غلتها على فقراء المسلمين بزنجبار، وهي من الصدقات الجارية الى الآن وبناؤه المعروف باسمه بزنجبار، وجعل له وقفا، ينفق منه طلبة العلم والمعلمون والقائمون فيه، وهو أغنى مسجد بزنجبار. (المغيرى، المصدر السابق، ص ٢٥٥).

(٤٠) المغيـرى : المصدر السابق، صفحات ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٤١) المغيـرى : المصدر السابق، ص ٣٢٤.

(٤٢) المغيـرى : المصدر السابق، صفحات ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(٤٣) المغيـرى : المصدر السابق، صفحات ٣١٠ ـ ٣١١.

(٤٤) الأمير بدر بن نوح وهو زعيم المسلمين فى أوغندا في تاريخها المعاصر وقد ورث هذا المنصب بجدارة عن والده الامير نوح المتوفي عام ١٩٢١م، والذي يعتبر اول زعيم مسلم تولى الاشراف على شؤون المسلمين في تاريخ اوغندا الحديث. وقد قام الامير بدر بجهـود كبـيرة في مجال تعليم المسلمين والحفاظ على هويتهم وشخصيتهم في ظروف تاريخية صعبة. وقد كانت زنجبار وملحقاتها في الساحل الشرقي دائما تمثل النموذج الذي يحتذى به خاصة في مجال التعليم الاسلامي سواء عن طريق ابتعاث الـطلاب او التـزود بالكتب الدينية التي اسهم بها علماء زنجبار والساحل خاصة المـراجـع الاسـلامية المكتـوبة بالسواحلية لتعليم ابناء المسلمين مبادىء الاسلام وتعاليمه الصحيحة سواء في العبادات، وتفسير القرآن الكريم، والحديث وفي جميع مهمات أبواب الفقه، ومن المصادر والمراجع التي تناولت الدور الذي قام به كل من الأمير نوح وابنه الأمير بدر أنظـر:

(1) Entebbe Archives, S.M.P., No. 6770, Native Affairs, Noah Mbogo: The First Muslim Leader, March, 1921. (2) Suleiman, I. Kiggundu and Isa K.K. Lukwago: The Status of the Muslim Community in Uganda, journal Institute of Muslim Minority Affairs, King Abdulaziz University, Vol. IV, Nos. 1, 2, Jeddah (1982), pp. 123-129.

(٤٥) الاستاذ ابو بكر ميانجا من الشخصيات الاسلامية البارزة في أوغندا، وهو محامٍ متمـرس تخرج من جامعة لندن واصبح وزيرا في عدد من الحكومات الوطنية بعد الاستقـلال وتـولى مهمة الدفاع عن حقوق المسلمين في البلاد وشارك في مخاطبة

وتـوجيه مؤتمـرات الطلاب المسلمين. أنظر كلمته المنشورة في مجلة اتحاد الطلاب المسلمين الأوغنديين في أول مؤتمر يعقد للشباب الاسلامي في كمبالا في عام ١٩٦٣م:

Mayanja, A., 'The Report of the First Muslim Youth Conference, 1963', **U.M.S.A. Magazine,** (Kampala, 1964), P.4.

(٤٦) هو الشيخ شعيب سيماكـولا، وقـد كان مفتي المسلمـين في أوغنـدا ومن الشيوخ البارزين في مجال الدعوة الاسلامية.

(٤٧) الشيخ علي كولـومبـا. من الشخصيات المسلمـة البارزة ايضا وله اسهام في مجال التأليف والكتابة عن تاريخ الاسلام في بلده، كما له كتاب مختصر آخر بمثابة مرشد ديني عن اركان الاسلام ومزود بالشرح وقد كتبت هذه الكتب باللغة اللوغاندية لأنها موجهة في المقام الأول للمسلمين في اقليم بوغندا ومصحوبة بترجمة للانجليزية. توجد نسخ من الكتابين في مكتبة جامعة ماكريرى في كمبالا عاصمة أوغندا.

(٤٨) محمـد مشهـور الحـداد : حقـائق تاريخيـة عن العـرب والاسـلام في افـريقيـة الشرقيـة، ص ٩٠.

(٤٩) حريـز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية، ص ٨٥.

(٥٠) المغيـرى : المصـدر السابق، ص ٢٣٣.

(٥١) السـالمي : تحفة الاعيان بسيرة أهل عُمان، الجزء الثاني، ص ١٨٥.

(٥٢) جريدة عُمان : الملحق الثقـافي، ٨ ذو القعـدة ١٤١١هـ/٢٣ مايو ١٩٩١م، الصحافة العمانية في زنجبار: قراءة في الحضور العماني وتأثيره في شرق افريقيا، اعداد الاستاذ عبدالله بن سالم الحارثي، ص ١٢.

(٥٣) جريدة عُمـان : نفس العدد، ص ١٢.

(٥٤) أحمـد الفـلاحي : التأليف والنشر في عُمـان، **مجلة عالم الكتب**، المجلد الثالث، العدد الرابع، (الرياض، ١٩٨٣م)، ص ٥٩٥.

(٥٥) أحمـد عيضـة سـالم :

The Swahili Speaking Peoples of Kenya's Coast, pp. 159-168.

(٥٦) جريدة الفلق، زنجبار في ٢٥ ذي القعدة ١٣٤٧هـ/٦ مايو ١٩٢٩م، ص ١.

(٥٧) مقـدمة « ديـوان ابي مسلـم » للشيخ سـالم بن سليمان بن سـالم بن عديـم البهـلاني، ص ٣.

(٥٨) مقدمة مخطوط «تاريخ المزارعة في افريقية الشرقية»، ص ٥.

(٥٩) جريدة الفلق، زنجبار في ٢٥ ذي القعدة ١٣٤٧هـ/٦ مايو ١٩٢٩م، ص ٢.

(٦٠) جريدة زنجبار، زنجبار في ٢٥ رمضان ١٣٤٩هـ/١٤ فبراير ١٩٣١م، صفحات ٢ ـ ٣.

(٦١) جريدة النجاح، نقلا عن «ديوان ابي مسلم» للشيخ سالم بن سليمان بن عديم البهلاني، ص ١١٣. وقد نظم الشيخ ابو مسلم الرواحي هذه القصيدة يجيب فيها عمر لطفي المصري عن قصيدة نشرها بجريدة النجاح. وقد كان مطلع قصيدة الشيخ ابي مسلم:

لبيك يا صوت المعالي لقد اسمعت أحياء الرجال

أجابك سادة نجب كرام طوال العزم بالبيض الطوال

(٦٢) مجلة الهلال، الجزء العاشر، ٩ جمادى الأولى ١٣٢٤هـ/١ يوليو ١٩٠٦م، ص ٥٧١.

(٦٣) جريدة زنجبار، ٢٥ رمضان ١٣٤٩هـ/٦ مايو ١٩٢٩م، ص ٢.

(٦٤) الشيخ عامر بن علي بن عمير المرهوبي: ندوة رأس الخيمة التاريخية بعنوان: «الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق افريقية» (١٩٨٧م)، الجزء الأول، ص ٢٠.

(٦٥) جريدة الفلق، زنجبار في ٣ رجب ١٣٥٨هـ/١٩ أغسطس ١٩٣٩م، نقلا عن سيد حامد حريز: «المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق افريقية» صفحات ٩٥ ـ ٩٧. أما تقرير الخبير البريطاني المستر ولسون المشار اليه والخاص بالتعليم في زنجبار والخيارات المطروحة في استخدام اللغتين العربية والسواحلية المكتوبة ـ اما بالحروف العربية أو الحروف الرومانية ـ وسياسة الادارة البريطانية في هذا الصدد فقد اطلعنا عليها في مجموعة دار الوثائق البريطانية في الوثيقة التالية:
F.O. 403-396, Foreign Office to Mr. Sinclair, No, 309, Foreign Office, November 16, 1908.

(٦٦) يواقيم رزق مرقص: العرب والكونغو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، بحث في كتاب: «العرب في افريقيا»، ص ٢٣٧.

(٦٧) ابراهيم الزين صغيرون: «المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقية في ظل الدولة البوسعيدية»، ص ٤١، كوليت ميزون: هجرات الحرث الى أواسط افريقية، ص ٨.

(٦٨) جريدة عُمـان: ٨ ذو القعدة ١٤١١هـ/٢٣ مايو ١٩٩١م «الصحافة العمانية في زنجبار» ، ص ١٢ .

(٦٩) جريدة عُمـان: نفس العدد، أنظر الحديث الذي أدلى به الاستاذ احمـد بن محمد ابن ناصر بن سليمان اللمكي، ص ١٢ .

(٧٠) أنظر ما جاء في كتب الرحالين الأوروبيين في الآتي :

(1) Col. C. Chaille Long, Central Africa, (London, 1976), P. 106.

(2) Gray, J.M., The Diaries of Emin Pasha, Extract II, **Uganda Journal,** Vol. 25, No. 2, (1960-1861), p. 159.

(٧١) حريـز: المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية، صفحات ٨٨-٨٩ . وقد كان للعلماء العمانيين دور ملحوظ في تطوير اللغة السواحلية في كتاباتهم نثرا وشعرا . ومن العلماء الـذين برعـوا في هذا المجـال كل من : الشيخ محيي الـدين القحطاني، الشيخ عبدالعزيز الاموي، الشيخ سليمان بن محمد العلوي، الشيخ عبدالله بن صالح الفـارسي، الشيخ محمـد الخـروصي، الشيخ قاسم بن خلفان المزروعي، الشيخ الأمين بن علي المزروعي، والشيخ شعبان بن صالح الفارسي . وأما الشيخ العلامة والشاعر أبومسلم الرواحي فقد ابدع في تطوير السواحلية الى درجة انه يعتبر اول أديب في افـريقية استطاع ان يأتي بشعر عربي ينتهي بقافية سواحلية دون سقوط الوزن الاصلي كما هو معروف في علم العروض . ومن الأمثلة التي وردت في المراجع المحلية هذه الأبيات من قصيدة نظمها معاتبا خادمه وهي تقف شاهدا على تمكنه من اللغتين العربية والسواحلية وموهبته الشعرية كما تعبر عن هذا التمازج والتواصل بين الثقافتين العربية والسواحلية . وقد جاء في القصيدة هذه الأبيات الشعرية التي تعتبر من الطرائف والملح الأدبية :

« الروح الشريرة »

ياخميسا يامهوكـا . . . . لا تقل اني مشوكا (تعبـان)

كلما أدعوك دومـا . . . . قيل لي هاكوكتوكا (خرج غير موجود)

كل وقت أنت عـــن . . . . خدمة بيتي وتروكا (تهـرب)

أنظـر :

(١) علي بن محمد الطيواني: العمانيون ودورهم في تطوير اللغة السواحلية، جريدة **عُمـان**، العدد ١٤٠٨، السبت غرة رجب ١٤٠٥هـ/٢٣ مارس ١٩٨٥م .

(2) Martin, B.G., Op. Cit., pp. 525-545.

(٧٢) حريـز: الثقافة السواحلية: أصولها ومقوماتها وتطورها. بحث في كتاب: «العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الافريقية» (تونس، ١٩٨٥م)، ص ١٥.

(٧٣) حريـز: المؤتمرات العربية في الثقافة السواحلية، ص ٤٤.

(٧٤) وعلى سبيل المثال فان من اغزر العلماء تأليفا بالسواحلية الشيخ العلامة عبدالله بن صالح الفارسي الذي تبوأ منصب قاضي القضاة في كينيا. وقد أسهم بعدد وافر من الكتب الدينية والثقافية والتي لاتزال منتشرة في كل مناطق شرق افريقية وقد ركزت على جوانب ترسيخ العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين في مجال التفسير والعبادات والفقه هذا فضلا عن الجوانب التاريخية والأدبية. ومن هذه المؤلفات مايلي:

(١) تفسير القرآن الكريم (1) Tafsiri ya Kuran Takatifu (Translation of the Holy Quran)

(٢) تفسير سورة الكهف وأحكام صلاة الجمعة

(2) Tafsiri ya Surat Al Kahf na Hukumu ya Sala ya Ijumaa, (Translation of Surat Al Kahf and Conditions Governing Ijumaa Prayers).

(٣) سور قصار المفصل من القرآن الكريم للقراءة في الصلوات:

(3) Sura za Sala na Tafsiri Zake.
(Small Chapters from the Holy Quran Frequently Recited When Saying Prayers).

(٤) تفسير بعض السور من القرآن الكريم: سور يس، الواقعة والملك

(4) Tafsiri ya Baadhi ya Sura za Kuran : Yaasin, Waaqi'a, Mulk.
(Translation of Some Suras from the Holy Quran: Yaasin, Waaqi'a, Mulk).

(٥) تاريخ السيرة النبوية

(5) Maisha ya Nabii Muhammad
(The Life of the Holy Prophet Muhammad).

(٦) تاريخ السيد سعيد بن سلطان حاكم عمان وزنجبار.

(6) Maisha ya Sayyid Said Bin Sultan. (The Life Story of Sayyid Said Bin Sultan: The Joint Ruler of Oman and Zanzibar).

(٧) تاريخ وتراجم بعض كبار علماء المسلمين في شرق افريقية.

(7) Maisha ya Baadhi ya Mashekhe wa Mashariki ya Afrika. (The Life Stories of Some Great Muslim Scholars in East Africa)

(٨) شـعائر الصـلاة.

(8) Utukufu wa Sala na Namna ya Kuisali (The Fundamental Importance of Prayers and their Right Performance)

(٩) شـعائر الصـوم.

(9) Saumu na Maamrisho Yake
(Fasting and Rituals Governing its Right Performance).

(١٠) أحكـام الـزواج.

(10) Ndoa na Maamrisho Yake
(Marriage Ceremony and its Rituals).

(١١) معجزة الاسراء والمعراج .

(11) Kisa cha Miiraj
(The Miracle of Israi and Miiraj).

(١٢) أحكـام المواريث في الاسـلام .

(12) Urathi
(The Islamic Law of Inheritance).

(١٣) وفي مجال الكشف عن أصحاب المبادىء الهدامة التي استهدفت الاسلام فله كتاب عنوانه : «بيان التحريف في تفسير القاديانية للقرآن الكريم» .
(13) Upotefu wa Tafsiri ya Makadiyani (Explanation on the Distortion of the Translarion of the Holy Quran by the Qadiyanis).

(١٤) تعليم الفرائض الاسلامية .

(14) Mafunzo ya Dini

(The Teaching of Islamic Obligations)

ومن العلماء العمانيين الذين أسهموا في تطوير اللغة السواحلية وثقافتها والاهتمام بجمع تراثها اللغوي والتاريخي والأدبي ما قام به الشيخ شعبان بن صالح الفارسي . ومن مؤلفـاته التربوية الواسعة الانتشار في المعاهد والمؤسسات التعليمية في شرق افريقية مايـلي :

(أ) الأمثال السواحلية في زنجبار.
(ب) تعبيرات اصطلاحية سواحليـة
(جـ) روايات تاريخية عن زنجبار

(1) Swahili Sayings from Zanzibar
(b) Swahili Idioms
(c) Zanzibar Historical Accounts

ومن ضمن القصص التي احتواها هذا الكتاب :

(١) زنجبـاري يـروي قصـة حيـاتـه

(1) Mzanzibari Asimlia Hadithi Yake (A Zanzibari relates his Story).

(٢) الأثـر الاسلامي في شرق افريقية

(2) Islamic Influence in East Africa.

(٧٥) ومن الدراسات التي تناولت «اسهام اللغة العربية في تطور اللغة السواحلية» وقد أبرزت المجالات التي أسهم بها العمانيون بصفة خاصة ، تلك التي قام باعدادها الاستاذ الدكتور هـ. م. باتيبو الاستاذ بجامعة دار السلام في تنزانيا. وقد نشر هذا البحث في مجلة «الاسـلام اليوم» التي تصدرها المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم ، العدد الثاني ، (الرباط ، ١٩٨٣م) وعنوانه بالانجليزية :
Batibo, H.M., "Contribution of the Arabic Language to the Development of Kiswahilil".

الوجود العماني وأثره في ازدهار العربية في شرق افريقيا(*)

بقلم : الدكتور أحمـد درويـش

أيها الحفـل الكريـم :

أسعد الله بالخير والمودة امسياتكم وأيامكم وبارك في مجالس العلم والمعرفة والأدب في هذا البلد الطيب الأمين الذي يجسد من خلال اهتمامه المتواصل بمناقشة القضايا الأدبية والفكرية جادا متطلعا الى المعرفة محبا لها، مواصلا لاداء رسالة نبيلة نهض بأعبائها أجيال من الرواد الذين اضاءوا جوانب كثيرة من مجالات الفكر والمعرفة الأدبية تعتز بها العربية وتاريخها.

واذا كان حديثنا اليوم عن ازدهار العربية لغة وادبا وفكرا في الجزء الشرقي من قارة افريقيا وعن دور الرواد العمانيين في التمهيد لهذا الازدهار وحمايته وحمل رايته قرونا عديدة، فإن هذا الحـديث نفسه ربما يكشف لنا بعضا من جوانب القصور في اهتمام أبناء العربية بلغتهم وأدبهم، واهمال كتابة جوانب من تاريخها مشرقة وناصعة، والواقع ان حظ العربية مع ابنائها لا يخلو من غرابة دافعة للتأمل؛ فالعربية ـ من بين كل لغات الأرض ـ لغة كتب لها البقاء والخلود بارادة السماء لانها لغة الذكر الذي قال عنه خالق الكون: «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون»، وليست هذه مجرد بشارة دينية، ولكنها واقع تاريخي فلا توجد بين لغات العالم اليوم على كثرة عدد أهلها وعدتهم ورسوخ اقدام كثير منهم في عالم الحضارة، لا توجد لغة تضارع العربية طول عمر، ولا تنافسها صلابة بقاء، غير ان هذا الوعد بالخلود كان يتطلب ومازال جهدا من ابناء هذه اللغة للمحافظة عليها، والرقي بها، والانتقال معها ومن خلالها الى آفاق العالم، وتدوين تاريخ انتصاراتها لتتشربه الأجيال الصاعدة فتزداد اعتزازا بتراث الأجيال السابقة، وهذا النوع من المجهود لاشك اننا جميعا مطالبون به ولاشك اننا جميعا، من خلال الركون الى بعض المسلمات، مقصرون في القيام ببعض اعبائه.

من بين هذه المسلمات، الربط بين اللغة العربية وبين شبه الجزيرة العربية والاعتقاد من ثم بان هذه اللغة جزء من خواص سكان هذه المنطقة دون من عداهم، او على الاقل انهم اولى بها ممن عداهم وهذا الاعتقاد حرص التراث الاسلامي منذ فترة مبكرة على تصويبه وتصحيح مساره، فقد جاء في الأثر: «ليست العربية من احدكم بأمه وأبيه، ولكن العربية

(*) القي البحث في ندوة (العمانيين ودورهم الحضاري؟ والريادي في شرق افريقيا والتي اقامها المنتدى الأدبي في الفترة من ٢٨ ـ ٢٩/٩/١٩٩٢م.

لسـان فمن تكلم العـربية فهو عربي»، يصحح نعرة كانت المبالغة تؤدى بها في كثير من الاحيان الى ان يبالغ أهل شبه الجزيرة انفسهم في مـدى قربهم من العربيـة فيزعم كل فريق منهم انه اصح من الآخر لسانا وانصع بيانا، ثم جاء الواقع الثقافي والفكري الذي انتشر مع نور الاسلام، وحمل فيما حمل، المساواة التامة بين ابناء هذا الدين لكي يثبت ان هناك شعوبا اخرى من خارج شبه الجزيرة تستوعب هذه اللغة وتحبها كما يحبها العرب الخلص، بل وينبغ من ابناء هذه اللغة علماء في العربية ذاتها نحوها وصرفها وبيانها وادبها، ويعبرون قادة وروادا في مجال تعلم العربية وتعليمها، وهل هناك اصح بيانا من عبدالله بن المقفع الـذي كان اسمه عندما ولد وحتى شبابه «روزبه بن دازيه»؟! وهل هناك من استوعب دروس الخليل بن احمد من تلامذته اكثر من تلميذه الفارسي «سيبويه؟! وهل تعرف البلاغة العربية شيخا لها ارسخ قدما في فنونها وعلومها من عبدالقاهر الجرجاني؟! وكلهم ممن تعلم العربية لسانا وليس ميراثا.

واذا كانت العربية قد ازدهرت على السنة هؤلاء العلماء من غير العرب فقد ازدهرت ايضا على ألسنة شعوبهم وشعوب اخرى لم تكن «عربية» من خلال «النسب» وانما أصبحت عربية اللسان، ومثلت هذه الشعوب سواء وجدت في قارة آسيا أو افريقيا أو أوروبا في بعض الاحايين، مثلت امتدادا حيا نابضا للعربية وازدهارا للاسلام، وساهم كثير من أبناء هذه الشعوب في نهضة الأدب العربي.

ولقد عرف تاريخ الادب العربي فصولا مشرقة من اسهامات الشعوب التي تقع على أطراف العالم العربي والاسلامي لعل ابرزها فصول «الأدب الأندلسي» التي قدمت صورة للأدب العربي في أوروبا الاسلامية وهي صورة استفاد منها الأدب العربي في مسيرة تاريخه العام حتى عرف اعلاما بارزين كابن زيدون وابن خفاجة وابن هانىء وابن شهيد وابن رشد وابن عربي وغيرهم من اعلام الأدب والفكر العربي في القارة الأوروبية.

وعرف الأدب العربي فصولا مماثلة في القارة الآسيوية ممثلة في نتاج شعراء «المشرق» في العصرين الأموي والعباسي في خراسان وإيران وما وراء النهر وغيرها من بلاد العالم الاسلامي.

لكن الأدب العربي في افريقيا لم يجد القدر اللائق به من الاهتمام والرعاية والتسجيل مع انه من الناحية التاريخية سجلت العربية ظهورا مبكرا على الشاطىء الشرقي لافريقيا يمتد الى ما قبل الاسلام بكثير، وظل هذا الوجود حيا نابضا الى اليوم وكان لعمان دور بارز في تقوية هذا الوجود ومد جسر قوي ثابت بين جنوب الجزيرة العربية وشرق افريقيا.

كانت رحلة الشتـاء والصيف التي ذكرها القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿لايلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت، الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ واحدة من النعم التي منّ الله بها على عرب الجزيرة، وكان الواقع الفعلي

لهذه النعمة هو وجود رحلات تجارية منتظمة بين جنوب الجزيرة وشرق افريقيا تساعد عليها الرياح الموسمية التي تدفع السفن في فصل الخريف، في اتجاه الجنوب الغربي، فتصل في سهولة الى سواحل افريقيا الشرقية ثم تعود بها في فصل الربيع متجهة الى الشمال الشرقي فتصل بها الى «بر العرب» قادمة من «بر الزنج» أو «زنج بر» التي تحولت الى (زنجبار).

وكان هؤلاء التجار العرب يقيمون علاقات قوية مع أهالي الساحل الافريقي، ولقد سجل احد المؤرخين اليونانيين في القرن الأول للميلاد المسيحي ظاهرة ازدحام الشاطىء الافريقي بالسفن العربية، واختلاط العرب بالسكان والتزاوج معهم، وان بعض زعماء الساحل كانوا يدينون بالولاء لامراء حمير وجنوب الجزيرة العربية.

وهذه الصلة التاريخية القديمة جعلت عرب شمال الجزيرة فضلا عن عرب جنوبها، على صلة قوية بشرق افريقيا، ولم يكن اختيار السابقين الى الاسلام للحبشة لكي تكون وجهتهم في الهجرة الاولى، إلا تعبيرا عن هذه الألفة، ولم تكن مطاردة قريش لها، وارسال وفد من زعمائهم ممن عرفوا بأنهم من «أصدقاء» ملك الحبشة إلا إكمالا للصورة، واشارة الى سهولة الحركة وحريتها من قلب الجزيرة الى شرق افريقيا.

غير ان موقع عمان، وطبيعة الاحداث التى مرت بها الدولة العربية في القرن الاول، جعل التأثير العماني يركز في شرق افريقيا من خلال الهجرات التي اخذت شكلا جماعيا وربما كان اكبرها تلك التي حدثت على عهد عبدالملك بن مروان حين حاول الحجاج الثقفي مهاجمة عُمان بعد مرات متواصلة من الفشل لجيوش الأمويين، وكان لكبر جيش الحجاج وسمعته المعروفة في القسوة والفتك أثر في تحرك كثير من أهل عُمان بقيادة سليمان وسعيد ابني الجلندى في اتجاه شرق افريقيا، مرسخين بذلك الوجود العربي الاسلامي في هذه البقاع وهو وجود مهدت له وسهلته العلاقات التجارية العربية الافريقية عبر قرون عديدة.

وربما كانت هجرة العمانيين المكثفة الى شرق افريقيا هي التي لفتت نظر الدولة الاموية، الى الأهمية الاستراتيجية لهذه البلاد، ودفعهم ذلك الى الاهتمام بها وارسال وفود اليها ويبدو ان الامويين في بعض المراحل، ارسلوا نفرا من «القصاصين» وهم الذين يقومون بما تقوم به «وسائل الاعلام» الحديثة من الدعاية السياسية، ولقد روج هؤلاء من خلال القصص والحكايات لأسماء اعلام الأمويين وعلى نحو خاص لشخصية عبدالملك بن مروان الذي يبدو انه ذاعت شهرته في شرق افريقيا في هذه المرحلة، وهو ذيوع يدلنا عليه ما حدث بعد ذلك بنحو قرن، عند ما أرسل العباسيون في عهد هارون الرشيد «عيونهم» الى شرق افريقيا وعندما علموا بكثرة حديث الناس عن عبدالملك بن مروان، شجع الرشيد موجات اخرى من المهاجرين الى هذه البقاع وقد وصلت سفنهم الى زنجبار محملة بأحاديث ترويها عن بني العباس وأمجادهم.

وهكذا كان التنافس بين الجماعات العربية على الشهرة في شرق افريقيا عاملا من عوامل ترسيخ الوجود العربي، واللسان العربي في هذه البقاع في القرنين الأول والثاني الهجري، غير ان الهجرات العمانية لم تتوقف خلال المراحل التاريخية المختلفة سواء في صور فردية او جماعية ففي القرن الرابع الهجري تمت هجرة عمانية قادها سبعة من الأخوة من قبيلة الحرث وهبطوا على الساحل الشرقي لافريقيا عند شاطىء بنادر، وامتد نفوذهم حتى شاطىء ممباسا.

وكانت هناك هجرة عمانية اخرى تمت في القرن السابع الهجري وقادها النباهنة ونزلوا في بات، وتزوج سليمان النبهاني من أميرة سواحلية هي ابنة اسحاق من سلالة الشيرازيين حكام كلوة ثم تنازل له اسحاق عن الحكم، وبذلك أصبح أول حكام آل نبهان في شرق افريقيا.

وظل الوجود العماني في نمو متصل بشرق افريقيا، وكان للدور البارز الذي لعبه اليعاربة في الدفاع عن الشرق الاسلامي ضد اطماع البرتغاليين اثر بارز في ارجاء افريقيا كلها وعلى نحو خاص في شرقها، فقد توالت الدعوات من امراء الافارقة تطلب من اليعاربة الحماية والمساعدة في طرد البرتغاليين وقد آلت المناطق الرئيسية في ممباسة وكلوة وبمبا وغيرها الى الامبراطورية العُمانية التي اخذت تتوسع في عهود اليعاربة والمزاريع والبوسعيديين حتى اصبحت اكبر دولة تمد جناحيها على قارتي افريقيا وآسيا وتمثل مركزا متقدما للحضارة الانسانية من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين الميلادي.

أيها الحفل الكريم ..

لقد ساعد الوجود العماني في شرق افريقيا الثقافة العربية دون شك في ان تكتسب موضعا متميزا في قارة افريقيا، وهو موضع تقدمت من خلاله الدعوة الاسلامية في ارجاء القارة العذراء، وتقدمت من خلاله كذلك اللغة العربية، لكي تحدث اتصالا خصبا مع اللغات الافريقية ولغات الساحل خاصة، ولكي تتشكل لغة كالسواحلية تكتب بحروف عربية، وتكتسب مكانة هامة في القارة الافريقية تجعلها اللغة الثانية في قارة افريقيا، وتجعلها لسان التعامل الرئيسي لكثير من شعوبها.

ولا شك ان التقاء العربية بالسواحلية في شرق افريقيا احدث ألوانا عديدة من التأثر في كلتا اللغتين، وتلك ظاهرة عرفتها اللغة العربية عندما التقت بلغات اخرى مثل اللغة الفارسية في أرض الرافدين واللغة الاسبانية القديمة في الأندلس واللغات الآسيوية العديدية في شبه القارة الهندية وما وراءها، والكشف عن هذه التأثيرات ومدى عمقها وامتدادتها في النتاج الأدبي يدخل في طبيعة فرع كفرع الأدب المقارن الذي يمكن ان يجد كثيرا من الظواهر المفيدة في شرق افريقيا عندما يدرس العلاقة بين العربية وبين اللغات الأصلية لهذه المنطقة.

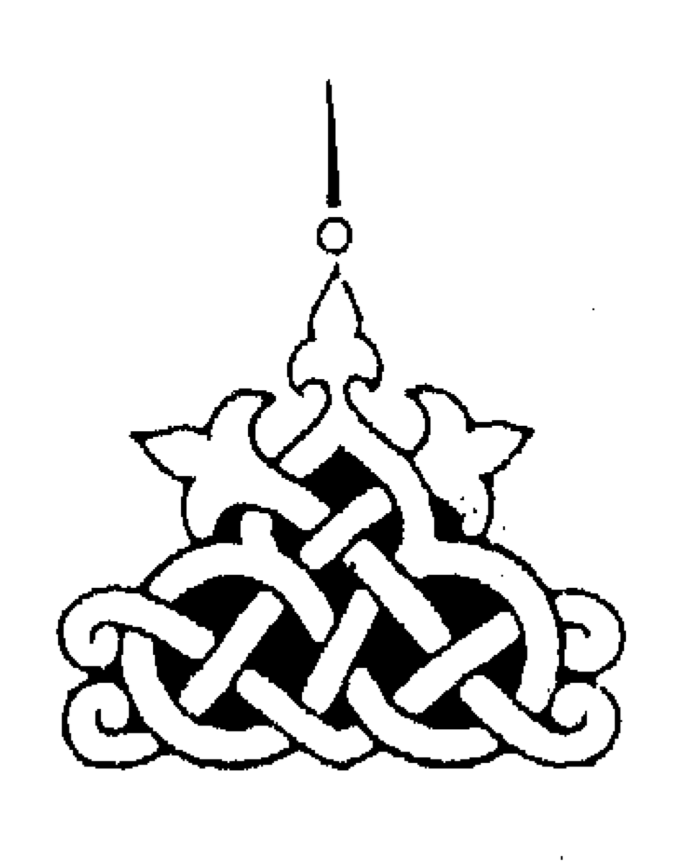
على اننا اذا تجاوزنا ذلك الى تاريخ الأدب العربي في شرق افريقيا فإننا سوف نجد أنفسنا امام غابة عذراء تحتاج الى كثير من الجهد لجمع ثمارها وعرضها والافادة منها، وربما كان كتاب جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار، للشيخ سعيد بن علي المغيري وتحقيق الاستاذ محمد علي الصليبي، واحدا من المصادر النادرة التي تساعد على اعطاء صورة عن قوة العربية وتغلغلها في نفوس عامة الناس وخاصتهم، وعن بلوغ الأدباء العمانيين في شرق افريقيا مبلغا رفيعا في التعبير بها، وعن اتخاذ الشعر زينة تزدان بها القلاع والحصون والسيوف وتسجل بها الوقائع والانتصارات والمناسبات المختلفة وليست الاشعار التي تُروى لسليمان بن ناصر اللمكي، ومحمد بن مسعود الصادقي وخلف بن سنان الغافري وبشير بن عامر النزاري ومحيي الدين بن شيخ القحطاني ويحيى ابن خلفان الخروصي والشيخ ناصر بن سالم بن عديم الرواحي، وعبدالرحمن الريامي، والشيخ احمد بن راشد الغيينى، وغيرهم كثيرون، ليست هذه الأشعار إلا نماذج لانتاج أدبي راقٍ، يخشى ان يكون قد ضاع معظمه، أو أن يكون عرضة للضياع، اذا لم تتداركه الأيدي الحانية فتجمع شتات مخطوطاته وتعيد تنظيمها، واخراجها الى الوجود بأسلوب علمي منظم.

إن مناخا أدبياً ينبغ فيه شاعر كأبي مسلم البهلاني، لهو مناخ يحمل دلائل الصحة والنضج، فأبو مسلم يعد بكل المقاييس، واحدا من شعراء العربية البارزين في القرنين التاسع عشر والعشرين، وهو يمثل لونا من الثقافة العريقة الشاملة، التي تدخل في مكوناتها علوم الدين بفروعها المختلفة تبحرا وتعمقا، وعلوم اللغة والأدب بآفاقها الواسعة تنوعا وتعددا، ومن الطريف ان هذه الفروع كلها لا تتصادم في نفسية الشاعر بقدر ما تتكامل وان التعبير الشعري يساعده في كل موقف بما يليق به، فلا يغلب عنده جفاف لغة الفقة ومنهج تصنيف المتون ونظمها، على رقة لغة الشعر وطواعية صورها واخيلتها، ومن هنا فإن شعر أبي مسلم أرضى كثيرا من الطبقات، وكثيرا من الاجيال، وقدم خامة فنية جيدة مازالت تنتظر المزيد من الدراسة للكشف عن جوانبها المختلفة.

وليست المجهودات في مجال الانتاج النثري في أدب شرق افريقيا بأقل تنوعا وغنى، ويكفي ان يكون هناك سبق في مجال الصحافة فتصدر جريدة [النجاح] في شرق افريقيا على يد ابي مسلم قبل عقود من معرفة الصحافة في كثير من ارجاء العالم العربي.

ولاشك ان هناك مقامات كتبت ومؤلفات دونت، وصحائف حبرت، ودواوين سطرت، وان كثيرا منها مازال حبيس خزانات البيوت، يتبادلها الناس إرثا، ويبالغون في الحرص عليها مبالغة قد تلحق بها الضر ر كله.

والأمل معقود الآن على الهيئات الثقافية في سلطنة عُمان، لكي تضع خطة علمية مدروسة للبحث عن تراث العربية في شرق افريقيا، ما استقر منه هناك، وما وفد مع الوافدين الى الوطن الأم، وان تعيد غربلة هذا التراث، وتحقيقه، وشرحه، وتقديمه الى قراء العربية، لتجلو بذلك صفحة ناصعة من صفحات الأدب العربي في المهجر الأفريقي تدين دون شك بالنصيب الاكبر، للوجود العماني الايجابي المشرف في هذه البقعة من عالمنا العربي، وفقنا الله جميعا للخير، وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون احسنه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،



الباب الرابع

دراسات وبحوث

المسرح في سلطنة عمـــان
بدايته وتطوره ومستقبله

اعداد : علي بن ناصر بن سالم العويسي

مقـــدمة البحث

ان الكتابة حول المسرح في سلطنة عمان هي في حد ذاتها مغامرة تتطلب جرأة قوية، ذلك أن الحركة المسرحية في السلطنة مازالت في مرحلة بذر البذور مقياسا بالدول الأخرى، كما انه يستحيل عليك أن تجد مصدرا شافيا يؤرخ ويؤطر الحركة المسرحية في السلطنة وكل ما تملكه المكتبة العمانية هو كتاب والأصح كتيب لاتتعدى صفحاته العدد (٤٠) .

ومن هنـا تأتي صعوبة كتابة البحث حول المسرح في السلطنة، وهي مشكلة بقدر ما واجهتني فانها تواجه كثيرا من الكتاب والطلبة الجامعيين الذين يتخذون من المسرح العماني مادة لبحثهم فليس غريبـا أن يتكـرر كتـاب أو كتيب (التجربة المسرحية بسلطنة عمان) كمصدر في أغلب فصول البحث ذلك انه هو المصدر الوحيد الذي يتناول الحركة المسرحية في السلطنة .

ينقسم هذا البحث الى ثمانية فصول هي كالآتي :

الفصل الأول: ويتناول «المسرحية . . وتاريخ المسرح» وفيه تعريف بالمسرحية والمسرح وعرض سريع لتاريخ المسرح منذ بدايته الأولى عندما نشأ من الأغنية الدينية عند الاغريق وأشهر رواده ثم المسرح عند الرومان مرورا بالعصور الوسطى ثم عصر النهضة الأوروبية الحديثة ودخول المسرح الى عالمنا العربي وبالتالي وصوله الى السلطنة .

الفصل الثاني: ويتناول «المقومات الأساسية» لقيام حركة مسرحية، وفيه عرض لأهم المقومات التي تتطلبها الحركة المسرحية .

(*) البحث الفائز بالمركز الثالث بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٢م .

الفصل الثالث: وتم تخصيصه للحديث عن «البدايات الأولى للممارسة المسرحية في السلطنة »، عن طريق التعريف بالمدارس السعيدية وكيفية دخول المسرح الى السلطنة وكيفية الممارسة المسرحية.

أما الفصل الرابع فانه يعد أكبر الفصول ذلك انه يعرض لـ «مسرح الشباب» باعتباره الواجهة الأمامية للحركة المسرحية في السلطنة ، وفي هذا الفصل عرض مفصل لتاريخ «مسرح الشباب» وأهم رواده وعرض للأعمال التي قدمها مسرح الشباب بدءا من المسرحية الأولى (تاجر البندقية) الى آخر مسرحية (الفلج) كما تم فيه الحديث عن المقومات والمشكلات التي تواجه الحركة المسرحية .

الفصل الخامس يدور حول «المسرح المدرسي» وفيه يتم تناول الحركة المسرحية في المدارس ودورها في قيام حركة مسرحية في السلطنة والصعوبات التي تواجه المسرح المدرسي .

الفصل السادس مخصص للحديث عن المسرح في الأندية.

الفصل السابع يتناول «الفرق المسرحية الأهلية» .

أما الفصل الأخير، فانه يتحدث عن المسرح في جامعة السلطان قابوس .

ثم تأتي خاتمة البحث يعقبها تبويب للمصادر التي تم الاستعانة بها مباشرة في كتابة البحث وأخيرا يأتي فهرس البحث.

ولست أزعم مطلقا أنني بهذا البحث أقدم تقييما للحركة المسرحية في السلطنة ، وكل ما أستطيع زعمه انني أقدم محاولة للكتابة حول المسرح في سلطنة عمان . . آملا من الله العلي القدير أن يوفقني في العمر المقبل ويهبني قدرة الكتابة التقييمية النقدية للمسرح في السلطنة.

راجيا من المولى القدير أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث وأن يلبي تلك التطلعات العليا التي يؤسس لها القائمون على المنتدى الأدبي من أجل زيادة الجرعات الأدبية والثقافية في الساحة الثقافية العمانية.

وبما أن الأخطاء النحوية والاملائية والمطبعية هي عيوب تقلل من قيمة البحث أيا كان صنفه . . فانني عملت جاهدا لتلافي كل تلك العيوب وأرجو من الله أن يكون قد وفقني في ذلك.

والله ولي التوفيق . . .

الفصـــل الأول

المسرحية . . . وتاريخ المســرح

يجمـع النقاد على أن المسرح أبو الفنون وأرقاها اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ، كذلك فالمسرح بقدر ما هو فن بقدر ما هو رسالة انسانية بكل شموليتها ومقوماتها والمسرحية كما قال الاردس نيكـول (تسمـو في سهـولـة وبساطة وفي فخامة وجلال الى أسمى ذرى الالهام الشاعري حتى لتنفرد بمكان الصدارة دون ريب بوصفها أمتع ثمرات الأدب التي أنتجها الذهن البشري)(١) .

وتتعدد تعريفات المسرحية وتختلف ، بعضها يقترب من الصواب وبعضها تجسده .

فالمسرحية في نظر الخـطيب الروماني الشهير شيشرون (نسخة من الحياة مرآة للعادة . صورة منعكسة للحقيقة (٢)

فهي في نظره فقرة مقطوعة من الحياة والكاتب المسرحي هو الذي يقوم بهذا الاقتطاع ثم يعرض علينا ما اقتطعه من الواقع فوق منصة المسرح(٣)

ولاشك أن هذا المفهوم لايجسد الصواب ، ذلك (أن واقع الحياة اذا أبرزناه فوق المسرح ابرازا صادقا قد يبدو شيئا مكذوبا في نظر هذا الوحش ذي الرؤوس الألف الذي نسميه الجمهور) .

أمـا الناقد هيدلان فيقول: (ان المسرح لايصور لنا الأشياء كما هي بالفعل ولكن كما ينبغي أن تكون)(٤)

ونظرا للتاريخ العميق للمسرحية واتصالها في فترات اتصالا مباشرا بالدين وارتباطها في بذرتها بصراع الانسان مع الآلهة والأساطير فان من الظلم لهذا الفن الخالد أن نحصره في كلمات قد توفي بفهمنا الحاضر ولكنها قد تنسف المفاهيم السابقة والمرتبطة بعصرها . غير أن ما يجمـع هذا الفن منـذ بدايته وعبر العصور هو ذلك الشعور الانساني أو الأثر النفسي والاجتماعي والسياسي والديني الذي تتركه فينا المسرحيات اضافة الى ذلك الوجود الانساني في المسرحيات ، في صراعه مع نفسه ، مع مجتمعه ، مع القوى الخفية .

---

١ ـ علم المسرحية ص٢
٢ ـ المرجع نفسه ص ٢٦
٣ ـ المرجع نفسه ص ٣١
٤ ـ المرجع نفسه ص ٣١

نقرأ مسرحيات سوفوكليس وايسخليوس ويوربيدوس ومسرحيات شكسبير وموليير ونقرأ مسرحيات شوقي والحكيم وكل واحدة تنقلنا الى عالمها وتترك فينا أثرا ليس من السهل أن بنفك عنا بكل هذا ونحن نقرأ فقطر دون ان نرى .

أمـا وليم آرثـر فيقول: (المسرحية تمثيل لارادة الانسان في صراعه مع القوى الغامضة والعوامل الطبيعية التي تحيطنا وتستخف بنا، انها واحد منا، مقذوف به حيا فوق المسارح ليصارع الأقدار ضد القانون الاجتماعي، ضد واحد من بني جنسه ـ ضد نفسه ـ ضد أطماع أولئك المحيطين به، وضد رغباتهم وأهوائهم وحماقاتهم وضد أحقادهم (٥) :

والمسرحية قد تكون من ثلاثة فصول وأقلها فصل وقد يحتوي الفصل الواحد على ثلاثة مشاهد أو مشهد واحد.

وتتعدد المذاهب المسرحية النقدية وتختلف وقد تجمع المسرحية أكثر من مذهب .

أما أرقى أنواع الدراما فهي المأساة، فالمأساة تتناول الشخصيات الرفيعة تناولا جديا في حين أن الملهاة تتناول الشخصيات العادية تناولا جديا كذلك والمأساة ينطلق أثرها من العمق.

أمـا الميلودرامـا فهي سطحية تعتمـد في اثـارتهـا للعواطف على الألم الظاهر والمشاهد الدموية، كقتل طفل أو اراقة دماء على خشبة المسرح أمام النظارة.

والكوميديا تمتاز بأن نهاياتها تكون سعيدة ولذلك سمى دانتي كتابه (الكوميديا الالهية) نظرا للنهاية السعيدة.

وبعد هذا الطواف السريع حول مفهوم المسرحية نتطرق الآن سريعا كذلك الى تاريخ المسرح منذ بدايته وحتى دخوله العالم العربي ثم السلطنة.

لقد نشأت المسرحية نشأة غنائية جماعية خالصة من عيدين دينيين كانا يتميزان بالحفلات المسرحية الدينية تمجيدا لاله الخمر والكرم. . (حسب معتقداتهم وأوهامهم آنذاك).

أما **أولهما** فكان يقام في الشتاء. .

والثاني كانوا يقيمونه في الربيع في بقعة مقدسة تتكون من معبد ومسرح .

وفي هذين العيدين وماكان يتخللهما من الاحتفالات الدينية ولدت الملهاة والمأساة (٦)

ويفصل لنا ذلك الأستاذ أبو الوفا القاضي فيقول:

لقد ظهر المسرح أو فكرة المسرح قبل ميلاد السيد المسيح بقرون عديدة على الأرض اليـونـانيـة التي كانت تعـرف ببلاد الاغريق.. في شكل بدائي عرف باسم (احتفالات باخـوس).. إله الخصب والنماء.. لذلك كان الاغريقيون يحتفلون به عندما يطل عليهم

---

٥ ـ المرجع نفسه ص ٣٤

٦ ـ الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق. ص ١٣٥

الربيــع.. في معابده وحول تماثيله.. وفي أثينا يقف أكبر الشعراء أمام تمثال ذلك الاله المزعوم (باخوس) ويلقي قصيدة ربيعية في مدحه ويرد عليه جماعة الكورس أو المنتشرون ويرددون مقاطع من القصيدة التي يلقيها الشاعر ويصحب ذلك رقصات جماعية تعبر عن معاني الشعر بالحركة والايماءة والتشكيلات الايقاعية(٧).

اذن الأصول الأولى للفن المسرحي كانت دينية وكانت المسرحية تقام بوازع ديني خوفا وتضرعا واستدرارا لرضاء وعطف الآلهة. ونتيجة لذلك كانت المسرحية عبارة عن طقوس دينية بحتة ولم تكن بذلك التنظيم الذي آلت إليه فيها بعد ، ولم تكن المسرحية ذات رســالة انسـانية غير انها تطورت عن طريق اليونـانيين (الاغـريق) أيضـا وأصبحت ذات صبغة انسانية؛ وجاء هذا التطور بعد أن دخل (الاغريق) في حروب طاحنة مع الفرس انتهت بانتصـارهم وسجـل الشعـراء هذا الانتصـار في قصائدهم وتغنوا ببطولة أبطالهم وأقاموا لأبطالهم احتفالات كاحتفالات (باخوس) ومن هنا دخل العنصر الانساني مجال المسرح(٨).

ثم بعد ذلك جاءت ملحمتا هوميروس الخالدتان (الالياذة) و (الأوديسة) لتصور حرب طروادة ثم جاء بعد ذلك عمالقة المسرح الخادون (ايسخليوس وسوفوكليس ويوربيديس وغيرهم).

لقد كانت البصمة التي تركها الاغريق (اليونان) على المسرح العالمي تفوق كثيرا تلك البصمـة التي خلفها الرومان غير أن بصمتهم كانت واضحة على الكوميديا. كما انهم لم ينحرفوا بهذا الفن الى منابته الدينية الأولى حتى جاءت العصور الوسطى التي عادت بالمسرح الى كنف الدين وكان في هذه المرة الدين المسيحي فالمسرحيات تستمد موضوعاتها من حياة المسيح ومأساة صلبه، وحياة القديسين وكراماتهم وأسس الأخلاق الدينية.. وكانت تمثل في ساحـات الكنـائس، ولكنها لم ترتفع قط الى المستوى الانساني الفني الذي بلغته عند اليونان القدماء(٩).

ظل هذا الارتداد مسيطرا حتى عصر النهضة الأوربية الحديثة في القرن السابع عشر عندما تم احياء الأعمال الأدبية المختلفة عند اليونان والرومان.

لقد بلغ الكتاب الأوربيون ذروتهم في ارتياد الحركة المسرحية وعملوا على تنقية المسرحية من الأساطير والخرافة وغيرها (فاتجهوا بانتاجهم الأدبي عامة والمسرحي خاصة اتجاها انسانيا خالصا)(١٠).

---

٧ ـ المنتدى الأدبي (فعاليات ومناشط ـ اشراف سالم بن محمد الغيلاني، اعداد/محمد علي الصـليبي ص ٣١٨).

٨ ـ المرجع نفسه ص ٣١٨

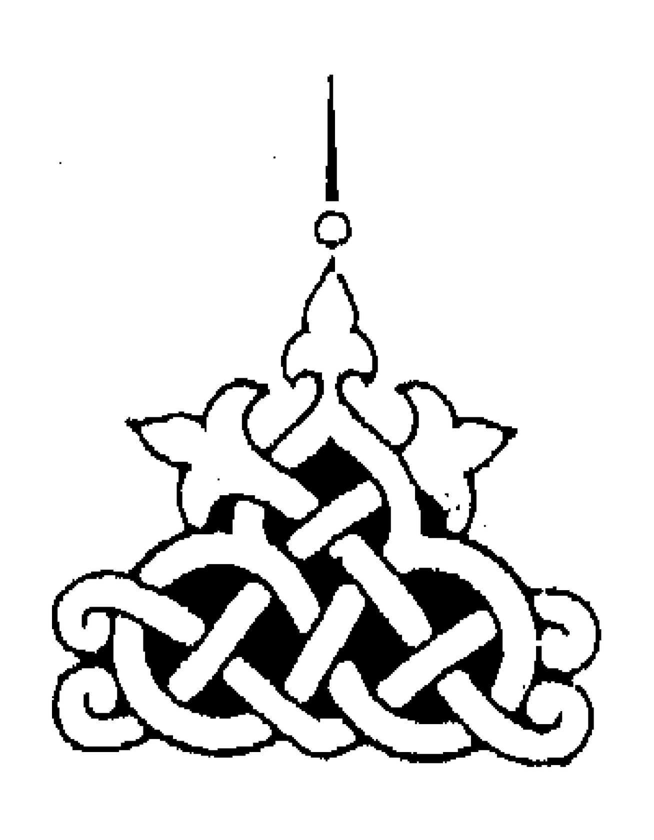
٩ ـ الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق ص ١٤٣

١٠ ـ المرجع نفسه ص ١٤٣

واذا جئنا الى البداية الأولى لدخول المسرح لعالمنا العربي فاننا واجدون أن عهد العالم العربي بالمسرح بدأ مع الاستعمار الأوربي الحديث وخاصة الحملة الفرنسية التي قادها نابليون ولاسيما على مصر وسوريا وكذلك الايطاليون والانجليز، فقد كانت فرنسا وانجلترا وايطاليا ترسل فرقها الى مصر خاصة للترفيه عن جنودها، وكذلك أيضا لبث هذا الفن في الشعوب العربية ، ثم جاء دور البعثات والمبعوثين الى أوربا حيث شاهدوا هناك في الدول التي زاروها أعمالا مسرحية بين هابطة ومتوسطة وجيدة وكانوا مشدوهين بهذا الفن وعند عودتهم كانوا يمارسون هذا الفن في بلدانهم.

وسيظل العالم العربي يذكر يعقوب صنوع وأحمد أبو خليل القباني ومارون النقاش ومحمد عثمان جلال وعبد الله النديم باعتبارهم الرواد الذين رسخوا هذا الفن في البيئة العربية. واذا جئنا الى تاريخ دخول فن المسرح الى سلطنة عمان فانه لن يتجاوز الستينيات من هذا القرن فقط عن طريق المدرسة السعيدية في مسقط، كما سنعرف ذلك في الفصل الثالث ، وذلك بواسطة المدرسين اللبنانيين والمصريين الذين كانوا يمتهنون التدريس في تلك المدرسة الى جوار تلك المشاهدات التي اكتسبها العمانيون في مصر قبل عصر النهضة المباركة ولا ننسى دور الرجال الذين كانوا يرافقون السلطان سعيد بن تيمور في سفراته للخارج فقد كان بعضهم يتولى التدريس في المدرسة السعيدية وكانوا يفرغون على الطلبة ما شاهدوه ويحاولون محاكاته .

وكان الطلاب العمانيون الدارسون في الدول العربية عند عودتهم لقضاء العطلة الدراسية يمارسون المسرح كتابة وتمثيلا وكان النادي الأهلي هو مكانهم الأول ثم جاء عصر النهضة وظهر الاهتمام بجميع الأنواع الأدبية وتم انشاء مسرح الشباب في عام ١٩٨٠م وظهرت أسماء عمانية في الكتابة والاخراج أمثال عبد الكريم بن علي جواد ومحمد بن سعيد الشنفري وغيرهم. وفي الفصول التالية سوف يكون لنا حديث شامل عن ذلك.



الفصـــل الثــاني
المقومات الأساسية لقيام حركة مســرحيــة

المسرح لا يتـأتى من فراغ ولا حتى من الكتابة، المسرح ممارسة عملية، غير ان هذه المـمارسـة لابد ان تكون مسبوقة بأعمال كتابية وبمقومات أساسية لا غنى عنها في الحركة المسرحية، وفي هذا الفصل سوف نستعرض المقومات الأساسية لقيام حركة مسرحية آخذين في الاعتبار انني سوف اتطرق الى بعض هذه المقومات بشيء من التفصيل عند الحديث عن مسرح الشباب :—

النـص المســرحـي

ان الكتابة المسرحية ليست اعجازا وإنما هي انجاز، هي قدرة الكاتب على ان يخلق مجتمعا على خشبة المسرح (فالمسرحية تكون فقرة مقتبسة من الحياة ومعنى هذا ان هدف الكـاتب المسـرحي يجب ان يعطينـا من فـوق منصـة المسـرح صـورة طبـق الأصـل ، إما المشهد مما قد يكون حدث بالفعل واما لشيء تخيله الكاتب في صورة تجعله مشابها لما يقع في الحياة. . ويجب ان يكون حوار تلك المسرحية احسن أنواع الحوار الذي يكسبها صورة صوتية مطابقة للاحاديث الحقيقية التي تجري بين الناس في حياتهم العامة، ولابد ان يكون معظم ما في المسرحية من جمال هو مطابقتها لواقع الحياة)(١)

ولست بهذا أدعو الى تبني المسرح الواقعي، لكنه الاقرب الى الممارسة في مجتمع يعاني من اشكاليات الواقع اكثر مما يعاني من اشكاليات الفكر، ولا انكر مطلقا ان (المسرحية ليست نسخـة من الطبيعة بل محاكاة لها)(٢) ذلك لأن (الكاتب المسرحي المتضلع، حينما يقتبس شذرة من الطبيعة بدلا من ان يكتفي بمجرد الحوادث الهامة، فهو في الوقت نفسه ينظم ما قد لاحظه عن الحياة، أو ظنه متعلقا بها، ثم يرفع مشاهدة الى ذروة الاثارة والمسرة. . تلك

---

١ ـ علم المسرحية ص ٢٧
٢ ـ المرجع نفسه ص ٣٢

المشاهد التي لو انها جرت في الحياة الواقعية لكانت مشاهد كئيبة ولا إلهام فيها)(٣) ويقول الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه القيم (النقد الأدبي الحديث): والمسرحية هي العمل الأدبي الوحيد الذي يتطلب بطبيعته عددا من الشخصيات، ولكل منها وجوده المستقبل، ومبررات الوجود الماثل الحي ولكن هذا الوجود لن يتحقق بعزل كل شخصية عن الأخرى)(٤).

وعلى كاتب المسرحية ان يكون حاضرا في كل شخصية ولكن بشرط ان يكون هذا الحضور غير معلن، أي يجب ان تنطق الشخصية بما تريد هي وما تمليه الظروف ويتطلبه الموقف لا ان يقحم الكاتب نفسه ويظهر لنا نفسه لا الشخصية. (ولابد ان يرتبط تتابع الحديث بالشخصيات، بحيث تتسم الحركة الخارجية للأحداث مع الحركة الباطنية النفسية للشخصيات)(٥).

المبنى المسرحي

المبنى المسرحي هو المنزل الشرعي للأسرة المسرحية، كما ان اغلب الكتاب عندما يبدأون في الكتابة المسرحية يتخيلون حتى اللوحة الخلفية للمسرح ونحن في السلطنة نفتقد البناء المسرحي من أساسه وكل ما نملكه هو مسارح عرض للحفلات المختلفة قد لا ينطبق عليها اسم مبنى مسرحي.

الممثلون

يقول الاردس نيكول في كتابه (علم المسرحية) ان المسرحية لايصح بأي حال من الأحوال ان يكون لها كيانها كمجرد عمل من الأعمال الأدبية المكتوبة أو المطبوعة واذا كان لنا ان نقدرها كفن درامي أو بالاحرى بوصفها مسرحية فيجب اولا ان نفترض ان المؤلف كان يضع نصب عينيه كلا من الممثلين والجمهور حينما كان يكتب سطوره وثانيا يجب ان نتمثل لانفسنا هذين العاملين - الممثلين والجمهور - ونحن نقرأ فصول مسرحية.»

المشكلة التي نعانيها نحن كنظارة ويعانيها مؤلفو المسرح هي عدم ثبات الوجوه في المسرح وخاصة النسائية فما ان يتراءى للمؤلف أو المخرج ان يجسد هذه الشخصية في ذلك الممثل حتى يكون الممثل أو الممثلة قد هجر الساحة قبل ان ينهي الكاتب مسرحيته.

---

٣ - المرجع نفسه ص ٣٢

٤ - النقد الأدبي الحديث ص ٦١٠

٥ - المرجع نفسه ص ٥٩٠

ويعمل مسرح الشباب جاهدا لايجاد كوادر مسرحية نسائية ويفلح في ذلك مرات ومرات، غير انه وبعد برهة من الوقت تختفي الممثلة لأسباب يحاول البعض ارجاعها الى الدين والمجتمع.

ولعل النظارة تلعب دورا في هضم حق الممثل عندما تتعامل معه كآلة ينفذ ما يطلبه الكاتب متناسين دوره وجهده.

وكما يقول شلدون تشيني فانه (ليس يكفي ان يكون الممثل محترفا بالمعنى الحديث لكلمة الاحتراف بل يجب ان يكون واسع التجربة شديد الاطلاع)(٦).

ولعل عدم بروز ذلك الممثل المسرحي التخصصي يعود الى ضآلة الأعمال المسرحية التي يقدمها مسرح الشباب وهو الجهة الرائدة في الحركة المسرحية في السلطنة، فالأعمال التي قدمها مسرح الشباب طوال عهده لم تتجاوز ثلاث مسرحيات في السنة واحيانا مسرحية واحدة فقط.

فالممثل المسرحي لايستطيع مطلقا ان يتفاعل مع هكذا النشاط، لانه لن يقدم طوال العام الا مسرحية واحدة تعرض فقط لمدة لا تتجاوز أربعة أيام مع الأخذ في الاعتبار ان اليوم الأول يكون مخصصا لكبار رجال الدولة والمسئولين الذين لن يتجاوز حضورهم شغل الصفين الأولين لصالة العرض.

ونتيجة لهذا اصبح لدينا معتادا ان يمثل الممثل عدة شخصيات بين درامية وفكاهية وساذجة ونجده في المسرحية التراجيدية والكوميدية وربما الهابطة.

(وقد كان الممثل اذا اتخذ دورا من الأدوار ولو بطريقة عرضية كرسّ لهذا الدور حياته كلها بحيث لا يلعب إلا هذه الشخصية طوال حياته المسرحية)(٧).

حقيقة نحن لا نريد هذا الحصر الضيق ولا نريد ان نقيد الممثل في دور محدد، ولكن ما نريده ان يكون الممثل قديرا في الدور الذي يلعبه وبالطبع ان الدور الكوميدي غير التراجيدي غيره في الميلودراما.

الوعي الاجتماعي والنظارة

مهما كانت ذروة المسرحية تأليفا واخراجا فان اثرها يظل داخليا اذا كانت النظارة لا ترقى وهذا الفن.

ولن تجد فنا اكثر ارتباطا بالوعي الاجتماعي مثلما هو الحال في فن المسرح، فتطور المسرح يعكس الحركة الثقافية او لنكن اكثر صدقا ونقول انه يعكس حضارة تلك الأمة، تلك

---

٦ - تاريخ المسرح ص ٣٢٦

٧ - المرجع نفسه ص ٣٣١

الحضارة بكل معاييرها المادية والمعنوية بما يمثله النص المسرحي من ماهية وما يمثله المبنى المسرحي من رقي عمراني. والوعي الاجتماعي يرتبط بالوعي الديمقراطي، فالمسرح يرقى ويصبح فنا انسانيا خالدا في ظل الديمقراطية، لانه فن مرتبط بحرية التعبير عن الانسان، التعبير عن آماله والامه. التعبير عن ماضيه وحاضره ومستقبله. التعبير عن داخله وخارجه (فالمسرح يعيش مع الديمقراطية وفيها يتنفس)(٨). ومتى كان المسرح بوقا للسياسة كان أبعد عن الفن وعن الجمهور.

ولعلنا نعاني بعض النتائج السلبية الناتجة عن عدم الوعي الاجتماعي فنجد بعض الأسر تصطحب أطفالها الى المسرح، بينما لايقوم بعضها بهذا الفعل عندما تعرض مسرحية للأطفال، كما أن هناك ظاهرة غير صحية وهي تجمع الشباب في مكان بالمسرح يتصرفون تصرفات ويطلقون أصواتا أقل ما توصف أنها بعيدة عن الذوق، وبعضهم قد لايجد حرجا في اثارة حوار مستمر وبصوت مرتفع مع زميله وكأنه يسعى لجذب انتباه من بجواره خاصة اذا كان من بجواره عناصر نسائية.

«ان الخصيصة الوحيدة التي تميز الفن المسرحي هي وجود جمهور من النظارة.. اننا لانستطيع أن نتصور وجود تمثيلية بلا جمهور، ونحن في مقدورنا أن نحذف أو نستبدل الأدوات والأمتعة (الاكسسوار) التي تستخدم فوق المسرح في أثناء تمثيل أية قطعة مسرحية الا الجمهور الذي لايمكن أن يحذف أو يستبدل بشيء يقوم مقامه أبدا»(٩).

التـــراث

يلعب التراث دورا مهما في الكتابة والممارسة المسرحية وحتى ايسخيلوس ويوربيديس استلهما التاريخ في كتابة مسرحياتهما، والتراث العربي والتاريخ الاسلامي مخزون لاينضب فهو مليء بالملاحم البطولية والقصص الواقعية والسيرة الرائعة بل وحتى الأساطير.. كل ذلك لو أجدنا انتقاءه يكون رائعا على خشبة المسرح « فكل الأنشطة الفنية المعاصرة، أو معظمها عالة على التراث »(١٠)

ونحن العمانيين ولله الحمد نملك تراثا خالدا وتاريخنا يمثل رصيدا محالا أن يفلس كل ما علينا أن نكون مؤهلين جيدا للاقتراض منه.

---

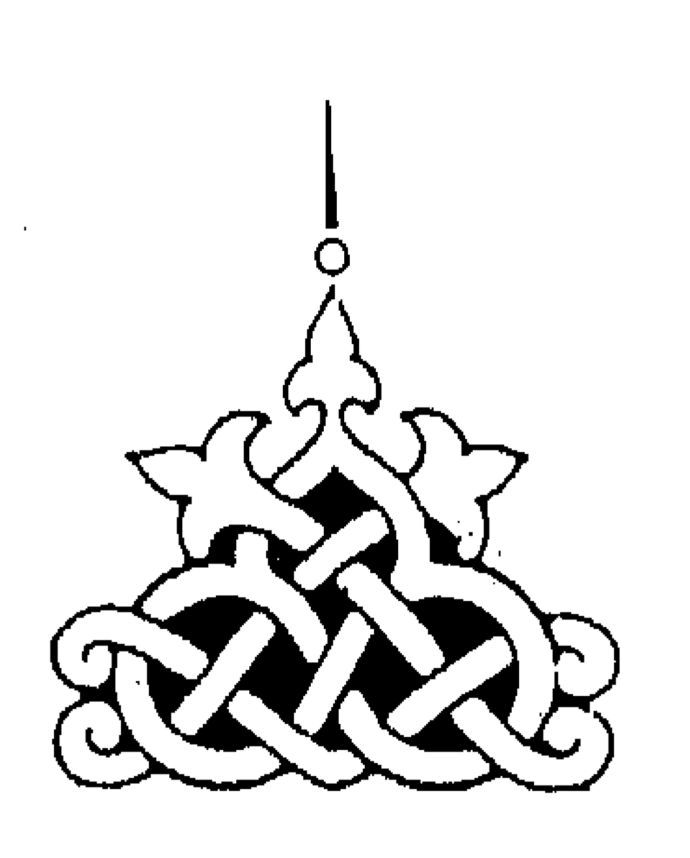
٨ ـ المسرح العربي في القرن التاسع عشر ـ ص ٥٢

٩ ـ علم المسرحية ص ١٠٧ .

١٠ ـ المنتدى الأدبي (فعاليات ومناشط) ص ٣١٧

ومتى توفر الكاتب المبدع فانه بامكانه أن يصيغ روائع انسانية عالمية مستلهما اياها من التراث العماني أو العربي عامة أو الاسلامي بصورة أشمل.

وكتابنا فعلا توصلوا الى ذلك (فاتخذوا من التراث العربي والاسلامي خلفية فكرية يستندون عليها ليجسدوا رؤاهم في حياتنا المعاصرة كل حسب رؤيته وفكره وهذه هي رسالة المسرح الجاد الذي يقوم على فكرة التطهير والتوجيه والنقد)(١١)



١١ ـ المرجع نفسه ص ٣٢٤.

الفصل الثالث

البدايات الأولى للنشاط المسرحي في سلطنة عُمان

يقودنا الحديث عن البدايات الأولى لدخول النشاط المسرحي في سلطنة عمان الى الحديث عن تلك المدارس الثلاث التي كانت متواجدة فيها ، على اعتبار أن هذه المدارس تمثل الأرض البور التي تم استصلاحها لغرس بذرة شجرة الفن والتي أخذت عمان في جني ثمارها .

والحقيقة المسلم بها أنه لم يكن هناك قبل النهضة المباركة التي قامت في **٢٣** يوليو عام **١٩٧٠**م سوى ثلاث مدارس بالمفهوم الحديث الى جوار مدارس الكتاتيب والتي ـ ولله الحمد ـ لازالت متواجدة بجوار المدارس الحديثة . ومنتشرة في أنحاء السلطنة ، وتتخذ مكانها في المساجد والجمعيات النسائية وبيوت «المعلمين» ويتلقى الأطفال في هذه الكتاتيب ، تعلم القرآن الكريم وحفظه وتعلم أمور الدين الأولية الى جانب تعلم الخط العربي ، حيث تشكل هذه الكتاتيب مرحلة تمهيدية للطفل وعرينا له بعد انتهاء الدراسة المدرسية اليومية أو الموسمية .

وعودة الى تلك المدارس الثلاث . نقول « اننا نتناول هذه المدارس لاننا نستشف من خلالها البدايات الأولى لممارسة النشاط المسرحي في سلطنة عمان رغم أنه (من الصعوبة بمكان معرفة متى كانت أول ممارسة للنشاط المسرحي في سلطنة عمان بدقة ، كما انه لاتوجد وثائق يمكن الاستناد عليها في تسجيل هذا النشاط سوى شهادة الشهود من الذين درسوا أيام صباهم في تلك المدارس وذكرياتهم التي نجت من عصف الزمن بها»(١)

والمدارس الثلاث التي كانت متواجدة في سلطنة عمان، قبل عام (١٩٧٠م) هي :

المدرسة السعيدية في مسقط ، وقد تم تأسيسها عام (١٩٤٠م) وتعد من أشهر المدارس وأكبرها ، وهي أول مدرسة أخذت بتطبيق نمط التعليم العصري .

---

١ ـ أنظر : تجربة المسرح بسلطنة عمان ـ ص ٢٩ .

المدرسة الثانية هي المدرسة السعيدية في مطرح وهي احدى ولايات محافظة مسقط وقد تأسست عام (١٩٥٩م) .

أما المدرسة الثالثة فهي المدرسة السعيدية كذلك وتقع في صلالة، وقد تأسست عام (١٩٥١م) .

«وبالرجوع الى كتاب لمحات عن ماضي التعليم في عمان ، اصدار وزارة التربية والتعليم والشباب عام (١٩٨٥م) وردت به تلك العبارة التي تتحدث عن المدرسة السعيدية في مسقط :

(كانت في المدرسة السعيدية ساحة داخلية يقام فيها احتفال كبير في نهاية كل عام يحضره كبار رجال الدولة وأولياء أمور الطلبة ، وتقدم فيه التمثيليات والأناشيد المدرسية وبرامج متعددة تعطي صورة حقيقية عن ما صار اليه مستوى الطلبة التعليمي »(٢).

واذا ما اجتزأنا من تلك الفقرة الأخيرة السابقة كلمة (التمثيليات) فانه يحق لنا أن نطلق لفكرنا العنان ليصور لنا تجسيدا عمليا لتلك الكلمة .

وتظل النفس تتساءل عن كيفية وكمية تلك التمثيليات على اعتبار انها اللبنة الأولى في أرضية الحركة المسرحية خاصة والفن التمثيلي عامة في السلطنة .

وبغض النظر عن كمية وكيفية تلك (التمثيليات) وبغض النظر عن قربها أو بعدها عن التمثيل المسرحي الحديث ، فان وجود تلك التمثيليات يشكل اعترافا بممارسة الفن التمثيلي في عمان تلبية لرغبة النفس واستجابة لضرورة الحياة .

لقد عاش العماني تلك الفترة التي سبقت عصر النهضة (١٩٧٠م) وهو مسلوب الارادة كل شيء (ممنوع) حتى التعليم .

ويحاول الانسان العماني التغرب بحثا عن مصادر الرزق وهروبا من جحيم الواقع ويشتاق الى وطنه ولكن لابد له من أن يدفع ضريبة زجوعه ، ولا غرابة اذا قلت ـ ان العمانيين كانوا متشردين في بقاع الأرض ، الى أن ظهر جلالة السلطان قابوس بن سعيد ليعلن أن عمان لكل عماني ، وتعهد أن يخلق من عمان وشعبها دولة مدنية بكل مقاييس العصر ، وهو ماتحقق بفضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

وحتى وان كان هناك في تلك الفترة قلة من المتعلمين ، فان تعليمهم كان مقتصرا على دراسة القرآن والفقه . وكانت عمان معزولة ، ان لم تكن تماما فهي تقريبا عن دول العالم ، وحتى الزائر لـ «سلطنة مسقط وعمان» وهو الاسم السابق لسلطنة عمان فقد كان هدفه

---

٢ ـ أنظر : المرجع السابق ص ٢٩ ـ ٣٠

استغلال ثروات الأرض أو سلب الممتلكات بطريقة أو بأخرى ، واما أن يكون هدف هذا الـزائـر دراسـة تلك الآثـار الموغلة في القدم ، والآثار الاسلامية والفارسية ، واستخراج المخطوطات التاريخية والدينية والأدبية ، واما أن يكون هدف هذا الزائر أن يشاهد شعوب العصور الوسطى في العصر الحديث أو لينعى تلك الأيام أيام كان بحارة عمان أسياد الخليج والبحـر والمحيط . . أيام كانت عمان ناشرة الاسلام في وسط وشرق افريقيا ، وفي دول المحيط الهندي(٣)

واذا كان ذلك كذلك فمن أين انبثقت فكرة التمثيل في تلك المدرسة السعيدية ؟
واذا تعمقنا في السبب المباشر لقيام تلك (التمثيليات) فاننا واجدون أنه يكمن وراءها مدرس أردني أو لبناني أو مصري ، فمن المؤكد أن أولئك المدرسين قد نقلوا معهم بعض ما شاهدوه في بلدانهم من مشاهد مسرحية وتمثيلية .

واذا ذكـرنـا فضل أولئك المدرسين ، فان علينا أن لانتنكر لفضل أولئك الذين كانوا يرافقون السلطان (سعيد بن تيمور) في زياراته خارج المنطقة ، حيث كانوا يشاهدون في تلك البلاد عروضا مسرحية تثير دهشتهم ، خاصة وان بعضهم كان يتولى التدريس في المدرسة السعيدية في مسقط ، وكانوا يفرغون على الطلبة ما ادخروه من تلك الزيارات(٤) .
وكان أغلب الفقرات التمثيلية التي تقدم في المدرسة السعيدية بمسقط مقتبسة من الكتب المدرسية المقررة ، خاصة كتاب «المروج» اللبناني .

أما عن زمن تلك المشاهد التمثيلية فانه لم يكن يزيد اكثر من ربع ساعة، وموضوعات تلك المشاهد عبارة عن حوارات دينية أو اجتماعية أو تاريخية تتخللها مواقف أو حوارات كوميدية ضاحكة.

وتمثـل الساحة المدرسية صالة العرض المسرحي ، بينما تقوم طاولات الطلاب والهيئة التدريسية المفروشة بالسجاد مقام خشبة المسرح ، ولابد أن تنصب خشبة المسرح هذه أمام الفصول لتمثل أبوابها كواليسا للتمثيل ، حيث الظهور والاختفاء واعطاء التعليمات ومراجعة النص(٥) .

---

٣) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٧.
٤) انظر تجربة المسرح بسلطنة عمان ص ٨.
٥) انظر المرجع السابق ص ١٠.

الفصـــل الرابع
المسرح في عصر النهضـــة

مســرح الشبــاب

(أ) مسرح الشباب والبداية :

● ولى عصر الظلم الى غير رجعة ، وأخذت عمان تنفض عن عاتقها غبار ذلك الزمان ، وترتدي ثوب المدنية الحديثة بجوهره ومظهره .

● ففي عام ١٩٧٠م بتولي حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد مقاليد الحكم بدأت عمــان نهضة شاملة في كل المرافق .

● ويعتبر التعليم هو الركيزة الأساسية في قيام دولة متطورة يدير دفتها رجال شربوا من مناهل العلم العملية والنـظرية ، وأعلن حضرة صاحب الجـلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم في أول خطاب له :

« ســنعلم أبناءنا ولو تحت ظــل الشـــجر »

● وتنفيذا للأوامر السامية والرغبة الجامحة في حب النور فتحت أبواب المدارس والمعاهد على مصراعيهـا لتحتضن آلاف الطلبة المتعطشين للعلم والمعرفة فانتشرت المدارس في كل أرجاء الوطن في المدن والقرى ، في الجبال والسواحل في البدو والحضر ، تبشر بقيام نهضة تعليمية كبرى .

● وعودة الى المسرح ، فان من نافلة القول التسليم بأن المسرح على ساحتنا المحلية فن جديد لم نطرقه من قبل ولم نعهده بل ان عالمنا العربي عهده بالمسرح بدأ مع الحملات الأوربية الاستعمارية الحديثة .

● وقبل الحديث عن بداية تكوين (مسرح الشباب) دعونا نستمع الى مقالة الكاتب والمخرج المسرحي الأستاذ محمد بن سعيد الشنفري قي مقابلة كاتب البحث معه : كنا نمارس التدريب على عرض المسرحية في أحد المنازل المؤجرة في منطقة (كلبوه) وكان أفضل ما يميزنا هو العمل الجماعي الذي أصبحنا نفتقد اليه ، وكان الحماس متوفرا عند الجمهور ،

ثم دعانا الفنان سالم بن راشد الصوري الى منزله لممارسة التدريبات المسرحية ومكثنا فترة نتدرب في منزله، حيث كنا نفتقد للمكان الذي نمارس عليه التدريبات .

- وعودة الى مسرح الشباب فان قصة تكوين مسرح الشباب كانت عبارة عن رد فعل قوي لحالة الجمود في النشاط المسرحي التي عمت الأندية في أواخر السبعينيات فضج الفنانون أعضاء الأندية الذين ظلت الدماء المسرحية تجري في عروقهم من حالة الركود تلك ، وصاروا يبحثون عن ملجأ آخر يمارسون من خلاله هواياتهم بعيدا عن الأندية ، وكان أن صادف ذلك رغبة (وزارة الاعلام والشباب) التي كانت هي المسئولة عن الأندية في تلك الفترة في تنمية النشاط المسرحي الشبابي فاستقدمت مخرجا مسرحيا شابا من جمهورية مصر العربية وهو مصطفى حشيش ،كان وجوده حجة وحاجة فالتفوا حوله وتعاضدوا معا لتشكيل أول فرقة مسرحية عمانية للشباب في عام (١٩٨٠م) وهي ذات صبغة رسمية بحكم تبعيتها لوزارة رسمية . كان الحماس هو الصفة الغالبة على معظم مؤسسي الفرقة الشبان ، وبالحماس والمخرج العربي استطاعت الفرقة أن تجتاز كل العقبات في بداية تكوينها وأن تقدم أول عمل لها وهي مسرحية شكسبير الشهيرة (تاجر البندقية)(١)

- اذن مسرح الشباب لم يأت كمسرح اقتضته ضرورة الحياة الثقافية والاجتماعية الواعية الراقية بقدر ما جاء كمشروع وزاري أو اداري . . لم يأت من دراسة للمجتمع بقدر ما جاء تقليدا وزاريا متبعا في كل الدول العربية .

- ان المسرح أو المسرحية قطعة من المجتمع ، اجتزئت من الواقع ووضعت على خشبة المسرح ، ومتى كان المسرح مشروعا سياسيا سقط سقوطا مروعا . .

- غير أننا هنا في سلطنة عمان من الله علينا بقيادة حكيمة متمثلة في حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم فلا فرق بين السياسة والمجتمع «الدولة والفرد» الأدب والعلوم ـ كلنا ـ نعمل من أجل شيء واحد هو (عمان) .

- لقد أخذ القائمون على مسرح الشباب رغم شح الامكانيات يعملون جاهدين في سبيل تأسيس حركة مسرحية في البلاد وكان لهم ذلك . . نعم كان لهم ذلك فأصبح مسرح الشباب هو النواة التي انبثق عنها أغلب المخرجين المسرحيين والكتاب والممثلين .

---

١ ـ انظر : تجربة المسرح بسلطنة عمان ص ٢٩ .

(ب) الأعمال الدرامية التي قدمها مسرح الشباب من عام ١٩٨٠م الى عام ١٩٩٢م :

● قدم مسرح الشباب منذ انشائه في عام (١٩٨٠م) الى نهاية عام ١٩٩٢م ثلاثا وعشرين مسرحية أولها مسرحية (تاجر البندقية) وآخرها مسرحية (الفلج) وفي عجالة سريعة سوف نطوف بتلك المسرحيات حسب تتابعها الزمني :

● (١٩٨٠م) قدم مسرح الشباب في بداية عهده مسرحية (تاجر البندقية) للمسرحي العالمي وليم شكسبير وأخرجها مصطفى حشيش ، غيرأن عرض هذه المسرحية لايمثل السابقة الأولى فقد كانت هذه المسرحية هي النص المفضل لمسرح المدارس ، غير أن عرضها عن طريق مسرح الشباب أعطاها بريقا نظرا للامكانيات المتوفرة .

● وكأي باكورة عمل، فان مسرحية (تاجر البندقية) لم تخل من الصعوبات المادية والمعنوية .

وكانت الصعوبة الأولى هي مدى تقبل المجتمع لهكذا عمل توفرت فيه أغلب الشروط المسرحية العالمية ويعالج قضية عالمية انسانية بينما المجتمع يتطلع الى بيئته .

والصعوبة الثانية كانت تتمثل في عدم وجود العنصر النسائي والتي تم التغلب عليها بشق الأنفس بانضمام ثلاثة وجوه نسائية للمسرح .

اما الصعوبة الثالثة فكانت تتمثل في الافتقار لصالة التدريب بل والعرض .

أما المشكلة الكبرى فهي الكادر التمثيلي فالممثلون لاسابق عهد لهم بهكذا مسرح ، وبفضل من الله واصرار من الشباب تم عرض المسرحية ولقيت قبولا حسنا(٢)

● (١٩٨١م) قدم مسرح الشباب في هذه السنة مسرحية (عيال النوخذة) المأخوذة عن مسرحية (عيلة الدوغري) للكاتب نعمان عاشور ، وقام بتعمينها الأستاذ عبد الكريم بن علي جواد وأخرجها مصطفى حشيش ، وهي عمل اجتماعي جاد تتخلله الكوميديا(٣)

● (١٩٨٢م) في هذه السنة تم استقدام الكاتب المسرحي منصور مكاوي الذي ألف مسرحية (الوطن) وأخرجها مصطفى حشيش وهي مسرحية كما يوحي اسمها تتناول الدفاع عن الوطن ضد أولئك الغزاة الطامعين فهي دراما تاريخية بطولية أقرب الى الملاحم(٤).

والمسرحية تؤكد يقظة الانسان العماني ودفاعه عن حقه ضد كل من سولت له نفسه بأن يلمس شبرا من أرضه .

« **الوطن** » ملحمة استعراضية يمتزج فيها الشعر بالأغنية بالحركة الراقصة الموحية(٥)

---

٢ ـ أنظر المرجع السابق ص ٢٩ ـ ٣٠ . ٣ ـ أنظر : المرجع السابق ص ٣١

٤ ـ المرجع السابق ص ٣٢

٥ ـ مسرحية الوطن .

- (١٩٨٣م) **الطير المهاجر**: هي العمل الرابع لمسرح الشباب من تأليف منصور مكاوي واخراج محمد بن سعيد الشنفري وتتناول المسرحية حياة رائد الأغنية الشعبية العمانية (سالم بن راشد الصوري)(٦)
- (١٩٨٣م) تم عرض مسرحية (**الراية**) وهي عمل درامي تعرض لحياة أشهر أئمة عمان ورعا وتقوى انه الامام (الوارث بن كعب(٧)

  المسرحية من تأليف منصور مكاوي واخراج مصطفى حشيش .
- (١٩٨٤م) (**الطوي**) من تأليف منصور مكاوي واخراج مصطفى حشيش والمسرحية هي : أول دراما شعبية عمانية تتناول حياة الريف العماني(٨)

  المسرحية تعالج أهم القضايا التي تتصدى للشباب المقبل على الزواج وتواجه سلبيات الماضي بايجابيات واعية تجمع بين ايجابيات الماضي والحاضر(٩)
- (١٩٨٥م) في هذه السنة تم عرض مسرحية (**المهر**) ألفها لمسرح الشباب منصور مكاوي وأخرجها محمد بن سعيد الشنفري(١٠)

  ومسرحية المهر (اسقاطة مسرحية من كفاح عنترة في توفير مهر عبلة ، على كفاح ومعاناة شباب اليوم في توفير مهر الزواج الذي يغالي بعض الآباء في تقديره)(١١)
- (١٩٨٦م) تم عرض مسرحية (**نعم أقوياء**) كتبها ابراهيم شعراوي وأخرجها محمد بن نور البلوشي وهي عمل للأطفال(١٢)
- (١٩٨٦م) عرضت مسرحية (**أريد أن أفهم**) المقتبسة من مسرحية (أريد أن أقتل) لتوفيق الحكيم قام بتعمينها واخراجها عبد الكريم بن علي جواد(١٣)
- (١٩٨٦م) (**غريب**) هذه المسرحية هي العمل الثالث الذي يتم عرضه في تلك السنة وقد ألفها للمسرح منصور مكاوي وأخرجها محمد بن سعيد الشنفري .

  والمسرحية تتطرق الى الجشع التجاري وحب السيطرة المالية الى درجة يتحول فيها الابن الى أداة للجشع فيتنصل من ثوبه ويثور على أهله ويصبح غريبا عن أسرته(١٤)

---

٦ ـ مسرحية الطير المهاجر .
٧ ـ مسرحية الراية .
٨ ـ تجربة المسرح بسلطنة عمان ص ٣٢
٩ ـ مسرحية الطوي .
١٠ ـ مسرحية المهر .
١١ ـ تجربة المسرح بسلطنة عمان ص ٣٣
١٢ ـ المرجع السابق ص ٣٤
١٣ ـ المرجع السابق ص ٣٤
١٤ ـ مسرحية الغريب .

- (١٩٨٧م) في هذه السنة تم عرض المسرحية الهادفة (**السفينة ما تزال واقفة**) من تأليف واخراج عبد الكريم بن علي جواد ، وتدور المسرحية حول جماعة (ركاب السفينة) أصاب سفينتهم عطل ومن هنا تبدأ المفارقات والخلافات والاشكاليات .

والمسرحية هي الى الرمز النقدي أقرب[١٥]

فقد كان عملا تغلب عليه صيغة العمل المسرحي الناقد . . أما أسلوب عرضه فتميز بالاستعراضية الغنائية[١٦]

- (١٩٨٧م) قدم مسرح الشباب في هذه السنة مسرحية (الفار) من تأليف واخراج محمد بن سعيد الشنفري[١٧]
- (١٩٨٧م) في هذه السنة قدم عبد الكريم ابن علي جواد تأليفا واخراجا مسرحية (**مخبز الأمانة**) وهي معالجة كوميدية لظاهرة الاشاعة وانتشارها في المجتمع[١٨]
- (١٩٨٨م) في هذه السنة عرض مسرح الشباب مسرحية (**خيوط العنكبوت**) تأليف صلاح راتب واخراج عبد الغفور بن أحمد .
- (١٩٨٨م) (**دختر شال سمك**) وهي تعمين لمسرحية (الطبيب) لموليير ، قام باعدادها واخراجها عبد الكريم بن علي جواد .
- ١٩٨٩ قدم مسرح الشباب مسرحية (**اشاعة فوق تنور ساخن**) تأليف واخراج عبد الكريم بن علي جواد .
- (١٩٩٠م) عرضت مسرحية (**الجنس اللطيف**) قام باعدادها واخراجها محمد بن نور البلوشي .
- (١٩٩٠م) (**مليونير بالوهم**) تأليف واخراج محمد بن سعيد الشنفري .
- (١٩٩٠م) (**القاع والقناع**) تأليف عبدالغفار مكاوي واخراج عبد الكريم بن علي جواد .
- (١٩٩٠) قدم مسرح الشباب أوبريت (**الفارس**) تأليف منصور مكاوي واخراج محمد بن سعيد الشنفري .
- (١٩٩١م) (**الكرة خارج الملعب**) تأليف واخراج عبد الكريم بن علي جواد وهي تعالج قضايا الشارع الرياضي بأسلوب كوميدي .
- (١٩٩٢م) قدم عبد الكريم بن علي جواد في هذه السنة لمسرح الشباب تأليفا واخراجا مسرحية (**هدف غير مقصود**) .

---

١٥ ـ مسرحية السفينة ماتزال واقفة .

١٦ ـ تجربة المسرح بسلطنة عمان ص ٣٤

١٧ ـ مسرحية الفار .

١٨ ـ تجربة المسرح بسلطنة عمان ص ٣٤

● (١٩٩٢م) (الفلج) هو آخر عمل مسرحي قدمه مسرح الشباب حتى كتابة هذا البحث وقد عرضت على مسرح قصر البستان في أواخر أيام العام المنصرم والمسرحية من تأليف واخراج عبد الكريم بن علي جواد .

وهي دعوة موجهة نحو الاهتمام بالأرض والعمل فيها . وتحذير من العمالة الوافدة ، وخطرها على الانسان والأرض والعادات والتقاليد .

(جـ) اضاءة على أهم الأحداث التي واكبت مسيرة مسرح الشباب (مسرحيا) :

بنظرة سريعة لمسيرة مسرح الشباب بين الأمس واليوم ندرك مدى تطوره ومدى تكثيف تواجد الأسماء العمانية كتابة واخراجا فالمسرحية الأولى التي قدمها مسرح الشباب هي مسرحية شكسبير الشهيرة (تاجر البندقية) وأخرجها المخرج المصري مصطفى حشيش ، والمسرحية الثانية انتقلت من المحيط العالمي الى المحيط العربي حيث قدم المسرح مسرحية (عيال النواخذة) المأخوذة من مسرحية (عيلة الدوغري) للكاتب العربي نعمان عاشور وقام بتعمينها عبد الكريم بن علي جواد .

ثم جاء عام ١٩٨٣م الذي شهد مسرحية (الطير المهاجر) ونشهد حدثين مهمين أولهما استقدام كاتب عربي يقوم بالكتابة للمسرح العماني ويحدث تفاعلا مع الكتاب المحليين فكان حضور الكاتب المصري منصور مكاوي الذي كتب مسرحية (الطير المهاجر) أما الحدث الثاني فهو اخراج هذه المسرحية على يد شاب عماني محمد بن سعيد الشنفري الذي أثبت جدارة في الاخراج المسرحي .

لقد جرت العادة على عرض جميع مسرحيات (مسرح الشباب) في مسقط حتى جاءت مسرحية (المهر) عام ١٩٨٥ حيث تم عرضها في كل من صلالة ونزوى وصور الى جوار مسقط .

عام ١٩٨٦ : شهد استقالة المخرج العربي مصطفى حشيش غير أن الوجوه الشابة استطاعت أن تسد الثغرة التي ربما يتركها مخرج جيد عاش مع المسرح العماني وترك بصمته عليه فكان تصدي محمد بن نور البلوشي لاخراج مسرحية (نعم أقوياء) للكاتب ابراهيم شعراوي(١٩)

وفي نفس هذا العام قدم منصور مكاوي مسرحيته الأخيرة (غريب) وعاد الى وطنه . ثم جاء دور عبد الكريم بن علي جواد في عام ١٩٨٦م فعمن وأخرج مسرحية (أريد أن أفهم) عن مسرحية (أريد أن أقتل) لتوفيق الحكيم .

عام (١٩٨٧م) هذا العام لن ينساه مسرح الشباب ، حيث قدم مسرحية عمانية مائة بالمائة تأليفا واخراجا وتمثيلا هي مسرحية (السفينة ماتزال واقفة) بل استطاعت هذه

---

١٩ ـ المرجع السابق ص ٣٤

المسرحية أن تعبر الى خارج حدود الوطن فعرضت في مسابقة خليجية للمسرح ونالت الاعجاب وحصلت احدى ممثلاتها على جائزة أحسن ممثلة وحصل مصمم الديكور على جائزة أفضل مهندس ديكور[٢٠]

وهكذا أصبحنا نقرأ ونشاهد أسماء عمانية تأليفا واخراجا .

المسرحيون والتأليف والاخراج

■ **مصطفى حشيش :**

أخرج (٥) مسرحيات .

■ **منصور مكاوي :**

ألف (٧) سبع مسرحيات .

■ **محمد بن سعيد الشنفري :**

أخرج (٦) ست مسرحيات وألف (٢) مسرحيتين .

■ **عبد الكريم بن علي حواد :**

أخرج (٨) مسرحيات وألف (٦) ست مسرحيات وعمن (٣) ثلاث مسرحيات .

■ **محمد بن نور البلوشي :**

أخرج (٢) مسرحيتين وألف مسرحية واحدة .

الى جوار بعض الكتاب والمخرجين ، ولكن انتاجهم كان أقل من السباقين الأوائل .

مكـان العـــرض :

أغلب العروض المسرحية التي قدمها مسرح الشباب تم عرضها على مسرح (فندق الانتركونتننتال) ومسرح فندق (قصر البستان) ثم يلي هذين المسرحين مسرح : جمعية المرأة العمانية ومسرح وزارة التراث القومي والثقافة ومسرح نادي عمان .

(د) النص والاخراج ومسرح الشباب :

النص المسرحي في ذاته نص ميت اذا كتب من أجل القراءة ، فالمسرحية تقتبس حياتها من تمثيلها على خشبة المسرح ، وكم هو ساذج ذلك الكاتب الذي يحاول جاهدا أن يكتب مسرحية للقراءة لا للتمثيل لأنه بصنعه هذا يحفر قبرا لايبذر بذرا .

وقد يخطر سؤال ببال البعض فيتساءل : اذا كان ذلك كذلك فنحن نقرأ اليوم لسوفوكليس وبرخت ويوربيدس وصمويل بيكت وجان بول سارتر والحكيم وغيرهم من أعمال مطبوعة مقروءة ؟ نعم . لا أنكر ذلك ، ولكن ألا يخطر ببالنا السر الكامن وراء خلود أعمالهم؟!!

---

٢٠ ـ المرجع السابق ص ٣٤

ان هناك نصوصا مسرحية رهيبة العدد مطبوعة ومعروضة على أرفف المكتبات بأبخس الأثـمان فلماذا اذن نقتني (أوديب) و (بجماليون) و (المستجيرات) و (لامفر) و (الأيام السعيدة) و (ايفيجينيا في أوليس) و (بنات طرواده) و (عطيل) و (هملت) و (أهل الكهف) وغيرها .

ان الكـاتب المسرحي حتى في كتـابتـه لايخرج عن الطبيعة العملية أو الفعلية للنص المسرحي يكتب الكلام (WORDS) ويستحضر في ذهنه الفعل (ACTION) فقبل أن ينقل لنا الكاتب ما يقوله أحد أبطاله على خشبة المسرح فانه ينقل لنا حالة ذلك البطل وفعله ، لحظة تفوهه بما يقول بل وينقل لنا فعل من بجواره وحركاتهم ونظراتهم بل وأيضا ينقل لنا حتى ذلك الجماد الذي بجواره من كرسي أو طاولة أو شجرة وحتى المنظر الخلفي وغير ذلك .

اذن الكتابة المسرحية في حد ذاتها فعل ، والكاتب المسرحي الذي يعجز عن استحضار الفعل فانه بالتأكيد سوف يقدم عملا مسرحيا هزيلا .

ان بقاء النصوص المسرحية يعود أصلا الى فعل العمل وذلك الأثر الذي خلفته الدراما لحظة عرضها وبذلك فان القارىء عندما يقرأ النص ينتقل من عالمه الى عالم المسرحية .

وكتابة المسرحية تتطلب حنكة ودراية وسعة خيال ولايدرك هذا الفن الا الكاتب المتمرس ولذلك نرى أن ما يجمع بين كتاب المسرح هو ذلك العمر المتأخر بعد أن يكونوا قد خاضوا وجربوا هذا العالم الابداعي ، فالغلبة الغالبة من المسرحيين كتبوا عبقرياتهم في سنوات متأخرة ، حيث ان الكاتب المسرحي يبدأ كالمنجم الذهبي ثم يمضي في تجاربه الى أن يصل مرحلة الذهب الخالص النقي .

ولـذلـك علينا كجمهور أو كنظارة ألا نستعجل في جني الثمر قبل أن ينضج فكتابنا المسرحيون وعلى رأسهم عبد الكريم بن علي جواد ومحمد الشنفري مازالوا في بداية المسيرة نحو الكتابة المسرحية مقارنة بالعمر المتأخر للمسرحيين العالميين ورغم ذلك فهم يبدعون لنا روائع مسرحية عالية بقدر ماتؤتيهم التجربة ويسعفهم الخيال .

« إن نظرة فاحصة على تاريخ المسرحية في العالم ، تثبت أن كتابة المسرحية الناضجة تحتاج الى سن معينة ، يكون صاحبها قد بلغ درجة عالية من الحنكة والتدريب على هذا الفن الشاق ، تدريبا يؤهله أن يقدم لنا مسرحا يمكن الاحتشاد له ، ومفهوما يكون في خدمة المجتمع الذي يعيش فيه»(٢١)

ونظرة سريعة في أعمار كتاب المسرحية في سلطنة عمان حاليا نجد أن شيئا واحدا يجمعهم هو أنهم لازالوا في عنفوان شبابهم .

---

٢١ ـ المسرح العربي في القرن التاسع عشر ص ١٨

وليس بذلك أريد أن أسلبهم حق الابداع المسرحي على المستوى المحلي بقدر ما أشيد بحماسهم وقدرتهم على ممارسة الكتابة المسرحية بأصولها السليمة .

وكل ما أريد أن أقوله ان الابداع المسرحي لايأتي بين ليلة وضحاها وانما يحتاج الى تدريب وممارسة وثقافة عالمية ترصد تحركات المسرح منذ خليقته الى أحدث اتجاهاته العصرية ، وهي دعوة مفتوحة للكتاب العمانيين للوصول الى الفن المسرحي الابداعي ، وعلى هؤلاء الكتاب أن لاتجتاحهم رياح اليأس وتقذف بهم بعيدا عن خشبة المسرح بل عليهم أن يعيشوا جنبا الى جنب وأن يكون المسرح هو سبيلهم في الحياة والى الحياة(٢٢)

« لم يكن أمام المسئولين عن مسرح الشباب حل ، الا أن يستعينوا بكاتب عربي هو منصور مكاوي علهم يجدون فيه ضالتهم رغم صغر سنه ، والذي حاول صادقا أن يفرز كل ما في جعبته ولكن المجتمع الذي قدم منه مغايرا في أغلب الأشياء عن المجتمع الذي قدم اليه .

وقبل استقدام المؤلف قامت الوزارة باستقدام المخرج العربي كذلك مصطفى حشيش الـذي كانت معاناته لم تكن مقتصرة على الاخراج وانما تحولت الى تلقين الممثلين أصول التمثيل » فمن المؤكد (أن المسرحية تتميز عن الصور الأخرى من صور الأعمال الأدبية من حيث انها مكتوبة بقصد تمثيلها في مسرح ، وهذا يستتبع منطقيا أن الأثر الكامل لمثل هذه التمثيلية لايمكن أن ينشأ الا بابرازها ابرازا مسرحيا)(٢٣) ويجمع الدارسون رغم اختلاف المذاهب المسرحية على ضرورة توفر عنصر التأليف والاخراج والمبنى المسرحي فهذه هي الأصول .

ويلعب المخرج دورا بارزا وكليا في اخراج المسرحية والوصول بها الى مرتبة السمو التي تنشدها ، ولن يتمكن المخرج من ذلك اذا كان يصطدم بغياب المبنى المسرحي الشامل .

وتفتقـد السـاحـة المسرحية في السلطنة الى المخرج المتخصص ولذلك نجد أن محمد الشنفري وعبد الكريم بن علي جواد هما نفسهما اللذان يقومان بالاخراج لمسرحياتهما، وكون المؤلف هو المخـرج، شيء جيد جدا، حيث يكون أكثر الماما برسم الشخصيات غير أن الاخراج مدرسة فنية تعتمد على الدراسة أكثر منها على الخيال (فالمسرح الصحيح فن يجب أن يكون الكلام فيه (WORDS) (ACTION) (٢٤) أقل من الفعل .

إذن يجب أن تكون العناية بالحركة أكثر من العناية بالكلام ، وطبعا لاأعني بكلامي السابق قدحا في اخراج الأستاذين عبد الكريم والشنفري فمن الحماقة والجهل أن يتنكر كائن من كان لدورهما الرائد في اثراء التجربة المسرحية في السلطنة اخراجا وتأليفا .

---

٢٢ ـ أنظر : المسرح العربي في القرن التاسع عشر ص ١٨

٢٣ ـ علم المسرحية ص ٣٦

٢٤ ـ المسرح العربي في القرن التاسع عشر .

لقد استقدمت السلطنة أكثر من مؤلف ومخرج من الخارج أقصد من مصر الا أن كتابنا وبالأخص الشنفري وعبد الكريم أثبتا قدرتهما تأليفا واخراجا ولعل مسرحية (السفينة ماتزال واقفة) خير شاهد على ذلك فقد أحرزت مركزا متقدما على مستوى المنطقة ونالت اعجاب النقاد والمشاهدين وحصلت بطلتها على لقب أحسن ممثلة في دول مجلس التعاون الخليجي ، غير اني أعاود القول وأقول اننا لانتنكر لاخواننا الذين استقدموا الينا لارساء قاعدة تجريبية للحركة المسرحية في السلطنة ، مثل منصور مكاوي ومصطفى حشيش .

ليس شرطا أن نجسد على مسارحنا شخصيات شكسبير أو غيره حتى نقول اننا نملك دراما راقية فتراثنا العربي عميق ويزخر باللؤلؤ فقط محتاج الى الغواص الجيد والذي لابد أن نزوده بأدوات الغوص والذي لابد أن يحس فينا تقديرنا لذلك الدور .

(هـ) الترجمـــة والاقتبـاس :

وبما اننا في جهة الحديث عن التأليف والمؤلف ، فاننا لابد أن نعرج ولو قليلا الى موضوع الـترجمـة والاقتبـاس (التعمـين) فالـترجمة تلعب دورا مهما في الحركة المسرحية ، وأصبح الاقتباس المنتقى ميزة لاعيبا ، فليس عيبا أن نترجم أو نقتبس من المسرحيات الخالدة ونقوم بتجسيدها على مسارحنا ، فميزة المسرح أنه شمولي أي ليس حصرا على بيئة معينة فعطيل مثـلا على المسرح العربي هو على المسرح الغربي وذلك أن شكسبير أجاد رسم أبعاد هذه الشخصية وحـدد معـالمهـا وأبعادها وحركاتها على خشبة المسرح والمخرج هو الذي يظهر المسرحية كما هي أو يحولها الى غث فاسد .

ان التعمين حركة مطلوبة ولن يضيرنا شيء ولن يضير النص الأصلي شيء اذا وقع ذلك النص بين أيد أمينة تظهره في شكل جديد مستشف من شكله القديم أو الأصلي .

والتعمين والاقتباس لانريده حكرا على النصوص العربية بل نريده ايضا أن ينطلق الى النصوص العالمية . وبنظرة سريعة الى النصوص التي قدمها مسرح الشباب . فاننا واجدون أن عبد الكريم بن علي جواد ومحمد بن سعيد الشنفري ومنصور مكاوي هم رواد الكتابة لمسرح الشباب وجاءت نصوصهم جيدة كمسرحيين في عمر الشباب مازالوا في حاجة الى سنوات من الأخذ والعطاء مقارنة بأعمار المسرحيين العالميين الذين أبدعوا في سنوات متأخرة من عمرهم بعد الأربعينيات .

وقد سيطرت اللهجة المحلية الدارجة على الأعظم الغالب من المسرحيات .

أما المواضيع التي تطرقت اليها مسرحيات الشباب فكانت في الغالب تدور حول الأسرة ومشكلات الزواج والزراعة والعمالة الوافدة، وقد تجمع المسرحية أكثر من اشكاليةٌ ولعل آخر مسرحية قدمها مسرح الشباب (الفلج) خير معين على صحة ما أكتب .

كما قدم المسرح أعمالا مترجمة ومقتبسة ومعمنة ويعد عبد الكريم بن علي جواد من له الباع الطويل في ذلك المجال ، وهذا مدحا فيه لاقدحا ولا نتنكر لفضله في تقديم مسرحيات

عالمية وعربية تبنتها حتى المدارس والفرق الأهلية بل ومسرح الشباب أيضا بعد أن قام بتعمينها .

(و) المبنى المسرحي ومسرح الشباب :

لاتكتمل المسرحية الا بهذا العملاق الذي يطلق عليه المسرح ، وهو ذلك المبنى المنظم الذي يضم صالة للنظارة ، ومنصة للعرض وكواليس وغرفا لتنظيم حركة الممثلين والملابس والمكياج ، معتمدا على نخبة من الفنيين الذين يديرون الاضاءة والتصميم وتوزيع الصوت وغير ذلك .

ويعاني الوطن العربي عامة من عدم انتشار أو بالأصح غياب المسرح الشامل فمسارحنا إما كانت دورا للسينما ثم حولت الى مسرح وإما صالات للاحتفالات بل ان بعض الدول العربية تفتقد الى وجود مسرح واحد ناهيك عن وجود مسرح قومي .

وفي الكتاب الذي أصدره عبد الكريم بن جواد اشارة الى تبني وزارة التراث القومي والثقافة انشاء مسرح قومي ولكن الى الآن لم نر هذا المسرح بل لم نسمع عنه شيئا .

ان في المسارح القومية يتحقق وجود الفن المسرحي وهو المكان المناسب لعرض الدراما الراقية بعيدا عن تلك المسرحيات التجارية الراقصة الفاشلة التي أخذت تغزو الشارع العربي وبعيدا عن تلك المسرحيات الجامدة التي ترتكز على الحوار الممل والاضحاك بالألفاظ النابية بعيدا عن الحركة الدرامية .

ان المسرح هو الطريقة الوحيدة الى ايصال المسرحية الى ذروتها عن طريق عرضها على منصة أمام الجمهور ، وكل مسرحية تكتب بغير قصد التمثيل أو بالأصح دون أن يتخيل كاتبها مسرحا وجمهورا بطبيعة الحال مسرحية جامدة ان لم تكن فاشلة أو ميتة (فالمسرحية تتميز عن الصور الأخرى من صور الأعمال الأدبية من حيث انها مكتوبة بقصد تمثيلها في مسرح)(٢٥).

«والمبنى المسرحي هو المعلم الذي يذكر المواطنين بأن المسرح أصبح حقيقة واقعة وهو خير اعلان عن قيامه ، فعن طريقه ترتبط مجموعة من الممثلين أحست أن لها بيتا ينبغي أن تعنى به فلا يكفي أن يشتد التراث القديم ويحس ولا يكفي أن تزورنا الفرق الأجنبية وأن نرى حركة ترجمة واطلاعا واسعين على ثقافات وآداب جديدة فكل هذا في حاجة ماسة الى هذا المبنى الذي تصب فيه كل هذه القنوات ليشعر المسرح باستقلاله وتفرد انتمائه »(٢٦)

غير أن ما يشد استغراب المطلع على الحركة المسرحية في السلطنة هو افتقاد المبنى المسرحي ، فبينما دخلت الأشعة والكمبيوتر مسارح العالم مازلنا نحن هنا في السلطنة نجادل

---

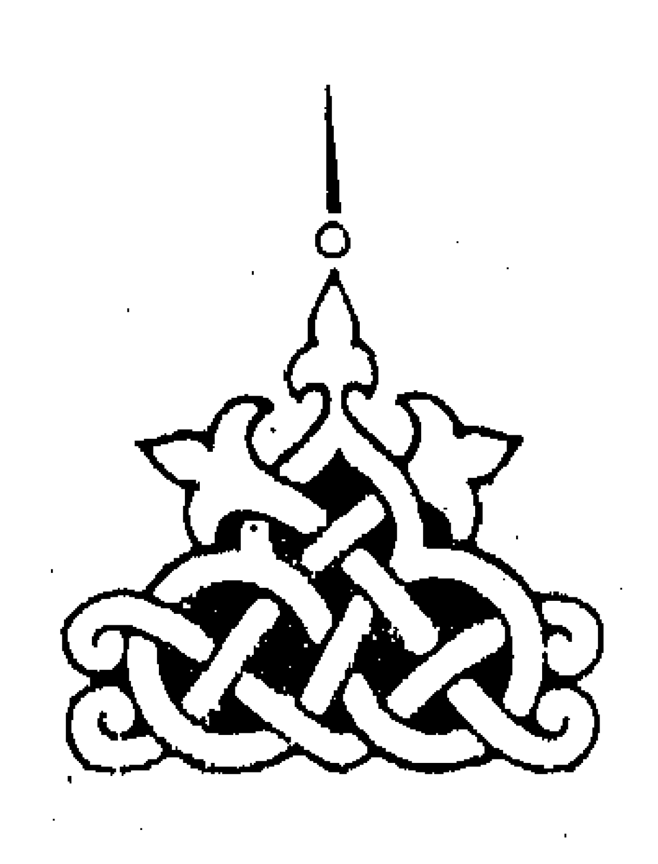
٢٥ ـ أنظر : علم المسرحية ص ٣٦

٢٦ ـ المسرح العربي في القرن التاسع عشر ص ٤١ ـ ٤٢

على اقامة مبنى مسرحي ، وفي كل لقاء يصرّ المسئولون عن الحركة الثقافية عامة والمسرحية خاصة على تكرار وعودهم بأن هناك مسرحا في الطريق ، ولكن هذا الطريق طال كثيرا ومازلنا عليه منذ أكثر من اثنتين وعشرين سنة ولم نصل بعد الى ذلك المبنى .

لقد مضى على تأسيس مسرح الشباب (اثنتا عشرة) سنة ، وهو الى الآن لايملك مسرحا واحدا غير مقر صغير عبارة عن فيلا سكنية متواضعة الامكانيات لاتصلح للتدريبات ناهيك عن العروض .

وفي كل عام يلجأ مسرح الشباب الى استئجار قاعات الفنادق ومسارحها لتقديم عروضه وبدون شك أن مبالغ الاستئجار باهظة تكلف (الهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية) مبالغ طائلة كما أنها تحكم العمل المسرحي بوقت زمني غالبا لايكون وافيا لنضوج التدريبات)(٢٧)



٢٧ ـ تجربة المسرح بسلطنة عمان ص ٣٦ .

الفصل الخامس
المسرح المدرسي

يعتبر المسرح المدرسي أو (التربية المسرحية) هو واحد من الأنشطة التربوية التي تولي وزارة التربية والتعليم اهتماما بها الى جوار التربية الفنية والتربية الرياضية والتربية الموسيقية والتربية الأسرية ، ويقتصر مجال التربية الأسرية على مدارس البنات فقط .

ولكن رغم الاهتمام بالمسرح المدرسي اسميا ورسميا الا أن الحصص الدراسية المنهجية تخلو تماما من وقت مخصص للنشاط المسرحي ، بينما تأخذ الأنشطة التربوية السالفة الذكر نصيبها في جدول الحصص الأسبوعي ، تحت اشراف أساتذة متخصصين .

وفي حديثنا عن الصعوبات التي تواجه المسرح في البيئة المدرسية بيان للحركة المسرحية المدرسية في السلطنة .

الصعوبة الأولى : (خلو الجدول اليومي من النشاط المسرحي) :

وخلو الجدول الدراسي اليومي من حصة أسبوعية أو شهرية تتم فيها الممارسة المسرحية ليس عيبا في النظام التربوي التعليمي في سلطنة عمان فحسب بل هو عيب في النظام التربوي العربي عامة ، فالجهات الرسمية المنفذة في عالمنا العربي لاتستطيع أن تدرك القيمة النهائية لهذا الفن الريادي في خلق المواهب وتوجيه المجتمع ، وحتى وان أدركت ذلك ، فان ما تدركه شيء وما تنفذه شيء آخر وذلك خشية أن تكون هي نفسها احدى المواد المنقودة على خشبة المسرح .

وعودة الى المسرح المدرسي في السلطنة ، نقول إن اليوم المدرسي مزدحم بجداول الحصص المنهجية ، وهي تتراوح ما بين الخمس حصص الى سبع حصص ، حسب المراحل التعليمية ، على أن يعقب ثلاث الحصص المتعاقبة الأولى ، فسحة قصيرة تصل الى ٢٠ دقيقة ثم تتعاقب الحصص الأخرى .

والحقيقة أن هناك من بين تلك الحصص ماهو مخصص للأنشطة التربوية ولكن لأنشطة أخرى غير النشاط المسرحي مثل ، التربية الفنية والرياضية والأسرية للبنات .

الصعوبة الثانية : (المدرس المتخصص)

في واقع الأمر تعتمد الممارسة المسرحية المدرسية على أمر في غاية الأهمية وهو تواجد مدرس متخصص في هذا المجال .

وتواجد مدرس من بين هيئة التدريس في كل مدرسة له ممارسات مسرحية أو قراءات أو اهتمامات أمر يعتمد على الصدفة البحتة .

ولما كان من النادر تواجد مثل ذلك المدرس ضمن الهيئة التدريسية العادية ، ظل المسرح المدرسي محدود العطاء ، واذا ازدهر سنة من السنوات في مدرسة من المدارس بحكم تواجد ذلك المدرس ، فانه سرعان مايخبو هذا الازدهار اما بنقل المدرس أو بانتهاء عقد عمله أو حتى بانصرافه هو شخصيا الى جماعة نشاط تربوي أخرى ، وذلك للمصاعب التي يواجهها مشرف جماعة التمثيل المسرحي ، ولعل أول هذه الصعوبات هو توفير الوقت اللازم ، فالجدول اليومي مزدحم بالحصص المنهجية أو التربوية الأخرى .

لذا فانه ليس أمام مشرف جماعة النشاط المسرحي الا واحد من ثلاثة حلول كلها صعبة التنفيذ(١) وهي :

(أ) أن ينظم المدرس أو المشرف نشاط جماعته في الفسحة وعندها سوف يصطدم بضيق الوقت فعشرون دقيقة غير كافية على الاطلاق لممارسة النشاط المسرحي ، وقبل أن يصطدم بهذا العائق لابد أن يصطدم بتذمر أفراد جماعته من جراء حرمانهم من شيء هم في أمس الحاجة اليه لتناول الافطار والمرطبات ، وفرصة للتنفيس عن حزياتهم التي تظل مكبوتة طوال الدرس وفرصة أخرى لأخذ نفس طويل يتمكنون به من مقاومة كتم النفس في الحصص التالية(٢)

(ب) أن ينظم المشرف نشاط جماعته خلال حصص يستعيرها من الحصص المنهجية أو التربوية الأخرى وهنا سوف يواجه عدة مصاعب من بينها أولوية المنهج المقرر ثم صعوبة اقناع زملائه المشرفين على الأنشطة التربوية الأخرى بضرورة إستعادة حصة من أحدهم ، وسوف تتضخم المصاعب عندما يكون أفراد جماعته ، وهذا وارد جدا من صفوف مختلفة ، وفي هذه الحالة فان على هؤلاء الطلبة أو على بعضهم التخلي عن الدروس المنهجية وهذا أمر مرفوض سواء من ادارات التربية أو ادارات المدارس أو حتى من أولياء الأمور وأغلب الطلبة(٣)

---

١ ـ تجربة المسرح بسلطنة عمان ص ١٣

٢ ـ أنظر : المرجع السابق ص ١٣

٣ ـ أنظر : المرجع السابق ص ١٤

(جـ) ويبقى هناك حل واحد أمام مشرف جماعة المسرح ولكنه ان لم يكن أصعب الحلول فانه لايقل صعوبة عن الحلين السابقين ، وهو أن ينظم المدرس نشاط جماعته في الفترة المسائية وهذا يعتمد على قدرة الطلبة على العودة في الفترة المسائية وكذلك على مدى قدرة المدرس نفسه ومن ناحية أخرى ما اذا كانت المدرسة ذاتها خالية في المساء ، فالعديد من المدارس في السلطنة تعمل ثلاث فترات متعاقبة ، فترة صباحية للمرحلة الاعدادية والثانوية ، وفترة مسائية للمرحلة الابتدائية ، وفترة ليلية لتعليم الكبار ومحو الأمية(٤)

ورغم الجهد الذي يبذله مشرف جماعة المسرح ومحاولته الجادة في ابراز عناصر واعية إلا انه للأسف لايلقى نظير صنعه الا شهادة تقدير تحتفظ بها ادارة المسرح في غرفة مدير المدرسة .

ودعنا نطلق العنان لآمالنا وحسن ظننا ، ونقول اذا تمكن مشرف جماعة المسرح من تجاوز تلك الصعاب والعقبات ، هل يعني هذا انه وصل الى بر الأمان ؟ بالطبع لا وسوف يصطدم بالبناء المسرحي والامكانيات المتاحة وهو ما يمثل العائق الثالث في حركة النشاط المسرحي المدرسي .

الصعوبة الثالثة : (المبنى المسرحي)

والمسرح أو المبنى المسرحي يعد أهم الدعامات الأساسية لقيام فن الدراما ، وحتى ولو اكتملت كل عناصر المسرح الأخرى من تأليف واخراج وممثلين . . الخ ، فان المسرح لن يقوم الا بقيام قاعدة البناء المسرحي .

فرغم قيام المدارس على أحدث السبل التقنية الا انها تخلو من المبنى المسرحي ، ونادرا ما تجد مبنى مسرحيا في احدى المدارس على مستوى المناطق التعليمية ، فمنطقة الباطنة التعليمية وهي كبرى المناطق التعليمية تخلو مدارسها من وجود المبنى المسرحي اللهم وجود صالة خصصت أصلا للاجتماعات يمارس عليها فن المسرح في وقت المنافسات توجد في مدرسة صحار الثانوية ، أما في محافظة مسقط فقد كان المسرح المدرسي في مدرسة جابر بن زيد من أبرز المسارح المدرسية .

وغالبا ما تستخدم قاعة الاجتماعات في مدرسة (دوحة الأدب) الثانوية للبنات كمبنى مسرحي تمارس فيه الطالبات النشاط المسرحي .

وفي أغلب المدارس يتم اصطناع الخشبة المسرحية في الساحة المدرسية من الخشب ليتم عليها التدريبات استعدادا لدخول المسابقة المسرحية السنوية التي تقام أولا على مستوى

---

٤ ـ أنظر : المرجع السابق ص ١٤

المناطق التعليمية ثم تتنافس أوائل مدارس المناطق التعليمية على المركز الأول على مستوى السلطنة . وغالبا ما يهضم في تلك المسابقة حقوق بعض المدارس والمواهب التي لم يحالفها الحظ في وجود مدرس له هواية أو موهوب مسرحيا أو لم تكن لديها الامكانيات المادية لاقامة مبنى مسرحي ومعها تهضم حقوق بعض المواهب الواعدة التي لو تحقق لها ماتحقق لغيرها لكانت هي الأسبق والأفضل .

الصعوبة الرابعة : (خلو المنهج المدرسي من النصوص المسرحية)

يعاني منهج التدريس من فقدان النصوص المسرحية أو حتى التعريف بالمسرح وبأهم رواده ، واذا كانت الرغبة موجودة عند القائمين على الحركة الثقافية في السلطنة وعند القائمين على وضع المناهج الدراسية فهم مطالبون وبالحاح أن يشربوا المنهج المدرسي ببعض مفاهيم المسرح ومعطياته حتى يخرج الطالب من الدراسة المدرسية وهو يعي ولو قليلا مصطلح (مسرحية)، (مسرح)، (كوميديا)، (تراجيديا) وحتى يجد أولئك الموهوبون رغبتهم في ارتياد الحركة المسرحية وحتى يتمكن الطالب من الالمام بألف باء المسرح عندما يرغب في الالتحاق بجامعة السلطان قابوس (كلية الآداب) ، قسم المسرح .

المسرح المدرسي بين الواقع والمستقبل :

ويعد هذا الطواف حول المسرح المدرسي ، يخطر ببالنا سؤال هو : مالذي حققه المسرح المدرسي وما مدى تطوره ؟

وأتمنى أن لا أجانب الصواب اذا قلت ان بداية الثمانينات كانت شعلة النشاط المسرحي المدرسي مقارنة بما عليه الحال اليوم ، ولكن حتى في تلك الفترة ظل المسرح المدرسي حبيس المناسبات الوطنية والدينية فأنشط مدرسة مسرحيا بالكاد تقدم عرضين مسرحيين ـ لاتتجاوز مدة عرض المسرحية الواحدة ربع الساعة ـ في السنة الدراسية .

وقد يحدث أن لاتقدم جميع مدارس ولاية ما عرضا مسرحيا واحدا في عام دراسي كامل .

ومن الظلم أن نلقي كل اللوم على ادارة المدرسة في ظل تلك الصعوبات السابقة الذكر التي تعترض الحركة المسرحية في المدارس ، كما ان موجها واحدا لادارة تعليمية كاملة أمر يدعو للاستغراب حقا ، فما مدى القيمة التي يمكن أن يحققها موجه في منطقة تعليمية كالباطنة مثلا تضم أكثر من ٢٠٠ مدرسة أي أن الموجه لو قضى كل أيام الأسبوع في زيارة مدارس المنطقة بمعدل يوم لكل مدرسة وعلى مدار العام الدراسي لما تمكن من زيارة جميع مدارس المنطقة ، ولذلك يلجأ موجه (التربية المسرحية) الى عقد دورة صباحية في احدى مدارس المنطقة تكون في الولاية التي تنتصف ولايات المنطقة (مثل الدورة التي عقدت

باحدى مدارس ولاية صحم بالنسبة لمنطقة الباطنة في شهر نوفمبر) وتكون بمعدل ساعتين لمدة يوم أو يومين يحضرها المشرفون والمشرفات على جماعة المسرح في مدارسهم .

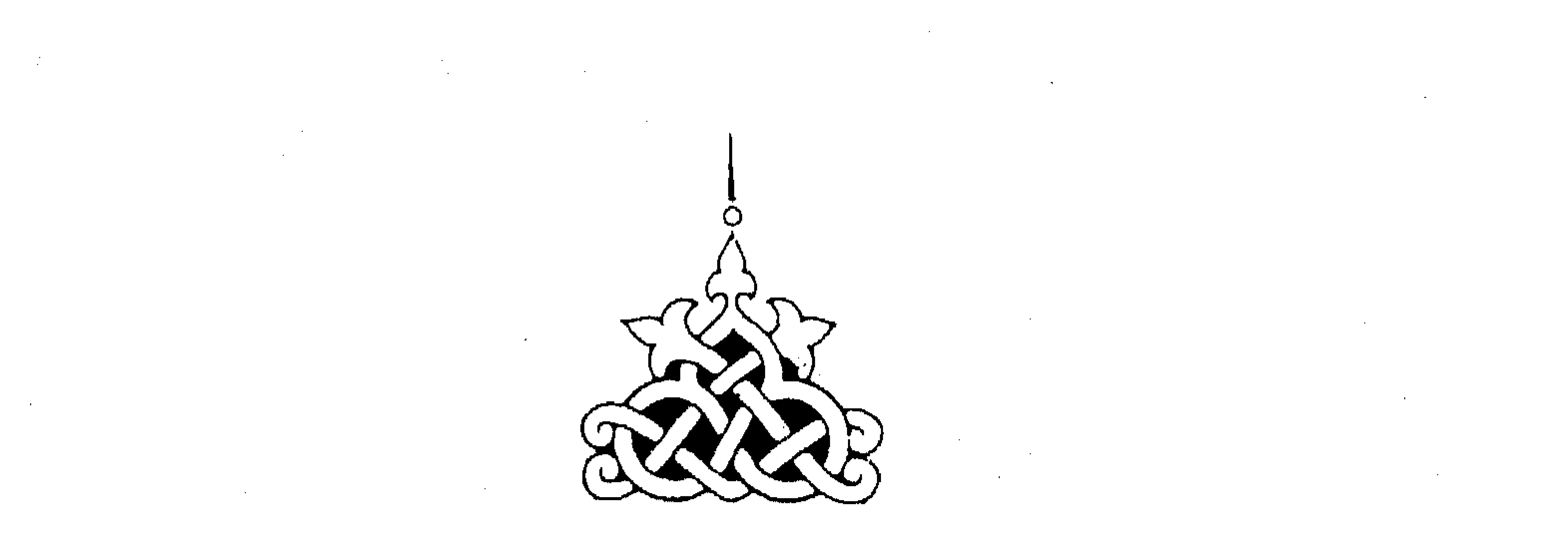
كما أن المشرفين والمشرفات على جماعة المسرح في المدارس ربما قبلوا الاشراف على هذه الجماعة باصرار من المدير أو المديرة أو من باب توزيع المهمات أي أن الرغبة والممارسة ليست هي الدافع وراء الاشراف على جماعة المسرح .

وهنا نتساءل أيهما أجدى أن يحاضر الموجه على المشرفين والمشرفات أم يأتي هو الى المدرسة ويلتقي بالمجموعة المسرحية ويحاضر فيهم ويوجههم ويثقفهم مسرحيا ليخلق فيهم روح المسرح ؟؟

أظن أن التوجه الثاني هو الأجدى .

والأمل يحدونا في ان تتبنى وزارة التربية والتعليم فكرة موجه واحد لكل منطقة تعليمية مع مراعـاة القائمين على المنهج المدرسي والحركة الثقافية أن يسعوا لدى الوزارة للخروج بالمسرح الى الطريق السليم لاسيما وأن جامعة السلطان قابوس أصبحت منوطة بهذه المهمة بعد المدرسة .

ذلك هو الواقع أما عن النظرة المستقبلية للمسرح المدرسي فهي نظرة غامضة في ظل تلك المعطيات والامكانيات المحدودة والمحدودة جدا وفي ظل تلك العقبات الكثيرة والكثيرة جدا ولكن نأمـل أن نستقي قطرة أمـل من هذا اليأس الممـطر ، ولعـل قسم المسرح بجامعة السلطان قابوس احدى قطرات الأمل وبداية الغيث قطرة .



الفصـــل الســادس
المســرح في الأنــديـــة

اذا كان المسرح المدرسي يتم تحت اشراف حكومي فان مسرح الأندية يقوم على أكتاف شباب أحبوا المسرح وشكلوا خلية عمل ، غير أن هذه الخلية في حقيقة الأمر يصعب عليك جدا العثور عليها ان لم يكن مستحيلا .

ان الهم الأكبر الذي يؤرق شباب واداريـي الأندية هو كرة القدم ، رغم أن هناك تجربة مماثلة أمامنا تؤكد تآزر النجاح الثقافي مع النجاح الرياضي ، ولعل النادي الأهلي خير مثال على ذلك ، فالنادي الأهلي أيام كان شعلة النشاط المسرحي والثقافي كان هو المسيطر على الساحة الكروية .

ولست أدري السبب الذي أدى الى أفول نجم هذا النادي مسرحيا بعد أن كان لايجاريه مسرح لا في الأنـدية ولا في القطاع العام ، ولعل غياب أبرز المسرحيين عنه هو السبب الرئيسي في هذا الأفول .

لقد قام المسرح في النادي الأهلي على أكتاف شباب تشربوا المسرح في الخارج قبل قيام النهضة المباركة .

ولما كان العمانيون ميالين بطبعهم الى الألفة والمحبة فقد اندمجوا في تلك المجتمعات التي هاجـروا اليهـا فأعطوها بقدر ما أخذوا منها ، وتفاعلوا مع حضاراتها المختلفة ، وعندما ارتفعت رايات النهضـة ، تدعـوهم الى العـودة والمسـاهمة في البناء ، لبوا الدعوة عاجلا وبقلوب يملؤها الشوق واللهفة وشمروا عن سواعدهم مسخرين خبراتهم في خدمة الوطن ، فوقفوا جنبا الى جنب مع المواطنين الذين ظلوا يعانون كفاح الحياة على أرض الوطن ، وكونوا مجتمعا ناشطا ناهضا متعطشا للتقدم الحضاري والازدهار الثقافي ، كما برز في هذه الفترة مجموعة من الشباب الذين درسوا في المدارس السعيدية ثم أنهوا دراستهم الثانوية في دبي بدولـة الامـارات العـربية المتحدة وأصبحوا مؤهلين لدخول الجامعات العربية خاصة في القـاهرة وبيروت فاطلعوا هناك على الحركات المسرحية التي كانت ناهضة في تلك الفترة وتأثروا بها تأثرا كبيرا ، فما أن يعودوا في الاجازة الصيفية الى مسقط حتى يبدأوا بمحاكاة تلك العروض التي شاهدوها وقد انضم اليهم عدد كبير من الشباب والفتيات من أعضاء

الأنـدية ، وقد استمر الحماس بهم سنوات عديدة قبل أن يخبو نجمهم بسبب انصرافهم وانشغالهم بأمور حياتية أخرى(١) .

ومن بين هؤلاء محمـد بن الياس بن فقير ورضا بن عبد اللطيف وأخوه أمين بن عبد اللطيف ، وقد استطاعوا هم وغيرهم أن يؤسسوا حركة مسرحية في النادي الأهلي نحن اليوم في أمس الحاجة أن نراها في أي ناد من أندية السلطنة .

والمسرحيات التي قدمها النادي الأهلي أعظمها مسرحيات الفصل الواحد ونادرا جدا ما تكون ذات الفصلين والباقي منها أقرب الى الاسكتشات الاستعراضية الضاحكة ، التي تتراوح مدتها بين العشر دقائق الى العشرين دقيقة .

وأغلب هذه المسرحيات خاصـة تلك التي قدمت في بداية السبعينات تتناول الوضع الاجتماعي والصحي ، وتدعو الى ضرورة التعليم وضرورة الجمع بين الاصالة والمعاصرة .

ومن أشهر المسرحيات التي قدمها مسرح النادي الأهلي مسرحية (جنون العقل) لرضا ابن عبـد اللطيف وهي صرخة توعية للعالم العربي ومسرحية (انتحار حقيقة) لأمين عبد اللطيف وهي مسرحية تغلب عليها الصبغة الرومانسية الحالمة ومسرحية (من الحياة) لموسى ابن جعفر وهي دراما اجتماعية واقعية والمسرحية الاستعراضية الشهيرة (سامبا) لرضا بن عبد اللطيف(٢)

ومهما أوجدنا من أسباب لتبرير خفوق النادي الأهلي مسرحيا فانها تظل ثانوية بجوار ابتعاد تلك النخبة المسرحية .

ومن المفارقات الغريبة جدا أنه بينما كان النادي الأهلي يعتلي خشبة المسرح وبدون مبنى مسرحي وكانت الأندية الأخرى ربما لاتعرف شيئا عن المسرح انقلب حاليا الوضع رأسا على عقب ، فأصبحت أندية عبري وبهلاء وصور وصحار والنصر والرستاق في القمة بينما اكتفى النادي الأهلي بتأجير مسرحه للفرق والحفلات .

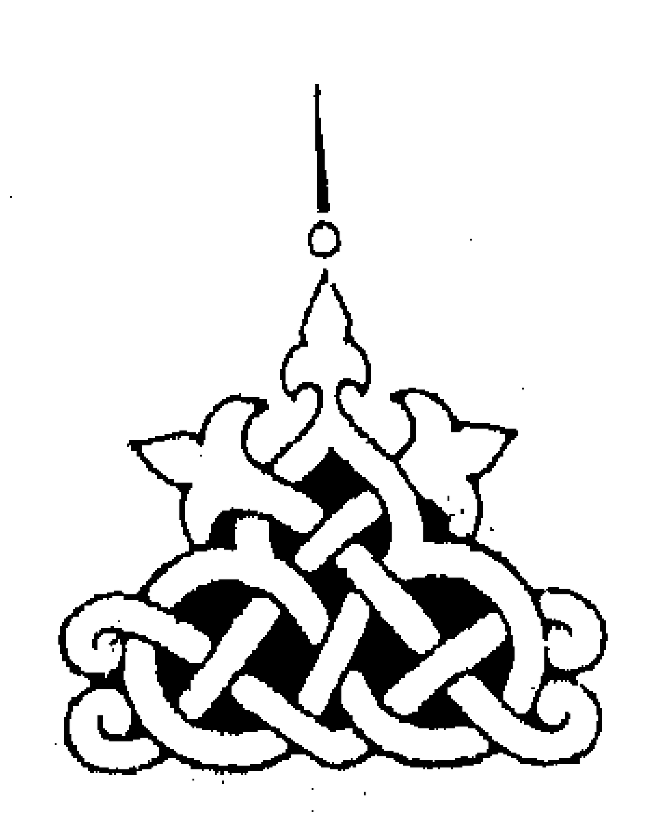
غير أن النادي الأهلي ليس وحده الذي يشكل استغرابنا بل نادي عمان كذلك ، فقد كان هذا النادي القطب المقابل تقريبا لمسرح النادي الأهلي وتميز بأدائه المسرحيات القصيرة والشعبية الفكاهية ومن خلاله ظهر في تلك الفترة الممثل صالح شويرد ، غير انه اختفى اذاعيا ومسرحيا وتلفزيونيا مثلما فعل مسرح ناديه(٣)

وأرجو أن لا أجانب الصواب لو قلت ان مسرح الأندية نلتمس فيه بارقة أمل ضوؤها يفـوق الضوء المنبعث من المسرح المدرسي ، فما زالت الصحف والاذاعة والتلفزة تطالعنا

١ ـ تجربة المسرح بسلطنة عمان ص ١٧
٢ ـ المرجع نفسه ص ١٩ ـ ٢٣
٣ ـ أنظر المرجع نفسه ص ٢٧

بنشاطات الأندية المسرحية ، ولعل مسارح أندية المناطق ولاسيما الداخلية والشرقية والظاهرة تأتي في مقدمة الأندية بينما نجد ركودا ملحوظا في مسارح أندية محافظة مسقط .

وتنشيطا من الهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية تقوم باعداد مسابقة سنوية في المسرحية بين أندية السلطنة ، غير أن المشاركة الفعلية تظل معدومة وتتجه المنافسة الى النص المسرحي .



الفصل السابع
الفرق الأهلية المسرحية

لن تكون في البلاد حركة مسرحية نشطة بدون مشاركة الفرق الأهلية في هذا الفن الانساني الخالد ، ولن نستطيع أن نقيم أو نوجد مقارنة بين مسرح الشباب والفرق الأهلية الا اذا عمدت هذه الأخيرة الى الممارسة العملية .

والفرق الأهلية الموجودة في السلطنة لن تحتاج لكل أصابع اليد الواحدة عندما تريد عدها وبعضها رغم مرور أكثر من خمس سنوات على اشهارها لم تقدم عرضا واحدا .

ومن الفرق الأهلية المحلية هي فرقة (الصحوة) وتتكون من شباب انفصلوا عن مسرح الشباب وأرادوا أن يجربوا بأنفسهم فكان لهم ذلك ، غير أن أعمالهم التي قدموها تنم عن انهم في حاجة ماسة للاحتكاك والخبرة والانتقاء ولعل فرقة مسرح شباب الباطنة أجادت عندما قدمت مسرحيتها في كل من صحار ومسقط .

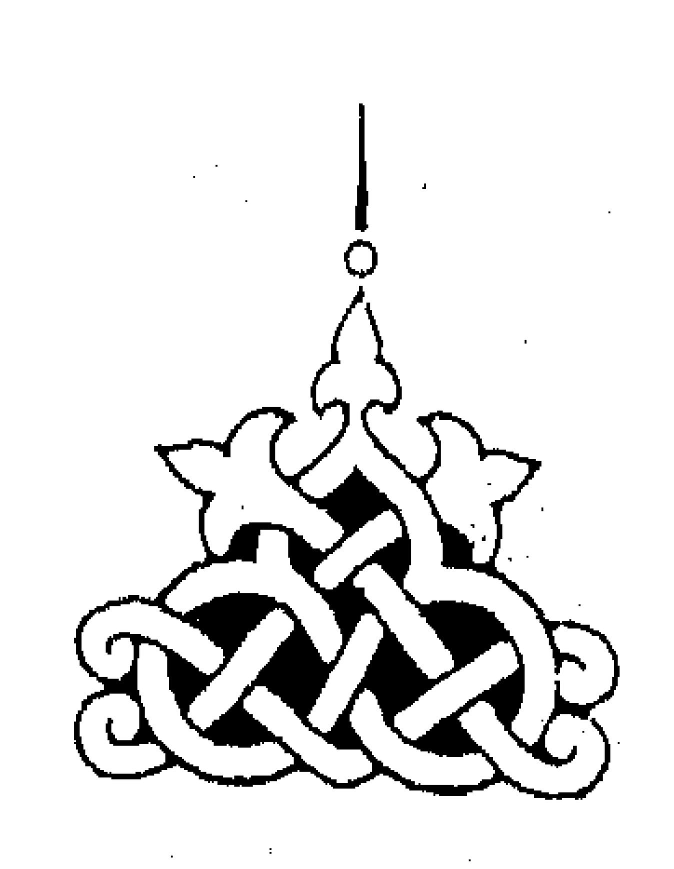
أما فرقة مجان ورغم انها تضم أشهر الكتاب والمخرجين والممثلين الا انها لم تقدم الى الآن بعد مرور خمس سنوات على تكوينها أي عمل بحجة انها تريد أن تقدم عملا متكاملا .

ثم تأتي بعد ذلك الفرق التي أسستها وزارة التربية والتعليم والشباب (سابقا) والهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية حاليا في المناطق وأوجدت الهيئة مخرجين جامعيين في كل منطقة ليقوموا باخراج النصوص المسرحية التي يعدها أيضا شباب المنطقة أو أعضاء الفرقة .

وقد شاهدنا في عام ١٩٩٠م عرضا هو (الصدمة) قدمته منطقة الباطنة ، واستعانت بالمخرج عبد الكريم بن علي جواد .

ان ساحتنا المحلية تفتقد المسرح الأهلي التجاري ، ولا أقصد بكلمة (التجاري) أن يكون توجه الفرقة تجاريا صرفا بل ما أريد أن أقوله أن تحقق الفرق الأهلية دخلا يمكنها من توفير الامكانيات المادية التي يتطلبها العمل المسرحي ، فهناك المبنى وهو أمر مكلف وهناك جهد الكاتب والمخرج هناك أجر الممثل وهناك التكاليف الفنية من ديكور وملابس وغيرها وهناك تكاليف الآلات والكهرباء كل هذه الأشياء تحركها المادة ، وبتوفر المادة نحقق مسرحا أهليا مستمر العطاء .

وهنـا يحـضــرني قول الأستاذ عبد الكريم بن علي جواد رئيس فرقة مجان المسرحية عندما التقيت به وطلبت منه تعليل عدم تقديم عمل مسرحي لفرقة مجان الى الآن رغم انه تم اشهارها منذ عام ١٩٨٨م فقال : النص متوفر والفرقة بها أكثر من مخرج ، والممثلون جيدون وشاركوا في مسرحيات مسرح الشباب ، وأضاف : نحن في فرقة (مجان) نريد أن نقدم عملاً مسرحيا جيدا يضـاهي الأعمال التي قدمها مسرح الشباب ، ولكن يحول بيننا وبين ذلك المبنى المسرحي ، فصـالات الفنـادق غالية جدا وايجـاراتها لفترة محددة ينقضي أغلبها في التدريبات على المسرحية وعندما طلبنا من وزارة التراث القومي والثقافة التكرم بمنحها لنا مسرح الوزارة لفترة العرض اشترطت أن يكون الدخول مجانا واذا كان الدخول مجانا فكيف للفرقة أن تحقق مكسبا ماليا تسد به تكاليف مسرحيتها . . خاصة واننا نفتقد كلية لدعم القطاع الخاص .



الفصل الثامن
المسرح الجامعي

جامعة السلطان قابوس جامعة فتية ، وقسم المسرح أدخل لاحقاً بعد افتتاح كلية الآداب .

ولذلك من الصعب الحديث عن المسرح أو الممارسة الفعلية في جامعة السلطان قابوس ، فما زال الطلبة في طور الدراسة بعد ، ومازالوا في طور التنظير بين الدراسة المسرحية والمجتمع ، غير أن قسم المسرح قدم لنا مسرحية كتبها وأخرجها عصام حشيش ، وهي مسرحية لم أتمكن من مشاهدتها وما أعرفه عنها هو ما استقيته من قراءة الصحف وما عرض من لقطات سريعة على شاشة التليفزيون .

(باغي أتزوج) هذا هو عنوان المسرحية التي قدمها مسرح جامعة السلطان قابوس . . والمسرحية اجتماعية تتخللها الكوميديا الضاحكة تدور حول رجل طاعن في السن يعمل جاهدا لكي يتزوج من فتاة صغيرة ذلك لقدرته على توفير المال ، والمسرحية بذلك تتطرق الى قضية اجتماعية من صميم المجتمع العماني ، غير انها لم تكن السباقة في هذا التطرق فقد سبق وأن عرض مسرح الشباب أكثر من عمل مسرحي يتناول هذه الظاهرة .

غير أن العمل يأتي كبشارة خير راجين أن تتكرر الأعمال المسرحية من قبل المسرح الجامعي بجامعة السلطان قابوس في السنوات المقبلة . خاصة وانه تتوفر لديه كل الامكانيات المادية والمعنوية .

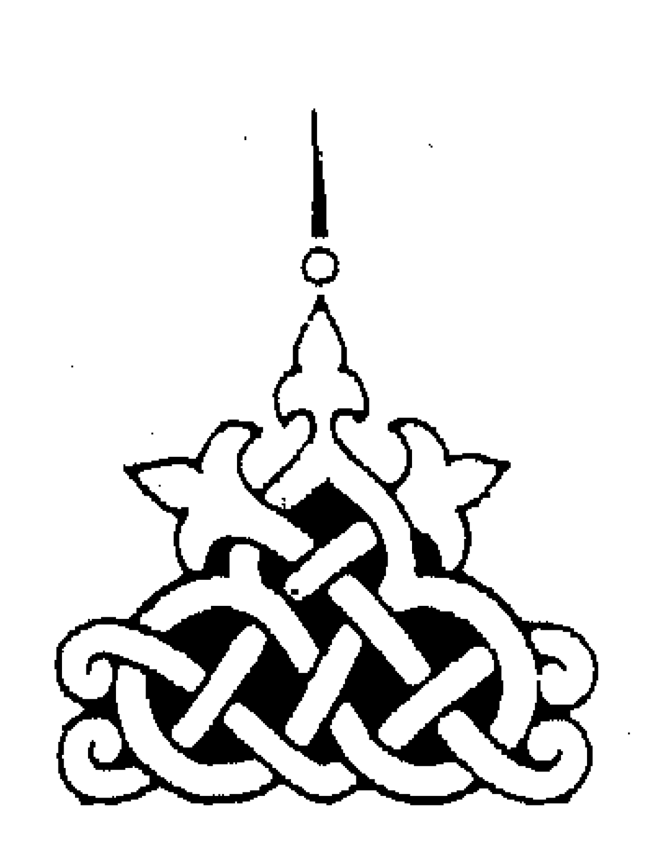
خاتمة البحث

لن أتجاوز الحقيقة اذا قلت أن هناك هالة ضبابية تغشى المسرح في سلطنة عمان ، ليس سبب قولي هذا هو عدم اهتمام المسئولين بالحركة المسرحية ليس ذلك هو السبب والا لكان وجود قسم للمسرح في جامعة السلطان قابوس ردا قويا وانما سبب قولي ذلك هو الفرق بين الاهتمام وبين الممارسة الحقيقية لفن المسرح .

ان المسرحيات التي قدمها مسرح الشباب مازالت تنهج النهج المدرسي التعليمي أو لنقل التوجيهي الارشادي ولذلك كانت مواضيع المهر والزراعة والعمالة الوافدة هي المواضيع التي تدور المسرحيات حولها .

وهنا نتساءل هل سيرقى مسرح الشباب بمسرحياته ويستطيع أن يكون مسرحا تجريبيا له ؟

لا . . هذه هي الاجابة بصراحة ، وكل المؤشرات تؤكد ذلك ، ذلك اننا نفتقد المبنى المسرحي من أساسه ثم اننا نفتقد للمسرح الأهلي ذلك المسرح الذي عن طريقه تتم المكاشفة والمصارحة في أسلوب فني راق يعبر عن توجهات وتطلعات المجتمع واقعيا ومستقبليا ، أضف الى كل ذلك افتقادنا للمسرح القومي ذلك العملاق المنتظر الذي بمولده سيولد المسرح حقيقة في السلطنة .



المراجـــــع

١ ـ « الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق » **الدكتور ابراهيم عبد الرحمن**

٢ ـ « المنتدى الأدبي (فعاليات ومناشط) » **المنتدى الأدبي**

٣ ـ « النقد الأدبي الحديث » **الدكتور محمد غنيمي هلال**

٤ ـ « تجربة المسرح بسلطنة عمان » **عبد الكريم بن علي جواد**

٥ ـ « تاريخ المسرح في ثلاثة آلاف سنة » **شـلدون تشيني**

٦ ـ « علم المسرحية » **الاردس نيكول**

٧ ـ « المسرح العربي في القرن التاسع عشر » **الدكتور/ أحمد سمير بيبرس**

النصـــوص المســـرحية

٨ ـ الطـــوي / **منصـــور مكـــاوي**

٩ ـ الوطـــن / **منصـــور مكـــاوي**

١٠ ـ الرايـــة / **منصـــور مكـــاوي**

١١ ـ الطير المهاجر / **منصـــور مكـاوي**

١٢ ـ المهـــر / **منصـــور مكـــاوي**

١٣ ـ الغـــريب / **منصـــور مكـــاوي**

١٤ ـ السفينة ماتزال واقفة / **عبد الكريم بن علي جواد**

١٥ ـ الفـــار / **محمد بن سعيد الشنفري**

حــرف الأجـــداد
ودور الأحـفـــاد

عبدالله بن طـالب المعولي(*)

المقـــدمة

تلعب الحرف التقليدية دورا هاما في حياة المجتمعات البشرية سواء كان ذلك من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية فهي همزة الوصل بين ماضي المجتمع وحاضره وعامل أساسي ومهم في التعريف بعادات المجتمع وتقاليده .

وتعد الصناعات والحرف التقليدية التي تشتهر بها السلطنة احدى النوافذ المشرقة التي يطل منهـا العـالم على عمان وتشكل هذه الصناعات والحرف الركن الأساسي من التراث الحضاري الأصيل للشعب العماني المعطاء .

وحيث ان الأرض العمانية زاخرة ـ ولله الحمد ـ بثروات طبيعية كثيرة فقد ذاع صيت عمان في مجال الصنـاعـات والحـرف التقليدية منـذ أقدم العصور حيث تعددت وتنوعت فنون وأشكال هذه الصناعات بما يحتاجه المجتمع وبما يشبع ملكات الذوق والجمال الكامنة في النفوس ولقد استطاع الانسان العماني أن يحقق ذلك بذكائه ومهارته . كما ان موقع عمان قد ساهم وبشكل كبير في تدعيم شهرة الصناعات خاصة صناعة السفن ومراكب الصيد وحرفة صيد الأسـماك والـزراعـة والصناعات المختلفة مثل الفخار والجلود والنسيج والصناعات المعدنية الى غير ذلك من الصناعات المختلفة .

ولقـد ظلت الصنـاعـات والحرف تلعب دورا هاما كمصدر رزق للفرد والمجتمع عبر الأجيال المـاضية .

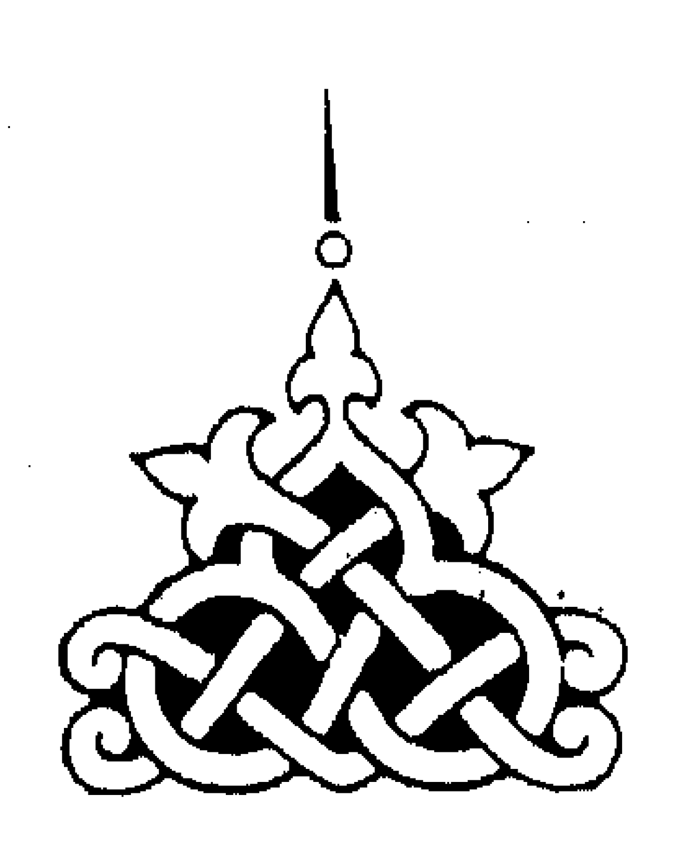
وحيث ان الحرف والصناعات القديمة تعتبر جزءا هاما من تاريخ الحضارة العمانية كونها حرف الأجداد فانه لامناص من أن يجتهد الجميع في سبيل المحافظة عليها من الاندثار حيث

(*) البحث الفائز بالمركز الأول بمسابقة المنتدي لعام ١٩٩٢م .

أن بعض الأسر كان الجد أو الأب يمارس حرفة ما وعند وفاته ونظرا لعدم الاكتراث من قبل الأبناء بتلك الحرفة اندثرت وذهبت أدراج الرياح فعلى سبيل المثال وحسب معرفتي الشخصية فقد كانت هناك أسرة في احدى ولايات السلطنة الجد فيها صانع حلوى معروف وبعد وفاته ضاعت تلك الحرفة من الأسرة وهذا ناتج عن عدم اهتمام حفدته بالمحافظة على تلك الحرفة المتوارثة ومن أمثلة ذلك الكثير والكثير في مناطق مختلفة من البلاد .

ان الاهتمام السامي الذي يوليه حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله ـ ، بالحرف والحرفيين ودعوة جلالته المستمرة للمحافظة على تراث الأجداد وأن لا يترفع المواطن العماني عن العمل اليدوي كما ان تخصيص ـ جلالته ـ الاحتفال بالعيد الوطني السابع عشر المجيد لتكريم الحرفيين ليعطينا جميعا دافعا قويا نحو الاهتمام والمحافظة على تلك الحرف التي خلفها لنا الأجداد .

وبناء على ذلك فان الجهود والامكانيات يجب أن تتضافر كما ان التعاون يجب أن يتم بين كل الجهات سواء الحكومة أو القطاع الخاص أو القطاع الشبابي أو أفراد المجتمع في سبيل المحافظة على تلك الحرف بل والعمل على تطويرها وأن يكون الاهتمام من الجوانب العلمية والعملية .



الفصـــل الأول
الحــــرف قديمـــا

أولا ـ الحــرفـة لـغــة :

الحرفة في الأصل مأخوذة من تنمية المـال . يقال جاء فلان بالأحراف اذا جاء بالمـال الكثـير وفلان يحرف لعياله أي يكسب بعمله من هنا وهناك . ويقال أيضا حرف لأهله واحترف أي كسب واحتال وقيل احتراف هو الاكتساب أيا كان والحرفة جهته ومصدره . واحترف فلان أي اتخذ حرفة والحرفة جمعها حرف وهو اسم الاحتراف . والحرفة الصناعة والمنحرف والمحترف موضع يحترف فيه ويقال أيضا ان الحرفة هي الصناعة اليدوية الحاذقة . ويقـال ان الحرفة والصناعة تأتي بمعنى واحد يقول ابن منظور (المحترف الصانع وحرفة الرجل صناعته)(١)

ويفهم من هذه التعـريفـات أن الحـرفـة والصنـاعة هي مصدر الكسب التي يجيدها الشخص من تجارة أو زراعة أو أي عمل يدوي .

ثانيا ـ موقف العرب من الحرف والصناعات قبل الاسلام :

كان لدى العرب في العصر الجاهلي بعض الأعراف والعادات التي ساروا عليها والتي أثرت عليهم في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، ومن جملة هذه الأعراف احتقارهم لبعض الحرف وابتعادهم عنها ، وقبولهم لبعض الحرف الأخرى ، فقد كانوا لايأنفون من الرعي ولا من التجارة ، أما الزراعة فقد كانت محترمة الى حد ما عند الحضر وأما البادية فكانوا يحتقرون الزراعة ويأنفون منها(٢)

أمـا الصنـاعـة فتختلف ، فمنهـا ما هو مقبول عندهم ويمتهنها الكثير منهم كالغزل والنسيج الذي ينتشر عند الحاضرة والبادية دون أدني احتقار لمن يعمل ذلك عندهم . كما انهم على عكس ذلك يحتقرون من يمتهن التجارة ولكن بدرجة معقولة ، ويحتقرون بالدرجة الأولى من يمتهن (الحدادة) ويسمـونه بالقين فكانت كلمة القين تعني (العبد الرقيق) مرتبطة

(١) المنجد : المعجم الوجيز ـ لسان العرب .

(٢) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ . «مركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون ـ الدوحة ـ قطر . »

الصناعات الحرفية مما يدل على مدى احتقارهم لها وانزلوا محترفيها منـزلة العبيد الأرقاء فكانوا يشكلون طبقـة وضيعة في المجتمعات الجاهلية في الحجاز ، فلا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم ، بل يأنفـون من مخالـطتهم والتحـدث اليهم . وبالتالي ابتعد أشراف العرب عن الصناعات وسيطر عليها الموالي أو الوافدون الأجانب ، مما جعل هذه الحرف حكرا عليهم وأكسبتهم الأمـوال الـوفـيرة ، كما كان بعض العرب نتيجة لذلك يجلبون الرقيق الصناع ويستغلونهم في العمل للناس ، كي يجمعوا لهم الأموال .

وقد استغل اليهود في الحجاز هذا الجانب عند عرب الحجاز فكانوا يقومون بكثير من الصناعات ، وبالتالي جمعوا الأموال الكثيرة عن طريق هذه الصناعات(٣)

موقف الاسلام من الحرف والصناعات :

حينما جاء الاسلام حاول الرسول ﷺ تغيير المفهوم الخاطىء لدى العرب عن الحرف والصناعات سواء بالتوجيه الكريم من الرسول ﷺ ، أم بتطبيق الرسول ﷺ لبعض الأمور التي تخالف هذا المفهـوم عند العرب حتى يرى أصحابه منه ذلك ، وبالتالي يقتدون به وينقلون ذلك الى الناس ، فقد كان الناس لايستجيبون لصانع اذا دعاهم الى طعام ولكن الرسول ﷺ كان يخالف ذلك ، فحينما دعاه (خياط) في المدينة الى طعام استجاب الرسول ﷺ لدعوته واصطحب معه أنس بن مالك رضي الله عنه .(٤) ومن منطلق سلوك الرسول ﷺ في تغيير مفاهيم الناس الخاطئة فان الرسول ﷺ دفع ابنه ابراهيم الى زوجة (أبي سيف) وهو قين حداد في المدينة لكي ترضعه ، فكان الرسول يأتي الى منزل أبي سيف الحداد وهو ينفخ في كيره وقد امتلأ البيت بالدخان(٥)

والرسول ﷺ يريد أن يرفع من نظر الناس الى المحترفين الصناع حيث أسند الى زوجة أحدهم ارضاع ولده ابراهيم في الوقت الذي كان الناس يتخيرون لأولادهم المرضعات من القبائل الشريفة في البوادي .

كما ان ـ الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كان يعمل بيده الشريفة مع اصحابه الكرام حيث اشتهر انه قد عمل مع أصحابه في بناء مسجد قباء وفي بناء مسجده عليه الصلاة والسلام كواحد من المسلمين وكان يأبى على المسلمين ان يحملوا عنه الحجارة ويحمل كما يحملون ، كما عمل صلوات الله عليه مع المسلمين في غزوة الخندق في الحفر حتى انهم اذا عجزوا عن بعض الصخور قام عليه الصلاة والسلام بتكسيرها بيده الكريمة .

---

(٣) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﴿ﷺ﴾ . «مركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون ـ الدوحة ـ قطر .»

(٤) صحيح البخاري ج ٣ . المكتبة الاسلامية/استانبول ـ تركيا ١٩٧٩م «نقلا عن المصدر السابق» .

(٥) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﴿ﷺ﴾ .

وقد وضعت معظم كتب الحديث ابوابا عن الكسب والعمل باليد فقد وضع البخاري في كتابه الصحيح بابا اسماه (باب كسب الرجل من عمل يده). كما وضع ابن ماجة في سننه (باب في الحث على المكاسب) و(باب في الصناعات) ووضع الدارمي في سننه بابا اسماه (باب في الكسب وعمل الرجل بيده). وكل هذه الابواب التي وردت وغيرها كان فيها العديد من الاحاديث التي تحث المسلمين على العمل واكتساب المال عن طريق بعض الحرف اقتداء بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ ومن على شاكلتهم من الصالحين، مما كان له تأثير كبير على الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ حتى روت عنه عائشة ـ رضى الله عنها ـ انها قالت «كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمال انفسهم وكان يكون لهم أرواح فقيل لهم لو اغتسلتم»(٦).

ومن الاحاديث التي وردت في الحث على الكسب والعمل باليد وطلب الرزق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: (لأن يحتطب احدكم حزمة على ظهره خير من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه) كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: (ما كسب الرجل أطيب من عمل يده) الحديث(٧).

كما ورد عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا نظر الى رجل فأعجبه قال هل له حرفه؟ فان قالوا: لا قال: سقط من عيني قيل وكيف ذاك يارسول الله؟ قال: (لأن المؤمن اذا لم يكن ذا حرفة تعيش بدينه) كما ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يحث المسلمين على الكسب والعمل وان يطلب الرجل الرزق له ولمن يعوله، ونهى عن تضييع الأولاد أو من يعولهم، حيث قال صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت)(٨).

وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في معرض حديثه عن العمل والحث عليه يذكر الصحابة بأن الأنبياء عليهم السلام وهم قدوة الناس كانوا يحترفون لأنفسهم ويقومون ببعض الحرف للكسب والتعفف عن أموال الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم: «ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال له اصحابه: وانت يارسول الله؟ قال: وانا كنت ارعاها لأهل مكة بالقراريط» يعني كل شاه بقيراط(٩).

---

(٦) صحيح البخاري ـ المكتبة الاسلامية ـ استانبول ـ تركيا ١٩٧٩م. (٧) المصدر السابق.

(٨) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﴿ﷺ﴾. «مركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون ـ الدوحة ـ قطر.»

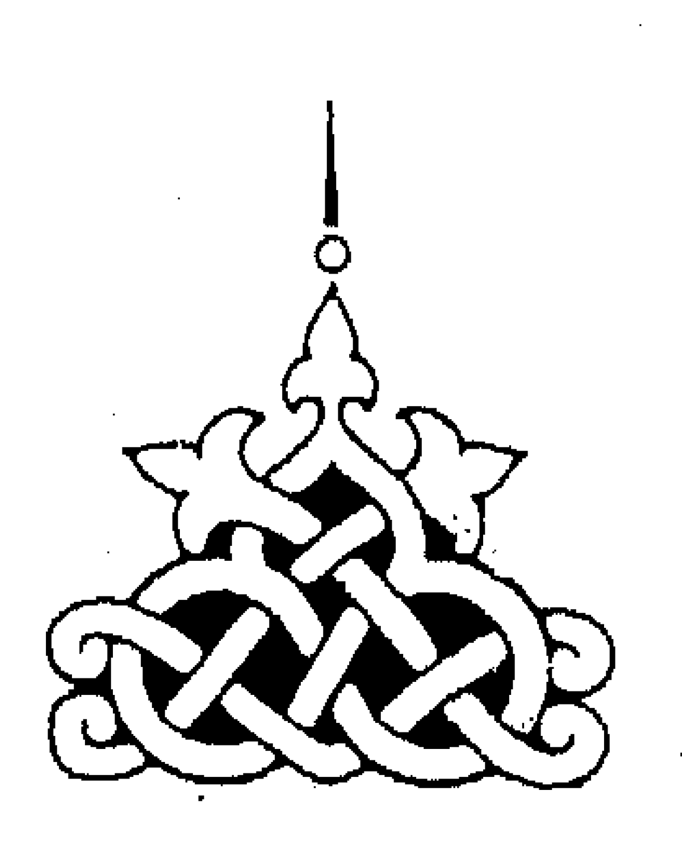
(٩) الحرف اليدوية في الحجاز في عصر الرسول ﴿ﷺ﴾. «مركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون ـ الدوحة ـ قطر.»

وقد روى عن ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «ما أكل أحد طعام قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» (١٠).

كما روى عن ابي هريرة ـ رضى الله عنه ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «كان زكريا نجارا»(١١). وهكذا نرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائما يضرب الأمثال للصحابة بالأنبياء عليهم السلام وانهم كانوا يحترفون لأنفسهم ويطلبون العيش عن طريق بعض الحرف أو الصناعات اليدوية دون ان يأنفوا من ذلك وكان لدى الصحابة استجابة لهذه التوجيهات الكريمة.

ويكاد العلماء المسلمون يجمعون على ان القيام بالصناعات فرض كفاية على المسلمين كما انهم جعلوا لولي الأمر الزام ارباب الصناعات القيام بأعمالهم. (١٢)

وهذه التوجيهات النبوية الكريمة كلها توجه الأمة نحو العمل والكسب والاحتراف والقيام بها يحتاج اليه الناس من صناعات كما انها تقوم بتعديل النظرة الخاطئة التي كانت المجتمعات الجاهلية تؤمن بها نحو العاملين في الصناعة.



(١٠) المصدر السابق.
(١١) المصدر السابق.
(١٢) المصدر السابق.

الفصــل الثـاني
أنواع الحرف والمناطق التي تمارس فيها

مقــدمـة :

لقد اشتهرت عمان بكثير من الصناعات القديمة والتي تعد مفخرة للانسان العماني الذي سكب فيها دقته ومهارته وأثبت انه موهوب وانه حريص على سمعة بلاده حيث ادرك ان تلك الحـرف عنوان الذكاء والمهارة وقد مارس العمانيون صنوفا كثيرة من الصناعات وفي مناطق مختلفة من البلاد.

أولاً ـ الصنـاعـات الفخـاريـة :(١)

تعد صناعة الفخار من الصناعات اليدوية التي عرفها العماني منذ اقدم العصور وابدع وتفوق فيها وهي صناعة تعتمد اساسا على الطين وتنتشر هذه الصناعة في عدد من ولايات السلطنـة اهمهـا بهلا التي تعتبر المركز الرئيسي وكذلك مناطق بلاد بني بوحسن ومسلمات وصحم وصـلالـةِ ولـوى وتتنوع الأواني الفخارية التي تصنع في عمان فتجد الجحال التي تستعمل لتبريد الماء وكذلك الخروس وهي تستخدم لتخزين الماء والتمر والعسل وكذلك صنـاعـة الكـلاوات والجـادوي والجباب وتصنع من الفخار أيضا المباخر (المجمر) والتي تستخدم كمحارق للبخور، كما ازدهرت حديثا صناعة المزهريات وهي اوان تستخدم في زراعة الشتلات الزراعية الخاصة بالزينة.

ثانياً ـ صنـاعـة المنسـوجـات :(٢)

تنقسم صناعة المنسوجات الى قسمين :

القسم الأول : المنسوجات الصوفيـة :

حيث ان هذه الصنـاعـة ازدهرت في عمان منذ اقدم العصور وهي تقوم على أصواف الأغنام والماعز نظرا لاتساع رقعة البادية وإماكن الرعي في البلاد. وهناك مدن عديدة تقوم

(١) أ ـ حصاد ندوة الدراسات العمانية ـ المجلد الرابع ـ وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٠م.
ب ـ دراسة عن الحرف التقليدية العمانية ـ وزارة التربية والتعليم
ج ـ نشرات صادرة من المديرية العامة لتنمية المجتمعات المحلية ـ وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل.
د ـ بعض الحرفييـن.

(٢) المصـادر السابقـة.

بها هذه الصناعة ويأتي في مقدمتها منطقة السديرة والاشخرة ووادي السحتن ووادي الخواطر ومصيرة وكذلك معظم القرى في ولايات المنطقة الوسطى وكذلك ولاية الرستاق والخابورة.

وتبدأ صناعة المنسوجات الصوفية بصناعة خيوط الغزل اولا حيث تجز اصواف الأغنام والماعز ثم تغسل وتجفف ومن ثم يتم غزله على المغزل اليدوي ليتحول الى خيوط على شكل كرات وبعدها تقام عليه بعض الصناعات من أهمها:

أ ـ صناعة العباءات والمناسل

ب ـ صناعة السيح التي تستخدم كمفارش.

ج ـ صناعة الخروج التي توضع على ظهور الدواب.

د ـ المحوى والبراد وتوضع فوق ظهور الأبل.

القسم الثاني ـ المنسوجات القطنية : (٣)

تقوم هذه الصناعة على زراعة القطن الذي كان يزرع في مناطق عديدة من السلطنة فبعد قطفة يتم غزله على النول المصنوع من خشب النخيل ومن المناطق التي اشتهرت بهذه الصناعة سمد الشأن وجعلان وإبرا وسمائل وبركاء ومن أهم الصناعات القطنية:

أ ـ صناعة العمامة السعيدية.

ب ـ صناعة الأوزرة.

ج ـ صناعة شباك الصيد.

د ـ صناعة الكمة العمانية.

ثالثاً ـ صناعة الجلود : (٤)

بما ان عمان تشتهر بتربية الاغنام والجمال والابقار لذلك نمت قديما صناعة الجلود ومنتجاتها ومازالت دباغة الجلود تتم كما كانت في الماضي وقد راجت صناعة الجلود في عمان ردحا من الزمن وكانت تصدر للخارج أما مجففة او مدبوغة. هذا وتشتهر بعض المناطق بهذه الصناعة منها نزوى وبهلا وتمارس عملية دباغة الجلود الآن كما كانت تمارس سابقا وتستخدم غالبا جلود الماعز حيث يبسط الصانع السطح الداخلي للجلد على طبقة من الملح ثم يوضع في خرس ويخلط بالتمر لمدة ثلاثة أيام ثم يمزج بشجر الشخر حيث يبقى لمدة ثلاثة أيام ايضا ثم تعاد العملية مرة اخرى مع وضع الملح والتمر وبعد ذلك يغمس في الملح وشجرة القرط.

هذا وتستخدم الجلود بعد تجهيزها في عدة صناعات منها صناعة الأحذية وقرب الماء واوعية لحفظ التمر والدلو والاحزمة وقطاعة السيوف والسكاكين وقد تدخل مع بعض منتجات النسيج مثل صناعة اربطة الحيوانات.

---

(٣) المصادر السابقة. (٤) المصادر السابقة.

رابعاً ـ الصناعات الخشبية : (٥)

يمكن تقسيم الصناعات الخشبية الى :

أ ـ صناعة السفن :

لقد عرف العمانيون صناعة السفن منذ اقدم العصور فقد كان العمانيون روادا للبحار والمحيطات منذ الفترة الالفية الثالثة قبل الميلاد(٦)، هذا وقد اشتهرت بعض المدن العمانية الساحلية بصناعة السفن مثل صحار وصور ومطرح كما ان هناك بعض المناطق الى جانب المناطق السالفة الذكر كانت تقوم فيها صناعة قوارب الصيد الصغيرة مثل الهوري والشاشة، هذا وقد اتبع العمانيون التقاليد السائدة في المحيط الهندي في صناعة السفن(٧). إذ كانت السفن تخزن بالالياف وتشد ولا تسمر بالمسامير الحديدية. اما الاخشاب المستخدمة في الصناعة فهي الساج والفيني والعيني والفنس والتي كانت تجلب من الهند وافريقيا ولايزال الأهالي يستخدمون نفس الأدوات القديمة لصناعة السفن مثل القدوم والمنقر والمقدح والقوس.

ب ـ صناعة المناديس :

والمناديس عبارة عن صناديق خشبية مطعمة بالنحاس. وتعد هذه الصناعة من الصناعات الخشبية الهامة التي برع وابدع فيها الفنان العماني ردحا من الزمن. وتصنع المناديس من خشب الساج المستورد من الهند. ويقوم الصانع العماني بسكب عصارة فنه ودقته وتذوقه للجمال في هذه الصناعة حيث يتم تحلية هذه المناديس بالمسامير والصفائح النحاسية الى جانب النقوس والزخارف الدقيقة والجميلة. وتختلف المناديس في احجامها حسب طرق استخدامها، فالكبير منها يستخدم لحفظ الملابس والصغير يستخدم لحفظ النقود والمجوهرات وأدوات الكتابة.

هذا ويصنع المندوس في عدة مناطق مختلفة من السلطنة مثل صور والسيب وبركاء وغيرها من المناطق.

ج ـ صناعة الأبواب والنوافذ :

من ضمن الصناعات الخشبية التي ازدهرت في عمان صناعة الابواب والنوافذ والتي تحتوي على النقوش الجميلة، ولقد برز العمانيون في هذه الصناعة واتقنوها وقد كانت الاخشاب المستخدمة في الماضي اخشابا محلية مثل اخشاب شجرة السدر والقرط أما في وقتنا الحاضر فتستخدم الأخشاب المستوردة من الخارج، هذا وتشتهر بعض مناطق السلطنة بهذه

---

(٥) المصادر السابقة.

(٦) عمان وتاريخها البحري ـ وزارة الاعلام ١٩٧٩م.

(٧) حصاد ندوة الدراسات العمانية ـ المجلد الرابع ـ وزارة التراث والثقافة ١٩٨٠م.

الصناعة وتعتبر التصميمات التي يقوم بتنفيذها النجار هي من بنات افكاره وغالبا تكون بدون رسم سابق لها إلا في حالة طلب احد الزبائن نموذجا معينا.

خامسا : الصناعات المعدنية (الذهب ـ الفضة ـ النحاس)(٨)

ان جمال الصناعة العمانية وتنوع فنونها واشكالها يتمثل في الصناعات الذهبية والفضية والنحاسية فهي بحق تاج الصناعات التقليدية وتاريخ هذه الصناعة في عمان قديم قدم الانسان العماني نفسه ومما لا شك فيه ان هذه الصناعات ظهرت لتلبي رغبة الانسان العماني في التزيين والاناقة. وتشتهر عمان بهذه الصناعة من حيث نوعية الانتاج الجيدة ودقة الصنع والذوق الرفيع. وتعتبر مدينة نزوى مركزا هاما من مراكز تجارة وصناعة الفضة الى جانب عدد من المناطق الاخرى.

وتتعدد وتتنوع الصناعات الذهبية والفضية والنحاسية بحيث لايمكن حصرها، فهناك صناعة الحلي الذهبية والفضية ولها اشكال وتصميمات عديدة تختلف من منطقة لاخرى، وتعد صناعة الخناجر من أهم الصناعات الفضية والتي تتميز بجمال التصميم والنقوشات ويتزين بها العمانيون وتلبس في المناسبات الرسمية ويتميز الخنجر العماني عن باقي الخناجر في الجزيرة العربية بانحناءته ويتكون من المقبض المصنوع من العظم والفضة والغمد والحزام.

وبجانب صناعة الخناجر هناك ايضا صناعة السيوف والكترات المحلاة بالفضة والذهب وتستخدم السيوف اليوم في المهرجانات الشعبية والمناسبات الوطنية وحفلات الرقص الشعبي اما قديما فكانت تستخدم في الحروب.

وهناك ايضا صناعات فضية وذهبية عديدة مثل صناعة أدوات زينة المرأة كالخلاخل والحجول والاقراط والخواتم وتطعيم البنادق واباريق القهوة والمباخر ومرشحات ماء الورد.

وتتمثل الصناعات النحاسية في الأواني الخاصة بالمناسبات كالأفراح ومنها أدوات القهوة والصواني النحاسية والملاعق الكبيرة التي تستخدم في غرف الطعام من القدور، والمراجل التي يطبخ فيها اللحم والارز في المناسبات.

سادساً ـ صناعة الخوصيات :(٩)

ازدهرت في عمان زراعة النخيل منذ اقدم العصور وبجانب محصول التمر الناتج من النخيل. قامت صناعة هامة على النخيل اشتهرت بها عمان نظرا لبساطتها ودقة وجمال حرفيتها، وتمتاز هذه الصناعات القائمة على النخيل بانها ذات طابع اسري. وتتنوع هذه الصناعات فمنها يقوم على الخوص او السعف الذي يؤخذ من الأوراق الداخلية للنخلة

---

(٨) أ ـ حصاد ندوة الدراسات العمانية. ب ـ دراسة عن الحرف التقليدية العمانية.
ج ـ اصدار المديرية العامة لتنمية المجتمعات المحلية. د ـ بعض الحرفيين.

(٩) المصادر السابقة.

ويترك في الشمس ثم تبلل بالماء وبعدها تجدل بعد ان تقسم الوريقة الواحدة الى عدة اجزاء تتفاوت في عرضها حسب الصناعة المطلوبة ومن أهمها صناعة القفران او الظروف التي تستخدم لتخزين التمر وصناعة الحصر وصناعة المراوح اليدوية.

وهناك صناعات تقوم على جريد النخيل ومن اهمها صناعة الدعون التي تبنى منها البيوت ويتم ذلك بربط الجريد بعضه البعض بحبال من الليف، كما يعمل من الجريد «الزفاير» الذي يستخدم لاستخراج العسل من التمر وكذلك في صناعة سفن صيد الاسماك الصغيرة ومن ليف النخيل تقوم صناعات عديدة اشتهرت بها عمان ومن اهمها صناعة الحبال ولها انواع عديدة، كما ان من ضمن الصناعات الخوصية صناعة الحصر العمانية والتي تعتمد على شجرة الرسل.

سابعاً ـ حرفة صيد الأسماك :(١٠)

لقد منّ الله على عمان بشريط ساحلي يمتد لمسافة ١٧٠٠ كيلو متر ابتداء من مسندم وحتى ظفار، كما ان المياه العمانية غنية وزاخرة بأنواع كثيرة من الاحياء المائية المختلفة لذلك نجد ان معظم من يقطنون المناطق الساحلية يعملون في حرفة صيد الاسماك وتعتبر حرفة صيد الاسماك من الحرف القديمة جدا حيث تذكر الروايات بأن العُمانيين كانوا روادا للبحار والمحيطات قبل الفترة الالفية الثالثة قبل الميلاد وعليه فان ذلك يعني ان العُمانيين قد مارسوا حرفة صيد الأسماك قبل ذلك ولايزال حتى وقتنا الحاضر يعمل كثير من العُمانيين في هذه الحرفة وتعتبر مصدر رزقهم الوحيد. كما ان هذه الحرفة قد جعلتهم يقدمون على صناعة شباك الصيد وأدوات الصيد المختلفة مثل الشباك والدوابي والتي كانت تصنع من الغزل والنسيج والياف النخيل.

ثامناً ـ حرفة الزراعة :(١١)

بما ان معظم الأراضي في السلطنة صالحة للزراعة بل وتجود فيها زراعة كثير من المحاصيل، فلقد ازدهرت حرفة الزراعة وبشكل كبير حيث يمارس هذه الحرفة معظم المواطنين وفي كل مناطق السلطنة بلا استثناء ويمكن القول بأن حرفتي الزراعة وصيد الأسماك هما الحرفتان الأساسيتان لسكان البلاد.

تاسعاً ـ حرفة الرعي :(١٢)

لقد اهتم الانسان العماني منذ زمن بعيد بتربية الاغنام والابقار والماعز والأبل ولقد ازدهرت حرفة تربية ورعي تلك الحيوانات في معظم مناطق السلطنة فلا يكاد بيت عماني او مزرعة يخلو من وجود بعض تلك الأنواع من الحيوانات.

---

(١٠) المصادر السابقة. (١١) المصادر السابقة. (١٢) المصادر السابقة.

وتربى تلك الحيوانات لعدة اغراض منها لتوفير الحليب ومشتقاته وايضا توفير اللحوم الى جانب ذلك يتم الاستفادة من الاصواف والجلود في الصناعات النسيجية والجلدية.

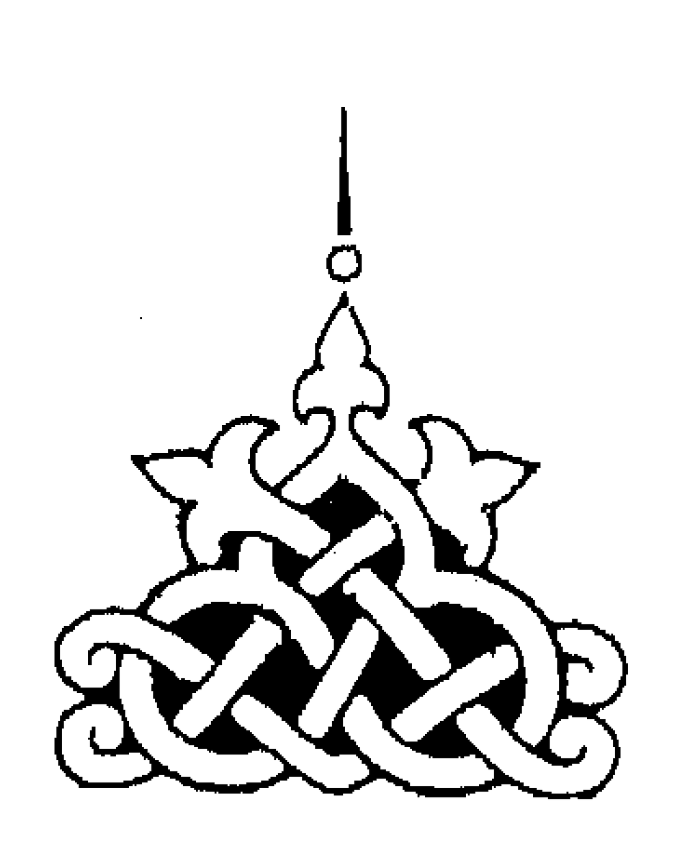
والى جانب ذلك تستخدم الأبل كوسيلة للنقل كما تقام في بعض المناطق سباقات للجمال والخيول العربية.

عاشراً ـ صناعة الحلوى العُمانية : (١٣)

من ضمن الصناعات التي اشتهرت في عمان صناعة الحلوى والتي تتمتع بشهرة عالية على المستويين المحلي والخارجي وتشتهر كثير من مناطق السلطنة بهذه الصناعة اهمها نزوى وبركاء، ويستخدم في صناعة بعض انواع الحلوى السكر السائل الناتج من عصر قصب السكر الذي ينتج محليا.

احد عشر ـ صناعات تقليدية اخرى : (١٤)

كما ان هناك صناعات تقليدية اخرى في عمان يمكن تحديد بعضها في الصناعات القائمة على اللبان وهي صناعة العطور والبخور وهناك صناعة مواد البناء ومن اهمها صناعة الطابوق الذي كان يصنع من الطين أو ما يعرف بالصاروج.



(١٣) المصادر السابقة .　　(١٤) المصادر السابقة .

الفصـــل الثـالــث
توارث الحرف ومدى اقبال الشباب عليها

مقـدمـة :

ان ابراز معالم الشخصية العمانية والحفاظ عليها يستوجب في المقام الأول البحث عن الطريقة المثلى التي يمكن بها المحافظة على أساسيات التراث العماني المتوارث عبر الأجيال وذلـك بهدف توصيل ذلـك الـتراث الى اجيال المستقبل، وحيث ان الحرف والصناعات القـديمة تعتبر أحد اساسيات التراث العماني الاصيل فانه لابد من العمل على المحافظة عليها ونقلها عبر الاجيال.

الخطوات التي اتخذت بهدف المحافظة على الحرف :

ان أهم الخطوات التي يمكن التركيز عليها الدعوات المتكررة والتذكير الدائم من مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله ـ بضرورة المحافظة على حرف الاجداد وعدم الترفع عن الاعمال اليدوية ومن بين أقوال جلالته ما جاء في خطابه السامي بمناسبة العيد الوطني السادس عشر المجيد حيث قال جلالته:

« وانه لمن الأهمية بمكان ان يضطلع كل مواطن بمسؤوليته تجاه وطنه دون اتكالية أو اعتماد على الغير ويساهم بكل الجدية والاخلاص في انجاز مهامنا الوطنية التي تدعونا جميعا الى تمجيد العمل كقيمة نبيلة تعطي للحياة مضمونا ايجابيا نافعا وكواجب مقدس يحتمه الايمان بحق الوطن على ابنائه وتحض عليه تعاليم شريعتنا الاسلامية الغراء مصداقا لقوله سبحانه وتعالى ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ ».

اننا إذ نعتز بالهوية الحضارية لبلادنا في مسيرتنا لصنع التقدم والرخاء فإننا نود ان نشير بكـل الاهتمام الى ضرورة اقبال المواطن على المهن التقليدية التي قام عليها مجتمعنا قديما وخاصة المهن الزراعية وصيد الأسماك وتنمية الثروة الحيوانية وغيرها من المهارات والحرف لما لها جميعا من أهمية قصوى في تنمية اقتصاديات البلاد وحتى لا نفقد باهمالها موارد طيبة انعم الله بها علينا واننا لنعتزم بمشيئة الله تكثيف جهودنا في هذا المجال انطلاقا من ايماننا بأن

المجتمعـات لا تتـطور إلا على أسـاس من احترام مهن الاباء والاجداد، كما ان تقدمها لايقاس بالازدهار العمراني فقط وإنما بمدى اصالة هذا التقدم واستيعابه لقدرات المجتمع وتقاليده في العمل والعطاء.

وايمانا بدور الشباب العماني في بناء الوطن فإننا نهيب به ان يضرب المثل في الجدية ويعد نفسـه للمشاركة الايجابية في كافة قطاعات العمل دون ان يربط مستقبله بالحصول على الشهادات فقط أو يحصر اهتماماته في مجالات محدودة بطبيعتها، وإنما يجب عليه ان يكون قدوة حسنة في تقبله للعمل في مختلف الميادين مهما بدا هذا العمل بسيطا لانه سيبقى جهدا شريفا ونبيلا طالما انه يؤدي خدمة للوطن والمجتمع ويحقق طموحات المواطن في حياة كريمة، وفضـلا عن ذلك فان تخفيف الاعتماد على العمالة الاجنبية في الكثير من الاعمال التي لا تتطلب مهارات خاصة لايمكن ان يتحقق الا باقبال المواطن عليها بكل جد واهتمام، وليس ادل على ذلك كله من قوله جل شأنه ﴿وان ليس للانسان إلا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾

كما ان هناك عدة خطوات ترجمت الى مشاريع تدعم مسيرة الحرف وتساعد على المحافظة عليها ويمكن ايجازها في التالي:

١) اقامة مصنع للفخار في بهـلا.

٢) اقامة مصنع للنسيج في سمائل.

٣) اقامة مصنع للسفن في صـور.

كما ان خلق منـافذ لتسويق الحرف والصناعات القديمة وذلك عبر المعارض المختلفة ومنافذ البيع قد ساعدت بالاضافة الى العوامل السابقة الذكر على جعل الحرفيين يستمرون في العمل بالحرف والصناعات التقليدية.

أضف الى ما تقدم ذكره ان اصرار كثير من المواطنين على التمسك بالحرف والعمل في الصنـاعـات القـديمـة يعتـبر من أهم الخـطوات التي ساعـدت على بقـاء تلك الحـرف واستمراريتها كما ان اقبال بعض الشباب على ممارسة تلك الحرف قد ساهم اسهاما كبيرا في ذلك.

تـوارث الحــرف :

سبق وان اشرنا الى أن الحرف والصناعات القديمة لاتزال وحتى يومنا هذا تشكل مورد رزق للذين يعملون بها أو انها تشكل احدى مصادر الدخل.

ويعمل في هذه الحرف حاليا افراد من مختلف المستويات العمرية وبخاصة الجيل المتقدم حيث ان نتيجة الاستبيان البسيط الذي قمنا به يشير الى ان الذين تتجاوز اعمارهم الاربعين سنة يشكلون نسبة اعلى حيث بلغت النسبة ٨٠٪ من الذين شملهم الاستبيان وهذا يدل دلالة واضحة على تمسك أولئك بالحرف التي ورثوها عن اجدادهم بينما بلغت نسبة الذين تتراوح اعمارهم بين ٢٠ إلى ٤٠ سنة ٢٠٪ فقط وذلك نتيجة توجههم لأعمال اخرى بحثا عن مصدر أعلى للدخل كما ان الاستبيان يشير الى ان نسبة ٨٥٪ قد توارثوا تلك الحرف عن اجدادهم وان نفس النسبة قد تعلموا تلك الحرف عن طريق الأهل بينما تشكل نسبة ١٥٪ للذين تعلموا المهن عن طريق الممارسة وان ما دعاهم لذلك هو عدم توفر مصدر رزق أو لتحسين الدخل الشهري أو القضاء على وقت الفراغ .

وحيث ان بعض الحرف تتطلب وجود مساعد للحرفي فقد تبين من الاستبيان الى ان نسبة ٣٣٪ من المساعدين هم أفراد عمانيون من غير أسرة الحرفي وان نسبة ٣٨٪ يكونون من أفراد الاسرة سواء أحد الأولاد أو الأخوة وغيرهم وجاءت نسبة المساعدين من العمال الأجانب ١٩٪ فقط وهذا يدل على ان تلك العمالة لم تستطع النيل من تلك الحرف بشكل كبير كما يحدث في عدة مجالات مختلفة .

رغبة الأهل في تعليم أبنائهم الحرف :

نظرا لحرص الحرفيين على استمرار الحرف فقد أصر معظمهم على ان تبقى الحرفة مهنته الأصلية كما انهم حريصون على نقلها وتعليمها لابنائهم ويشير الاستبيان الى ان نسبة ٨٥٪ يرغبون في ان يتعلم اولادهم حرفتهم وان ١٥٪ فقط لا يرغبون في ذلك كما ان الاستبيان يشير الى نسبة ٧٦٪ يقومون فعلا بتعليم وتدريب أبنائهم على ممارسة تلك الحرف وان نسبة ٢٤٪ لا يقومون بذلك نتيجة انشغال ابنائهم ، أما بالدراسة أو الوظائف أو لعدم رغبة الأبناء في ذلك .

مدى اقبال الشباب على الحرف :

ان اقبال الشباب على تعلم وممارسة الحرف يعد أمرا مهما جدا فعلى الرغم من اصرار الأهل على تقبل تلك الحرف لأبنائهم بتعليمهم وتدريبهم عليها فانهم لن يقبلوا على ذلك الا اذا كانت لديهم الرغبة ، وبتوجيه السؤال للحرفين عن مدى اقبال ابنائهم على تعلم وممارسة الحرف جاءت النتيجة بأن نسبة ٤٨٪ ممن شملهم الاستبيان اقبالهم كبير وان نسبة ٢٥٪ اقبالهم متوسط وان نسبة ٩٪ اقبالهم ضعيف وان نسبة ١٨٪ لا يقبلون على ذلك اطلاقا .

أما الأبناء فقد جاءت نتيجة الاستبيان بأن نسبة ٧٩٪ اقبالهم كبير على ممارسة وتعلم الحرف وان نسبة ١١٪ لايقبلون عليها اطلاقا ـ وبالنظر الى النسب اعلاه يتضح لنا بأن الشباب لازالوا حريصين على توارث واستمرار الحرف باقبالهم عليها وذلك راجع وكما جاء على لسان الشباب ممن شملهم الاستبيان بانهم حريصون على المحافظة على تراث الاجداد وايضا يعتبرون الحرفة احدى مصادر الدخل أما الذين لايقبلون على الحرف فقد عللوا ذلك بعدم الرغبة أو الانشغال اما بالدراسة أو الوظيفة.

العوامل المؤثرة على استمرار الحرف :

ان استمرار وتوارث الحرف عبر الاجيال يجب ان يعمل الجميع من أجله ولا يتأتى ذلك الا بدراسة العوامل التي قد تؤثر على استمرار الحرف ووضع الحلول المناسبة لها.

ان من أهم العوامل التي اثرت على استمرار الحرف في نظري ظهور الصناعات الحديثة المشابهة ـ فانه ومن المعروف بأن النهضة التكنولوجية قد غزت كافة مجالات الحياة الصناعية فقد ظهرت الآلات والمعدات والمنتجات الحديثة وبصفة واسعة فمثلا صانع الفخار كان في السابق يصنع الاواني ويشتريها الناس بهدف حفظ وتبريد الماء أما الآن ومع ظهور الثلاجات فقد ترك الناس تلك الاواني، وهذا يشمل معظم منتجات الحرف وبالطبع فانه سوف يؤثر على الدخل الذي كان يحصل عليه الحرفي باعتبار ان تلك الحرف كانت مصدر رزقه كما ان دخول العمالة الوافدة ولو بنسبة ضعيفة قد يؤثر على جودة الحرف حيث ان تلك العمالة تقوم بتصنيع بعض المنتجات الحرفية وتقوم ببيعها بأسعار متدنية وجودة متدنية ايضا مما يؤثر على سمعة تلك الحرف كما ان عدم الاستقرار الاجتماعي الذي يواجهه الشباب خلال هذه الفترة سوف يؤثر مستقبلا على مسيرة الحرف بحيث نجد ان الشاب من المنطقة الداخلية مثلا ومقر عمله مسقط وبالتالي سوف يجد نفسه مضطرا الى الاقامة في مسقط طوال الاسبوع والذهاب الى بلدته أيام الاجازات فقط وبالتالي فان ذلك لن يمكنه من ممارسة الحرفة التي يمارسها والده كما انه ونتيجة للأسباب آنفة الذكر فان الدخل العائد عن تلك الحرف أصبح محدودا جدا وبالتالي فان الحرفيين سوف يسعون وبلا شك الى ايجاد مصادر بديلة للدخل حتى ولو وصل الأمر بهم الى ترك الحرفة وبالطبع فان عذرهم سوف يكون مقبولا لان مواجهة متطلبات الحياة العصرية هي التي الزمتهم بذلك.

الخاتمة والمقترحات

ان النتائج التي توصل اليها الاستبيان البسيط الذي قمنا به ليبشر بالخير وهو دليل على حرص العمانيين للمحافظة على حرف وتراث الأجداد.

واذا كانت النسبة الأعلى من الحرفيين المتواجدين حاليا يمثلها الجيل المتقدم (٨٠٪) فان ذلك يعتبر دليلا على حرص ذلك الجيل للاستمرار والسير في طريق الاجداد كما ان رغبة الحرفيين وقيامهم بتعليم وتدريب ابنائهم وتشجيعهم للعمل في تلك الحرف واقبال الشباب على ذلك ولو بنسب متفاوتة ليعد دليلا واضحا على حرص العمانيين ومن جميع المستويات العمرية السير على طريق المحافظة على التراث العماني الاصيل وانه ومع توسيع وزيادة الدعم المقدم للحرف والحرفيين فان الاقبال سوف يزداد حيث انه وعلى الرغم من وجود نسبة لا بأس بها من الشباب الذين يقبلون على ممارسة الحرف الا ان بعض اولئك الشباب يسعى ايضا في الحصول على وظيفة اخرى تساعده على مقابلة متطلبات الحياة العصرية ولهذا فان نسبة الشباب الذين يقبلون على الحرف ربما تتقلص وقد تصل الى أدنى حد لها ولهذا فان توسيع دائرة الدعم يعد مطلبا هاما بل وملحا ايضا.

كما وان اقدام القطاع الخاص على الدخول في مشاريع استثمارية للحرف الوطنية سوف يجعل تلك الحرف رافدا مهما من روافد الدخل القومي.

ان وضع الحلول المناسبة للعقبات التي تواجه استمرار الحرف واقبال الشباب عليها يعتبر امراً مهماً للغاية ولهذا فانه يتوجب على جهات الاختصاص زيادة دعمها للحرف والصناعات القديمة وان تتضافر كل الجهود لتحقيق ذلك.

وحرصا مني على استمرار تلك الحرف كما هو حرص مواطني هذا البلد الغالي فانني اطرح بعض المقترحات علها تساعد في دفع مسيرة تلك الحرف الى الامام وحلمي ان أرى في يوم منتجات الحرف الوطنية تغزو الأسواق ليس فقط الداخلية وإنما الخارجية ايضا.

أما المقترحات فهي الآتي :

١ ـ دراسة وتشخيص الأوضاع الحالية للصناعات والحرف القديمة.

٢ ـ دراسة الحرف الممكن تطويرها والتعرف على القيمة الاقتصادية لها.

٣ ـ انشاء معهد لتدريب الحرفيين لزيادة مهاراتهم الحرفية وكذلك لفتح المجال أما الراغبين في دخول مجال الحرف من الشباب وذلك بتدريبهم ومن ثم تخريجهم كحرفيين متخصصين.

٤ ـ توحيد الجهات الحكومية المعنية بالحرف الوطنية أو زيادة التنسيق فيما بينها وذلك بعد وضع الاختصاصات بحيث لا يكون هناك ازدواجية في العمل.

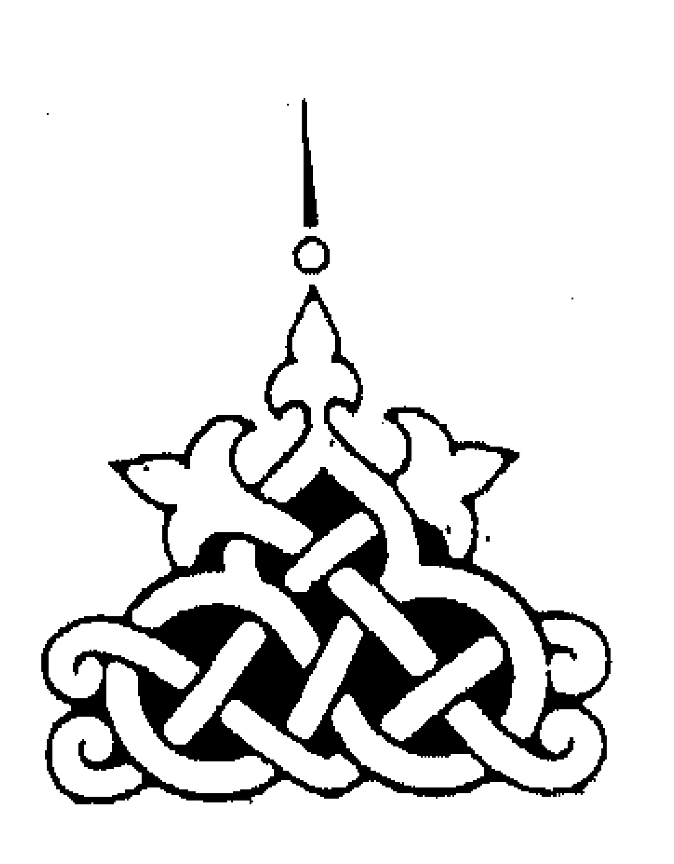
٥ ـ ضرورة تشجيع ودعم الاستثمار في مجال الصناعات الحرفية.

٦ ـ القيام بدراسات جدوى اقتصادية لاقامة مشاريع للحرف الوطنية وذلك على غرار مصانع النسيج والفخار والسفن بحيث يكون هدفها الأول تجاريا شريطة الا تفقد تلك الحرف هويتها الوطنية.

٧ ـ دراسة الأوضاع الاجتماعية للحرفيين وأسرهم ومحاولة وضع الحلول المناسبة لها وذلك لخلق نوع من الاستقرار الاجتماعي لتلك الاسر ومحاولة ان يكون أبناء الحرفيين قريبين منه سواء في مجال الدراسة أو الوظيفة بحيث يستطيعون ممارسة الحرف بعد ساعات الدوام.

٨ ـ ادخال الحرف والصناعات التقليدية كمقررات أساسية أو كمادة نشاط في المدارس خاصة الاعدادية والثانوية مع مراعاة ادخال تلك المقررات بصفة خاصة في المدارس التي تقع في ولايات تشتهر بالحرف وان يتم التركيز على الحرف التي تشتهر بها تلك الولاية.

والله الموفق،،



المراجع التي اعتمد عليها البحث

١ ـ حصاد ندوة الدراسات العمانية .

البحوث والدراسات التي قدمت في الندوة الجزء الرابع والجزء السادس.

وزارة التراث القومي والثقافة نوفمبر ١٩٨٠م.

٢ ـ دراسة عن الحرف التقليدية العمانية

وزارة التربية والتعليم ـ دورثي جاي يو نفليان . نوفمبر ١٩٨٨م.

٣ ـ الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﴿ﷺ﴾ ـ عبدالعزيز ابراهيم العمري

مركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون ـ الدوحة ـ قطر.

٤ ـ نص الخطاب السامي لحضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم في العيد الوطني السادس عشر والسابع عشر.

٥ ـ حروف ومفردات من التراث .

عبدالله بن سليمان الجبالي ـ الرياض ـ ١٩٩٠م.

٦ ـ نحو اقتصاد اسلامي

الدكتور محمد شوقي الفنجري ١٩٨١م.

٧ ـ عمان ٨٧ و ٨٨ و ٩٠ .

وزارة الاعلام .

٨ ـ بعض من اصدار ونشرات المديرية العامة لتنمية المجتمعات المحلية .

وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل .

٩ ـ بعض الحرفيين .

١٠ ـ المعجم الوجيز ـ المنجد ـ لسان العرب ج ٢ .

١١ ـ عمان وتاريخها البحري ـ وزارة الاعلام ١٩٧٩م .

استبيان حول توارث حرف الاجداد

ذكر ☐ أنثى ☐

الاسم : (ان شئت) العمر : الجنس :

الحرفة : المستوى التعليمي : الولاية :

١) هل هذه الحرفة مهنتك الأساسية ؟ نعم ☐ لا ☐

٢) اذا كانت الاجابة لا ما هي مهنتك الأساسية ؟

٣) هل هذه الحرفة متوارثة ؟ نعم ☐ لا ☐

٤) اذا كانت الاجابة لا حدد ما هي الاسباب التي دعتك للعمل في هذه الحرفة ؟

أ) عدم توفر مورد رزق اخر ب) لتحسين الدخل الشهري ج) للقضاء على وقت الفراغ

٥) وكيف تعلمتها ؟

٦) هل لك أولاد ؟ نعم ☐ لا ☐ حدد مستوى العمر والمستوى التعليمي

٧) هل ترغب ان يمارس أولادك هذه الحرفة نعم ☐ لا ☐

٨) هل تقوم بتعليم وتدريب أولادك على ممارسة الحرفة ؟ نعم ☐ لا ☐

ولماذا ؟

٩) حدد مدى اقبالهم على تعلمها وممارستها ؟

كبير ☐ متوسط ☐ ضعيف ☐ لا يرغبون في تعلمها اطلاقا ☐

١٠) وفي رأيك ما هي الاسباب ؟

١١) هل ترى ان هناك عوامل أثرت على استمرار هذه الحرفة ؟ نعم ☐ لا ☐

اذا كانت الاجابة نعم حدد الاسباب ؟

---

* الاشخاص الذين شملهم هذا الاستبيان هم من الحرفيين وعددهم ٢١ شخصا من ولايات : صور ـ بهلا ـ صحم ـ مسقط .

استبيان حول اقبال الأبناء على حرف الاباء

ذكر ☐ انثى ☐

الاسم : العمر : الجنس :

الولاية : نوع الحرفة التي يمارسها الأب :

المستوى التعليمي :

١) موظف طالب أعمال حرة بلا عمل

ما مدى اقبالك على الحرفة ؟

كبير متوسط ضعيف لا أقبل عليها اطلاقاً

ولماذا ؟

٢) هل يشجعك الأهل على ممارسة هذه الحرفة نعم ☐ لا ☐

٣) هل هناك ضغوط من الأهل على ممارسة الحرفة نعم ☐ لا ☐

٤) لو افترضنا ان جميع افراد الاسرة لم يقوموا بالعمل في الحرفة التي كان يمارسها الآباء ومن ثم اندثرت وانتهت

فهل لديك شعور بالندم من جراء ذلك ؟ نعم ☐ لا ☐

ولماذا ؟

* الاشخاص الذين شملهم هذا الاستبيان هم من الشباب أبناء الحرفيين وعددهم ١٤ شخصا من ولايات : صور ـ بهلا ـ مسقط .

خيار التصنيع (*)

ودور شركات التصنيع الوطنية في تحقيقه

اعداد : حمود بن ناصر المعولي

١٩٩١م - ١٩٩٢م

(*) البحث الفائز بالمركز الخامس في مسابقة المنتدى الأدبي لعام ١٩٩٢م.

كلمات مضيئة

لقد كان للجهود الكبيرة التي بذلت في تطوير اقتصاديات البلاد وفقا لخطط انمائية مدروسة وصولا الى تحقيق التنمية في مختلف القطاعات، أثر ملموس في دفع عجلة الاقتصاد الوطني في طريق النمو وكان لتخصيص عامين للزراعة ثم من بعدهما عامين للصناعة دلالة هامة على عزمنا الاكيد واتجاهنا الواضح نحو اكساب مزيد من الفاعلية والقدرة على الانتاج المتجدد لهذين القطاعين الحيويين اللذين يعدان ركيزة أساسية في استراتيجيتنا التنموية التي تهدف الى تنويع مصادر الدخل القومي وتوفير فرص العمل المناسبة للمواطنين.

وإذ نشيد بما أدى اليه تخصيص العامين الماضيين للصناعة من ابراز دور هذا القطاع وتوجيه اهتمام الحكومة والمواطنين إليه، وما تحقق من اقبال على الاستثمار في مجالاته المتعددة تلبية للاحتياجات الاساسية للبلاد، فإنه ليحدونا الأمل في أن تحقق مسيرة التصنيع غاياتها وان تمضي قدما في استخدام الخامات المحلية التي تتيحها موارد البلاد الطبيعية مع المحافظة على نقاء البيئة، والاهتمام بالصناعات التقليدية، ووضع البرامج العملية ذات الجدوى الحقيقية لتدريب وتأهيل العمانيين، وتوفير أسباب العيش الكريم لكل مواطن على هذه الأرض الطيبة. . وتعزيزا لجهود التنمية.

جلالة السلطان قابوس بن سعيد «حفظه الله»

المقدمة

إيماناً بأن الصناعة هي الخيار، وبأن الأسس والمقومات الهامة لقيام حركة صناعية كبيرة تتوفر في سلطنة عمان في الوقت الحاضر.

فقد قمت بإعداد هذا البحث مشاركة مني في المساهمة في عامي الصناعة اللذين انطلقا في عامي ١٩٩١م - ١٩٩٢م. ليعبرا عن اهتمام حكومة جلالة السلطان الرشيدة بضرورة تطوير الصناعة من خلال ابراز هذا القطاع الهام، وقد يعتقد البعض بان تطوير الصناعة أو الاهتمام بها كان مقصورا على عامي الصناعة وانه بانتهائهما يتوقف ذلك الاهتمام بل تخصيص هذين العامين كان بمثابة اعطاء الفرصة للصناعيين لخوض غمار هذا النشاط الهام والذي جعل الكثير من دول العالم في مقدمة الدول المؤثرة في الاقتصاد العالمي وكان لها دورها في اثراء الأسواق العالمية بالمنتجات الصناعية العديدة.

لذا فاننا سوف نستعرض باختصار دور شركات التصنيع الوطنية في تحقيق هذه الفلسفة الصناعية.

وعليه فقد هذا جاء بحثنا في ثلاثة فصول كانت على النحو التالي:

الفصل الأول :

فقد جاء مختصا بمقومات النمو الصناعي الحديث. . وامكانية رفع الصناعات الخفيفة والمتوسطة الموجودة في البلاد الى الصناعات الكبيرة لتقوم باستغلال الموارد الطبيعية في البلاد.

الفصل الثاني :

ويتناول الأهداف الأساسية التي يجب ان تتحقق لقيام الحركة الصناعية التي تناولها الفصل السابق من خلال استعراض عدد من الأهداف والتي بتحقيقها نضع حجر الأساس لقيام صناعة وطنية كبيرة.

الفصل الثالث :

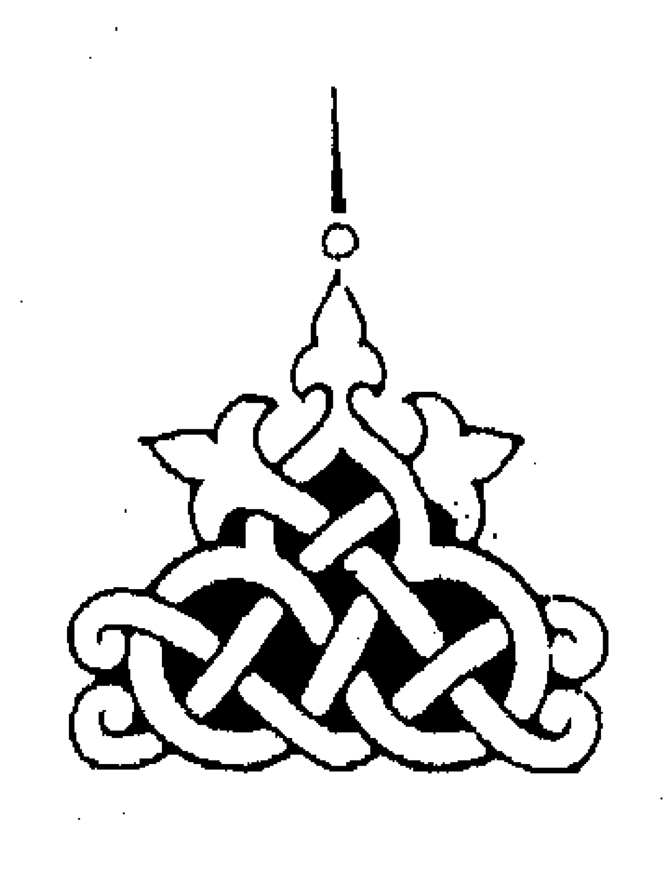
شمل هذا الفصل التصنيع كخيار وطني والوضع الصناعي في عُمان وواقعية قيام حركة صناعية ومراحل تطورها، والحاجة الماسة لوجود كيان صناعي فعال.

ختاما. . أود أن أشير بأن عامي الصناعة كانا بمثابة دفعة قوية للصناعة وللصناعيين وللمسئولين عن مسيرة التنمية الصناعية في بلادنا التي تنطلق الى آفاق أرحب. . بفضل

الـرعاية السامية، والدعم المتواصل والحوافز التي توفرها الحكومة الرشيدة، وجهد رجال الاعمال الذين يستجيبون لدواعي الاستثمار في الصناعة بلا تردد، باعتبارها من أهم القطاعات.

وان انشـاء المؤسسـة العـامة للمناطق الصناعية.. تعتبر بحق خطوة على الطريق.. ستتبعها خطوات اخرى سوف يكون لها دور ايجابي في تنمية وتشجيع الصناعة الوطنية وتزيد من كفاءة الاقتصاد العماني وتحمل اسم عمان الى كل بلد في أرجاء العالم..

والله الموفـق،،



الفصـل الأول

مقومات الانطلاق الصناعي

إن قيام قطاع صناعي ذي حجم مناسب له تأثير اقتصادي ملموس أضحى يتطلب توفر مجموعة من المقومات الخاصة في عصرنا هذا، عصر التقنية المتطورة. وهذه ظاهرة حديثة تنطبق في أي بقعة تهدف تحقيق تقدم ونمو صناعي.

لم تعد مقومات النمو الصناعي الحديث هي توفر الأيدي العاملة الرخيصة أو الأسواق المحلية أو الغابات والأنهار وما إلى ذلك من المقومات التي كانت تعتبر أساسية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، بل وحتى الى وقت قريب ومع ان توفر هذا النوع من المقومات يظل مفيدا وذا أهمية فعالة في التنمية الصناعية، إلا ان مقومات صناعات النصف الثاني من القرن العشرين قد تغيرت نتيجة الثورة التقنية المعاصرة.

في القـرون السـابقـة قامت الصنـاعة وتبعها التطور في المجالات الاخرى، في مجال التجهيزات الأساسية والخدمات داخل الدولة وخارجها.

وفي الماضي كانت الصناعة هي التي تدفع التطور التقني وتفتح مجال البحث العلمي والكشف والتطوير والاختراع؛ كانت الصناعة هي الدافع وليس المدفوع.

وفي عصرنا هذا، عصر التقنية المتقدمة، تغيرت مجموعة المقومات اللازمة لقيام قطاع صناعي متطور.

ومـع ان المقـومـات التي كانت أساسية في السابق لازالت ذات أهمية إلا أن مجموعة المقومات الحديثة لقيام ذلك القطاع الصناعي أصبحت هي الأساسية، وإذا توفرت امكن قيام صناعة قوية، وهذا يجعل التطور الصناعي اقرب منالا واسهل على التحقيق.

وهناك عدة أعمدة يجب توفيرها لقيام تصنيع حديث هي:

العمـود الأول: هو وجود قاعدة علمية وتعليمية واسعة افقيا ورأسيا، وتوفر هذه القاعدة يمكن من استيعاب التقنية الحديثة وتفهمها وتطويرها. ومن الواضح ان أي صناعة حديثة

تقـوم في مجتمـع متخلف علميا لايمكن لها ان تنجح حتى ولو كانت لديه كل المقومات القديمة والعكس صحيح .

العمـود الثـاني : هو توفر رأس المال بكميات كبيرة فالصناعة الحديثة تتطلب استثمارات ضخمة جدا على المجتمع ان يوفرها .

والعمـود الثالث : هو توفر التجهيزات المتقدمة الحديثة في مختلف المجالات ، وقد أصبح هذا الأمر أساسيا لقيام صناعة لها قيمتها ومعناها ، إن توفر التجهيزات الاساسية الحديثة المتقدمة ذات الكفاءة العالية ركن رئيسي من أركان الصناعة الحديثة يجب ان يكون متوفرا منذ البداية .

أما العمـود الرابع : وهو توفير الجو المناسب للانطلاقة الصناعية والجو المناسب يشمل قائمة طويلة من الحوافز الاساسية والاقتصادية .

أولاً : يجب ان تتـوفر الرغبة والعزم والاصرار لدى القيادة السياسية للمجتمع وانتخاب الخيار الصناعي من بين الخيارات الممكنة وهي عديدة اسهلها عدم الاختيار.

ثانيـاً : الحوافز التشجيعية وهي متعددة ومتشعبة يجمعها ما يعرف (بالسياسة الصناعية)(١) للدولة وتشتمل هذه على عناصر تأسيسية تتمثل في :

١ ـ النظم القانونية الواضحة المستقرة ذات الاستمرار.

٢ ـ توفير الاقراض الصناعي والمساعدات والاعانات غير المباشرة لعناصر الانتاج كالاسعار الخـاصـة للماء والـوقـود والكهرباء والتدريب واعفاء الآلات والمعدات أو تحمل جزء من تكاليفها (كالمساهمة في تكاليف دراسة الجدوى الاقتصادية من المنشأة) .

٣ ـ عنـاصر حمائية وتفصيلية للصنـاعـات المحلية بمعاملتها معاملة خاصة بتوفير الحماية الجمركية المناسبة كما يجب .

العمـود الخامس : هو توفر الطاقة بأسعار مخفضة لذا تركزت الصناعات وتتركز بالقرب من مصادر الطاقة سواء كانت متجددة (كالماء) أو غير متجددة كالبترول .

والطاقة احد المدخلات الهامة في عملية الانتاج ويتركز جزء كبير من العملية الصناعية في تحويل الطاقة من شكل لآخر . ومن هنا تأتي أهميةُ هذا العمود الجديد لقيام حركة صناعية حديثة .

---

١) د. احمد فهمي جلال «تقييم المشروعات الاستثمارية ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ١٩٧٨ .

الفصل الثاني

أهداف الخيار

إن خيار التصنيع لسلطنة عُمان يعني تحقيق الأهداف الأساسية الآتية :

١ ـ نقل التقنية الصناعية المتقدمة بصفة خاصة وذلك في مجال صناعات تحويل البتروكيماويات والصناعات الكيماوية والصناعات الهندسية والميكانيكية .

٢ ـ المساهمة في توسيع القاعدة التصديرية عن طريق تصدير منتجات السلطنة المصنّعة الى الدول الأخرى .

٣ ـ المساهمة في تنويع مصادر الدخل القومي عن طريق تطوير الصناعات الكبيرة بالاستفادة من المزايا النسبية التي تتوفر في السلطنة .

٤ ـ تحقيق درجة أعلى من الاكتفاء الذاتي والمساهمة في رفع درجة الاستقلالية الاقتصادية في مجالات الاستهلاك والانتاج والخدمات الصناعية الفنية .

٥ ـ المساهمة في ابراز وتأكيد وترسيخ وتطوير القدرة والامكانيات الذاتية للسلطنة وتحقيق التكامل بين القطاعات الانتاجية وتعمينها والعمل على تخفيض درجة اعتمادها على قطاع الاستيراد .

٦ ـ تقوية التعاون الصناعي والتقني بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومع الدول العربية بصفة عامة .

٧ ـ تحقيق أقصى العائدات الممكنة على الموارد الاقتصادية التي يتسم استثمارها بحيث تساهم في تحقيق تنمية ايجابية للدخل القومي وعائد مجز على رؤوس الأموال المستثمرة .

ومن الواضح ان تحقيق هذه الأهداف يتطلب مجهودات ضخمة متضافرة ومنتظمة ، وهو يستغرق وقتا طويلا وموارد مالية وبشرية ضخمة .

على ان عناصر الدفع في ذلك الاتجاه هي الارادة السياسية التي عليها مسئولية احتضان هذا الخيار بالتأييد والرعاية وجعله هدفاً وطنياً .

ومن الناحية التنفيذية يتطلب النقل المنظم للتقنية الصناعية عددا من الخطوات :

أولاً ـ تحديد المجالات الصناعية : التي تتمتع فيها السلطنة بمزايا نسبية في الوقت الحاضر أو في المستقبل المنظور. ويمكن مبدئيا تعريف المجالات الآتية :

أ ـ الصناعات التي تستخدم المنتجات الأساسية التي ستنتجها مشاريع الشركات الوطنية ويمكن هنا التعرف على عدد كبير من المنتجات المتوسطة ويليها من منتجات نهائية منها ما يمكن تصنيعه على نطاق كبير للتصدير.

ب ـ الصناعات التي تستند على ثانويات صناعة التكرير، وكما هو معروف، تزايدت الطاقة المحلية لتكرير البترول تزايدا كبيرا لسد حاجة الاستهلاك المحلي وللتصدير، ويمكن هنا تجميع ثانويات صناعة التكرير، وهي متعددة، بحيث توفر كميات مناسبة لاقامة صناعات هامة في مجال البتروكيماويات وفي مجال الصناعة الكيميائية عموما.

جـ ـ الصناعات التي ترتكز على مزايا أخرى نسبية تتوفر في السلطنة وبالذات مصادر الطاقة الوفيرة والمنخفضة التكاليف مثل الغاز والوقود الهايدروكربوني عموما. ويمكن هنا الاشارة على سبيل المثال، الى الصناعات الكيميائية وما يرتكز منها على العناصر اللافلزية.

د ـ الصناعات التي تستند على المواد التعدينية التي ثبت وجودها بكميات اقتصادية في السلطنة وتلك التي ستكتشف مستقبلا. وتتصف هذه الصناعات عموما، بأنها كثيفة في استخدام رأس المال والطاقة.

هـ ـ الصناعات التركيبية والتجميعية التي تستند على الصناعات السابقة أو التي تتميز بوجود أسواق كبيرة لمنتجاتها في المنطقة الخليجية بصفة خاصة والمنطقة العربية بصفة عامة ومن الأمثلة على هذه الصناعات، صناعة أنواع معينة من السلع المعمرة المنزلية والانشاءات المعدنية والصناعة الزراعية.

و ـ الصناعات التي تخدم عملية بناء التجهيزات الأساسية في السلطنة وفي العالم العربي عموما، ولازالت أمتنا العربية تحتاج الى مجهودات كبيرة لتحقيق مستوى مناسب من التجهيزات السابقة المحلية والاقليمية كمشاريع تحلية المياه والنقل والمواصلات ومشاريع الكهرباء والربط الكهربائي والمشاريع التعليمية (انتاج وسائل تعليمية) ومشاريع الاتصال والربط الاعلامي، ويمكن التعرف على العديد من الصناعات التي تساعد على انجاز عملية البناء الهامة هذه بقدرات محلية.

ز ـ الصناعات التي تخدم قطاع الدفاع والأمن والاحتياجات في هذين القطاعين كبيرة جدا ومتجددة ويمكن التعرف على عشرات المشاريع الصناعية التي تخدم هذا المجال وبالتالي

تقلل من الاعتماد على الدول الاخرى للحصول على كل احتياجاتنا المصنعة .

ثانياً ـ اكتساب التقنية والسيطرة عليها :

لكي يكون لخيار التصنيع جذور عميقة في الاقتصاد العماني لابد من ان يصاحب نقل التقنية الظروف المناسبة التي تمكن من استيعاب هذه التقنية محليا ثم المحافظة عليها وأخيرا تطويرها ذاتيا .

ويمكن في هذا المجال، تحديد أهم العناصر لتحقيق الاستيعاب التقني .

أ ـ لاشك ان أهم عناصر الاستيعاب التقني هو الانسان العنصر البشري الوطني هذا هو الدرس الذي يقدمه لنا التاريخ الاقتصادي لعدد من الدول التي مرت بمرحلة الانطلاق الصناعي ، بالذات دول شمال أوروبا واليابان(٢).

واستيعاب الانسان للتقنية يأتي عن طريق المزاولة والتدريب على رأس العمل اكثر مما يأتي عن طريق قاعات المحاضرات والدرس. والتعليم شرط ضروري لاكتساب التقنية ولكنه ليس شرطا كافيا .

ولقد تزايد عدد خريجي الجامعة في السلطنة في المجالات التي تخدم عملية النقل التقني، مثل الغلوم والهندسة والادارة وغير ذلك من التخصصات المفيدة. يبقى بعد ذلك موضوع الانصهار التقني للمتخصصين هؤلاء .

وتبدأ عملية الانصهار بمشاركة شبابنا الوطني في النشاطات التنفيذية للمشروع منذ المراحل الأولى له وحتى دخوله مرحلة الانتاج. وخلال هذه الفترة يجب ان يساهم شبابنا في الدراسات الاقتصادية ثم الفنية ثم الانشائية والتدريب العملي في مشاريع مشابهة خارج السلطنة .

ب ـ القدرة المحلية على المحافظة على الكفاءة الانتاجية :

ويمثل هذا العنصر جانبين رئيسيين :

الأول ـ هو ايجاد قدرة محلية على الفحص والاختيار الصناعي: فلكي نضمن عمل أي مشروع صناعي أو في مجال اخر. لابد من فحصه دوريا للتأكد من ان الأمور تسير وستسير على خير ما يرام من الناحية الفنية والفحص الصناعي هنا هو بمثابة الكشف الطبي الدوري على الآلات والمعدات والوقاية خير من العلاج .

الثاني ـ ايجاد قدرة محلية متطورة على الصيانة والاصلاح الصناعي: وتنقسم الصيانة الصناعية الى قسمين :

---

٢) الدكتور عمرو محيى الدين، التخلف والتنمية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٨٨ بيروت.

١) الطبيعـة الفنية للمشروع ، وعادة يشرف عليها جهاز فني متخصص يتولى هذه الصيانة المتخصصة .

٢) الصيانـة العـامة : وتشمل صيانة المعدات والآلات ، والتركيبات الكهربائية وصيانة التوصيلات ووحدات توليد الحرارة والضغط أو الهواء وصيانة المباني ، وماشابه ذلك .

جـ ـ تنـظيم عملية الربط التداخلي للصناعة : وهو ما يطلق عليه فنيا (التكامل الرأسي والأفقي) ويقصد بالتكامل الرأسي التغيير المتتالي في شكل المادة أو في طبيعتها للحصول على قيمة مضافة أعلى من العملية التصنيعية كتحويل الغاز مثلا الى مادة بتروكيماوية أساسية ثم تحويل هذه المادة الى مادة بتروكيماوية اخرى ثانوية ثم تحويل هذه الأخيرة الى نوع ثالث من الكيماويات .

ومن هنا تأتي أهمية عملية تنظيم التكامل الرأسي والأفقي في القطاع الصناعي . ويتحقق هذا التنظيم عن طريق المنتج الدوري الدقيق للامكانيات الصناعية في البلاد ، واستنباط ما يسمى بجداول التداخل الممكنة بين الصناعة ومحاولة تقويتها .

ويمكن ايراد أمثلة كثيرة لايضاح امكانيات التكامل الرأسي والأفقي على ان هذا موضوع فني متخصص ليس هذا مكانه ويكفي الاشارة بمثال واحد هنا

من المعروف ان صناعة المعدات الكهربائية تحتاج الى عناصر مصنوعة من الفخار هذه العناصر يمكن تصنيعها محليا في مصانع الفخار العمانية في بهلا وغيرها ، وهذا تكامل أفقي . وتستخدم صناعة الانابيب البلاستيكية مادة الـ (P.V.C) (ويمكن تصنيع هذه المادة محليا)(٣) وهذا تكامل رأسي .

---

٣) دليل هيئة منطقة الرسيل الصناعية .

الفصــل الثـالث

التصنيــع كخيـار وطنـي

قبل خمس عشرة سنة أو حتى عشر سنوات كان الحديث عن التصنيع في عُمان حديث عاطفة معظمه من باب أدب الخيال العلمي.

لقد كان تصور قيام حركة صناعية كبيرة في السلطنة تصورا غير واقعي باعتبار عدم توفر الظروف الضرورية للانطلاق في هذا الاتجاه، كانت الموارد البشرية المتعلمة والمدربة محدودة كما ان المتطلبات لقطاع الخدمة العامة كانت كبيرة ومتزايدة نتيجة التوسع المستمر في مؤسساته، ولم تكن الموارد المالية الكافية لتطوير التجهيزات الأساسية متوفرة لبناء المستوى الضروري لأغراض التنمية الاجتماعية والاقتصادية ومن باب اولى لتدعيم تنمية صناعية كبيرة، حيث ان المتطلبات المالية للتمويل الصناعي كبيرة جدا بالضرورة فإن الموارد التي كانت متوفرة وجهت لرفع المستوى الاجتماعي للمواطن باعتبار ان هذا الهدف من بناء المصانع، ولهذه الآليات كان النداء الذي رفع ذلك الوقت «التصنيع مقابل البترول»(٤) نداء سابقا لأوانه.

كما ان العديد من المصانع القائمة آنذاك ـ وهي صناعات متوسطة أو صغيرة ذات أساليب تقنية بدائية ـ كانت تواجه الصعوبات وتعمل بطاقات منخفضة.

ثم بدأت الصورة في التغير التدريجي ببداية الخطط الخمسية، ففي السنوات العشر الماضية تطورت جميع التجهيزات الأساسية، الطرق والموانىء والمواصلات السلكية واللاسلكية والموارد المائية والاسكان ونظم العمل والتأمينات الاجتماعية والتعليم الأساسي والجامعي وغير ذلك من تجهيزات مادية واجتماعية، وفي نفس الوقت تطور قطاع أعمال فعال ومتفتح أثبت خلال تلك السنوات القليلة انه يستطيع استيعاب وتطبيق أحدث النظم الادارية والتقنية في العالم. وتوسع هذا القطاع توسعا كبيرا من حيث الكم والكيف وإندرج ضمن منسوبيه عدد كبير من البروقراطيين وأصبح يضم كفاءات كثيرة من مختلف التخصصات العلمية. وقد صاحب هذه التطورات إنشاء العديد من (مؤسسات التمويل العامة والخاصة، وتوسعت مصادر ووسائل وأدوات التمويل وقويت شبكة البنوك التجارية

---

٤) الدكتور محسون جلال، صناعة البترول، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى يونيو ١٩٨٣ ـ الرياض

من حيث رؤوس الأموال ومن حيث العدد)(٥).

وفي القطاع الصناعي تزايد عدد المصانع الحديثة (أنظر الجدول رقم ١) وتوسعت وبدأت عملية الجذب والانجذاب بين الحركة الصناعية بالسلطنة وكبار الشركات العالمية، وأخذت هذه الشركات تتبين شيئا فشيئا المزايا النسبية التي تتوفر في السلطنة وما تعنيه في النهاية من ميزة تنافسية كبيرة نتيجة للانخفاض المتوقع في تكاليف الانتاج الصناعي ليس فقط بسبب توفر التمويل وتوفر خامات أساسية اخرى منها الموقع المناسب للسلطنة بين قارات العالم ولاتساع الأسواق افقياً على مستوى العالم العربي ورأسياً لتزايد القوة الشرائية لمواطني دول المنطقة (ولا يعتبر مبالغة ان نقول ان هذا وضع لا يوجد له مثيل أو قريب)(٦).

وعلى مستوى الفعاليات الاقتصادية اصبحت هناك قناعة ان الخيار الصناعي هو الخيار الافضل للسلطنة في مجال بناء القاعدة الاقتصادية الانتاجية وتنويعها، فالسلطنة ليست بلدا مكتظا بسكانه ومن ثم يجب الاستفادة من قواه العاملة في اكثر المجالات انتاجية حيث يمتزج رأس المال (الآلات والمعدات)، في كثافة رأسمالية كبيرة تضمن ارتفاع الانتاجية المتوسطة والجدية للعامل ويعني هذا بدوره ان عائد العمل سيكون مرتفعا كما ان قوة العمل تتولى أدوارا قيادية بسبب تطبيق تقنيات متطورة.

ولا تشكل القطاعات الاقتصادية الاخرى خيارات افضل وإن كانت تظل ذات فضل.

لقد ساهم قطاع البترول خلال الأثنين والعشرين سنة الماضية في توليد النشاط الاقتصادي. وقام هذا القطاع بدور سيحتل مكان الصدارة في التاريخ الاقتصادي للسلطنة وللمنطقة على ان اعتبارات الحكمة الاقتصادية والسياسية تشير الى اتجاه واحد هو تقليل الاعتماد على هذا القطاع وتسخير كل الموارد والامكانيات لتحقيق هذا الهدف، وفي الواقع ان بيت القصيد من التخطيط الاقتصادي في الوقت الحاضر وفي السنوات المقبلة يجب ان يكون التقليل من الاعتماد على هذا القطاع لا ان يكون احد الخيارات(*).

إن تنمية الزراعة لا تهدف الى تنويع القاعدة الاقتصادية بقدر ما تهدف الى تحقيق درجة من الأمن والاستقلال الغذائي ولا يعني هذا نداء بعدم تنمية الزراعة وإنما أهداف هامة

---

٥) الغرفة، غرفة تجارة وصناعة عُمان العدد ٧٨ المطابع العالمية ١٩٩٢م.

٦) كورا، عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا، ترجمة محمد امين عبدالله، ١٩٦٦ سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة.

(*) لقد أكد جلالة السلطان قابوس بن سعيد حفظه الله في الكثير من كلماته المضيئة بضرورة تقليل الاعتماد على البترول والسعي الى تنويع مصادر الدخل بتطوير مصادر اخرى كالزراعة والأسماك والصناعة.

بحد ذاتها ولازالت مساهمة الزراعة في تكوين الدخل القومي محدودة وستظل كذلك لاسباب عديدة معروفة ولن تستطيع الزراعة ان تكون مصدرا أو وسيلة لتوسيع القاعدة التصديرية، وللزراعة فضل وأهمية ولكنها ليست الأفضل كخيار، وأما قطاع الخدمات، وفيما عدا قطاع السياحة فإنه قطاع تابع ينمو بنمو القطاعات الانتاجية في البلاد أما ان يكون قطاع الخدمات في حد ذاته أحد الخيارات فهذا لم يكن وارداً يوماً ما وليس من المتصور وروده مستقبلا.

وهناك لابد لنا ان نشير الى مستقبل الصناعة في عُمان فقد استطاع القطاع الصناعي بالسلطنة ان يتبوأ مركزا مرموقاً في سياسات تنويع مصادر الدخل، ويلعب دورا هاما في النمو الاقتصادي وذلك بفضل الاستراتيجية التي انتهجت للنهوض بالصناعات في الناتج القومي. (انظر الجدول رقم ٢).

فقد شهد القطاع الصناعي نشاطاً ملموسا ونجاحا باهرا وخطا خطوات راسخة في مجال التطوير والتحديث من خلال خطط التنمية الخمسية الثلاثة السابقة بالاضافة الى الخطة الخمسية الرابعة (١٩٩١م - ١٩٩٥م) التي نشهد عامها الثاني.

ومن هذا المنطلق جاء الاهتمام بتنمية القطاع الصناعي على اعتبار ان الصناعة احدى الركائز التي يقوم عليها الاقتصاد الوطني وبتتبع هذا النشاط نجد الاسهام الفعال في الناتج المحلي الاجمالي، فقد ازداد الناتج المحلي الاجمالي لقطاع الصناعات التحويلية بالاسعار الجارية من ٢,١ مليون ريال في عام ١٩٧٥ - الى ١٥,٦ مليون في عام ١٩٨٠ ثم الى ٨٢,٣ مليون في ١٩٨٥م وفي عام ١٩٩٠ الى ١٥١,١ مليون ريال. أما في عام الصناعة الأول فقد بلغ الناتج ١٦٨,٣ مليون ريال ويمكن ان نلمس ذلك في الجدول رقم (٣).

وبمقارنة التطور في حجم القطاع الصناعي خلال السنوات (١٩٧٥ - ١٩٩١) نجد ان عدد المنشآت الصناعية القائمة والمسجلة ارتفع من ١٠ منشآت فقط عام ١٩٧٥ ليصل ٢٦٤٨ منشأة صناعية بنهاية العام الصناعي الأول ١٩٩١(٧).

ويعزى ذلك التطور الكبير في القطاع الصناعي الى التحديث والتطوير الذي حدث في السياسات والاستراتيجيات الصناعية كما اشرنا اليه في الفصل السابق.

وان الخطط المستقبلية تحوي الكثير من الأهداف الطموحة لتنمية الصناعة من خلال الاستغلال الكامل للمواد الخام المحلية والتكنولوجيا الحديثة والاستفادة من الأيدي العاملة العمانية لاقامة وتطوير صناعات وطنية تحقق قيمة مضافة حقيقية للاقتصاد الوطني.

٧) الغرفة، غرفة تجارة وصناعة عمان العدد ٧٨ ديسمبر ١٩٩٢ - المطابع العالمية، روي - سلطنة عمان.

الخــاتمــة

وفي ختام بحثي أود أن أشير الى عدة نتائج ايجابية استخلصتها من خلال متابعتي لفصول البحث هي :

١ ـ ازدياد الناتج المحلي الاجمالي للقطاعات الصناعية التحويلية من ١,٢ مليون ريال عام ١٩٧٥م إلى ١٦٨,٣ مليون ريال عام ١٩٩١م .

٢ ـ تخصيص عامين للصناعة ساعد كثيرا في توسيع القاعدة الانتاجية والهيكلية وحفز المستثمرين لاقامة المشروعات الصناعية .

٣ ـ ٢٠٪ بلغ متوسط النمو في القطاع الصناعي والتطلع نحو العمل لزيادتها .

٤ ـ ضرورة قيام القطاع الخاص بالاسهام بدوره في تنمية الموارد البشرية واشتراكها في النشاطات الصناعية .

وهنا أود أن اسجل الشكر والتقدير لكل من اسدى لي بملاحظة أو قوّم لي طريقة كان لها الأثر في ظهور هذا البحث بهذا الشكل الذي اسأل الله أن اكون قد وفقت في المساهمة في البحوث العلمية للثروات الوطنية التي دعا اليها مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله ـ والتي تستهدف العمل على زيادة فعاليات الانتاج ويحقق أفضل معدلات النمو.

المقترحات

إن هذه المقترحات يمكن لها ان تساعد على تطوير الصناعة وذلك من خلال التعرف على الفرص الصناعية الممكنة في المجالات المختلفة، ويتم هذا عن طريق البحث العلمي والمسوحات القطاعية وعن طريق الزيارات للمراكز الصناعية وهنا دعونا نستعرض بعض المقترحات:

الاقتراح رقم (١)

ضرورة الاهتمام بالصناعات الحرفية التقليدية كاقامة مشاريع متكاملة لصناعة الخناجر العمانية والسيوف، كالصناعات القائمة حاليا في بهلا للفخار وسمائل للنسيج، ويمكن أن نحقق عدة أهداف من الاقتراح:

١ ـ المحافظة على الحرفة من خلال تشجيع العاملين بها.

٢ ـ نقل الحرفة الى الأبناء من المتدربين.

الاقتراح رقم (٢)

القيام بدراسة اتجاهات الاستهلاك من المنتجات الوطنية وتحري أسباب زيادة أو نقص الاقبال عليها.

الاقتراح رقم (٣)

تعاون المصانع مع أجهزة الدولة لأبراز انجازات التصنيع ومزاياه بصفة خاصة مع تليفزيون سلطنة عمان في دعوتهم للاسهام في مسابقات شهر رمضان الكريم، ومع وزارة التربية والتعليم في الاسهام في مسابقات للطلاب سنويا عن الصناعة الوطنية والهيئة العامة للرياضة والأنشطة الشبابية بإقامة مسابقات ثقافية للأندية.

جدول رقم (١)

مساهمة قطاع الصناعات التحويلية في الناتج المحلي الاجمالي بالأسعار الجارية « مليون ريال عُماني »

السنة / الصناعات	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١
تكرير البترول	٤,١	١٣,٠	٩,٩	٨,٦	١٠,١	١٠,٣	١٣,٤	١٤,٤	١٤,٧
أخرى	٤٥,٦	٥٩,١	٧٢,٤	٩٤,٥	١٠١,٤	١١٢,٤	١٢٣,٧	١٣٦,٧	١٥٣,٦
مجموع الصناعات التحويلية	٤٩,٧	٧٢,١	٨٢,٣	١٠٣,١	١١١,٥	١٢٢,٧	١٣٧,١	١٥١,١	١٦٨,٣
معدل الزيادة السنوية	—	٤٥٪	١٤٪	٢٥٪	٨٪	١٠٪	١٢٪	١٠٪	

* المصدر : وزارة التجارة والصناعة

جدول رقم (٢)

عدد المنشآت الصناعية المسجلة خلال السنوات ١٩٧٥ - ١٩٩٠م حسب المناطق الجغرافية

المناطق الجغرافية / السنوات	مسقط	الباطنة	مسندم	الظاهرة	الداخلية	الشرقية	الوسطى	ظفار	الجملة
١٩٧٥	١٠	—	—	—	—	—	—	—	١٠
الخطة الخمسية الأولى ١٩٧٦ - ١٩٨٠	١٧٢	٧٧	—	٢١	٢٨	١٠١	—	٤	٣٩٣
الخطة الخمسية الثانية ١٩٨١ - ١٩٨٥	٢٩٩	٥٤٤	١٢	١٣١	٢٥٣	٤٩٦	—	١٩٦	١٩٣١
الخطة الخمسية الثالثة ١٩٨٦ - ١٩٩٠	٢١٠	٣٧٢	٢	١١٧	١٣٦	٢٠٩	—	١٠٤	١١٥٠
المجموع	٦٩١	٩٩٣	١٤	٢٦٩	٤٠٧	٨٠٦	—	٣٠٤	٣٤٨٤

* المصدر : وزارة التجارة والصناعة

مراجع البحث

١ ـ د. أحمد فهمي جلال، تقييم المشروعات الاستثمارية، مطبعة دار التأليف ـ القاهرة ـ ١٩٧٨م

٢ ـ د. ابراهيم السباعي، دراسات في الجدوى الاقتصادية للمشروعات الجديدة، مكتبة الشباب ـ القاهرة ـ ١٩٨٢م.

٣ ـ أمين أحمد عوض الله، إدارة الانتاج الصناعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٦م.

٤ ـ سيد الهواري، الادارة المالية ومنهج اتخاذ القرارات، دار الجيل للطباعة ـ القاهرة ـ بيروت ـ ١٩٨٦م.

٥ ـ كورا، عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة ـ مسقط ١٩٦٦م.

٦ ـ د. كامل بكري، التنمية الاقتصادية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٣م.

٧ ـ روجير بيرلنجم، الآن صنعت أمة، ترجمة أحمد عبدالرحمن حمودة، المطبعة النموذجية ـ الحلمية الجديدة.

٨ ـ د. عادل حسن، مشاكل الانتاج الصناعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٨٦م.

٩ ـ محمد فاضل الحاروني، التكاليف الصناعية وإدارة المصانع، المجلد الأول، دار المعارف مصر ـ الطبعة السادسة ١٩٦٩م.

١٠ ـ محمد عبدالعزيز عجمية

محمد محروس اسماعيل، التطور الاقتصادي في أوروبا والعالم العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.

١١ ـ د. محمد عبدالعزيز عجمية

د. صبحي نادر قريفه

د. مدحت محمد العقّاد، مقدمة في التنسيق والتخطيط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٦م .

١٢ - د. عمـرو محيي الـدين، التخلف والتنمية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٨م .

١٣ - غرفة تجارة وصناعة عُمان، الغرفة العددين (٧٧ ، ٧٨) - المطابع العالمية ١٩٩٢م .

١٤ - دليل هيئة منطقة الرسيل الصناعية ، (المطابع العالمية) روي ١٩٩١م .

١٥ - التقرير السنوي ١٩٩١ - غرفة تجارة وصناعة عُمان - المطبعة الشرقية ومكتبتها - مطرح - سلطنة عُمـان.

١٦ - النشرة الشهرية نوفمبر ١٩٩٢م - سوق مسقط للأوراق المالية - المطابع العالمية - روي - سلطنة عُمـان .

البديع في شعر اللواح الخروصي

د. شكري بركات ابراهيم الديخاوي

تمهيد موجـز :

أ ـ البيئـة :

تطل سلطنة عُمان التي ينتمي اليها الشاعر على بحر العرب وخليج عمان وتجاورها دولة الامـارات العـربية المتحـدة والمملكة العربية السعودية واليمن. وهي ذات موقع جغرافي متفرد، وقد أفضنا الحديث عن موقع عمان وأهميته في دراساتنا السابقة عنها وخاصة رسالة الدكتوراة (انظر مدخل رسالة الدكتوراة لصاحب هذا البحث بكلية الاداب جامعة القاهرة ١٩٨٨ وعنـوانها: شعـر سليمان النبهاني العماني دراسة موضوعية وفنية وتوجد نسخة منها بمكتبة جامعة السلطان قابوس).

وفي دراستنا السابقة ايضا افضنا الحديث عن عصر النباهنة في عمان وهو العصر الذي عاصر الشاعر زمنيا الجانب الاخير منه. وجدير بالذكر ان العصور التاريخية في عمان التي اعتاد الدارسون ان يتناولوا الادب العماني من خلالها هي :

ـ عصـر النباهنـة :

ويمتد زمنيا حوالي خمسة قرون من النصفُ الثاني للقرن السادس الهجري حتى بداية القرن الحادي عشر تقريبا وهناك آراء جديدة تقلص هذا المدى الزمني بعض الشيء (انظر كتاب الدكتور أحمد درويش مدخل الى دراسة الادب العماني ص ١٢٢ وما بعدها).

ـ عصـر اليعاربـة :

ويمتد من سنة ١٦٢٢م حتى سنة ١٧٤١م.

ـ عصـر البوسعيـدي :

ويمتد من سنة ١٧٤١م حتى الآن.

التعريف بالشاعر :

هو سالم بن غسان بن راشد بن عبدالله بن علي اللواح الخروصي ولد بقرية ثقب بوادي بني خروص بالجبل الاخضر بعُمان سنة ٨٦٢هـ. وهناك اكثر من رأي حول تاريخ وفاته ولكن الرأي الأرجح ان تكون وفاته سنة ٩٨١هـ أو بعدها بقليل. وقد ناقش محقق الديوان هذه المسألة بشيء من التفصيل (انظر مقدمة الجزء الثاني من ديوان اللواح تحقيق محمد علي الصليبي) وعلى أي حال فالثابت من خلال شعره انه كان حيا يرزق سنة ٩٨٠ حينما أرخ لوفاة ابنه أحمد قائلا :

بالجمعة الزهرا وسادس عشرة	من ذي جمادى الآخر المنساب
من عام تسع مئين يجدو خلفها	عد الثمانين الحساب حسابي
إن كان قد امسى قتيلا في الثرى	قله أياد قد بقين رغاب

كذلك يثبت من خلال شعره ايضا انه كان على قيد الحياة سنة ٩٨١هـ إذ له شعر في عزاء صديق له اسمه محمد بن أبي سيت ورجال المناذرة في موت ابي سيت بن احمد وارخ لوفاته عام ٩٨١هـ وذلك في قوله :

الى الله مولانا المصير وحسبنا	عليه توكلنا وبالشكر نقنت
توفي ابو سيت لأول ضحوة	لفى رجب وهو الأصت المسحت
ثمانين عاما ثم عاما وقبلها	متسع مئين اكملت لا تبتت
لهجرة مولانا النبي محمد	عليه صلاة الله ما هز صيت

ومعنى ذلك ان الشاعر قد عاش فترة طويلة من القرن العاشر الهجري لهذا فإننا يمكن ان نعتبر شعره نموذجا جيدا للشعر العماني في ذلك القرن.

جـ ـ ثقافته :

تعلم الشاعر في بداية حياته القرآن الكريم بقرية الهجار من وادي بني خروص ثم رحل الى نزوى (مدينة عُمانية مشهورة) طلبا للعلم، ونزوى كانت في ذلك الوقت حاضرة العلم والعلماء بعمان. ولهذا كثرت رحلات الشاعر اليها كلما شعر حاجة الى الاستزادة من العلم والمعرفة. ولا تبدو في اخبار الشاعر انه ارتحل الى مراكز الحضارة والعلوم آنذاك في العراق ومصر والشام وغيرها كما فعل عدد كبير من علماء وأدباء عمان قبله الذين كانوا يذهبون الى هذه المراكز الحضارية وكانت تطول اقامتهم بها احيانا فينسبون اليها. ولكن ثقافة الشاعر

على أية حال لم تكن محلية تماما فقد تجاوزت ذلك سالكة دربين اثنين :

فأما **الدرب الأول** فكان القراءة والاطلاع على التراث العربي القديم وقد حدث هذا عن طريق رحلاته الداخلية الى مدينة نزوى التي كانت موطنا للعلم والعلماء في عمان آنذاك. وعن طريق هذه الـرحـلات اتصل بالحضارة العربية والتراث العربي، فقرأ كتب العرب القديمة ودواوين الشعر وتأثر بها كثيرا، كذلك ألم بالتاريخ وأحداثه وتعمقت معرفته ودرايته بالقرآن الكريم والسنة وعلوم الدين وظهر ذلك واضحا جليا في شعره لفظا ومعنى خاصة الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ومعارضة الشعراء السابقين.

وأما **الدرب الثـاني** الذي سلكته ثقافة الشاعر لتتجاوز المحلية وتخرج من دائرتها فكان من خلال رحلاته الكثيرة الى حبيبته الاولى ومعشوقته الدائمة ليلى التي كان يكن بها عن الكعبة المشرفة، إذ الثابت من شعره أنه كان عاشقا لها متيما بها، فمن خلال شعره نلمح تعدد رحلاته الى الحج بصورة تكاد تكون منتظمة. ومن خلال هذه الرحلات واقامته بمكة والأماكن المقدسة كانت تحدث لقاءات بين الشاعر وبين بعض علماء وأدباء عصره المقيمين بهذه الأماكن المقدسة والوافدين عليها فكانت هذه اللقاءات رافدا جديدا من روافد ثقافته وعلمه.

فثقـافـة الشـاعر تبدو واسعة ومتنوعة ويبدو ان اطلاعه على القرآن الكريم والحديث الشريف والكتب الدينية منذ الصغر اضافة الى بيئته العمانية المحافظة نقول يبدو ان ذلك قد دفع الشاعر دفعاً الى هذا الاتجاه الديني واسع المدى الذي نراه في شعره.

البديـع في شعـر اللـواح

البـديع احـد علوم البـلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع. وهو العلم الذي يهتم بتحسين الكلام وتجميله وتزيينه ليقترب من قلب السامع وعقله فيجعله اكثر انتباها وادراكا، وأعمق فهما واستيعابا واقدر حفظا وترديدا لهذا الكلام.

والحق ان الصورة الأدبية تستكمل عناصرها البلاغية بالبديع، بمعنى انه ليس منفصلا عن علمي البلاغة الآخرين: البيان والمعاني، أو مستقلا عنهما وإنما هو عنصر ثالث هام يكمل جوانب الصورة البلاغية، فالصورة تمر بعلم المعاني، فيأتي المعنى بها مطابقا للموقف ومقتضى الحال، وتمر بعلم البيان فتنال حظها منه متمثلا في الوسيلة او الاسلوب او الطريقة

التي تعبر عن هذا المعنى من تشبيه أو استعارة أو مجاز أو كناية ثم يأتي دور البديع ليضفي على هذه الصورة لمسة الجمال والحسن فيلبسها الوشي الجميل ويزينها ويجعلها على احسن صورة تجعل العين تألفها والأذن تطرب لسماعها، والعقل يتجاوب معها، والقلب يخفق لها.

والبديع في اللغة والبدع هو الشيء الذي يخترع او يأتي اولا ولا يكون له مثيل سابق ففي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ أي أنه سبحانه خالقهما على غير مثال سابق وقد استعملت هذه الكلمة في معناها الأدبي من قبل، بين المعتز، فقد ذكرها الجاحظ في (البيان والتبيين) وقال: ان البديع مقصور على العرب ومن اجله فاقت لغتهم كل لغة.. الخ

ويقال ان اول من اطلق كلمة (البديع) على محاسن الكلام وخصائص الأدب المميزة له الشاعر العباسي مسلم بن الوليد (ت ٢٠٨ هـ) ولكن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) يعد أول من استعمل هذه الكلمة استعمالا نقديا وهي تعني عنده المحسنات اللفظية والمعنوية.

ومن فنون البديع التي ذكرها: السجع والازدواج والتضمين والتقسيم والكناية وأما ابن المعتز فيعد أول من ألف كتابا خاصا بالبديع وانواعه وهو كتاب البديع الذي ألفه في القرن الثالث الهجري. ومنذ ذلك الحين أخذ الكلام عن البديع يتجه وجهة جديدة فبعد ان كان كلاما متناثرا في كتب الأدب المختلفة اصبحت له مؤلفاته الخاصة.

فكلمة (بديع) التي استخدمها ابن المعتز عنوانا لكتابه لم يكن هو أول من استخدمها، بل كانت مستعمله في كلام العرب، ولكن فضل ابن المعتز يكمن في انه يعد اول من جمع فنون البديع في مؤلف واستشهد لها بشواهد من القرآن الكريم ومن أحاديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن الأدب.

وكان غرضه من تأليف كتابه ان يبين وجود البديع عند القدماء إذ يقول فيه: (وإنما غرضنا من هذا الكتاب تعريف الناس ان المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من أبواب البديع) وكان من يقول في مطلع كتابه: (قد قدمنا في ابواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع، ليعلم ان بشارا ومسلما وابا النواس ومن تبعهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم، فعرف في زمانهم حتى سمى بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه، ثم ان حبيب بن اوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه، وتفرغ فيه واكثر منه، فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض، وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف).

وأما مفهوم البديع عند ابن المعتز في كتابه فقد كان عاما يقصد به كل الصور والأساليب البلاغية الطريفة. ومن هنا حدد فنون البديع اولا بخمسة هي : الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد الاعجاز على ما تقدمها والمذهب الكلامي . وقد انتبه ابن المعتز الى انه قد يأتي بعده من يشكك في وقف فنون البديع عند هذه الأنواع الخمسة أو من ينتقص منها فأشار الى ذلك والى انه لم يحدد هذه الأنواع عن جهل وعدم دراية ، فإن من اقتفى به فليفعل ، ومن يريد اضافة أو حذفا فليفعل ايضا وفي ذلك يقول : (ويعلم الناظر انا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختيارا من غير جهل بمحاسن الكلام ولاضيق في المعرفة ، فمن احب ان يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ، ومن اضاف من هذه المحاسن او غيرها شيئا الى البديع او لم يأت غير رأينا فله اختياره) .

وأما هذه المحاسن فثلاثة عشر محسنا ذكرها بعد ان ذكر فنون البديع الخمسة وعدها من محاسن الكلام وهي : (الالتفات ، الاعتراض ، الخروج من معنى الى معنى ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف ، الهزل يراد به الجد ، حسن التضمين ، التعريفي والكناية ، الافراط في الصفة ، حسن التشبية ، اعنات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ماليس له حسن الابتداءات) وقد صح ما توقعه ابن المعتز إذ اضاف البلاغيون معظم هذه المحسنات الى البديع واضافوا غيرها كما نقلوا الاستعارة والتشبية والكناية الى علم البيان .

واما السؤال المطروح : لماذا ذكر ابن المعتز خمسة فنون فقط للبديع واطلق عليها هذا الاسم ثم ذكر ثلاثة عشر نوعا آخر واطلق عليها محسن الكلام؟ فإن هناك رأيا يذهب الى احتمال قيام ابن المعتز بتأليف كتابه على مرحلتين ، المرحلة الأولى هي التي حدد فيها انواع البديع بخمسة انواع اطلق عليها (فنون البديع) ثم تعرض له النقاد والمعارضون الذين رأوا ان فنون البديع اكثر من هذا فألف القسم الثاني من كتابه وجاء بهذه الأنواع الثلاثة عشر وسماها محاسن الكلام حتى يبعد عن نفسه القول بجهله بها ، ومن يذهب الى هذا الرأي يؤكد وجود ما يمكن ان يكون خاتمة الكتاب في أعقاب حديثه عن الفنون الخمسة إذ يقول : (وألفنة سنة اربع وسبعين ومائتين ، وأول من نسخه علي بن هارون ابن ابي يحيى بن ابي منصور المنجم) . أما الرأي الثاني فيذهب الى ان ابن المعتز إنما اكتفى بفنون خمسة من محاسن الكلام وخصها باسم البديع ، لأنها فعلا الفنون التي كانت موضع أخذ ورد بين أصحاب البلاغة العربية الخالصة وبين طوائف المتفلسفة ومن ينزعون نحو التجديد المسرف .

وعلى أي حال فإنه يؤخذ لابن المعتز انه كان معتدلا في نظرته الى هذه الفنون وحكمه على استعمال الادباء لها فكان يستحسن النص أو يعيبه حسبما يقتضيه حال النص نفسه ومدى استحسانه له او استهجانه اياه دون النظر الى انتماء هذا النص للقدماء أو للمحدثين .

وقد تميز ابن المعتز ايضا في كتابه بدقة اختياره لأمثلته وشواهده ، وينم هذا الاختيار عن فهم عميق واع وذوق سليم .

ومما يؤخذ له ايضا في هذا الكتاب انه يعد رائد التأليف في البديع لأنه اول من ألف فيه وحدد فنونه وأنواعه ، وفتح الباب امام غيره لاستكمال جوانبه ، فأصبح اماما يقتدى بعلمه ونورا يهتدى به .

واذا اتجهنا الى العصر الذي عاش فيه اللواح نجد انه كان عصرا يتسم بسمة خاصة في هذا المجال هي اقبال الأدباء بصفة عامة والشعراء بصفة خاصة على استخدام البديع استخداما واسع المدى في ادبهم فكان الشاعر يبذل غاية جهده في تتبع انواع البديع ومحسناته اللفظية والمعنوية يرصها رصًا في قصيدته ، فتخرج صفوفا متراصة من المحسنات بأقسامها المختلفة وهكذا الحال في قصائده المختلفة وقصائد اقرانه فكانما الشعراء في سباق عتيد لبلوغ غاية هذه المحسنات والزخارف البراقة وهو الامر الذي أثر سلبا على مضمون الشعر وجوهره .

والحق ان اللواح كان ملما بالبديع ، واعيا بأنواعه وأقسامه فسلك دروبه وسار فيها واثقا مطمئنا ثقة الصانع الحاذق في استخدام خامات صنعته فيعرف متى يستخدم الجناس ، وأين يكون الطباق ، وكيف ترتد الاعجاز على صدورها . . . الخ

وقد لفتت انتباهي تلك الظاهرة عند اكثر من شاعر عُماني قديم خاصة الشعراء الذين عاشوا عصر البديع كما يسميه بعض النقاد ، فقد رصدت ذلك من قبل عند سليمان النبهاني كما لمسته عند الحبسي ، ويبدو ان هذه الظاهرة يتسم بها الشعر العماني القديم ضمن ظواهر أدبية اخرى تنتشر فيه انتشارا واسعا بما يجعلها بحق تستحق الدراسة والتأهيل وتتبع منابعها .

فاللواح يجنح الى البديع ويستخدمه كثيرا ولكنه يبذل جهده الواضح لكي ينأى بمحسناته عن التكلف والتصنع وحتى تظل توابعه بالقدر الذي يجعل طعامه شهيا جذابا دون ان تفسده وتذله بصوره ومعانيه ، فيقبل الناس على شعره في شوق ومنهم تشدهم زينته وتجذبهم زخارفه البراقة ولكن هذه الزينة وتلك المضمون لا تطمس هذا الجوهر وتمحو ذلك المضمون كما كان الحال عند الشعراء الذين أسرفوا في استخدام البديع آنذاك .

ونعود الى ديوان اللواح لنتتبع أنواع البديع فيه وكيفية استخدام الشاعر لها:

الجنـــاس

وجد الجناس ارضا خصبة في شعر اللواح فنما فيها عوده واخضرت اوراقه وتمايلت غصونه وحاول اللواح جاهدا ان يوائم بين حبه له وحرصه عليه واعجابه بتلوين صوره به وبين عدم الوصول به الى درجة التكلف والتصنع ومن هنا كانت مهارته في استخدام هذا اللون من البديع فنراه يتوسع في استخدامه بدرجة تفوق نظيرتها عند سليمان النبهاني الشاعر العماني القدير ولكنه مع هذا الاستخدام الواسع للجناس لايشعرنا بالسأم أو الملل او الرتابة فهو يتمكن من ناحيته يوجهها حيثما تحتاج معانيه وافكاره ويقف بها حينما يستدعى الموقف ذلك واللواح لاشك يعرف دروب الجناس المختلفة فهو ملم بأقسامه وأنواعه ففي شعره الجناس التام المماثل والجناس التام المستوفى وفي شعره كذلك الجناس غير التام بأنواعه المختلفة: المضـارع والـلاحق والناقص والمحرف والقلب وهذه بعض الامثلة التي تدل على انتشار الجناس في شعر اللواح.

الجنـاس التـام المماثـل :

يكـون الجنـاس تامـا اذا اتفق اللفـظان المتجـانسان في نوع الحروف وعددها وهيأتها وترتيبها، فإذا كانا من نوع واحد اسمية أو فعلية أو حرفية سمى مماثلا ومن امثلة هذا النوع في شعر اللواح قوله:

الفاطـر البـوح من بـوح ولا أحـــد   سـواه يفطـر روح البـوح من بـوح(١)

وهنا تبدو مهارة الشاعر في استخدام كلمة (بوح) بمعانيها المختلفة ويقصد ان الله خلق النفس من الجماع.

ومن الأمثلة ايضا قوله:

أرى الـراسـيـات الراسـيـات بهـا   كيما يقـول الهـوى من حبهـا سـيحـي(٢)

فالراسيات الأولى بمعنى الجبال والثانية صفة لها.

ومن أمثلة هذا النوع من الجناس ايضا قوله:

لـيـــلي إلـى لـيــلى أحـن وإن بـدا   فـلق الصبـاح لضيمهـا أتـأنـس(٣)

---

١ ـ الديوان جـ ١ ص ٧٩   ٢ ـ الديوان جـ ٢ ص ٧٩   ٣ ـ الديوان جـ ١ ص ١٣٧

فليلى الأولى يقصد بها الوقت المعروف عكس النهار، وأما الثانية فيقصد اسم صاحبته ويرمز بها للكعبة الشريفة في شعره. ومن ذلك ايضا قولـه:

دعــاهــا كيفمـا صـنـعـت دعــاهــا ولا تلمـا بهـا لهـوى دعــاهــا(٤)

وبالديوان أمثلة اخرى عديدة لهذا النوع من الجناس.

الجناس التام المستوفى

وفيه يكون الجناس تاما واللفظان مختلفين في النوع، فيكون أحدهما أسماً والآخر فعلا أو العكس أو يكـون أحـدهـا أسماً والآخر حرفاً وهكذا... وقد ألم اللواح بهذا النوع من الجناس واستخدمه في شعره ومن ذلك قوله:

أليـلتـنـــا بـالأمـــس عـــودي لـيــورق بعــد ليـن الغصــن عـــودي(٥)

فكلمة عـودي في الشطر الأول فعل بينما استخدمها الشاعر في الشطر الثاني اسما ويقصد به جسمه وبنيانه وهو ما يعرف لدى البلاغيين بالجناس التام المستوفى.

وقد تطرق اللواح الى الشيء نفسه في قوله:

ألا فـانـظــروني بعـيــن الـصـفــا فهيهــات مثلي خـليـل صـفــا(٦)

فكلمة (صفا) في الشطر الأول مكان بعينه أما في الشطر الثاني فقد استخدمها فعلا. ومن امثلة هذا النوع ايضا في شعر اللواح قوله:

قـد قـدَّ غيظـك اضلاعي فـقـلقـلني ومـنه رأسـي فـقــد شـابـت مفـارقه(٧)

ومن ذلك ايضاً قـوله:

تـقـلقـلـهـا المعــازف والملاهـــي وكـل نهجـة سـحـبت رداهـــا

ومـا بـلـد يحـل الـنـكـر فيـهـا إذاً إلا وبـــاريـهـــا رداهـــــا(٨)

فكلمة (رداها) في البيت الأول استخد مها الشاعر اسماً من الرداء أي الزي والملبس اما البيت الثاني فقد استخدمها الشاعر فعلا بمعنى اهلكهـا.

---

٤ ـ الديوان جـ ٢ ص ٨٥ ٥ ـ الديوان جـ ١ ص ١٢٧ ٦ ـ الديوان جـ ١ ص ١٤٨

٧ ـ الديوان جـ ٢ ص ٧٦ ٨ ـ الديـوان جـ ٢ ص ٨٩.

الجناس غير التام المضارع أو اللاحق :

ويكون اذا اختلف اللفظان في أنواع الحروف على ألا يقع الخلاف في اكثر من حرف، فإذا كان الحرفان المختلفان متقاربين في المخرج سمى (مضارعا) أما إذا كانا غير متقاربين سمي (لاحقا).

ومن أمثلة هذا النوع في شعر اللواح قوله :

على أنه واد به الحق منكر   مشايخه تصبى وشبابه تصبو(٩)

وكذلك قوله :

جاءت إليك تعيد أحسن الاملا   فيكم وإن كان لما يحسن العملا(١٠)

ومنه ايضا قوله :

سرى به الله ليلا في مشاهده   وكان في القرب منه في شواهده(١١)

وكذلك قوله :

وحاضت لأولى الليل حتى اذا بدا   لها الصبح خاضت واستبان وريدها(١٢)
تبالذي الدنيا ومفتخر بها   ويآمل منها منال مناء (١٣)
فأنت الشفيق وأنت الشقيق   إذا ما رفيق رفيقا خبا(١٤)

وكذلك قوله في موضع آخر :

فكيف أطيق ياليلى وداعا   وداعي الحب حملني صنوفه(١٥)

ومنه ايضا هذا البيت الذي علا فيه جرسه الموسيقي :

صب صبته إلى ليلى صبابته   واستعذبت قلبه الصابي اصابته (١٦)

---

٩ ـ الديوان جـ ١ ص ٢٠٤

١٠ ـ الديوان جـ ١ ص ٢٠٧ ١١ ـ الديوان جـ ١ ص ٢٠٦ ١٢ ـ الديوان جـ ١ ص ٢٥٥

١٣ ـ الديوان جـ ٢ ص ١٠٠ ١٤ ـ الديوان جـ ٢ ص ١٤٨ ١٥ ـ الديوان جـ ١ ص ١٤٩

١٦ ـ الديوان جـ ١ ص ٢٤٣

الجناس غير التام المحرف :

وهو ما اختلف فيه اللفظان في شكل الحروف وهيأتها وقد يكون الاختلاف في الحركة فقط أو في الحركة والسكون وقد استخدم اللواح هذا النوع من الجناس وان كان استخدامه له بدرجة اقل من تناوله الأنواع الأخرى ومن الجناس المحرف في شعر اللواح قوله :

ويا ليلة نلنا منى القلب من منى وطاب مقيلا عنده وبيات(١٧)

وقوله ايضا :

بني إبليس في خلق وخلق لطاعته موانع للحقوق (١٨)

وفي موضع آخر :

لا يدرك المجد من جَدّ زكٍ وأب بغير جِدّ واقبال السعادات (١٩)

الجناس الناقص :

ويكون إذا اختلف اللفظان في اعداد الحروف وكان الاختلاف بزيادة حرف واحد في أحدهما وهذا النوع من الجناس موجود ايضا بدرجة ملحوظة في شعر اللواح ومنه قوله :

والموت والبعث والوعيد وما في الوعد جاء وما في النص قد نمقا(٢٠)

والمجانسة واضحة في البيت بين كلمة الوعيد في الشطر الأول وكلمة الوعد في الشطر الثاني التي تنقص حرفا عن سابقتها ومثل ذلك ايضا قوله :

وقد زاد الهوى منا إليها إلى أن كاد لا يسع الهواء(٢١)

---

١٧ ـ الديوان جـ ١ ص ١١٠

١٨ ـ الديوان جـ ١ ص ٢٢٤ ١٩ ـ الديوان جـ ١ ص ٢٩٠ ٢٠ ـ الديوان جـ ١ ص ٨٧

٢١ ـ الديوان جـ ١ ص ٩٩ .

وفي موضع آخر نراه يستخدم هذا النوع من الجناس استخداما موسيقيا عذباً رقيقاً فيقـول :

عــذاب الهـوى في قلـب من رامه عـذب   وحـوب حـبيب النفـس يستره الحـب(٢٢)

الجنـاس المذيـل :

ويحدث إذا كان الاختلاف في عدد الحروف بين اللفظين المتجانسين اكثر من حرف واحد ومن الجناس المذيل عند اللواح قوله :

خـليلي لي قـلــب لليلى مقـلـب   وطـرف متى مـا يـلمح البـرق لامـح (٢٣)

فكلمة قلب ثلاثة حروف وكلمة مقلب خمسة بزيادة الميم واللام المشددة. ومن المذيل ايضا قوله :

عـرائـس قـد رقـت فـراقـت حليـلهـا   أنـيـق معانيها وألفاظها الأثـب(٢٤)

وقـوله في موضع ثالـث :

بــلا مـن له هـــم يسـوس وهمــة   بتطـلابـه هـام السـماكيـن تنطـح (٢٥)

وفي موضع آخر يقول :

أرى نـزوى بـكـم كشـفـت هنـاها   وراقـت مـن محـيـاهـا حـبـاهـا (٢٦)

فكلمة محياها الياء فيها مضعفة ولهذا فهي تزيد حرفين عن كلمة حباها فوقع الجنـاس مذيـلاً .

جنــاس القـلـــب :

وفيه تختلف اللفظتان في ترتيب الحروف ولذلك يسمى احيانا (العكس) وهو أنواع .

منه **قلب الكل**، وفيه يكون احد اللفظين عكس الآخر في ترتيب حروفه ،

ومنه قلب البعض وفيه يحدث اختلاف بين اللفظين في ترتيب الحروف ،

وإذا كان احد اللفظين المتجانسين في أول البيت والثاني في آخره سمي جناس القلب المجنح ،

وأما اذا كانت اللفظتان المتجانستان متتاليتين يسمى جناس القلب المزدوج

وأمثلة هذا النوع قليلة في الديوان إذ يبدو ان اللواح لم يكن مولعا بهذا اللون من الجناس

---

٢٢ ـ الديوان جـ ١ ص ٢٠١ ٢٣ ـ الديوان جـ ١ ص ١١٧ ٢٤ ـ الديوان جـ ١ ص ٢٠٢

٢٥ ـ الديوان جـ ٢ ص ٦٥ ٢٦ ـ الديوان جـ ٢ ص ٨٩

فكان استخدامه له في نطاق بسيط ولكنه على أي حال ألم به وأدخله في صنعته من ذلك قوله

وداء الشـــوق زاد بنـا إليـهـا ومـنـظـرها لـنـا فـهـو الـــدواء(٢٧)

ففي البيت جناس قلب البعض المجنح بين (وداء) في مطلع البيت وكلمة (الدواء) في نهايته.

التـقـسـيـم

التقسيم لون من ألـوان البـديع استخـدمه اللواح كثيرا في ديوانه وينقسم هذا اللون البديعي قسمين :

التقطيـع :

وفيه يقطع الشاعر البيت على أساس الوزن كل لفظين ربع بيت او غير ذلك.

التـرصيـع :

وفيه يستخدم الشاعر السجع في تقطيعه الذي اشرنا إليه سابقا. والتقسيم كغيره من ألوان البديع يجب على الشاعر ألا يسرف في استخدامه لأن القليل منه يجمل الشعر ويزينه ويشد القارىء والمتلقى إليه بينما الاسراف فيه يجعل المتلقى منصرفا عنه. فكثرة استخدامه تؤدي الى - التصنع والتكلف وضعف النسيج الشعري - بينما التركيز في استعماله والتقليل من وجوده يكسب الشعر قدرا من الموسيقى والبهاء والعذوبة التي يحتاجها القارىء عادة ليقبل على الشعر ويقبله.

واذا نظرنا الى شعر اللواح باحثين عن هذا اللون البديعي فإننا نلاحظ حرص الشاعر على وجوده في معظم قصائده، ولكننا نلاحظ ايضا انه كان حريصا على الاقلال منه وعدم تخصيص قصائد كاملة له كما رأينا ذلك عند شعراء عصره، بل إنه داخل القصيدة الواحدة يستخدم التقسيم في أضيق نطاق مما يعني انه كان ملما بهذه المسألة مسألة الاستخدام الأمثل للتقسيم واعياً بها، حريصـا عليهـا، ولكنه حينما يتعرض للتقسيم وينظم فيه نراه ماهرا وحاذقاً في استخدامه فيوفر لشعره جرسه العذب وايقاعه المناسب وانظر مثلا الى قوله :

استـغـفـر اللـه من شـم شـممت ومـن لمّ لمـت ومن ذوق ومـن نـهـــل

٢٧ - الديوان جـ ١ ص ٩٩

استغفر الله من مدحي اللئام ومن هجو الكرام ومن لهو ومن غزل(٢٨)

ثم قوله بعد عدة أبيات من نفس القصيدة :

استغفر الله من كيل طففت ومن وزن خففت ومن ذرع على عجل(٢٩)

فالترصيع في الأبيات السابقة يجذب انتباهنا ويشد اسماعنا ولكنه في نفس الوقت لا يؤثر مطلقا على جوهر المعنى فإننا نتتبع من خلال الأبيات موقفا معينا للشاعر هو موقف التائب من ذنوبه، يعددها ويطلب من الله الغفران والتوبة ويجعلنا خلال ذلك لا نشعر بسأم أو ملل أو سطحية لأفكاره، ومعانيه لأنه يعرفها من خلال درجة من الطرب والايقاع تطرب الاذن، ويستمتع الفؤاد بها، وتثير المشاعر والأحاسيس وبعد ان يطمئن الى اثارة مشاعر المتلقي وأحاسيسه يعرض معانيه وأفكاره التي تجد المناخ المناسب والأرض الممهدة فتؤتي أكلها . وقد فعل اللواح ذلك كثيرا في قصائده فنراه في موضع آخر يقول :

هم أهل مظلمة أصحاب مشأمة أنجاب ملأمة، أرباب مختلق(٣٠)

ولعل الترصيع في البيت السابق يقترب من قول الخنساء.

حمال ألوية ، هباط أودية شهاد أنديه للجيش جرار

وأما التقطيع بدون ترصيع فموجود ايضا بكثرة في الديوان كقوله :

يا من تفرد بالاجلال والكرم والحمد والمجد والتنزيه والعظم(٣١)

وقوله في موضع آخر :

تباركت تقديسا تعاليت قدرة خبير بأسرار الذنوب عليم(٣٢)

وفي موضع ثالث يقول قاصدا ليلى الشريفة التي يكني بها عن الكعبة المشرفة :

حبيبة قلبي، وغاية سؤلى نهاية آمالي المستريفه(٣٣)

والظاهرة التي تلفت الانتباه في تقسيمات اللواح انه كثيرا ما يقسم بيته تقسيما لغويا فيكرر في الشطر الثاني معظم التراكيب النحوية للشطر الأول بل انه احيانا يأتي بها كاملة فنجد تشابها كاملا في التركيب اللغوي للشطرتين. ومن تقسيمات اللواح اللغوية هذه قوله :

كأنما الروض مذ لاحت كواكبه تلامع اللوم مذ شاعت مشارفه (٣٤)

---

٢٨ ـ الديوان جـ ١ ص ٩٠ | ٢٩ ـ الديوان جـ ١ ص ٩٦ | ٣٠ ـ الديوان جـ ٢ ص ٧٢

٣١ ـ الديوان جـ ١ ص ٩٣ | ٣٢ ـ الديوان جـ ١ ص ٩٥ | ٣٣ ـ الديوان جـ ١ ص ١٥١

٣٤ ـ الديوان جـ ٢ ص ٧٥

فالتركيب اللغوي (مذ لاحت كواكبه) في الشطر الأول يتشابه مع التركيب اللغوي (قد شاعت مشارقه) في البيت الثاني.

وانظر ايضا الى قوله :

عتاب أحال الشهد كالصاب في الحلق   وهجر أراني الصبر ضربا من الحمق(٣٥)

نجد ان النصف الأول من الشطر الأول (عتاب احال الشهد) يتشابه في تركيبه اللغوي مع النصف الأول من البيت الثاني (هجر أراني الصبر) وكذلك نهاية الشطر الأول (في الحلق) تتشابه مع نهاية الشطر الثاني (من الحمق) وان كليهما يتكون من اسم مجرور بحرف جر يسبقه، فمعظم التراكيب النحوية للشطر الأول استخدمها الشاعر في الشطر الثاني.

ولنتأمل معا في هذا البيت :

وإذا ألفت ألفت غير مباين   وإذا صرمت صرمت غير مجانح(٣٦)

فإنك تجد التراكيب اللغوية في الشطر الأول قد تكررت تماما في الشطر الثاني مما يعني ان التشابه اللغوي بينهما كامل. وقد فعل ذلك كثيرا في مواضع اخرى كقوله :

الرزء أفجع لو أطلت بكائي   والخطب أوجع لو شققت حشائي(٣٧)

وقوله في موضع آخر :

فذكرك لم يبرح للقياك سائقي   وحبك لم يبرح لذكراك قائدي(٣٨)

وقوله ايضاً :

فما الأرزاق تنتهب   ولا الخلان تكتسب(٣٩)

وقد رصدت أبياتا قليلة لهذا التقسيم اللغوي عند سليمان النبهاني من قبل ولكنني وجدت استخداما واسعا لها عند اللواح فيبدو انه ألم به وعرفه وحاكاه بمهارة تدل على دراية لغوية وقدرة نحوية.

التصريع

التصريع يكون في الشعر فقط ومعناه ان يأتي المقطع الاخير من النصف الأول من البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، ولذلك فإنه يستدل من التصريع على قافية القصيدة والتصريع كباقي المحسنات البديعية يجب على الشاعر الا يسرف في استخدامه فهو مقبول

٣٥ ـ الديوان جـ ٢ ص ٧٣   ٣٦ ـ الديوان جـ ٢ ص ٥٥   ٣٧ ـ الديوان جـ ٢ ص ٩٧

٣٨ ـ الديوان جـ ١ ص ١٣٢   ٣٩ ـ الديوان جـ ٢ ص ٥٢

منه في مطلع القصيدة ولا يقبل بعد ذلك إلا اذا كانت القصيدة في حاجة الى دفقة موسيقية جديدة أي ان الشاعر عليه ان يستخدم التصريع في الوقت المناسب وهذا يدل على قدرة الشاعر وتمكنه. وحدد البلاغيون للتصريع أنواعاً منها :

أ ـ التصريع الناقص :

وفيه يحتاج الشطر الأول الى الشطر الثاني ليكمل المعنى فهو لا يستقل بنفسه.

ب ـ التصريع الموجه :

وفيه يمكن تقديم أحد المصراعين على الآخر.

جـ ـ التصريع المشطور :

وفيه تختلف قافية البيت مع قافية الشطر الأول.

وقد استخدم اللواح هذا اللون البديعي ايضا ليضفي على شعره قدرا من الايقاع والتأثير من ذلك قوله مصرعا تصريعاً ناقصاً :

لا تجهد النفس للأرزاق في طلب فما يزيدك رزقا ذلك الطلب(٤٠)

فالبيت في القصيدة ترتيبه الرابع عشر ولم يصرع الشاعر قبله وحينما وجد ان قصيدته في حاجة الى وقفة موسيقية جديدة صرع في هذا البيت وفي البيت السادس عشر فقال بعد البيت السابق :

واسترزق الله بالعلم الجلي فقد يقال بالعلم جمّ المال تكتسب
فالكلب أفضل ممن لا له أدب ولا عفاف ولا علم ولا نشب(٤١)

ثم لم يصرع بعد ذلك حتى نهاية القصيدة فالشاعر كان حريصا على ان يزود قصيدته بزاد موسيقي كلما استشعر حاجتها إليه دون أي مبالغة أو غلو. ومن تصريعاته الموجهة قوله :

اهدي لدهمان الفصيح نصائحي ولآل نبهان الملوك مدائحي
فرجاي فيه يكون عين الصالح وبهم رجاي انال غاي مصالح (٤٢)

ونلاحظ ايضا ان هذه القصيدة التي منها البيتان السابقان مكونة من أربعين بيتاً لم يصرع الشاعر فيها إلا في البيتين السابقين وترتيبهما الثاني عشر والثالث عشر، مما يعني انه كان حريصا في تصريعه لشعره كما قلنا من قبل.

---

٤٠ ـ الديوان جـ ٢ ص ٥٠ ٤١ ـ الديوان جـ ٢ ص ٥٠ ٤٢ ـ الديوان جـ ٢ ص ٥٥

رد الأعجاز على الصدور

وهو درب من التكرار ذكره ابن المعتز في كتاب البديع واطلق عليه : (رد الاعجاز على ما تقدمها) وقسمها ثلاثة أقسام :

أ ـ ما يوافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في نصفه الأول.

ب ـ ما يوافق آخر كلمة في البيت اول كلمة في نصفه الأول.

جـ ـ ما يوافق آخر كلمة في البيت بعض ما فيه.

وامتداداً لهذا التقسيم كان يمكن لابن المعتز ان يضيف قسما رابعاً هو:

د ـ ما يوافق آخر كلمة في البيت أول كلمة في نصفه الثاني.

والحق ان هذا اللون من البديع يحتاج من الشاعر الى قدر كبير من القدرة والمهارة لكي يحقق به اضافة للمعنى أو للايقاع دون ان يشعر المتلقي انه امام تكرار للالفاظ ويبدو ان اللواح كان مولعا بهذا اللون البديعي فاستخدمه على نطاق واسع في ديوانه فهو من اكثر ألوان البديع تواجدا في الديوان ان لم يكن اكثرها فعلا. وقد حاول الشاعر جاهدا ان ينأى عن التكلف والسطحية في رد أعجازه على صدورها ونجح في ذلك كثيرا كما سنرى في بعض الامثلة إلا انه وقع كثيرا ايضا في التكلف الذي حول هذا اللون البديعي الى درب من التكرار الممل سواء من ناحية اللفظ او المعنى وذلك يرجع الى استخدامه الواسع له ويطالعك ذلك وتلمحه بدون عناء بمجرد تناولك ديوانه وقراءة الصفحة الأولى منه فستجد بها اكثر من بيت رد فيه الشاعر عجزه على صدره وفعل الشيء نفسه في معظم صفحات الديوان وان بعض النماذج تؤكد ذلك:

في صفحة واحدة في مطلع الديوان تطالعنا هذه الأبيات :

الفاطر البوح من بوح ولا أحد ... سواه يفطر روح البوح من بوح

المالك الملك لا يوحى عليه به ... ولا تكلم فيها الخلق بل يوحى

أجرى الجواري بريح في البحار ولو ... يشا لأجرى جواريها بلا ريح

منشي الرياح لواهي المزن لاقحة ... فتنتج الماء ملقوحا بملقوح

سبوح قدوس علام الغيوب فلا ... يدعى سواه بقدوس وسبوح (٤٣)

ويستمر الشاعر في استخدام هذا اللون البديعي في باقي أبيات القصيدة فهذه محصلة

٤٣ ـ الديوان جـ ١ ص ٧٩

صفحة واحدة من القصيدة وهذا يدل كما قلنا على ولوعه وشغفه برد الأعجاز على صدورها فدفعه ذلك إلى ما نراه في الأبيات السابقة تكرار قد يكون غير مستحب لانه لا يضيف جديدا للمعنى ولا تطرب الأذن لسماعه، وفي صفحة أخرى يفعل الشيء نفسه فيقول :

وأعطيت ما أعطوا من الصوم حقه ... وقمت بها كان الكريم يقوم
رحلت أبا فطر رحيل منادم ... وهل فيك يعتاض النديم نديم
سألنا الذى آتاك عنا نديمنا ... لنلقاك والفضل العظيم نديم
أنا الهائم المشتاق للعفو والرضا ... وكل حبيب للحبيب يهيم
فإن تعف عني فهو منك كرامة ... فاني سؤول والمسول كريم(٤٤)

ويستمر الشاعر في اتجاهه هذا وتستمر مبالغته في استخدام هذا اللون ويبلغ هذا الأمر مداه في صفحة أخرى بالديوان فيذكر فيها كل هذه الأبيات وقد رد فيها أعجازها على صدورها :

فصرت كأنني فيها أسير ... ولا فاد لديّ ولا فداء
أروم بها خفاء السر لكن ... لما قاسيته برح الخفاء
نزلت بها الشتاء وما برحنا ... إلى أن كاد ينسلخ الشتاء
وإن كتب الاله لنا بقاء ... وصلناها إذا كتب البقاء
وإن دفع الشقاء فإن وصلنا ... بإذن الله زال بها الشقاء
أيا رباه إن جواء ليلى ... كحبك عندنا نعم الجواء
أيا رباه دعوة مستغيث ... أجل عتاد نصرته الدعاء
وداء الشوق زاد بنا اليها ... ومنظرها لنا فهو الدواء
وقد زاد الهوى منا إليها ... إلى ان كاد لا يسع الهواء
أيا من لا يخيّب ظن راج ... إليك اليك قادني الرجاء
فهبني ما اشاء لوصل ليلى ... فإنك قادر فيما تشاء(٤٥)

فالشاعر لايكاد يترك بيتا من أبيات هذه القصيدة دون ان يرد عجزه على صدره فوقع في المآخذ التي أشرنا اليها من قبل على اننا لا نعدم استخداما جيدا لهذا اللون من البديع

---

٤٤ ـ الديوان جـ ١ ص ٩٦ ٤٥ ـ الديوان جـ ١ ص ٩٩

عند اللواح، من ذلك قوله:

فلو ان لى نفسين نفسا جعلتها ... لليلى ولي ابقيت مدخرا نفسا(٤٦)

فعجز البيت بتوقعه السامع له قبل ان يسمعه لأنه يتفق مع تسلسل الأحداث ويكمل المعنى. كما ان اللواح أوجد به لونا بديعيا آخر في البيت وهو التفسير وسنتحدث عنه بعد قليل. ومن أبياته المقبولة ايضا في هذا المجال قوله:

أأقوى عنك ياليلى فراقا ... وغاية لوعتي يوم الفراق (٤٧).

فعجز البيت هنا لا يشوبه تكلف أو تصنع أو غير ذلك اذا جاء مظهرا للمعنى الذي يريده الشاعر ومقويا له، فتكراره حسن مقبول ومثل ذلك موجود في أبيات عديدة بالديوان كقوله: (في مدح النبي صلى الله عليه وسلم).

كريم المساعي للنبيين خاتم ... شرائعه ما بعدهن شرائع(٤٨)

وقوله في موضع آخر:

متسلسل من صلب آدم نوره ... أكرم بنور واضح متسلسل(٤٩)

وفي موضع ثالث:

أبغي العلاج لعلات بليت بها ... فالحرص والطمع المرذول علاتي(٥٠)

ففي الأبيات الأخيرة نرى مهارة الشاعر في استخدام هذا اللون البديعي فقد نأى به عن التكرار الممل الذي يدعو الى السأم، كما أنه أضاف به شيئا للمعنى استكمالا أو توضيحا او تعزيزا وتقوية، كذلك اضاف به نوعا من الموسيقى فجعل الايقاع في نهاية البيت مرتبطا بالايقاع في بدايته، وهذا هو المطلوب من الشاعر الذي يتعرض لهذا اللون.

الطباق

ويسمى ايضا «التضاد» وهو الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة ويكون ذلك اما بلفظين من نوع واحد اسمين أو فعلين أو حرفين، وإما بلفظين من نوعين.

والطباق من المحسنات البديعية التي يستخدمها الشاعر لاثارة الانفعالات المختلفة في نفس القارىء أو السامع، كما انه يثبت المعنى في النفس فإذا ذكر الشاعر كلمة لها معنى

---

٤٦ ـ الديوان جـ ١ ص ١٣٥ ٤٧ ـ الديوان جـ ١ ص ١٥٣ ٤٨ ـ الديوان جـ ١ ص ٢١٦

٤٩ ـ الديوان جـ ١ ص ٢٣٦ ٥٠ ـ الديوان جـ ١ ص ٢٩١

معين فأول ما يتبادر الى ذهن المتلقي هو المعنى المضاد لهذه الكلمة، فهناك دائما ارتباط بين الكلمة والكلمة المضادة لها.

وقد استخدم اللواح هذا المحسن البديعي بمقدرة ومهارة، ففي كثير من الاحيان نرى الطباق عنده يتميز بالعمق وقوة التأثير، وان كنا أحيانا نراه سطحيا تقليديا محدود التأثير وقد كان هذا الاخير قليلا في شعره فمثل ذلك قوله :

الحمد لله القريب النائي في ملكه مدبر الأشياء
فيما يراه من جملة البرآء القابض الباسط في الاعطاء
بلا اعتجال لا ولا ابطاء القاسم الرزق على الوراء(٥١)

فقد يشعر القارىء بفتور الطباق في الأبيات السابقة كما نشعر ان الشاعر لا يوفر لها جهده الفني الذي وفره لنماذج اخرى عديدة في ديوانه. ومن طباقات هذا اللون ايضا قوله :

يغور الغور بي ليلا لليلى وينجدني لها صبحا نجودى

فقد بالغ في تلاعبه بالألفاظ (يغور الغور) و(ليلا لليلى) و(ينجدني نجودى) ثم استخدم الطباق ايضا مع كل هذا بين الليل والصبح فبدا البيت كله وكأنه تلاعب بالألفاظ ليس غير، بالاضافة الى ان الشاعر طابق بين الليل والصبح والصواب ان يطابق بين الليل والنهار

كما فعل في قوله :

ورب نهار صائم قد أماته وليلا قضاه ميتا بحياة(٥٣)

فالطباق هذا ايضا تشوبه المآخذ ففيه تكلف واضح فقد حاول ان يعزز به حكم يتعرض لها أو نصحا يسديه إلا ان الطباق هنا لم يؤد الغرض المطلوب فالقارىء في حاجة الى بذل جهد كبير لمتابعة الشاعر وهو أمر غير محمود في مثل هذا الموقف. وعلى أي حال فمثل هذه النماذج من الطباق عند اللواح قليلة، وأما السمة الغالبة على استخدام الطباق هي انه من اولئك الشعراء الذين يتقنون هذا الفن البديعي ولنتمعن مثلا قوله :

الحمد لله أن الله صور لي عقلا يميز بين الجد والهزل(٥٤)

فلم يأت الطباق لمجرد الزينة والتجميل في البيت السابق وإنما جاء موظفا لأداء غرض

---

٥١ ـ الديوان جـ ١ ص ٩١ ٥٢ ـ الديوان جـ ١ ص ١٢٥ ٥٣ ـ الديوان جـ ٢ ص ١١٦

٥٤ ـ الديوان جـ ١ ص ٩١

معين وابرازه وايضاحه وهو مدى قدرة العقل وفائدته ولنتأمل ايضا قوله في نفس القصيدة ؛

الحمد لله ان الله اوسع لي   بطشا وسعيا إلى حل ومرتحل(٥٥)

فقد اضاف الطباق هنا بعدا يتعلق بالمعنى من حيث الوضوح والشمول كما اضفى قدرا من الموسيقى على نهاية البيت.

ومن الطباق الجيد عند اللواح ايضا قوله :

وصلهم إن همُ قطعوا   وواصلهم وإن منعوا(٥٦)

فالشاعر وصل باستخدام الطباق في البيت السابق الى غرضه في سهولة ويسر وهذا يدل على تمكنه من ألفاظه وأدواته كما يدل على شاعريته بالاضافة الى انه وفر قدرا مناسبا من الايقاع العذب لبيته باستخدام التصريع.

ومن هذا القسم ايضا قول الشاعر في موضع آخر:

هي النفس عاصتني وقلبي أطاعها   كما قد اطاعت للسان شفاه(٥٧)

فقد أفاد الطباق هنا في ايجاد المبرر لعصيان قلبه وهو المبرر الذي يستقيه من طبيعة الاشياء، فالشفاه يطيع اللسان دون ان تدّرى شيئا عما تقوله وكذلك قلبه، فالبيت متكامل الأطراف والطباق أحد هذه الأطراف التي تعاونت في اخراج هذه الصورة ومن الطباق الجيد ايضاً قوله :

أمسي وأصبح في الضريح وما درى   ما حل في صبح بنا ومساء(٥٨)

والبيت في رثاء احد العلماء وقد استخدم الشاعر الطباق مرتين في مطلع البيت ونهايته، بل انه استخدم نفس الطباق (الصبح والمساء) ومع ذلك لا نكاد نشعر بتكراره الألفاظ لمهارته في استخدامها. وهذا يدل على شاعرية اللواح ومدى امتلاكه ناحية هذه الشاعرية.

الاقتباس وحسن التضمين

الأقتباس ان يضمن الشاعر أو الأديب كلامه شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف دون ان يذكر انه منها فلا يقول مثلا: (قال تعالى) أو (جاء في التنزيل) أو (قال صلى الله عليه وسلم). . أو غير ذلك فلو قال ذلك لايسمى اقتباسا وانما يسمى استشهادا.

---

٥٥ ـ الديوان جـ ١ ص ٩١   ٥٦ ـ الديوان جـ ٢ ص ٥٣   ٥٧ ـ الديوان جـ ٢ ص ٩٤

٥٨ ـ الديوان جـ ٢ ص ٩٨

ويستخدم الأديب الاقتباس لكي يزيد كلامه قوة وبلاغته بلاغة ولكي يجعل كلامه اكثر حسنا وعذوبة وعمقا. وهو غير التضمين الذي ذكره ابن المعتز في كتابه (البديع) وعده من محاسن الكلام ويقصد بحسن التضمين أن يستعير الشاعر بيتا أو شطرا أو بعض الألفاظ من شاعر آخر.

وقد لاحظت ان اللواح يستخدم الاقتباس بطريقة خاصة فهو يستخدم ألفاظ الآية الكريمة أو الحديث الشريف في بيته بشيء من التصرف فلا ينقلها كما هي وان ابقى على الشكل العام للنص الذي يجعل القارىء ينتبه إليه بمجرد قراءة البيت وأمثلة ذلك كثيرة في الديوان منها قوله :

على مشيئة أنشا الخلائق لا	يعيا ولا أده حفظ الذي خلقا
من نسمة نسمة أنشا وصوره	من نطفة مضغة كانت لها علقا(٥٩)

وقوله ايضاً :

من لي بها ومجاهل ما بيننا	حالت تتيه لها الجوارى الكنس(٦٠)

وقوله في موضع ثالث :

وقد خشيت بأني من تسببها	يوم القيامة ان أصلى على اللهب(٦١)

وكثيرا ما كان الشاعر في اقتباساته من القرآن الكريم فيستخدم الاقتباس في عدة أبيات متتالية كما فعل في قصيدة النزوية :

بهذى الشمس أقسم أو ضحاها	وبالقمر المنير إذا تلاها
وأقسم بالنهار إذا جلاها	وبالليل البهيم إذا دجاها
وأقسم بالسماء وما بناها	وبالارض الفسيح وما طحاها
يمينا برة ليست غموسا	واخلاص اليمين لمن وفاها
لئن لم ترجعوا يا أهل نزوى	عن الحال الذي فيكم أراها
لتغدوا كلكم أيدي سباء	رهائن بالنفوس لمن سباها
فإني صالح لكم نذير	وهذي ناقة الله وماها(٦٢)

ومن اقتباساته من الحديث الشريف قوله :

واطلب العلم لو بالصين مجتهدا	واغمض عليه بعقل راسب رزحا(٦٣)

---

٥٩ ـ الديوان جـ ١ ص ٨٥   ٦٠ ـ الديوان جـ ١ ص ١٣٨   ٦١ ـ الديوان جـ ٢ ص ٢٠٧

٦٢ ـ الديوان جـ ٢ ص ٨٧   ٦٣ ـ الديوان جـ ٢ ص ٥٩

وتنتشر اقتباسات اللواح من القرآن الكريم والحديث الشريف في ديوانه انتشارا واسعا وهو أمر يدل على استيعابه لهما وتمكنه منهما وثقافته الدينية . كما يشير الى تدينه وحسن خلقه وإنما ذكرنا بعض نماذج فقط والديوان يمتلىء بها .

واكتفي بهذه الألوان البديعة الموجودة بشعر اللواح بصورة واسعة الانتشار. وقد استخدم الشاعر كثيرا من ألوان البديع الاخرى كالتفسير والاعتراض والمبالغة والالتفات وغيرها ولكن استخدامه لها لم يكن بنفس درجة استخدامه للأنواع التي ذكرتها فرأيت ان اكتفي في بحثي الموجز هذا بهذه الألوان الغالبة على الديوان .

وكما اشرت من قبل يبدو ان هذه كانت ظاهرة حرص عليها شعراء عمان القدامى فكانوا لا يسرفون في استخدام البديع ومحسناته بل نشعر انهم كانوا يبذلون جهدا ليحافظوا على هذا القدر المناسب منه إذ ان اهتمامهم بالشكل لتوفير عنصر الجذب والانبهار كان يسير معه في طريق واحد اهتمامهم بجذب المتلقي الى الجوهر ايضا فنرى في شعرهم حيوية المعاني وتدفق الأفكار، وسلامة اللغة، وامتلاكا لناصيتها، وقدرة على استيعاب مفرداتها، ومقدرة على استخدام أساليبها والخوض في مسالكها ودروبها، وذلك كله مصحوب بقدر مناسب من الزينة والتجميل والتحلية، فإذا بهم قد تجنبوا ما وقع فيه اقرانهم من الشعراء العرب في الأقاليم العربية الاخرى وخاصة في مصر والشام من خلل الاسراف في استخدام البديع فنحن نعرف ان الشعر العربي آنذاك تحول الى درب من الصنعة اللفظية ووصل الأمر الى درجة كبيرة من التكلف والتصنع أثرت كثيرا في تفكك القصيدة العربية وضعفها فنيا ولغويا . وهو ما نأت عنه القصيدة العربية العمانية الى حد كبير.

أهم المصادر والمراجع

بعض كتب البلاغة ومراجعها القديمة والحديثة ومنها :

- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني
- أسرار البيان - د. علي محمد حسن.
- أسس النقد الأدبي عند العرب - د. أحمد احمد البدوي
- البديع - لابن المعتز .
- أصول النقد الأدبي - لأحمد الشايب.
- الايضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني .
- البلاغة - لأبو العباس محمد بن يزيد المبرد.
- البلاغة - تطور وتاريخ - د. شوقي ضيف .
- سر الصناعتين - لأبو هلال العسكري .
- سر الفصاحة - لابن سنان الخفاجي .
- العمدة في صناعة الشعر - لابن رشيد القيرواني .
- شعراء عُمانيون - سعيد الصقلاوي .
- ديوان اللواح - تحقيق : محمد علي الصليبي . اصدار: وزارة التراث القومي والثقافة .
- مدخل الى دراسة الأدب في عُمان - د. احمد درويش



جانب من فعاليات المنتدى الأدبي

الباب الخامس

في القصة القصيرة والشعر

اضاءة حول القصص الفائزة بمسابقة(*)
المنتدى الأدبي الخامسة لعام ١٩٩٢م

اعداد : د. احمد عفيفي
د. شاكر عبدالحميد
جامعة السلطان قابوس

قدّم إلى مسابقة المنتدى الأدبي ما يزيد عن مائة وتسع وعشرين قصة. اتفق منها مع شروط المسابقة تسع وعشرون قصة. دارت المعالجات القصصية حول جوانب متعددة منها ما هو قومي ومنها ما هو اجتماعي أو نفسي أو سلوكي، فقد شملت محاور كثيرة لتصوير الزمن والبيئة العمانية والشباب وطموحاتهم وانفعالاتهم النفسية البشرية وحوادث السير وزواج المسنين وعالم البحارة وحركة الحياة والطبيعة والنفس البشرية لحظة السقوط، بل وحملت هموم العالم العربي في بعض جوانبها. وفيما يلي الأعمال الفائزة وحديث قصير عنها.

القصة الفائزة بالمركز الأول بعنوان «**شرنقة الطلع**» للقاص صالح بن محمد بن سيف الفهدي.

فقد قدّم صالح قصته من خلال لغة شديدة التوهج منتقاة بعناية شديدة هي أقرب الى لغة الشعر، واستطاع ان يلج الى أعماق النفس الانسانية بما تشتمل عليه من حيرة وقلق واضطراب، وقد صور ذلك في أسلوب مكثف يتحرك بتحرك مضمون القصة، والقاص يعتمد على فطنة القارىء في استشفاف المعاني لثراء وعمق الدلالة عنده.

بدأت القصة بنظرة للأفق خلال ذلك الخط الفاصل بين السماء والأرض في امتزاج غامض بين القاص والطبيعة، وهو يتخيل الانفراج والانعتاق من الأسر النفسي عند نزول الغيث أو انبلاج الفجر، وظهور الشمس التي يستمد منها الدفء، كل ذلك تم في امتزاج تام بينه وبين الأرض التي يعيش عليها، يستشعر من خلالها النداوة والخصوبة، حيث تنعكس فرحة الحقول على وجهه. ومع كل ذلك لم يزل يحس بأن مجهولا أو غامضا يجثم على صوره، وهو يستقرىء الواقع والطبيعة باحثا عن الخلاص متحدثا مع نفسه في جنون كأنه

يخاطب شخصا آخر، فيتجدد الأمل في الوصول الى المجهول غير ان صراع الواقع يقتل فيه الأمل حين يؤدي تمرده وثورته الى ثورة مضادة له، وهي ثورة الواقع عليه، ومع ذلك نحس انه دائم التوقان الى المجهول، فيرحل في ظلام دامس، غير ان الأمل يتجدد مع تلك النسمات الليلية الطرية.

يظل القاص في صراع مع نفسه بين اليأس والرجاء والأمل والاحباط الى ان تنزاح فجأة كومات الضباب من خلال رائحة الطلع النخلي ورائحة الزروع والثمار، والطبيعة التي تؤكد له ان الفرح لابد آت.

وقد أجاد القاص في تطويع معطيات البلاغة العربية من تراسل الحواس وتجسيم المعنويات، فالخصوبة تتسم بالطراوة، والضباب عبارة عن كومات، والخصوبة لها رائحة عطرة، وهو قادر على ان يسكب في النار نوازع الثأر.

كان ذلك من خلال بناء محكم للقصة وتصوير جيد ولغة متقنة قادرة على تصوير الصراع الطويل بين الانسان والواقع.

القصة الثانية «**الراعي لا يحب النساء**» للقاص محمد بن سيف الرحبي، هذه قصة جيدة من حيث قدرة الكاتب على استخدام الأسلوب الخاص بفن القصة، وهذا أمر تفتقده في كثير من القصص القديمة والحديثة، فالجمل القصيرة المركزة بدون غموض بعضها قدمه بأسلوب الشعر الموزون مثل: (معها يمضي كل صباح، الراعي كان حديث الناس؛ يقاوم حتى لايسقط اعياء)، يجمع الكاتب بين السرد والوصف والحوار بقدر يتناسب مع حجم القصة القصيرة، وهذه ميزة كبيرة لتلك القصة، يعتمد الكاتب على استخدام الفقرات. تنتقل كل واحدة الى فكرة مغايرة، وهذا ما يسهل للقاص فرصة الانتقال الزماني والمكاني في النص، وهو ما يستخدمه بعض كبار الكتاب للقفز فوق الأحداث التي لا تحتملها القصة القصيرة بل الرواية، والبطل واحد في تلك القصة وهو ذلك الراعي الذي انفصل عن واقعه، عندما يستخدم التكنولوجيا الحديثة في الرعي، أقول مع ان البطل واحد في هذه القصة، وهو ذلك الراعي - إلا اننا نحس كثيرا بوجود الآخرين معه، فانعكاسات حركته تبدو على ردود أفعال الآخرين.

والقصة تقابل في صورة رائعة بين الماضي والحاضر، وان كان فيها حنين وارتباط بالماضي القريب، وفيها ايضا تصوير جيد للصراع الابدي بين القديم والجديد خلال درجاته المختلفة من الألوان، فالماضي ليس كله تألقا وبهاء، بل به بعض المثالب التي يجب ان نتخلص منها، وكذلك الحاضر ان القاص صنع توازنا اجتماعيا بين عالمين في لغة مستقيمة سهلة معبرة عن المعنى المراد بعمق وسهولة.

القصة الثالثة: «**حبات البرتقال المنتقاة بدقة**» للقاص يحيى بن سلام المنذري، هذه قصة قصيرة سريعة النبض معبرة عن موقف واحد يميز بعض نوعيات القصص القصيرة على

المستويين المحلي والعالمي، بها سرعة تتناسب مع سرعة ايقاع الحياة التي يصفها القاص، تلاءمت مع اختيارات الجمل القصيرة التي تحمل دلالات مكثفة لتصوير أحلام البسطاء من البشر ورغباتهم المتواضعة، والحياة التي تدفع أحلامهم بعيدا وراء الأفق المترامي الأطراف من خلال مشهد الصراع العجيب بين الانسان والآلة، وتتمثل في السيارات التي تلتهم الشارع وتمضغ الهواء الساخن.

واستطاع القاص ان يصور وجوه الناس في تلك السيارات المسرعة في صورة بارعة وبشكل جديد مثير ينم عن قدرة قصصية لدى الكاتب ولأن محور القصة يعتمد على الموقف، فإن القصة لا تحتاج لتفاصيل كثيرة، ومع ذلك فقد وضع القاص لنا خلفية معرفية حول الشخصية الرئيسية وعن زوجته وأبنائه، والعلاقات الانسانية والحادث الذي تعرض له واستطاع القاص من خلال مشهد واحد ان يصنع هذا العمق القصصي الذي دلّ على براعة القاص.

القصة الرابعة: قراءة في قسمات وجه للقاص عبدالله بن سالم الشعيبى اعتمد القاص على الوصف من خلال لغة منضبطة قوية، زاوج بين السرد والحوار واستطاع ان يرصد التفاصيل الجزئية الدقيقة للأشياء التي وقعت عيناه عليها، ولدى القاص قدرة على رسم صورة جيدة للانفعالات والمشاعر البشرية، واستطاع ان يتغلب في نهاية الأمر على الضعف الانساني والخروج الى فضاء القوة، وقد قسَّم القاص قصته الى جزأين يمثلان العصب الأساس للقصة، والجزء الثالث (الاسطورة) جسَّده من خلال حوار ينتهي بالصمت، وكان الربط بين هذه الأجزاء الثلاثة جيدا، ومما يدفعنا الى الاعتقاد في نهاية الأمر أن هذه القصة تسفر عن عطاء قصصي جيد، وإن كان يتعمد الاغراق في الوصف أحيانا مما يصيب القارىء ببعض الفتور.

القصة الخامسة: «عربدة على بساط سماوي» للقاص عبدالله بن سالم بن عرابة، من خلال الخرافة القصصية ـ وفي محاولة جيدة ـ استطاع الكاتب ان يملأ قصته بالرموز مرة والاحالات الى أرض الواقع مرة اخرى من خلال اللغة الجيدة التي شابهت جو القصة الخرافي، فاللغة تحمل تهويمات شعرية جيدة وهي اقرب الى لغة الحلم والأسطورة، والرموز التي استخدمها القاص يمكن ان ترتبط بدلالات ومعان كثيرة تتثاقل في تحديد الهدف هل هو وعظي؟ أم أن هناك شيئا آخر؟ واللغة جيدة إلا من بعض التراكيب التي تحتاج الى معالجة.

شـرنـقـة الطـــلـع (*)

صالح بن حمد بن سيف الفهدي

(١)

عندما أرشق الأفق بنظري وذهني في تلاحم يشوبه الابهام - بعض الشيء - فينزلق نظري في جدران الأفق حتى يستقر في ذلك الخط الفاصل بين السماء والأرض يصيبني قلق مبهم وشعور بالفراغ المجدب الذي تمتد أطرافه الى ما لا نهاية.

وعندما تستقبل الأرض - بزهو وانتشاء - الرَّخة السمائية الأولى معلنة بذلك عن دخول فصل الشتاء ينتابني ذعر وفزع وأكاد أسلم بأن هذا الشتاء - على الأقل بالنسبة لي - هو نهاية كل شيء، حينها أرى الانكسار والاضمحلال يلوح في أفقية اللون والتجسيد بل بدأ في الأيام الأخيرة يتسلل في ملامح التخيل والتصور، لكن ثمة أملا يتوق الى التحرر والانعتاق فيندلق بي عند انبلاج الفجر لاغترف الدفء من الشمس المعلنة بأمل لاينضب. وهكذا كل صباح اتمشى بين الحقول فأقعى اغمس اصابعي عند أول مساحة لينة طرية تجمعت فيها انفراجات الرجاء فألمس الخصب والنداوة واستشعر مدى فرحة الحقول وهي تنتشي ألقا وبهجة وقد وافتها السماء بعطائها الجزيل فجددت في روحها موَّال الحياة وبللت ألسن التسابيح.. إلا أنا.. ذلك الوحيد الذي لا يدرك السر. ذلك الوحيد الذي يؤمن بأن الموت سيسحقه بمفرده عندما تتسلل نُذر الشتاء الى أعماقه فتجمد كل نشوة فيه.

- ما أتعس من يتشبث بالمجهول حتى حين!

(٢)

تمضي الأيام كسولة شحيحة، تضن عليّ بأي احساس بالسعادة ان يكبر تستأصله من عدمه.. ترى متى تلتهب الشمس الباهتة في داخلي؟.. متى تومض الحياة التي تحمل الخلاص في وسط ليالي القلق والبرد؟ متى؟ متى؟.. أصبحت آكل بلا شهية، أحلم بلا رغبة، اضاجع الكآبة والسأم وانتظر قدوم الملاءة ذات الأنجم المفعمة بالضياء كل مساء عليّ أجد بين مواقع نجومها المتلألئة طريق الخلاص، ما أشد حنيني لشيء ما لا أدريه على

(*) القصة الفائزة بالمركز الأول بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٢م.

وجه التحديد وما أضيق صدري به!!. لقد تغير حالي ونبتت فيَّ عادة تدل على الهوس أو العته والجنون في اصدق تصور، أصبحت أتحدث مع نفسي بدءاً من الهمس الذي لا تتحرك بعباراته شفتاي وانتهاء بعلو نبرة صوتي وكثرة حركات يدي فكأني أخاطب شخصا يقاسمني الحوار فلا اكاد انتبه الى هذا التصرف المخجل ـ بالنسبة لعاقل مثلي ـ في غالب الاحيان إلا بعد ان اصطدم باندهاش أحدهم سواء كان ذلك من قسمات وجهه أو صفقة كفيه؛ وهذه الأخيرة اكثر المفاجآت، لكني مع هذا كنت اتلذذ بذلك الهاجس الذي كان يطلقني من عذاباتي وأوجاعي ويرحل بي الى آماد بعيدة مجهولة فأجد العزاء الوحيد من الضيق والتبرم اللذين كانا لا يتوانيان في بث الفراغ المجدب في كل زاوية من زوايا ذاتي المنهوكة.. حتى الحقول التي تقترن في ذهني بمعنى الرحابة والاتساع تبدو وكأنها مكان ضيق مغلق أشبه بالزنزانة تأهلها الآهات المرة والأشواق المتدلية في مشنقة الوقت فأين هو العزاء في المسافات التي تطويها خطاي المترنحة؟.

ـ لشمعة الرحيل ان تلتهب.. ليّ ان اجوس ـ متمردا ـ فوق اعناق السدنة جماع الحطب.. ولي ان اسكب في النار المضللة نوازع الثأر والانتقام.. مرحبا بالرحيل.

(٣)

أبي الدهقان.. يستقرىء المهاترات التي يثيرها سخطي وتذمري فيلهب السياط ويرفع السياج، غير ان النجوى التي تأتلق في أفق المساء تنعش أوصالي فيصبح من الممتع ان أرحل مع طير الخلاص الذي انبثق من احمرار الشفق فينقشع الأسى والمرارة من قلبي وتتشعب نسائم الطمأنينة الدافئة في أروقة هجسي واكاد اعي العذوبه الشجية لصوت ذلك المجهول.

بدا لي الرحيل سنام اليقين الذي يجب ان امتطيه، لقد منحت العمر صبرا لا ينفذ لكن ثوانيه تجتر انفاسي وتختمر الآهات في قلبي فتتحول الى انات تأخذ في الانتفاخ ـ ضجرا ـ حتى تزحف رويدا رويدا الى الشفاه فتخرج كألسنة اللهب بعبارات مفككة، مهوشة، تدل على فقدان ذاكرة صاحبها واصابته بالهوس والخبل، ثمة أشياء تحتل حيزا في اعمارنا نشغف بها دون تحديد ماهيتها.. في ذلك اليوم الذي نعمت فيه بتحرر جسدي خفقت احمل شاغلي، اقتفي النسمات اللطيفة التي كانت تختزن بواعث الأمل الوامض في ندوب نفسي المظلمة فمررت بالأديرة والكنائس ولم أتوقف إلا برهة للتأمل في ابنيتها.. استأنفت الخطو برفقتي السهاد والسهر وألم الانتظار. حتى بدا لي ان كلمة الرحيل لم تلق فقط بظلالها على خاطري انها انتزعت كل هوى فيّ فسفحت غرامه فداء لمطلب الروح، اتوق الى الحرية واعشق الدفء والسكينة وفي المقابل امقت التقوقع والانحصار داخل الايمان الذي لا ينتج حياة ولا يطيب سريرة، لقد كنت اعلل نفسي بأن الأمل لا ينضب وان ثمة أملا ستفرزه شمس الرحيل.. آه.. ما اتعس القلب الذي ينبثق من بين جنبات العبث الفوضوي

المستهتر! ومع كوني حبيس أبيه لا يسمع منه بعد ان جاهر بالتمرد والعصيان إلا كلاما قاسيا شحيحا خاليا من الاحرف الحانية والمعاني اللينة مع كوني كذلك فإن طموحي لا تحده حدود وحماستي لا تعرف الاستكانة المريرة، ولن يكون لي مناص عن الرحيل تجاه قبلة المجهول. . ذلك الذي لم اصارح به غيري فلقد انتزعت ثقة التصديق والائتمان على الأسرار الخالية من أي أحد فقادني ذلك الشعور الى الخوف من الناس والبعد عنهم فأخلو بنفسي أترقب الليل بكل احتراق وتوهج والليل يستر كوامن الأشياء وحقائق الأمور فأرسم الوسائل التي سأنفذ بها الى هالة المجهول. . لم أعد احتفل الى أية مثبطة تعيق دربي من أجل ذلك اللقاء حين لا تخبو شعلة الحنين والشوق كباقي اللقاءات بل ستبدأ في التوهج والاشتعال، وقد بدأت صورة الأيام تريحني إذ أن اليوم الذي يمضي لا يأتي أخر مثله.

(٤)

الشمس تغسل وجه الأفق. . وكل شيء يشي على ان همهمة تقضقض جدران الظلام.

أريد ان يمتد بي العمر لاصل الى ذلك الخط الفاصل بين السماء والأرض فعندي يقين بأن هناك كل الأجوبة الشافية للتساؤلات الصاخبة في ذهني. . هناك في ذلك الامتداد البعيد القريب ستكون حياة أغزر وأكثف واكثر إثارة من هذه الحياة الفارغة التي تستعطف النار وتطلب رضاها! إن العذاب الذي يأكل من سني عمري خطر الوباء، يصيبني بالشلل، لولا ذلك المجهول. . المنقذ. . لقد بدأت ادرك معناه حينما تلذذت تلك اللغة التي قدمتها لحظة انبلاج الشمس الى نفسي، وحينما انعشتني رائحة الخصوبة الطرية المتبخرة من الأرض العطشى بعد ان اغاثتها تؤمتها السماء وحينما استعذبت ملامح الألوان التي تشكل لوحة الغروب الصامت. . حينها شعرت بأن احساسا في داخلي يثور وان دقات قلبي سريعة الخفق وان رغبة ملحة في حث النفس ان تستبين معالم المجهول قد تشعبت في كل ذرة دم في أوردتي توحي اليّ بأني سأفعل المعجزات وسأقهر الشدائد من أجل ذلك الهاجس العذب الذي يعتور ضميري. . فليعشَ المجهول أبي!

وتمضي الأيام بطيئة، مبعثرة الخطوات، اتربص خلالها الفرصة المواتية للرحيل وأرسم الاتجاه المناسب لأصل إليه (المجهول) لقد سئمت وتعبت وكأنما لم يسأم ولم يتعب أي رجل مثلي في العالم وددت لو يهدأ جنبي وتطمئن سريرتي، لكني قطعت على نفسي عهدا بأن لا ألبث طويلا في احضان الحيرة والضجر وان عليّ المبادرة بالالتحاق في أول ركب قافلة توصلني إلى أول من يتكفل بحضانة هذا الهاجس اللذيذ الذي أصبح شاغلي الوحيد، ينتابني - بعض الأوقات - شعور بالخوف والفشل لكني مُدرك تماما انه لابد لي من فعل شيء، لا مناص من المغامرة، ومن ذلك الحين أحس بأني أصبحت رجلا آخر، رجلا جديدا يرى انه سيقبل على الحياة التي يتوقها بشغف كثيف وحماس عظيم.

(٥)

في الطريق، كان الظلام الدامس جاثما على صدر كل شيء يشي للساري بأن الرحلة ستطمر في ركامه، لكن ثمة أنوارا باهتة تلمع وسط الظلام، قد تكون منبثقة من تلك النجوم التي تلوح بين الفينة والاخرى في السماء العالية وقد يكون مصدرها ذلك الأمل المتجدد في قلب العليل الذي طال اشتياقه للعلاج والبرء.

ـ أوقفوا القافلة

ـ ظلام غريب.. غريب

لكني كنت على خلاف ما يرون، أخذت استعطفهم بمواصلة السير وأحثهم على المضي قدما في استكمال الرحلة ـ إذا كان لها من نهاية ـ لم اكن أعبأ بالهجوع والراحة، لكني سمعتهم يثرثرون، يتهامسون، يسرون الى بعضهم البعض، طرقت أذناي بعض الكلمات المهووشة، المهترئة.

ـ مستهتر. معتوه

ـ رخيصة روحه.. عجب!

«صمت كثيف يلف حثالة الاحرف المهترئة»

تأتي النسمات الليلية وديعة طرية تغشى الهموم والأحزان فتعتور القلب صورة الفرج المأتلق في سماء الغربة والأشواق فتولج النفس في رحابة هذا الكون البديع المنسق، حتى الظلام ـ الظلام ـ فسحة التأمل ومرسى الهواجس المفتعلة طول النهار المرحوم، حياة اخرى مليئة بالأسرار والمفاجآت.. ما أعظمك أيها الـ...

أسكت، أعود أدراجي الى القوم الذين يضج المكان بشخيرهم، ما أسوأ الجدب والفراغ!!

(٦)

تسح الدموع في داخلي، أبكي بكاء قاسياً مريراً، لقد طال الترقب والحنين والعمر يمضي دونما هوادة أو تريث، فكيف الخلاص؟ وأين هي دروب النجاه؟ أيكون هذا الذي أتشبث به في عنف وإصرار وهما خاويا وسرابا مثكول النهايات تقتسم حصته من سنيّ عمري؟ لا.. لا.. لا يعقل ان يكون كذلك قط.. (إنه الحقيقة المحتجبة وراء هذا الضباب الرهيف وهو النور المتدفق من بين ثناياي الشاعره بالدفء الرزين).

وفي كل يوم من أيام رحلتي للبحث عنه (المجهول) في لحظات المساء المسربلة بالصمت، الموشاه بالألغاز التي تنفثها أنفاس العاشق الضليل، أجلس، أحدث نفسي حديثا طويلا تنثال خلاله على نفسي دواعي الغيب الذي لم يأذن باللقاء بعد! وتنسال في أعماقي قطرات دمع دافئة تغسل الكمد المتخثر في كبدي منذ الماضي الذي ودعته دون ان ألوي نحوه.

السماء ترخ، والأرض تهتز نشوانة، وأنا وحيد تتداعى عليّ الأوجه الشاحبة وتكاد تفتك بي صورها وتمحق عيدان مشاعري الغضة كما يمحق الموج أسطراً وسط الظلام والوهم فأعود أدراجي من الأرض البوار لألتمس في مساحات الليل قبسا أو أجد على النار ـ غير النار ـ هدى.

(٧)

كان عليّ أن أنبش الشقوق والغدران واتيه في الفيافي والوديان وأرتاد الصوامع والكهوف بحثا عن الأنوار المشوبة بالغموض والتي لا تنفك تغزوني حينا بعد آخر، عشت الأنين والوجع، تجرعت السم المرير، قطعت ـ مترنحا ـ مسافات مثخنة بالجراح، رشفت الدموع المالحة فتذكرت الجدب والبوار، وكان لزاما عليّ لكي تتواصل رحلة انفاسي اللاهثة وراء الأمل ان يموت اربعة من أولئك الذين ينظرون دائما الى ما وراء الشمس. . وكان كلامهم قبل احتقان النفس واحد ـ إلا واحد ـ ستجد آخر غيري (كنت أكرهه. . يبتلع اللقمة قبل صاحبها).

ـ هناك آخر. . (ومات)
ـ هناك آخر. . (وسقط)
ـ سيظهر آخر. . هو. . هو. . الذ. . ذي. .

قال بعدها كلمات مختلطة، مهووشة، مرتعشة الأحرف. . بلد، نخل، ذات، ظهره، خاتم، في، هدية، صدقة، يأكل، لا يأكل جلست لوحدي، تمعنت جيدا في تلك الكلمات المهترئة. . لممت شملها فأجتاحتني رعشة رهيبة وانطلقت. . لا أدري إلى أين!

(٨)

وفي الطريق، كان الشوق والحنين واللهفة الحرى وكانت الكلمات تتدفق من بين شفتي دون وعي بها لكني أرى البهجة والغبطة في كل حرف من حروفها، تتناهى الى اسماعي اصوات عذبة تبث في أوصالي سائلا باردا يثير كوامن الحلم الذي صدأت نغماته. . وانطلقت بين الحقول الرحبة اتنسم الشذى القادم من بعيد وأشم رائحة الخصب التي طالما تعذبت لاختمارها. . تناقلتني الأكف بثمن بخس.
ـ ما خلقت إلا لتساوي بالروث.

وكنت استعطف النخلة عن البلدة ذات النخل، لكنها تغط في تسبيح عميق حتى يغطيها المساء بردائه الدافىء فيخفي عني قسمات الاجابة التي تلوح في كونها البديع.

(٩)

«سيأتيك الخبر، وما يدريك ما الخبر، نسف الكدر، حين ينبلج النور ويزهو القدر، والليل والصمت، والظلم والقهر، شر النذر»

ترنيمة راهب قديم

وأتاني، كنت حينها على حافة الانهيار، أتذمر السقوط في هاوية اليأس المعتوه وأكاد أحقن النفس اللاهث وراء البحث عن المجهول، لكن فجأة تنداح كومات الضباب الجاثم في ثنايا روحي، وانطلقت احمل آمال سنوات العمر المقبل.. كنت مرتبطا في انطلاقي برائحة الطلع النخلي فأعي معنى الطلع والزرع والثمر وهي تنبثق معلنة بالأمل والحياة.. وقد انسال معها هاجس قوي ينبىء بأن الفرح آت.. آت لا محالة.

(١٠)

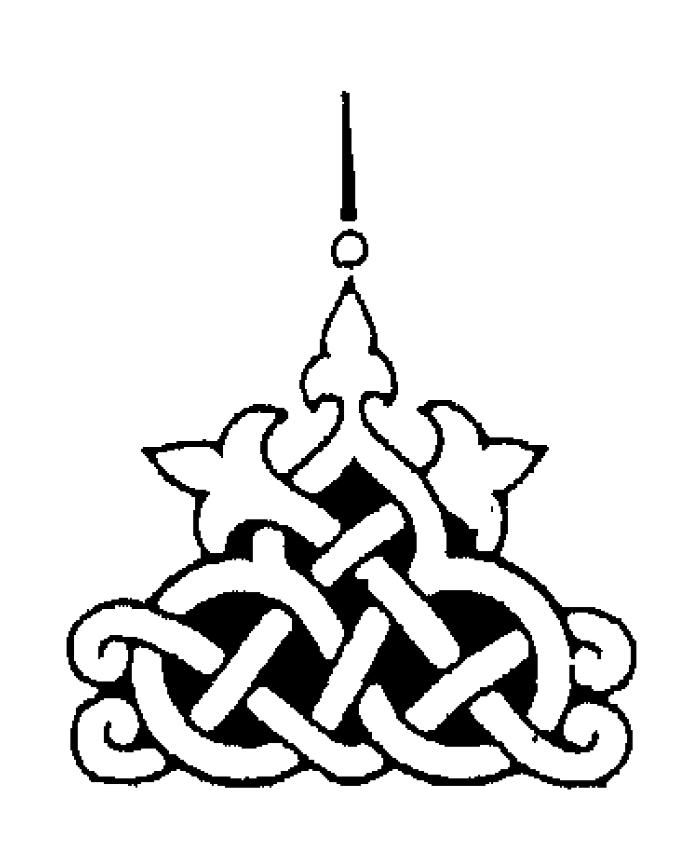
وهالني كل شيء فيه.

الحلم.. الأمل.. الشمس.

وجدته، وذبت في عناقه.. وانصهرت في هالته.

حتى اعتليت المقامات.. تلك المقامات.

انتهـت،،



الراعي لا يحب النساء(*)

محمد بن سيف الرحبي

معها يمضي كل صباح . . . يجر اقدامه المثقلة بهموم عشرات الأعوام تاركا القرية تسبح في مدنيتها الجديدة، ولد راعيا، وتغير كل شيء حوله . . بقي هو يسوق أغنامه الى مرعاها، ثغاؤها كان قيثارته وموسيقاه، يرى معها وجوده في ماضيه المتأصل وحاضره المتزاحم . . كان وحده هناك في تلك الرابية يضع الألواح على اكبر سمرة بها، ومن حوله تمرح الشياه في حرية يحلم بها الآن . . كبرت القرية واتسعت، الراعي بكى عندما لم يجد سوى قطعة من الأرض صغيرة ينام فيها مع رفيقات عمره، لم يتزوج . . لم يحب امرأة في حياته، «النساء يرغبن في كل شيء ومعهن يضيع كل شيء» هذا هو رأيه، وهب عمره للشياه ووحده المخلوق البشري الـذي يملك عائلة من الأغنام والشياه، لم يعرف احد اسمه ولربما نسي هو الآخر ذلك الاسم الـذي لم يسمعـه من زمن يمتد عشرات السنين، (الراعي) الاسم الوحيد الذي يسمعه في غدوه ورواحه، إنه الرجل الذي عرفته القرية بلا أم، وبلا أب، وبلا اسم ايضا وبدون عائلة ينتسب اليها.

* * *

«الجبال وحدها لم يصل اليها هذا الاسمنت الملعون» قال ذلك لشيخ القرية . . «تقدم بي العمـر، والسنوات احجار ثقيلة على ظهري . . لم اعد استطيع الصعود الى الجبال أو الجري وراء شاة مشاغبة تركت القطيع مستقلة بطريقها».

ـ لك راتب يكفيك فدعك منهن!!

ـ ليس لي في الحياة سواهن فكيف ادعهن؟!! أو تستطيع ان تدع جزءا من ذاتك؟!!

ـ في «الهبطة» القادمة بعهن وابن لك بيتا.

ـ هل أبيع عائلتي؟ هن اولادي . . وهـل بالامكان ان يبيع الانسان ولده؟! . . انتم لا تريدون ان تفهموني . . خرج كئيبا تحاصره القرية، عاد الى شجرته المحاطة بجدار اسمنتي

(*) القصة الفائزة بالمركز الثاني بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٢م.

يلعنه كل يوم عشرات المرات . . جلس يغالب غشاء دمعيا حجب عن عينيه رؤية شياهه . . انها بلا شك . . جائعة .

* * *

الراعي كان حديث الناس . . أي سر هذا الذي يخبئه بين جنباته ، الجيران اشتكوا من رائحة العفونة المنبعثة من خلف ذلك الحائط البائس تزكم الأنوف . . «انا كنت في البدء . . هم زاحموني على هذه البقعة» . . صرخات الناس تتعالى غاضبة . . دون جدوى . . إصرار غريب انه يتمسك بها اكثر فاكثر . . «قاومت برد الشتاء القارس وحرارة الصيف التي تغلي الارض تحت اقدامي . . عليّ مقاومة هؤلاء الغجر حتى النهاية» . كان كل ما فيه مختلفا ، نعله التي لها آثار عجلة سيارة ، ربطة رأسه ، الجلود التي يربط بها خفيه وكأنه مصارع قديم نسيه الاغريق خارج أسوار طروادة .

* * *

بوجهه المغبر المحمول على رأس شاب شعره ، وبلحية كثة خطها الشيب وتلبدت بالعرق والغبار حتى غدت وكأنها لوحة سريالية داستها عشرات الأقدام ، رأته القرية ذات يوم يجر (عـربـانـة) خضراء اللون يعبر بها الطرقات في خشوع لآثار الزمن ، مشى لا يلوي على شيء . . أقدامه تتحرك ببطء تحاول ملاحقة جريان عربته الصغيرة ، ظهره المقوس وخطوط (الـوسـوم) التي تركها ذلك الطبيب القديم ظاهرة على مساحة كبيرة من جسده المتهالك كخريطة طبعها عالم آثار على جسد آدمي . . سخرت القرية منه وتهاوت النكات عليه من كل فم . . «اللعنـة عليهم وعـلى سخرياتهم الهازئة ، ذلك الأعرج ايضا هزأوا منه عندما ارتدى ساقا صناعية . . المسكين ، غلبته السخرية فخلعها ورماها ، عندما زرته منذ يومين رأيت ساقه يقف الدجاج عليها»

ـ الى أين يتجه الراعي؟

ـ إنه يستخدم التكنولوجيا الحديثة في الرعي .

ـ نعم . . تظل الشياه في المنزل ويذهب هو بالعربة المصنوعة في تايوان ليحضر لها طعامها من العلف . . بكل تأكيد انه علف صناعي .

ـ انه الرعي . . على آخر موضة ياصديقي .

لم يأبه الراعي لأولئك «العاطلين» كما وصفهم . . «كانت الأغنام تبحث عن طعامها بنفسها ، في رحلتي اليومية معها كانت تعجبني رؤيتها ، انقضت السنوات واستمر تيار الزمن يجرفني نحو البعيد ، ما لها هذه القرية تقتر عليّ السعادة؟! وكل شيء امامها سهل ، انهم لم يعـودوا في حاجـة الى اغنامي ، تلك الجثث المعلقة والمجلوبة من بلاد النصارى تكفيهم بأسعـارها الرخيصة ، تعسا لهم من اشقياء تهون عليهم صحتهم في سبيل توفير ريالات قليلة ، ما اسخفهم عندما يصدقون انها ذبحت على الطريقة الاسلامية .

* * *

في المساء عاد الراعي صامتا من رحلته الرتيبة . . لقد كانت الشياه تمشي حوله من الماضي كحاشية وكأنه ملك يسير بينها يحمل تاجا خرافيا وها هو ذا يعود في هذا المساء من المرعى وحيدا دون حاشية . . كأنه ملك مخلوع ، يرفع بيديه المجهدتين ذراعي العربة ليدفعها امامه بمشقة ، تلكما اليدان المتشققتان من جز الحشائش . . ها هو يدخل الى حاشيته الجائعة الثاغية ، هذا هو الملك يدخل قصره منكس الرأس ، بثغائها التفت حوله وهو يقاوم حتى لا يسقط اعياء ، تبدو وكأنها تبكي غيبته الطويلة ، الجوع وحد بينهما . . هي جائعة وهو ايضا جائع ، ما يحضره ملكها في اخر اليوم لا يكفيها ولا هو يحصل على قوت يومه ، عددها اكبر من سنوات عمره . . الجو يخنق امعاءه . . من اجلكن احتمل الجوع والعطش ، المعذرة على التقصير، مرعاكنّ أصبح حارة تملؤها البيوت وبشر يتوالدون كالفئران ، ودّ لو يقبلهن واحدة واحدة ، يا الله . . بعضها لا يقوى على الوقوف ، ومن استطاعت الوقوف قفزت الى العربة تزاحم وتناطح من أجل لقمة في آخر اليوم . . لكنها على كل حال تكفي لليوم التالي .

* * *

بدأ بكـاؤه نشيجا ثم بصوته الجهوري ملأ طرقات القرية وأزقتها ، سمعه الناس في بيوتهم ، وفي مسجد القرية خرج المصلون . . تجمع بشري اختلطت فيه النساء بالصبيان كانَ أهل القرية على موعد أمام الراعي ، تجمعوا كلهم بفضول ليعرفوا ما يبكي الراعي ، لانه لم يجب النساء تصوروا ان احساسه قد مات . . إذن ما يبكيه هذه المرة . . المرة الأولى؟ ! !

قال احدهم : لدغته حية فبيته مزبلة تتجمع فيها كل حشرات العالم .

رد عليه صوت نسائي متهدج : جسده تخاف منه الحشرات لخشونته وعفونته . . الراعي يبكي ، لا احـد يجرؤ على الـدخـول الى مملكـة الراعي خوفا من لسانه . . تجرأ احدهم ودخل . . الراعي يبكي وامامه شاة جف ضرعها راقدة تنتفض احتضارا ، دخل الجميع ، اصبح الحائط يحوي داخله بشرا وبهائم . .

ـ ما دمت غير قادر على توفير العلف لها فلماذا لا تبيعها او تذبحها؟ ! !

قال احـدهم ذلـك بينـما الراعي مستمر في بكائه لا يجيب . . لا يأبه لامتلاء حوشه بالمتطفلين . . انفجر البركان . . صاح احد جيرانه : رائحتها ازكمت انوفنا وهي نصف حية فكيف بها عندما تموت؟ ! وزمجر آخر: اللعنة عليك وعليها . . البكاء مستمر، بدأ الناس يخرجون وقد سدوا أنوفهم تقززا .

* * *

في اليوم التالي . . بصمت خرج الراعي كعادته ينتظر شيئا ما في الأفق البعيد يراه وحده دون الآخـرين ، يغلق قلبه على شيء ما ويترك القرية تغرق في تساؤلاتها عنه . . انهم لم

يتعـودوا على رؤيته، كان بعيدا عن بيوتهم، ها هو الآن وسطهم يتنفس مع اغنامه قلقا وبداوة، أي انسان هذا بينه وبين الموت خطوات يجهد جسده في جمع حشائش لا تكفي القلة القليلة من اغنـامـه، بعضها مات جوعاً وأمراضاً، وبعضها مازال يقاوم ليرى آخر الحكـاية. . وحيدا ينـام على حصير بال تظهر عليه مخلفات عائلة طواها التاريخ، يخلط الحشائش بالروث ليطعم هياكل رعاياه، احزمة الجلد تزداد على جسده، كلما احس الماً في مكان ما ربطه ليخنق الألم فيه، يلبس ازارا مرقعا تتهاوى الأيام والأشهر عليه دون تغيير، القرية تعودت ان تراه يفترش الارض في اي مكان يعجزه التعب فيه عن مواصلة المسير، يطرق الأبواب في طريقه يستجدي شربة ماء.

* * *

القرية عرفت التمدّن وسافرت خطوط الهاتف اليها، هو يعيش في بدائيته العتيقة وسط التحضر ينفرد بوحدته في عالمه الخاص، ويمضي يسرد احلامه بلا نهاية كشاب في العشرين من عمره، يفتح اجنحته لريح الأمل وينظر الى الغيب يستطلع المجهول، ينظر الاطفال اليه بعيون متطفلة ويمضون. . يتهافت الموت على شياهه فلا يجد سوى عظام كساها الجلد والصوف ونفس يتردد بين معدة خاوية وأمراض تعجل بالنهاية. . هو يتألم لكنه لا يريد بيع عائلتـه، كانت تلك فلسفتـه ويحمل خصوصيتها بكل اعتزاز، لم يذبح احداها في العيد الماضي أو ما قبله. . لم يعرف الانثى سوى أم وارتها طفولة بائسة في زمن لا يذكره هو، اعتزل الحياة والانثى التي تشعل دنياها رغبة ونزقا وعاطفة.

ـ ارحم هذه الحيوانات وكفاك جنونا؟!

ـ ارحموني انتم من نصائحكم فالجنون ان اتركها لكم تتمتعون بها.

ـ إذن اتركها للمـوت.

ـ افضل لها من ان تنالها امعاؤكم، الموت مقدر على الجميع وليس على اغنامي فقط.

ـ إلا أنت. . فقد تأخر اجلك أيها الأحمق.

غرقت القرية في كسلها الجديد وأدمنت رؤية الراعي وكلها أمل في يوم تشيع جنازته فيها لتحمله الاعناق مكرهة للمرة الأولى. . وللمرة الأخيرة.

---

١) سمرة: شجرة صحراوية كثيرة الشوك تنبت بكثرة في عمان وتنقى اوراقها من الشوك لتقدم طعاما للحيوان.

٢) الهبطة: سوق موسمي تشتهر به عمان. ٣) عربانة: عجلة صغيرة بها عجلة واحدة.

٤) الوسوم: جمع كلمة وسم وهي الكي بالنار طلبا للشفاء.

حبات البرتقال المنتقاة بدقة(*)

يحيى بن سلام المنذري

الآن . .
جميع الأشياء تحت سيطرة الشمس
هناك سيارات تلتهم الشارع بقسوة . . ورجل أعرج متردد
هناك شارع عريض أسود . . ورصيف حارق حزين
ويظل الجميع تحت سيطرة الشمس

الرجل الأعرج يحاول عبور الشارع كي يصل الى الرصيف المقابل المؤدي الى بيته . . لولا هجوم السيارات . .
وضع بجانبه (كيس البرتقال) الذي اشتراه منذ فترة، وقف كثيرا عند بائع الفاكهة كي ينتقي افضل حبات البرتقال .
يتخيل مشهد أولاده حينما يعود الى البيت ويقدم اليهم (كيس البرتقال) . . سيفرحون ويرقصون . . يلتفون حوله ناثرين قبلاتهم المحمومة . . يأخذون (كيس البرتقال) ويتناول كل واحد منهم برتقالة ويقشرها .
(ومازال يحاول العبور . .)
الشمس تغرز أشعتها في رأسه ورقبته . . عرقه يسيل . . عيناه تحرقانه . . يداري لهيب الشمس بوضع كف يده على جبينه . . وصارت يده مظلة عاجزة . .
بينما . .
بينما الرصيف . .
بينما الرصيف حارق حزين . .

* * *

سيارات تلتهم الشارع وتمضغ الهواء الساخن .
والأعرج كلما رمى قدمه اليمنى الى طرف الشارع . . انتشلها بأقصى ما أوتي من سرعة . .
في نفس الوقت زوجته تقف داخل المطبخ امام حنفية صدئة تلفظ ماءها قطرات . . تغسل

(*) القصة الفائزة بالمركز الثالث بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٢م .

الأرز.. وبـاللحاف الذي يغطى رأسها تمسح عن جبينها العرق.. بينما طفلاها يلعبان بالكرة ويصرخان في ساحة البيت.. الآخرون قد فرشوا بساطا بعد عودتهم من المدرسة وتحت المروحة البطيئة انكبوا يحضرون دروس الغد.. بينما صراخ شقيقهم يزداد..
(ومازال يحاول العبور..)
وعدهم بحبات البرتقال.. فاكهة هذا الشهر.. ربما في الشهر القادم سيقدم لهم تفاحا أحمر.. يتخيل كل واحد منهم وهو يقضم تفاحة..
يلسعه الرصيف..
الرصيف الحارق الحزين..

* * *

أبـواق السيارات عنيدة.. تفجر في نفسه مشهدا لأمه وللحادث القديم الذي تسبب في اصابة قدمه اليسرى..
فأمه كانت تعلم ابنتها الخياطة.. والأبنة تعلم أمها الكتابة.
قلب الأم يرتجف مسبقا حتى جاءها خبر الحادث لتسقط مريضة.. يفقأ (عين) المشهد لأنه يحاول العبور.. فلا يستطيع.. السيارات تزمجر بشراهة.. الأبواق تقذف اللعنات بينمـا..
بينما الرصيف..
بينما الرصيف حارق حزين..
والأشياء تحت سيطرة الشمس.

* * *

نوافذ السيارات لوحات للوجوه الملونة.
بين الوهج والانتظار وحرارة الرصيف والوقوف طويلا.. تتراءى له نوافذ السيارات وهي تعـرض وجوها شرسة احيانا.. واخرى مرحة.. واحيانا صور اصدقاء قدامى.. اطفأ الزمن وجوههم وأشعلتهم الذاكرة الواهنة تحت ضوء الشمس الحارق.. هكذا بدأت تظهر تلك الوجوه.. كالوميض الخافت.. توقظ قلبه المرتعش.. تنفث فيه لحظات مضت حينما كان يشاركهم الحزن والفرح.. الآن مجرد صور عابرة داخل نوافذ السيارات المسرعة.. وتحت سيطرة الشمس.. وهـو على رصيف حارق حزين.. وقـدام رصيف آخر يتمنى الوصول اليه..

* * *

كلما رمى قدمه اليمنى الى طرف الشارع انتشلها بأقصى ما أوتي من سرعة.. لأن سيارة تزمجر من اتجاه غير بعيد.. وكأنه يضع قدمه في ماء شديد السخونة، ومن أثر لسعة الماء يسحبها بسرعة.

محاولة اخرى تسنح له.. فقد انقطع مرور السيارات.. أو كانت ماتزال بعيدة.. حشد كل عضلات جسده الرهيفة.. رمى قدمه اليمنى الى طرف الشارع.. اتكأ بالأخرى المصابة..

وظل يهرول في الشارع العريض بأقصى ما أوتي من قوة.. فليس بوسعه سوى الهرولة.. الهرولة وفقط..

نجح أخيرا في ان يستحوذ بقدميه على الرصيف المقابل..

استعـاد أنفـاسـه.. دعـك عينيه.. جلس يستريح محدقا الى السماء.. وكان لهاثه يقل تدريجيا.. انتابته نشوة الانتصار التي سرعان ما تلاشت.. فقد تذكر (كيس البرتقال) الذي سوف يقدمه لأبنائه عند وصوله.

لكن..

يديـه فارغتان إلا من خيوط العرق.

نظر الى الرصيف الذي كان يقف عليه حيث (كيس البرتقال) وحيدا هناك تلسعه الشمس..

اخذ نفسا عميقا ينم عن حزن وأسى

أعـطى ظهره للشارع.. والسيارات.. والشمس.. ولكيس البرتقال البعيد.. ومضى بمشيته العرجاء نحو البيت..

منكس الرأس حزينا

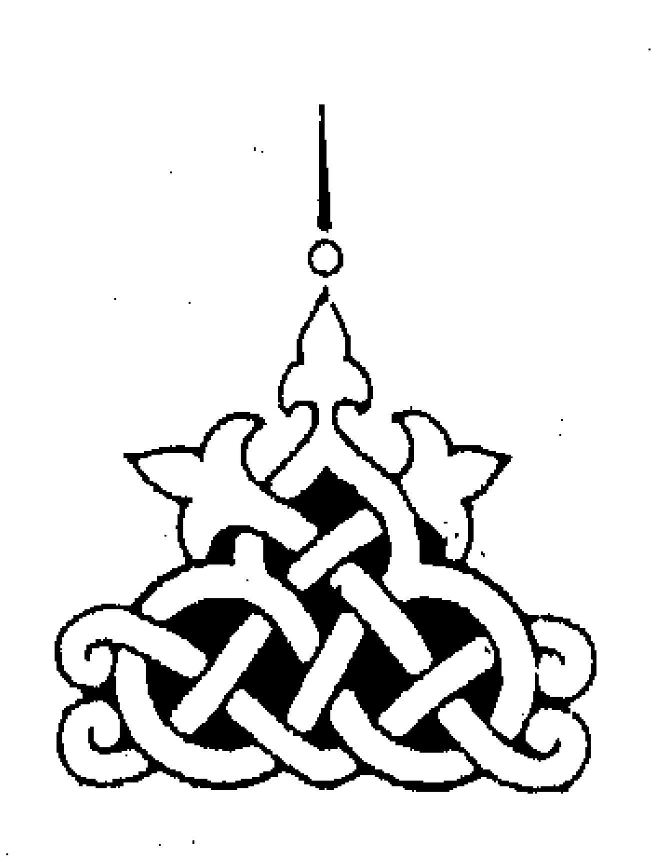
قلبـه يرتجف

عينـاه ذابلتـان

يـداه فارغتان

تمـت،،

اكتوبر ١٩٩٢م



عربـدة عـلى بسـاط سـمـاوي(*)

عبدالله بن سالم بن عبدالله بني عرابه

(١)

هي تلك النعرة التي سوف لن يعمل على اجتثاثها . . هي تلك الهلوسة التي تتلاحم معها كل شعوذات السحرة . . وتلك العربدة التي ضلت سنمتها وتفرقت بها السبل منذ آباد وآباد .

(٢)

تدلف طفلة جميلة كانت قد رفعت السماء في الزمن الغابر فوق رأسها الاصلع لانها على حد قول امها (كانت تحتسي اللبن كل صباح)، وتتمنى لو ان كل لبن الدنيا يندلق ثرا في وحيدتها مع كل صباح جديد .

(٣)

مازالت النعرات الخبيثة تزمجر ويهدر أزيزها ليطبق آفاقَ السماء . . هي في حالة سكر الآن . . لا مراء في ذلك . . وها هو ذا شيطان يقول لآخر وهو يحاوره (كم اغويت اليوم من الآدميين . . وكم ستغوى غدا) . . آه كم اهوى الغواية . . فيسأل الآخر مشدوها (لم؟) . . فيجيب من يهوى الغواية وتهواه (لانني . . لانني انا الغواية . . والغواية أنا . . وأنا والغواية كهذين) . . وأشار بقرنيه .

(٤)

طفلتنـا تحلق الآن في عنان السماء . . بلا اجنحة . . تسبح . . تسبح . . وراء حجب كثاف ندية . . وضحكاتها الطفولية الحمقاء طفقت تفض بكارة السماء . . ايقظت الملائكة من سباتهم . . فهبوا واغتالوا احلامهم . . ونفضوا جماجمهم . . ورأتهم وهم يحتسون شاي الصباح . . فتذكرت قدح اللبن الذي تناولته صباح اليوم . . وخطرت صورة القدح أمام ناظريها (أوه . . ما أشهى رائحة شاي الملائكة) . . هكذا تحاول ان تتفوه ولكن ثمة شيء

(*) القصة الفائزة بالمركز الخامس بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٢م .

حال دون ذلك. . لا تحترق افكار البشر أو حين تداهمهم الهموم والشهوة الملعونة هكذا فكرت. . وهكذا كانت تفكر.

(٥)

هاووه. . ملعونيات القرون الهامشية تجنح للتمطي مزاولة مهنة جديدة. . غير الغواية شيء مختلف تماما عن الغواية. . شيء لم يظهر بعد ذلك الأرعن الذي سيطلق عليه أسما، يليق به كـ (. . .) ولكن خلال هذه الاسطر سنطلق عليه لفظا مبدئيا فليكن (مجنونيات اشتهائية العقل). . امتدت الصرخة حتى لكأنها تكاد تصفع جدار الشهوة التي تترنح على اطلال قيامة الخلق. . جل الخلق. . مزابل العالم من الاحرى ان تكون توابل الأغذية قبل حلول (مجنـونيات اشتهـائية العقل). . التي ستنزلق ـ حتما ـ يوما ما في بطون هي أشبه بأكياس القمامة السوداء. . التي طبع عليها بما نشت أبيض (هنا تفي بكارة الاشياء منذ عهود الضبط. .) صرخة اخرى على وشك الامتداد لتلطم قفا الشهوة الذي يتقد نارا سوداء.

(٦)

تقول الطفلة (عندما كنت طفلة بلغت ذات يوم وعلى حين غرة العشرين من عمري. . فرفست خرافات الطفولة وترهات البراءة وتقمصت وضعي الآني. . الذي ما عتمت ان لبسته ولبسني فاذا بشاب جميل المحيا ينبرى من خلف الاكوان الاحد عشرة ويهم باحتواء جسدي البلوري بين ذراعيه. . انتفضت وصوبت يدا لم اكن اتوقع انها ستجرؤ يوما على صفع جلده. . ولكنها تجرأت اللحظة. . قيد أنملة بين اصابعي الخمس وبين سحنة خده الاسيل. . اعتراني هاجس داخلي شل حركة ابهامي وخنصري وتردت الأنامل الباقية ساقطة على حثـالـة من الأصابع المتكسرة وبركة من ماء آجن كانت تحتي. . احمرت وجنتاى. . وواريت خدي باليد الاخرى. . ثم ركضت. . ركضت. . تعثرت وأنا اتابع الركض نحو مرادى السكرة حيث يتبخر العقل. . كما ذلك الدخان الذي تنفثه المراجل الملأى باللبن حينما تشتد درجة الحرارة. . نحو مهاوي الشهوة حيث يكون للخرافة والخزعبلات سهم وافر وللغواية والمجون. . نعم الغواية نصيب اكبر. . مع ان أمي ـ رحمها الله ـ تنظر ما تنفثه المرجل من أحشائها لكنها طفقت تزيد صلاء النار. . وألسنة اللهب تندلع من على جانب المرجل. . تزيد أمي الوقود. . وختاما كانت هي وقود النار.

(٧)

ها هي الصرخة الثالثة تتأهب للاندلاع بعد ان انطلقت سبع صرخات مدويات تدعو الى التفسخ من كل ما هو سام بقدر ما تدعو الى اعتقال غرارة امواج السحب. . وشيطان يقول لصاحبه في مجادلة بينهما كانت بالتي هي أحسن (اليوم قدرت على اغوائه) فيقول الآخر

(من) فيجيب الأول (الناسك الذي اخبرتك عنه القرن المنصرم) فيقول الآخر (آه . . ياله من مسكين . . إذن ستنال الترقية التي وعدك بها الزعيم الأكبر) ـ يقصد ابليس ـ فيقول الأول منتشيا (آمل ألا ينكص الزعيم الاكبر عن مرسومه . . فيغويني) هنا يقول اخر رافعا عقيرته بضحكة مزلزلة (هه . . هه يغويك وأنت الغواية بحذافيرها . . يا صاحبي أنت والغواية كهذين) وأشار بقرنية . تقعقع ضحكات شيطانية في الجو الجاثم على عتبات كهوف العالم طرا . . (المفاجأة التي ستتلقفها الدنيا في القرون الآتية من الاجل تنادي بالتشبث بأفكار عقيمة جرداء تنفثها ادمغة سرابية أتت من كواكب اخرى دخيلة لا تمت بصلة لهذا الكوكب . . فاحذروا) هكذا نطق احدهما .

(٨)

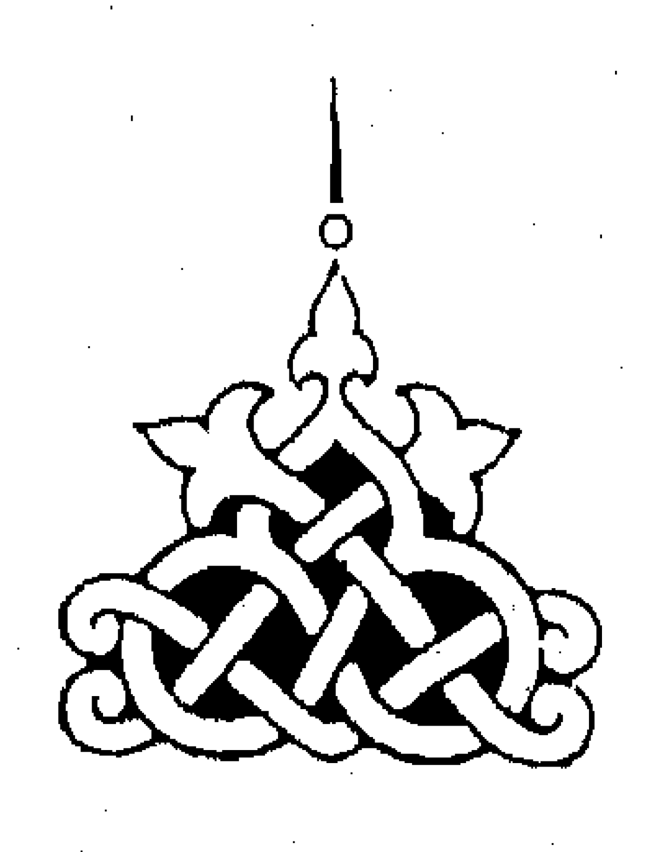
امي يا من كنت شجرة عظيمة الفروع لم تستطع الرياح العاصفة كسر عود منك . . أمي ان سادنة الاجيال سعيدة بوفاتك ولقد اسرت في اذني عندما كنا ـ أنا وهي وأنت ـ نواري جثتك تحت الرغام المقدس . . اسرت تقول (انني لفرحة بوفاة امك فكوني سعيدة مثلي . . ان روحها الآن هناك . . هناك ، واشارت بسبابتها الى ما لا غاية . . حيث لا يصل بصري المجرد . . (اترينها ايتها البنية . . انها هناك . . حيث السعداء حيث من يملكون قلوبا من ذهب كأمك . .) فرحت وانتشيت بيد اني قلت لها بعد ان حدث شيء غريب (أيتها الساذجة انظري لقد فتحت أمي احدى عينيها . .) فندت عنها صيحة مزعومة (لا . . لا . . لا يا ابنتي ان امك سوف تظل عيناها مسبلتين . . حتى تنتهي الى تلك الغاية . . هناك . . هناك) واشارت بسبابتها حيث قد اشارت قبيل قليل . . (امي كوني على ثقة بأنك ستبلغين تلك الغاية التي اخبرت بها السادنة الحيزبون لانني رأيت في عينيها وهي تتفوه بتلك الكلمات المشعشعة شعاعا أحمر يتألق ضوؤه كجمرات من نار المرجل التي رحلت بسببها . . كما انني رأيت المرجل ذات نهار وهي في زي ناسك متعبد يطوف بالابراج والقلاع في البلدة ممتطيا مقشة من نور وكلما دخل قلعة نفث دخانا من اذنيه . . وقال (سامحوها . . اغفروا لها) فعلمت حينئذ انه انما يقصدك أنت لا سواك . . ان الخطيئة حين تدغدغ جوانب الجبل الراسي تتصدع اضلعه ويقارفها . . ويقارفها بعنف أهوج . . وكذلك كنت يا من كنت امي .

(٩)

هذا اليوم ليس كسائر الأيام التي ستنبثق من رحم الزمان الآتي . . لانه يوم اسحم اقبلت فيه الشياطين من جل بقاع الاكوان . . وارسلت أصواتا غريبة يصعق كل من يسمعها . . وبدت ساعتئذ اضراسهم وأنيابهم وقرونهم تلتمع على ضوء مصباح شاحب بأنف افطس . .

والجريمة تتوج أم أروعهم ذات القرون التي خرقت قبعاتهم السامقة. . رنا احدهم الى آخر (هـل اكتمل العدد) فأجاب (لا. . بقي ذلك الذي سينال شرف الترقية. . ذلك الذي اغرى الراهب المسكين في عقر صومعته المعزولة. . انشده الآخرون. . (ما القصة)؟. . تولى احدهم روايتها. . بينما ازدادوا انشراحا وتآكلوا لرؤية هذا البطل المصور. . ارتعش الجو سوادا واحلولكت الدنيا ثم تفجرت انهار القرون وينابيعها وزمجرت الاشجار وتقارعت الجبال وعربدت الحجارة. . وهبت عاصفة هوجاء عصفت بالديار. . وجنيات عشر رفعن عقائرهن صائحات (يا. . هيا أين أنت يا من أنت والغواية كهذين) هو ذات الصوت الذي علا من افواه الشياطين جميعا. . لكن لا أثر لذلك الذي اغوى الناسك. . يبدو ان السماء قد ادركت ذنوب أهل الأرض. . فوارتها بعظام ذلك الشيطان المرير أو انها قد اغتفرت لهم زلاتهم بعصر لحمه ودك عظامه وانها تجاوزت عن هلوساتهم بمجرد اغماض العيون عنه. . وعن اتباعه وعن اتباع حزبه. . وعن دلوف جحوره. . اذا دلف جحر ضب دلفوا خلفه مهرولين. . متناسين (أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون). . ثمة ضحكة غص بها حلق السماء فيما هي تتدارك اخطاء المخاليق. . اعقب الضحكة صوت منكر كهدير الرعد (انا والغواية كهذين انا والغواية كهذين) وهو يشير بقرنية.

وطفلة هناك كأنها عائدة من مأتم جنائزي. . يدغدغ اعطافها شيء ما يسمى النصر. . وهي ترنو بعيدا الى اللاشيء. وأمهات جذلى بوحيداتهن. . جلست على صخرة على قارعة الدرب تضفر شعرها الارجواني الذي نبت مؤخرا وفيما هي كذلك تذكرت. . آه. . آه. . اللبن. . افتر ثغرها عن ابتسامة اعرض من الحائط بدت وكأنها الأولى منذ خروجها من رحم أمها. . أمها التي دأبت على ان تقول اذا ما ارتكبت وحيدتها عملا عظيما واذا ما عاقرت حلاوة الأشياء (انها تحتسي اللبن الدافىء كل صباح).



مساحة في عقلك(*)

بدر بن علي بن سلطان الشيباني

(١)

من شفاه الغيم تنساب تلك القطرات الكسلى، تتمسح بوجوه شوارع القرية، العربات تمرق بين الفينة والاخرى، أصوات الكلاب حاجرة تنبعث من مكان ليس بالبعيد، تحس بانك الشارع الذي تسير على ظهره تلك العربات النزقة.

تفتح بوابة رمادية لتغوص في مدينة ذات صخور وردية منتصبة وربما كانت تلك الصخور تحمل خطوطا أو احرفا بيضاء، لم تدرك كنه المدينة التي اتسعت امام عينيك، لكنك امتلأت بها حتى النخاع، رحت تصفع تلك الاكداس المتورمة من الرمال بلا شعور ثم تذكرت انها أكوام جماجم اهلكها الدهرا مكثت امام احدها طويلا تتمتم بكلمات ربما كانت قصيدة لـ «كالفوس» وربما كانت قصيدة لأبي العلاء، انتفضت فجأة وبقوة لأن هذه الأكداس تآمرت عليك بدأت تزحف عليك بقوة، ترميك بمقاليع مسننة. . . امتلأت بالأعاصير حتى اخمص قدميك ثم ارتميت داميا على احدى الدروب الموحشة.

(٢)

من بين تلك النخيلات المموارية لفلج القرية، كنت تسمع صوتا رقيقا وتشعر بدفء الانثى يتضح شيئا فشيئا، وحينها تقترب ثم تزيح عن اهدابك تلك السعفات المتعانقة تبصر جسدا أبيض كالثلج فتحس بأن الشمس تشرق من جوف الماء غنية بأشياء لم تستطع لها وصفا، تبصر يدا بيضاء تمتد اليك تعانقك لتضمك اليها فتغيب في بلسم انثاوي سيال، وحينما تصل الى مرحلة الشبق بتنهداتك الحارة، تشعر بالفراغ وباللاشيء، ولكنك. . . مازلت تلمحها انها هي سيدة البحيرة، انها حبيبة «الامارتين». . تقترب حتى حافة الساقية فلا تبصر سوى. . صورتك المقلوبة المهتزة على صفحة ماء مندفع.

(٣)

سعدون جرسون المطعم كان لسانه في آخر طية من طياته وأنت تدخل، سمعت حرفين من آخر كلمة «وول» فقدرت انها فول، أيا كان الأمر، تناولت كرسيا وبسطت جريدة يومية

(*) القصة الفائزة بالجائزة التشجيعية بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٢م.

امامك على الطاولة، ثم تسمر سعدون امامك بطريقة استفزازية، بطريقة اللاتقدير طلبت منه عصير «الكوكتيل» ثم انصرفت الى الجريدة، كانت نظارتك السميكة تعلو وتهبط وتنهداتك تتصاعد حينما قدم سعدون كوبا مملوءا «بالكوكتيل» تذوقته احسست بمرارة في الحلقوم هرولت على اثرها الى المغسلة التي كانت على جانبك الأيمن، وبعدها عدت لتقول لسعدون ان هذه الفاكهة فاسدة، لكنه رد عليك بطريقته تلك «ايش درّى الحمير بأكل الشعير».

ثارت الحميا في دمك، اردت ان تلقنه درسا، صعدت على الطاولة، وبدأت. . قصيدة «دار البطيخ» لابن الرومي . .

ما هي الا لحظات وعيناك لا تبصران سوى كوب يروح وصحن يجيء وبيضة تكر واخرى تفر، وسعدون يحملك على ظهره ثم يرميك على رصيف احتضنك بقوة.

(٤)

كان السوق مكتظا بالأرواح ذات الانفاس المختلفة، والغبار ينعقد من بين الأرجل ليتصاعد كالمارد على الأفق، تخطفتك الكثير من الوجوه، تقرأتك بعضها طويلا وبعضها لم يعرك اهتماما، انتصب شخصان على زاوية؛ كل منهما يكاد ينفجر بركانا تلو البركان وما هي إلا لحظات واشتبكت الأيدي وحمي الوطيس وتفرقت بقعات الدم من جوانب مختلفة وجدت نفسك تجري لتفض ذلك الخلاف مع آخرين وحينما هدأت الأمور أثارك التجمع، احسست بالنشوة العارمة نحو نظريات «فانون» انتصبت فيهم وكانوا حلقات. . بدأت توضح وتتكلم بثقة مطلقة. . ما هي سوى لحظات حتى انعقد العرق على جبينك وتصاعدت تلك الرائحة النتنة من بين ذراعيك، وحينما وقفت لتستريح، وجدت انه لم يتبق سوى. . . أنت.

(٥)

جسدك ملتهب وعيناك غائرتان وبيدين مكسوتين بنافذة تعبه تدفع بوابة منزلك، ومن الداخل يأتيك صوت طفولي «بابا. . بابا» تلقي بجرائد مختلفة كانت قد اثقلت يدك ثم تنغرس في حضنك أجساد غضة تحضنها ثم تحضنها بقوة، لتعود بذاكرتك الى جيش اسامة والى الصبي المتحدث في مجلس عمر، لتعود بذاكرتك اليك وانت تشعل مجلس ابيك ولم تتعد السابعة بعد، لترتفع «خيزرانات» حمراء الى الهواء. . الى ظهرك، تريد ان تحادث هذين الطفلين اللذين امامك تريد ان تسرد لهما وجع اليوم وألم البارحة لكنك تحس بسيل من الرمل بسقف الحنك، تحس بالتناهي يهيمن على احبالك الصوتية، لكنك تصحو على الصوت الطفولي «بابا». . . نريد ان نستمع الى حكاياتك قبل ان ننام.

ساعتها ترفع الطفلين عاليا. . عاليا. . . ليمتزج الكبت والانطلاق في عالم العقل، لتستمر في احاديثك الطويلة، رغم ان الطفلين يحلمان بأحاديث اخرى جديدة.

اضـاءة حـول القصـائد الفائزة
بمسـابقـة المنتـدى لعام ١٩٩٢م (*)

اعداد ـ أ . د . : سـعد دعبـس
رئيس قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب
جامعـة السـلطان قابـوس

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة حماد بن حمد الغافري . . أمين عام جامعة السلطان قابوس ـ راعي الحفل
سعادة رئيس المنتدى الأدبي . .
أيها الحفل الكريـم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والصلاة والسلام على سيد المرسلين

ان مشاركة نخبة من شباب عمان في هذه المسابقة لهي دليل على الروح العلمية المتأصلة بين أبناء هذا الشعب الطيب الذي يفتخر بنهضته العلمية والأدبية، وما النهضة العلمية التي تشهـدها حقول المعرفة وعن طريق عقد الندوات الثقافية في مراكز العلم والثقافة واقامة المسابقات العلمية والادبية، وما تشهده السلطنة من انشاء دور العلم سواء أكانت متمثلة في انشـاء جامعـة السلطان قابـوس أم في الكليات المتوسطة أم المعاهد أم في زيادة عدد المدارس كل ذلك دليل واضح على اتصال اليوم بالأمس لأن الحاضر غرس الماضي والمستقبل جنى الحاضر، وقد غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون. ولابد من تسجيل ملاحظة هامة هنا مفادها :

ان اندفاع شباب السلطنة للمشاركة في هذه المسابقة يأتي تلبية لاعلان صاحب الجلالة هذا العام عام الشباب ولا يخفاكم المعنى العميق وراء هذا الاعلان وهذا النداء السامي. ففي الشباب حوافز وقوى جسمانية وعقلية لا يقوم المجتمع إلا بها ولابد من استثارتها كي تساهم وتشارك في التقدم الحضاري والاجتماعي لكي يواكب الركب الانساني نحو تحقيق التقدم والازدهار.

ان مساهمة نفر من أبناء السلطنة في هذه المسابقة لهي دليل على ان الحركة العلمية بخير في عمان وان النهضة الأدبية تسير قدما الى الامام. ولابد لي من التنويه بجهود أصحاب البحوث والقصائد المقدمة سواء أكانت فائزة أم لم يحالفها الفوز فهي تنم عن جهد مبذول اتبـع فيه أصحـابـه الطريقة السليمة في البحث العلمي حتى حققوا النتائج المرجوة من ابحاثهم. كما لابد لي من القول إن فوز بعض الابحاث إنما جاء طبقا لمعايير معينة، وهذا

(*) القيت بمناسبة الاحتفال بالقصائد الفائزة في المسابقة.

لايعني عدم جودة الابحاث التي لم يحالفها الحظ في الفوز. أما النقطة الاخيرة في كلمتي هذه فاهميتها بالغة من حيث الانتاج الأدبي والعلمي وهي ان الفائزين في مجالي الشعر والبحث ليسوا من اصحاب الاسماء اللامعة في عالم الحركة الأدبية والعلمية وهذا يدل على الكم الفكري الكبير الذي لايزال دفينا في عقول أبناء هذا الوطن ونفوسهم ومشاعرهم كما يدل على ان عوامل معينة قد ساهمت في ابراز اعلام اشتهروا وذاع صيتهم، ومن هنا لابد من استثارة النفوس وتشجيع المساهمين كي يتقدموا بانتاجهم العلمي والأدبي، وما هذه المسابقة وهذا الحفل التكريمي إلا أحد جوانب هذا التشجيع.

ويسرنا الآن ان نستعرض القصائد الفائزة..

القصيدة الأولى (المتسلل) لعلي بن شنين الكحالي

هذه القصيدة ذات طابع وطني وقد حاول فيها الشاعر ان يقدم لوحة رمزية رمز فيها للدخيل الاجنبي بالثعبان، وقد تسلل الشاعر الى موضوعها بمدخل عاطفي رومانسي يناجي فيه الليل ويمتزج بمظاهر الطبيعة فيه، ولم يمنع الشكل العمودي ذلك الشاعر المبدع من تقديم هذه الصورة الرمزية تقديما جيدا، مما يدل على تمكنه من وجود ادائه الفني.

القصيدة الثانية وعنوانها «وامعتصماه». لصالح بن محمد بن سيف الفهدي

هذه القصيدة ذات طابع اسلامي غاضب لما آل اليه أمر الاسلام والمسلمين في هذا العصر الرديء من مذلة وهوان، نتيجة طغيان القوى العالمية التدميرية والحقد الصهيوني الصليبي، وتفرق المسلمين واختلافهم، وقد اجاد الشاعر ببراعة فنية استخدام تراثي من رموز البطولة الاسلامية وهو (المعتصم) ولكن وقع في قليل من الاخطاء النحوية، وقد منحت هذه القصيدة الدرجة الثانية.

القصيدة الثالثة وعنوانها «من وحي الخليج» وهي للمرُ بن باروت الخصيبي

القصيدة أشبه بأغنية قومية عربية تتغنى بأمجاد دول الخليج وتاريخه والشاعر فيها يعتمد على الشكل العمودي والتعبيرات التراثية، وطابع الفخر التراثي القديم.

والقصيدة جيدة لا تكلف فيها، ولكن يغلب عليها في صورها وتعبيراتها الطابع التقريري المباشر. وقد منحت الدرجة الثالثة.

القصيدة الرابعة وعنوانها: «رسالة من هناك» - وهي للشاعر عبدالله بن صالح المجيني

القصيدة يغلب عليها الطابع الرومانتيكي الذي يتدفق حزنا وألما ويعتمد على الصور التشخيصية التي يندمج فيها الشاعر بمظاهر الطبيعة من حوله اندماج الجزء بالكل.

وقد استطاع الشاعر باسلوبه الفني المتميز ان يصور مأساة الاسلام في القدس من خلال احزانه هو واحساسه بالغربة والضياع، مصورا اغتراب المسلمين في اوطانهم التي اغتصبتها الصهيونية المجرمة، وأدى ذلك أداء فنينا متميزا.

المتسلل(*)

علي بن شنين الكحالي

خيالات هذا الليل تمنحني الامنا ... وتأسو جراحاتي بملمسها الأحنى
أبادلها نفس الشعور ، رسائل ... من الهمس من كل الرسائل تستثنى
وبيني وبين الليل شيء أحبه ... يحرك وجداني وأجهله أينا
سكينته بحر من الطهر زاخر ... تجدف أشواقي بأمواجه هونا
ودورته أحلى قصيدة شاعر ... يفجرها لفظا ليفتتح الكونا
حبيب الي الليل مازال قيسه ... يرفرف بالذكرى رحيلا إلى لبنى

* * *

جلست على عهدي وقيثارة الهوى ... مع الليل مازالت تشارك من أنا
وفي غفلة من مقلة الدهر والرؤى ... تقدم باقات التمني لكي أهنا
تسلل ليلا دون سابق موعد ... ومن غلطات العمران تهمل الاذنا
وأسرع يخفي خنجر الموت فكه ... ليغرسه بالغدرفي أمل مضنى
تلوى كأسلوب النفاق بمائة ... يموت نبات الصدق في أرضه حزنا
وأبصرته مبنى تصعب فهمه ... فيا مشعلي اليقظان أوضح لي المعنى
أحقا هو السهران مثلي؟ وللورى ... زيارات سهد لم تزل تطرق الجفنا
أحقا هو الثعبان؟ وهم يدوربي ... ويزرع فيّ الشك أسطورة حزنى
وما قتل الآمال كالشك جاثما ... على صدرها يغتال من وعدها الحسنا
أحقا هو الثعبان؟ ركزت فكرتي ... لتوضع فوق الحرف نقطته الوسنى
نعم إنه الثعبان ماذا أصابه ... ليترك أمن القفر والراحة الأدنى؟

* * *

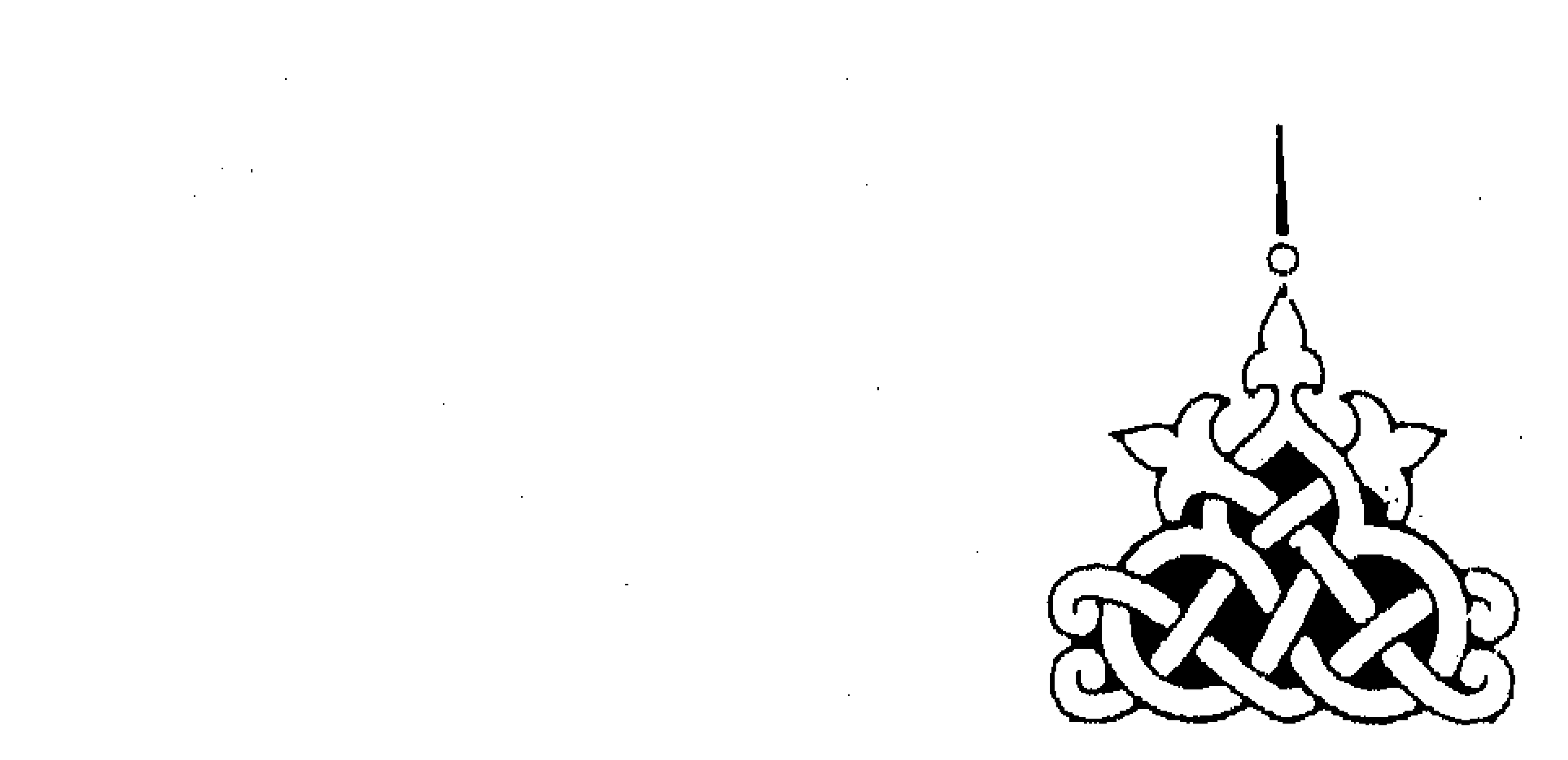
أتعرف يا هذا الدخيل بأنني ... لأمقت أسلوب الخفاء وماجنا
وأرفض رفضا قاطعا من يكون لي ... بوجه ويبني خلفي السوء والظنا

(*) القصيدة الفائزة بالمركز الأول في مجال الشعر الفصيح بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٣م.

أحـب ابتســام المـاء يرســم حــوله ... تقـاسيمـه الأحــلى، ولوحـاتـه الأسـنى
وأعشـق وجـه الصبـح يحمــل نــوره ... لنـا أيكـة الترحــال والـرزق والغصنــا
وأسبـح في بحــر الصفـاء بمهجتي ... ولا أرتضـي في غيـر سـاحلـه سـكنى
أحـب الوضـوح الطــلق في طـرقـاتـه ... تخــلق افكـار الحيــاة الى الأغـنـى
أمـامـك مــرآة كمـا في انعكاسها ... محيـاك، أهـوى الناس انشودة تبنـى
انـا بين أطيـاف المنى لا تزيحني ... ظـروف ولا تمحـو خطوط غـدى الحسنى
كصخـر بــلادي هذه النفـس قــوة ... وإن صـرخـت فيهـا معـاول لكنـا
وعمــري كفجـر ملـؤه الحـب كلمـا ... احـاطت به الآلام أشـرق ممتنـا
وتقبـل أنـت الآن تسـرق بهجتي ... أمـامي وقـد أحببت في امنها الحضنـا
وتعبث في داري الصغيـرة سـاخرا ... كأنـك لا تـدري لـهيـب الأسـى منـا
فـذق غضبـي، لا عاش من يترك العدى ... يفـرون لما دنسـوا الوطـن الأحـنى

* * *

وعــدت لصــدر الليـل، إنـي عشقته ... كنـوزا من الاحــلام والحـب لا تفنـى



مـن وحـي الخـلـيـج(*)

شعر/ المـر بن باروت بن سليم الخصيبي

خليجي نعم وأتيه فخرا — خليجي ولا أخفيك سرا
خليجي سري بدمي ندائي — وعانق خافقي فسما وقرا
خليجي ورجع الصوت شدو — وألحان تصوغ الحرف تبرا
خليجي وأحلامي أمامي — تحيل حنادس الظلماء فجرا
هنا سطرت والتاريخ عمر — ملاحم للبطولة إثر أخرى
هنا سُلت سيوف الحق لما — أراد بأهلها الباغون شرا
هنا عبق الحضارة كل حين — يفوح ليملأ الأكوان عطرا
هنا في كل زاوية حديث — عن الأمجاد، والأيام أدرى
رجال داعبت رتب المعالي — خيالهم فسادوا الناس طرا
كبا بهم الزمان فما استكانوا — وأرهقهم فما وجدوه عذرا
عزائم ليس تثنيها صروف — عن العلياء أو بالزيف تغرى.
تشيد من العلا صرح الأماني — وتبني للاخاء الحق جسرا
سواعد للبناء تروم مجدا — وعزا في الحياة يظل حرا

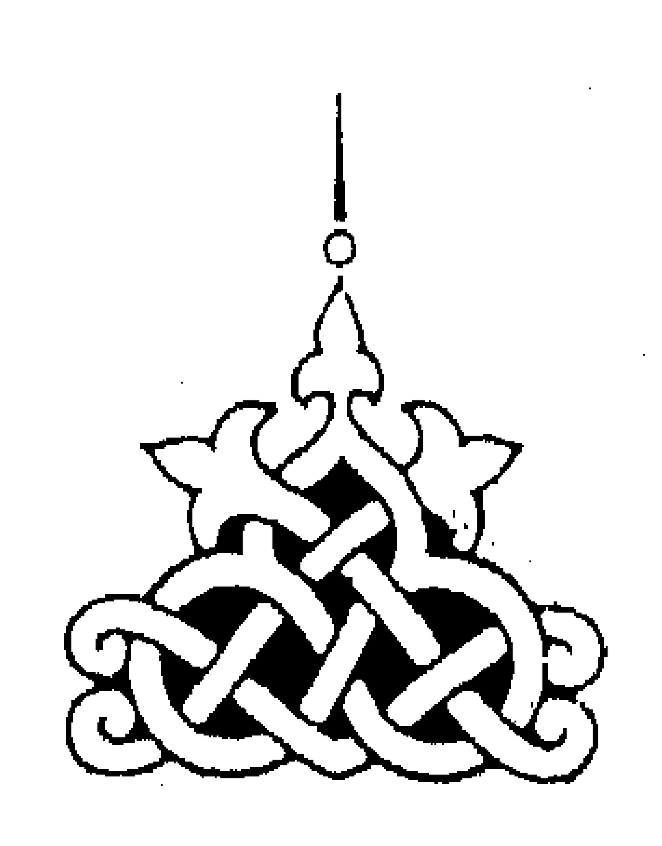
* * *

هنا يلتام جرح الفرد منا — وتتلى خطبة الشاكين جهرا
هنا في الله يجمعنا اتحاد — هنا تبدو جهود الكل خضرا
هنا عقد سداسي أنيق — حوى تبرا وياقوتا ودرا
خليج ضمنا جسدا وروحا — وآلف بيننا بدوا وحضرا
وألهمنا تغاريد التآخي — فأنشدنا الأخوة فيه شعرا
مشيناها خطى بالحب تمضي — تسابق بعضها للخير تترى
خليجيون يدفعنا انتماء — لأرض تلثم الأيام شكرا

* * *

(*) القصيدة الفائزة بالمركز الثالث في مجال الشعر الفصيح بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٢م.

أحبك ياخليج ولست أخفي   عليك بأننا بالحب أسرى
أحبك عالما بالخير يسمو   ورمزا للآباء يدوم ذخرا
أحبك - والهوى قدر - منارا   وفيض سنى وإلهاما وسفرا
أحبك والهوى العذري نهجي   فرفقا بالذي أهداك عمرا



رسالة من هناك(*)

شعر/ عبدالله صالح المجيني

يا دهر هأنذا أعود بشقوتي
أرنو إليك أخاف ان تنساني

قد جئت .. لا أدري ـ أتيت .. وفي فمي
لحن البقاء .. وقسوة الحرمان

أهفو إليك .. وفي فؤادي حسرة
من جور ما صنعت يد الأزمان

والروح بين العاصفات تمزقت
من شدة الآلام والأحزان

والنفس أذكت من جواها زفرة
حملت لهيب النار من وجداني

* * *

شردت أحلام الهوى من خاطري
وزهور فجري .. بل ربيع أماني

وسقيتني كأس الجراح محطما
ما قد تبقى من رفات كياني

ومضيت تلهو في مشاعل فرحتي
ومشاعري .. وبأدمعي .. وهواني

تلك الدموع لكم وكم أرسلتها
فاذا بها وهم .. وأنت الجاني

أبقيتني عمرا أقاتل غربة
وحدى أهيم فلا أرى شطآني

(*) القصيدة الفائزة بالمركز الرابع في مجال الشعر الفصيح بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٢م.

حملتني مالا أريد وأبتغي
واليوم . . أين الفجر . . أين مكاني

قد تهت في وطني ، وضعت، وما بدا
الا جحيم غاب فيه زماني

يا دهر هأنذا أعود وفي فمي
أشلاء ماضي التيه والنسيان

وجنون أشباح السنين تهالكت
وتكدست كالرعب في خلجاني

ترنو لمأتمها كليلة عرسها
سيان . . يلتقيان في الهذيان

هذا أنا يا دهر . . جرح غائر
وقصيد شعر حائر الأوزان

** ** **

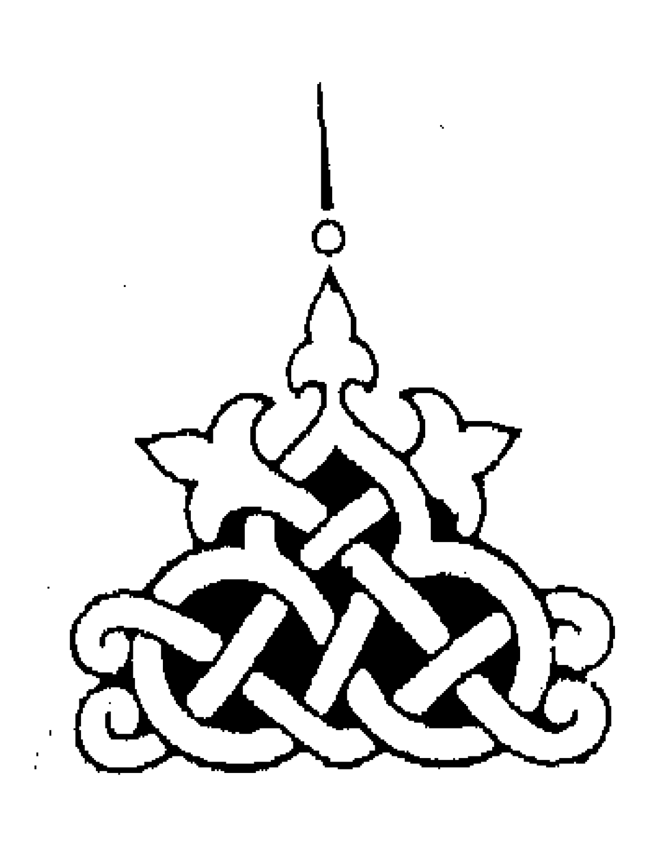
أصبحت طيرا في الوجود محطما
قد بدل الأفراح بالأحزان

يدنو الي لعل في لحني هوى
يشدو به لحنا بلا عنوان

وأنا غريب في أراضي موطني
أغدو وأمسي في فمي أشجاني

يا أيها الطير المهاجر حاملا
آهات شوق ما بلغن أماني

عرج على وطني الغريب مسائلا
هل حان يا وطني لقاء ثان



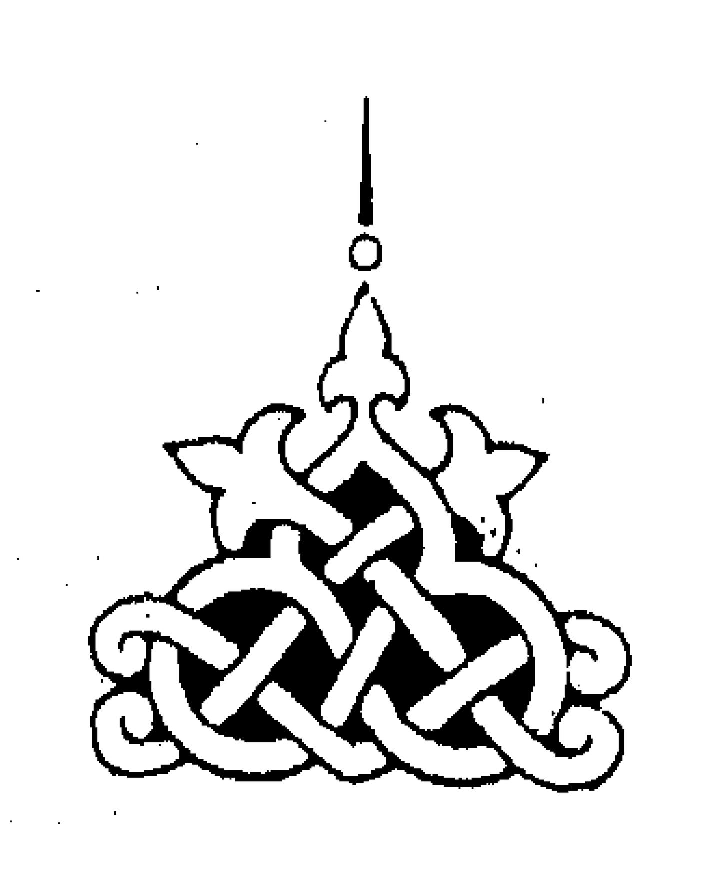
الى الجنوب(*)

صالح بن حمد بن محمد الوهيبي
جامعة السلطان قابوس (كلية الهندسة)

وأخيرا.. بعدما انهارت دروبي ... وتوارت خلف أشباح الغروب
ومضى العمر الى دنيا التلاشي ... وهوى كالنجم في ليل كئيب
وخبت في النفس هزات القوافي ... رعشة الوجدان في دنيا الخطوب
وأخيرا... بعدما خابت بظني ... أمنيات النور يزهو في المغيب
وادلهمت بي خطيئاتي وجالت ... في شراييني علامات النضوب
ها أنا أغزو القوافي من جديد ... مسفيقا من جراجات حروبي
وأعود اليوم من بعد انطفأ الرّ ... وح في دنياي... من بعد غروبي
كشعاع زئبقي... أو كنجم... ... أو كفجر شق أستار المغيب
ها أنا اليوم مواويل وقلب ... يتغنى مثلما باقي القلوب
وجنوبا... صار عندي الاتجاه ... لا اتجاهات أرى غير الجنوب
آه من غربة دهري من ضياعي ... من أنين الخطو ما بين الدروب
من عذابي بين شطآن التمني ... واحتراقي في محطات الهروب
يا فتاة... في مراسيها احتوتني ... من ضياعي واغترابي ونحيبي
وأنا خت ركب أسفاري بعيني ... ـها... فأنهت في محيّاها هروبي
يافتاة... لم يزل منها خيال ... شاعريّ الحس كاللحن الطروب
عبقري السحر يسرى في عروقي ... رائق النسمات عطري الهبوب
اغسليني من خطيئاتي واثمي ... وانفضي عني غبارات الذنوب
وامسحي من فوق أشلائي احتراق ... العمر في كوني الموارى بالخطوب
وامنحيني فرصة الحب عساها ... تبعث الاحساس في قلبي الغريب
طهّريني... طهري ساحات فكري ... من صدى الذكرى ومن وهم الهروب
حرريني من قيودي من ظلامي ... وابعثيني شاعر العصر المريب

(*) القصيدة الفائزة بالمركز الخامس في مجال الشعر الفصيح بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٢م.

يافتاة... حوّرت فيّ الأماني فرحة تطفي بانحائي شحوبي
أقبلي نحوي فاني في اشتياق في انتظار... في انصهار.. في لهيب
أنسج الأيام حلما... وجناحا وانعتاقا من سراديب غروبي
وتعالي... قد مللت العيش في كو ني وحيدا بين ناري... وذنوبي
غارقا في عالم الأحزان مرميـ ـا على الدرب... يناجيني نحيبي
ومللت الجري خلف الامنيات الخائبات الوعد... والحلم الكذوب
ومللت الناس والدنيا وشعري ورحيلي من حروب... لحروب
وتعالي... أنت من يشعل دنيا ي منارات... ويغتال ذنوبي
ويزيح الوهم والاحزان من كوني ويلغي كل ماضيّ الكئيب
فتعاليْ... وتعالي... وتعاليْ يا أماني... وياحلم الجنوب



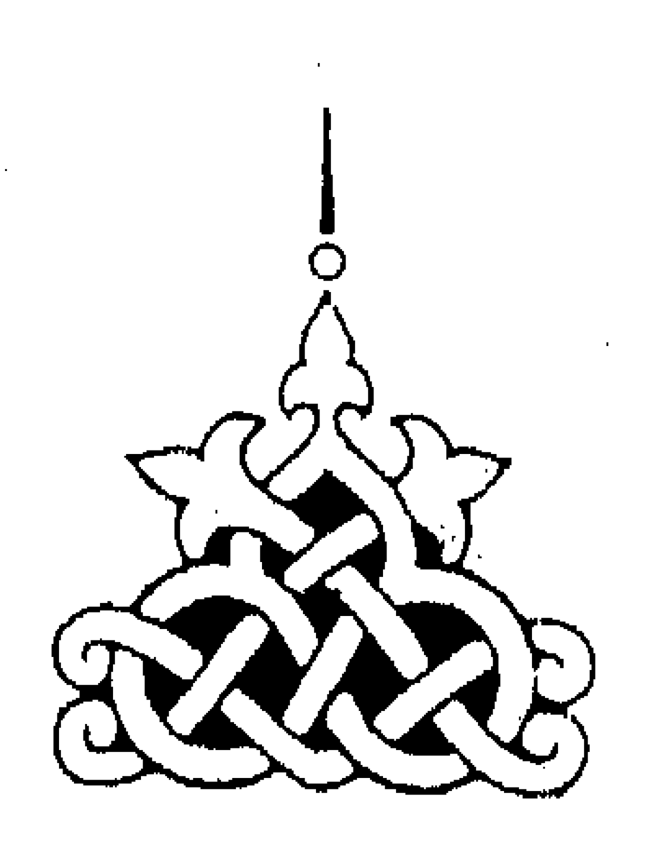
الدنيا كتاب(*)

سعيد بن مسلم بن عامر باجيد

لا تقول الوقت غلق بالحساب
الزمن تاريخ والدنيا كتاب
الزمن احداث والدنيا تجارب
والعمل والعلم فتحوا ألف باب
يارجال الغد ياعدة بلادي
فوق درب المجد مطلوق الرحاب
انتو كنز عمان ونتو حلمها
علقت فيكم املها والحساب
بالعمل والجهد والعزم الموحد
تصنعوا العلياء وتتحدوا الصعاب
تصنعوا من شمس نهضتنا حضارة
خالدة .. تسجد لها السبع العجاب
كل قطرة من عرق تنبت وتنتج
كل خطوة مثمرة منها ثواب
الله و اكبر من وهب روحه وشمر
عن سواعد واحتضن اغلى تراب
هو يكبر والوطن يكبر بعينه
حب أرضه صار زاده والشراب
يا شباب عُمان يا رمز التقدم
مد له بعد النظر عين الصواب
توجوا امجادنا في كل محفل
واغرسوا راياتنا فوق السحاب

(*) القصيدة الفائزة بالمركز الأول في مجال الشعر الشعبي بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٢م.

وارفعوا بين الأمم نهضة بلدنا
واحفظوا عهد الأمانة بالرقاب
عامنا عام الشباب فخر ومكارم
قد تجلت في مضامين الخطاب
يوم اعلن قائد النهضة المفدى
ان هذا العام هو عام الشباب



عُمـــــان(*)

شعر/ محفوظ بن محمد الفارسي

مـايـــلام اللـي هـــوى نـور العيـــون
ولا يـعـــاب اللـي عـشـق طـهـر الفـــلاة
أنـت كـحـــل عـيـونـنـا رمش وجفـــون
وأنـت نـــور وجــوهـنـا طـعـس ونـبـــات
وأنـت طـهـــر جـنـوبـنـا افـــلاج وعيـــون
وأنـت كـيـــد اعـدائـنـا عــز وثـبـــات
وأنـت لحـــن أمجـادنـــا قـــلاع وحـصـــون
وأنـت في أرواحـنـــا نـبـض الحيـــاة
وأنـت لحـم اكـتـافـنـا زرع وغـصـــون
بحـــر فـضـــلك فـــاق دجـلـة والـفـــرات
دارنـا يـا صـــدرنـا الـرحـــب الحـنـــون
يـا اســم تـلـهـــج بحـبـــه كـل ذات
والـذي ســـواك يـــا أمَّ الـفـنـــــون
أنـت فـخــر اجـيـــالـنـا مـاضـي وآت
أنـت صـيـــوان الـشـعـر في كل لـــون
مـنـــزلك فـــوق النجـــوم الـزاهـــرات
قـايـده مجـــد الـعـــرب أرضـــك مـــزون
بـيـــرقـك خـفـــاق رغـم الـنـايـبـــات
شـامـخـن اسـمـك عـلى مـــر الـقـــرون
لـك مـن الأول صـــدور الـنـايـفـــات
يأمـيـــرة عـصـــرنـــا الحـــالي يهـــون
كل شـــيء لاجـلـك ورب الـكـــائـنــــات

(*) القصيدة الفائزة بالمركز الثالث في مجال الشعر الشعبي بمسابقة المنتدى لعام ١٩٩٢م.

كلنـا خـطـاب أرضــك يـا حـســون

يـا شــهـاب المجـد وأرض المكـرمـات

دمنـا مهـرك بسـاحـات الـطـعـون

مـا نـفـرّط من غـلا أرضـك حـصـاة

واهـبـيـن الـروح وراد المنـون

شـاربـيـن العـزبـسـيـوف الممـات

لـو طـلبـت الشمـس من ضـلع السـكـون

مـن سـواده جـبنـالك نـور وعـبـاة

حـلـتن تـنـهـي عـلى صـدرك فُـتـون

بـردتن تـزخـر بـإجـلال الـصـفـات

مـن يـبـاري ربـة الحـسـن المصـون

مـن يضـاهـي في ثـراهـا المنـجـزات

يـا بـلادي نعـشـقـك مهمـا يـكُـون

أنـت نـور عيـونـنـا بـدْو ورعـاة

لـو نـلـف الـكـون اقـطـار ومـدون

مـا نـلاقـي مثـلك بـكـل الجـهـات

أنـت محـراب المحبـة والسَّـدون

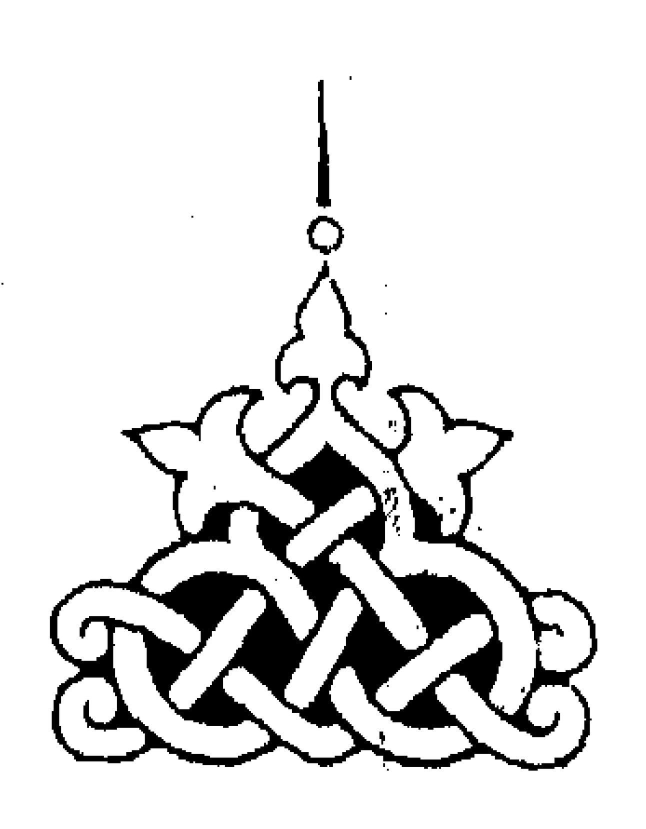
مـشـعـل التـاريـخ مـرقـى الطـايـلات

لـك بـأقـصـى أعمـاقـنـا عـذب اللجـون

حـبـك المـارد بـدمـي لـه سـرات

يـا أمـيـرة للشـعـر شـدو وشـجـون

في هــواك وللمــدح ذوق وحـــلاة



الفهــرس


البـــاب الثـــاني

البـــاب الثـــالث

الباب الرابع

الباب الخامس

رقم الايداع ١٥٥ / ٩٣



المطابع العالمية - روي - سلطنة عمان